

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
بمكة المكرمة
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الدراسات العليا
فرع
"الكتاب والسنة"

قامت الطالبة بالتصحيح المطلوب

دور المرأة في الدعوة إلى الله في ضوء الكتاب والسنة



بحث مقدم لنيل درجة
الماجستير

إشراف صاحب الفضيلة
الشيخ الدكتور/ محمود نادي عبيدات
إعداد الطالبة لحفور بها
لولوة بنت عبد الكريم ابراهيم القويفلي

المجلد الأول

عام/ ١٤٠٩هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص رسالة ماجستير بعنوان

"دور المرأه في الدعوه الى الله في ضوء الكتاب والسنة"

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه والسائرين على هداه .

وبعد: فقد تضمنت الرسالة مقدمة وتمهيداً وأربعة أبواب وخاتمه تبين حقيقة دور المرأه في الدعوه الى الله، وأن البيت هو مجالها الأرحب لهذه الدعوة، وكذلك في وسط بنات جنسها حيثما وُجدن من غير اختلاط ، وهذا هو هدف الرسالة .

وقداحتوى **الباب الاول** بفصليه على الكلام عن المرأه في الجاهليه والاسلام .

وتضمن **الباب الثاني** بفصليه ، أن المرأة مكلفة بالدعوة إلى الله وأن دورها في الدعوة يختلف عن دور الرجل لاختلاف طبيعتيهما .

أما **الباب الثالث** بفصليه، فقد بيّن إعداد المرأة للدعوة الى الاسلام والوسائل التي تمكّنها من الدعوة وبيان مجالات نشاطها .

واما **الباب الرابع** بفصليه فقد اشتمل على النماذج التطبيقيه من خلال القرآن والسنة والواقع التاريخي ، والتعريف ببعض شهيرات النساء في مجال الدعوة وبيان واقع المرأة المعاصرة.

واما **الخاتمه** ، فقد اشتملت على النتائج التي توصلت إليها الباحثة وأهمها :

١ ـ أن اساليب الدعوة الى الله كثيرة ومتنوعة يصعب حصرها .

٢ ـ اهمية دور المرأة في المجتمع وانعكاس تصرفاتها عليه ، وأن مؤسسات التربية ودورالتربية ودورالحضانه مهما كثرت لاتغني عن الأم وأن المرأة تكمل دور الرجل في الدعوة .

٣ ـ ان تقاعس المسلمين عن الدعوة الى الله كان سببا في ترك الواجبات وإتيان المنهيات .

٤ ـ ان صوت الباطل يرتفع اذا انخفض صوت الحق ، وأن اهل الباطل يقظون متعاونون واهل الحق غافلون متنافرون الامن رحم الله منهم وقليل ما هم

٥ ـ أن اعداء المرأة يحرصون على مسخها بالايحاء اليها بتقليد الرجل والتخلي عن دورها فأفشلوها في المجالين .

٦ ـ اهمية وسائل الاعلام في مجال الدعوه وأن سوء استخدامها يعودوبالا على الامة .

٧ ـ ان الاسلام منهج حياة وسلوك يحكم المجتمعات وليس نصوصا للحفظ أوتمائم تُعلق في الصدور .

٨ ـ أن واقع المرأة المسلمة المعاصرة يؤكد أنها والقائمين عليها مازالو يترددون في تطبيق الشريعه تطبيقاً كاملاً في حياتهم وذلك بسبب التعلات والمماطلة والتسويف والتقنين .

٩ ـ أن الغايه التي ضحّت من أجلها المرأة في القرون الأولى لاتزال مطلوبة من المرأة اليوم .

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمدوعلى آله وصحبه أجمعين .

الطالبه

لولوه بنت عبدالكريم القويفلي

المشرف على الرسالة

الدكتور / محمودناوي عبيدات

عميدكلية الدعوه واصول الدين

بجامعة ام القرى

الدكتور / علي بن نفيع العلياني

بسم الله الرحمن الرحيم

وَبِهِ نَسْتَعِينُ

شكر وتقدير

شـــكر وتقديـــر

أحمد اللّٰه تعالىٰ العلي القدير على توفيقه وامتنانه علىّ لاتمام ما أقدمت عليـــه ...

أنت أهل الحمد والثناء لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيـــت علـــى نفسك ، وأشكره على اعانته وتيسيره ، وأصلي وأسلم على سيدنا محمـــد وعلى آله وأصحابه أجمعين وزوجاته أمهات المؤمنين ومن اهتدى بهديهـــم إلي يوم الدين ...

. كما أتقدم بالشكر بعد شكر اللّٰه لأستاذي وشيخي الدكتور:محمـــود عبيدات الذي كان وما يزال مثالاً رائعاً للاخلاص والتفاني والتضحيـــة بوقته وصحته ، فلم يدخر من وقته شيئاً عن أبنائه طلاب العلم من ليـــل ولا نهار ، مع ما أفاض به من دعائه البليغ ومشورته السديدة وتوجيهـــه القيم وملاحظته الصائبة بأسلوب الداعية المربى بكل حلم ورفـــق ودقة واخلاص

هذا بالاضافة إلي تواضعه الجمّ حيث انه يترك للطالب حرية التعبير عن رأيه ويصغي اليه ، ثم بعد ذلك يقول رأيه الصائب ، لهذا فإنـــني كنت أستشيره في كل صغيرة وكبيرة لأنه أهل لذلك .

لذا فإنني أعترف بعجز قلمي وقصور تعبيري عما وجدته منـــه ، فالذي يكافىء عبده الصادق المخلص هو اللّٰه ، أما أنا فليس بوسعـــي إلا أن أتوجه إلى اللّٰه بالدعاء له ،فأسأل اللّٰه تعالى أن يجزيـــه أفضل ما يجزي به أولياءه وأن يسدد خطاه ويثبت قلبه ويثيبه مثوبة حسنـــة ويجعله مع النبيين والشهداء والصالحين يوم النزل .

ولا يفوتني أن أرفع وافر الشكر والتقدير إلى كل الذين كانـــت دعواتهم خير عون لي في انجاز بحثي ، وكانوا يتلقون بكل لهفة وشـوق أخبار فراغي من هذه الرسالة من الأهل والأقارب والأصدقاء.

كما أشكر كل الشكر وأقدر كل التقدير لجامعة أم القرى حرسها الله ممثلة بمعالي مديرها الدكتور راشد الراجح ، وعميدي كلية الدعوة وأصول الدين السابق الدكتور عبدالعزيز الحميدي والحالي الدكتور على العلياني ، وعميدي كلية الشريعة السابق الدكتور صالح بن حميد ، والحالي الدكتور سليمان التويجري ، ووكلاء الكليتين السابقين والحاليين ، وأساتذتي الأفاضل الذين تلقيت على أيديهم وأتاحوا لي فرصة التحصيل العلمي فجزاهم الله عني خير الجزاء .

سائلة الباري جل ثناؤه أن يسدد خطانا جميعاً لما فيه خير الأمة الإسلامية وأن يتوج جهودنا بالتوفيق والنجاح .

انه سميع مجيب.

المقدمة

المقدمـــــة

الحمد لله نحمده ،ونستهديه ، ونستغفره ونتوب إليه ،ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ،ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، أنعم علينا بالإسلام وأمرنا بالدعوة إليه .

وأشهد أن محمداً عبدالله ورسوله أرسله الله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾

(سورة الأحزاب ، الآيتان "٤٥،٤٦") .

وانه خير من دعا إلى الله على بصيرة ،وجاهد في الله حق جهاده ، اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبى الأمي ،وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وعلى أصحابه الغر الميامين والمجاهدين الصادقين ،ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ...

أما بعـــد

فقد كان من أسباب اختيارى لهذا الموضوع ما رأيت من حال المسلمات التى يرثى لها فالكثيرات منهن كقطعان الأغنام التى لا راعى لها تتخطفها الذئاب فى الشعاب ، ويقتلها الظمأ وهي تسعى إلى ما تظنه ماء وهو سراب ، وتداعى عليها الناس كما تتداعى الأكلة على قصعتها ،وأصبحت النساء – مع كثرتهن – غثاء كغثاء السيل ، إنهن وللأسف الشديد جيل منهجهن تبع لكل ناعق باسم الحرية المزيفة ،وبريق الحضارة المصطنع ، يقلدن المرأة الغربية ،فأطلقت الواحدة منهن العنان لنفسها، أو بالأصح أطلق لها الولى المسؤول عنها العنان ، وترك لها الحبل على الغارب ،فما كان منها إلا أن استجابت لتلك الصيحات التى تدعوها للمدنية والتحرر.

وما علمت أنها بذلك اسْتُغفِلَتْ وغُرِرَ بها ، حيث فكر أعداء الإسلام فى أقصر الطرق التى توصلهم إلى أهدافهم،وتحقق لهم مآربهم ، ففطنوا إلى

المـــرأة فاستخدموها ، وساروا عن طريقها فيخططهم ، فهي بذلك بمثابة الجسر الذي يوصل الأعداء للنيل من الإسلام والمسلمين .

فهل ترضى الواحدة منكن أيتها المسلمات أن تكون جسراً موصلاًللشـــر والفساد والخراب والدمار...؟ !!

استخدمها الأعداء معول هدم فيأيديهم لتدمير نفسها أولاً ثم كـــل من يقترب منها ، في حين تخلى المسؤولون عنها وانشغلوا بملذات الدنيا من تجارة،وجمع للمال بأي وسيلة كانت ، وسلموا نساءهم للطواغيـت - إلا من رحم الله -.

فمن الطرق والخطط التي استخدمها الأعداء ليسيروا بخطى ثابتـــة على هذا الجسر الذى اختاروه ليكون طريقاً ومدخلاً لهم: نصبـــوا أنفسهم محامين يطالبون بحقوقها،حيث ادعوا زوراً وبهتاناً من عنـــد أنفسهم ، أنها مسلوبة الحقوق ، والسبب فى ذلك هو:دينها ، والرجـل المسلم الذى فُضّل عليها . فتكالبت قوىٰ الشّر والفساد عليها،فهمسوا فيإذنها أولاً ثم لم تلبث همساتهم تلك أن تحولت إلى صيحات عالية تدوي يسمعها الجميع ....!! ، والسبب فى تحولها من همسات الى صيحـــات عالية جريئة هو:عدم وجود الرادع الذى يردعها ، ويوقفها عند حدها، ويكسر شوكتها.

فبين عشية ، وضحاها أطلق كل ناعق صيحته ، فهذا يحثها علـىٰ المطالبة بالمساواة التامة ، وآخر يوحيلها انها مظلومة ومهضومـــة الحقوق لابد أن تطالب بها لتعيش حرة طليقة مثل الرجل فهي مهيضـــة الجناح ، وثالث يحرضها علىالتحلل ويزين صورة المرأة الغربيـــة فينظرها ، وأنها بتحللها هذا تصل إلى أرقى درجات المدنية والتطور والحضارة ، ورابع صار يزين ويبهرج لها صورة المرأة غير المحجبـــة المختلطة بالرجال فى شتىٰ الميادين من غير قيد ولاشلّ لحركتها...!

وعند ذلك ما كان منها إلا أن تاقت لمثلتلك الحياة فصـــــارت هاجسها وأمنيتها ، وأصبحت ابواق الشياطين قدوتها ،وهذه بلا شــــك نتيجة حتمية ومتوقعة لمن صارت كلها آذاناً صاغية لتلك الخدع الماكرة .

وحصل بعد ذلك مالا تحمد عقباه ،وهو ما لمسته من حال البشرية اليوم ، وما يلمسه كل ذو بصيرة : من الفساد،والانحلال ، والشقـــــاء المحيط والمحدق بالمرأة المسلمة حيث لم تنج بقعة من الأرض مـــــن الدعوة إلى العفن ، والميوعة ، ومبادئ الكفر والضلال، وترويـــــج ما يثيرونه من شبه حول الإسلام بشتى وسائل الدعاية ، فوجدت هذه الدعــــوة الباطلة مرتعاً خصباً ترتع فيه ، وآذاناً صاغية تسمع لما تدعو إليـه ، وعقولاً فارغة تخلت عما وهبها الله تعالىٰ أياه من نعمة التفكير فيمـــا يدعو إليه .

فلا حظت حال المرأة المعاصرة ــ وأنا آسفة أشد الأسف ــ وأتمــزق من شدة الألم وكلى أسىً وحسرة لما حلّ بالمرأة المسلمة المعاصـــرة ، لهذا أخذت أفكر فيها ليلاً ونهاراً حتى أن هذا التفكير أقضّ مضجعـــــي ، فشعرت بالمسؤولية تجاه تلك المرأة البائسة المخدوعة ، كيف يكـــون إصلاحها ؟ وما هو المدخل الذى أدخل عليها به لردها عن غيها وضلالها إلى هدى ربها وشريعته السمحة ؟

كيف السبيل لبيان وجه الحكمة فى الفروق بينها وبين الرجل ؟

فإن هذه المرأة التائهة وهى أختي المسلمة صلاحها ضـــرورة حتمية حيث يترتب على صلاحها : إيجابيات تفيد الأمة الإسلامية بأكملها ، كما يترتب في نفس الوقت على فسادها سلبيات تضر الأمة الإسلامية بأكملها .

أمام هذه التساؤلات ،وحال تلك التي غدت لقمة سائغة لكل جائــــع وسلعة رخصية لكل مشتر ، عرفت أبعاد مسؤوليتى نحو بنات جنسي في الاصلاح والتغيير،وأدركتها تمام الادراك لذا شعرت بأنني أحمل على عاتقي واجباً عظيماً في التبليغ والدعوة ،وأحسست بضخامة الأمانة في حمل الدعوة الإسلامية ،

ونشر دين اللّٰه ، وبيان سماحة الشريعة الإسلامية عموماً وعلى وجه الخصوص فى هذا العصر الذى نرى فيه الإبتعاد والتخلى ، فهو : إبتعاد عن تعاليم الدين ، وتخلّ عن تحمل المسؤولية وخاصة من قبل المرأة ومساواة تلك الدعوة التى حظيت بالنجاح والتفوق وكان لها نصيب الأسد كما يقولون من القبول لدى صويحبات العقول الفارغة .... !

لذا بدا لي أنّ الكتابة عن الدعوة فريضة شرعية، وضرورة حتمية على كل من انتسب إلى الأمة الإسلامية ، رجالاً كانوا أو نساء .. شيباً وشباباً .. صغاراً وكباراً .. حكاماً ومحكومين .. وخاصة وعامة ، فعلى الكل أن يقوم بهذه المهمّة على حسب حاله وحسب طاقته ، وحسب إحساسه بواقع المسلمين عامة وأحوال المرأة المسلمة المعاصرة خاصة ، وما آلت إليه البشرية من جراء فسادها وترديها فهى آيلة للسقوط ...

علماً بأن بعض الكتاب المعاصرين قد كتب عن الدعوة إلا أنهم فى كتاباتهم يتحدثون فى الغالب عن دعوة الرجل ، قد يجاب عن قولى هذا بأن المرأة تدخل ضمناً مع الرجل.

أقول ان دور المرأة يختلف عن دور الرجل فى الدعوة إلى اللّٰه كلّ حسب طبيعته واستعداداته الجسمية والنفسية ، فإذا أستطاع الرجل أن يؤدى دوراً حركياً فى الدعوة بالأسفار ، ومعسكرات الشباب الإسلامية ، والندوات، والمتابعة فى المساجد ... وغيرها.

فإن المرأة تكمل ذلك الدور وتتابع الأجيال فى البيت وتهيىء الجو المناسب لذلك الداعية ، وتذلل الصعاب ، وتزيل العقبات عن طريقه ، وفى نفس الوقت تكون القدوة الحسنة ، وهذا له أهمية ونتائج إيجابية كتثبيت وقع الكلمة المسموعة وتثبيت تأثير الدعوة فى النفوس . وعلى هذا يجب أن ننسق الأدوار بين الرجل والمرأة لايجاد تكامل فى الدعوة ، حتى لا تفسد المرأة عمل الدعاة ، ولا يفسد المجتمع عمل المرأة فى الدعوة ، ولا يحدث بلبلة وانفصام فى شخصية الأجيال القادمة ، عندها تنضج الثمار يانعة ، مورقة أيما ايراق تؤتى أكلها كل حين .

ومما ينبغى ذكره هو أن المرأة أكثر عاطفة وأسرع انفعالاً .. ، وأكثر صبراً .. وأوسع صدراً .. ، وأرفق بالصغار والمرضى والضعفاء والمسنين والمحتاجين ..

إذاً بذلك يتبين لنا أن دور المرأة فى الدعوة إلى الله لا يدخل ضمناً كما يقول بعض الكتاب عن الدعوة ، نعم ان تكليفها بالدعوة إلى الله من خلال الآيات القرآنية ونصوص السنة النبوية ، يدخل ضمنا فى بعضها والبعض الآخر صراحة ويخص المؤمنات بالذكر وبواجبهن هذا.

لذا رأيت أن المرأة عليها حمل ثقيل وعبء تنوء عن حمله العصبة من الرجال فى هذه المسؤولية .. ، وذلك لأنها الاداة الوحيدة للوصول الى الهدف الأساسى وهو : محاربة الاسلام وأهله بشتى الطرق فهم يستخدمون المرأة أن كانت مسلمة وغير مسلمة فى سبيل تحطيم اخلاق الأمم عامة واخلاق المسلمين خاصة فاستخداماتهم للمرأة على مر العصور كالآتى :

- فى العمل السياسى تستخدم فى سبيل الوصول الى الأحكام والسيطرة عليهم بالجنس . والاغراء بشكل عام وهذا مانراه ونسمعه ونجده ونقرأه فى الماضى والحاضر وفى كل وقت .
- فى التجسس وذلك فى سبيل الوصول الى الاسرار العسكرية .
- وفى نقل الأمراض الخطيرة المعدية لاضعاف قوى الشباب .

وغير ذلك كثير ، فأصبحت البشريه تقف على حافة الدمار بعد أن دمرت النفس البشرية وحطمت الفطرة الانسانية .

فالمرأة اليوم تعانى من الشقاء وتتحمل مالم تحتمله الرواسى الشامخات من المشكلات ، ولكن هذه المعاناة ، وهذا التحمل من الذى يشعر بهما ؟ قد يقال الجميع يعانونها ويتحملونها .. ، ولكن لايشعر بها الا من يحس بواقع المرأة المسلمة المؤسف الهزيل الواهن حيث لم يجندها المسلمون المعاصرون لصالح الاسلام . فجندها أعداء الاسلام لصالحهم .

ولعل القارىء لهذا الموضوع يتصور حقيقة دور المرأة فى الدعوة إلى الله وأن أوسع مجال تستطيع المرأة الدعوة من خلاله هو البيت ، كما يتصور أنها متى أخفقت فى هذا المجال فهي لما سواه أكثر إخفاقاً لعل هذا يدفعها ويدفع القائمين عليها إلى السعى الحثيث لاقامة هذه الفريضة

العظيمة لينشأ ذلك الجيل الذى منهجه العبودية لله تعالىٰ ،ورايته الجهاد فى سبيل الله تعالىٰ ، وزاده الإيمان والتقوى، جيل يحارب الشرك والكفر والفساد فىهذه المعموزة لا يخضع لطاغية مهما حشد من قوة وعتاد ، دستوره القرآن والسنة .

لهذا فإننى أقدمت على كتابة هذا البحث ، ابتغاء مرضاة الله جلّ شأنه ، وذلك بالتقرب إليه بخدمة القرآن والسنة النبوية الشريفة .

ورغبتى القوية فى خدمة بنات جنسى بالنصح لهن وذلك ببيان وكشف الأسباب الحقيقية لمشكلاتهن ، لتكون الواحدة منهن على علم وبصيرة ووعى وادراك لما يحاك ضدها ،ويخطط لها ، فتكون محصنة ضد التيارات الفكرية بمعرفة بعض مظاهر تكريم الإسلام لها ، لتقوم هى بدورها فى اعطاء ابنائها المصل الواقى لهم ضد أى فكرة معادية .

ورأيت لزاماً علىّ بيان أوجه المساواة بين الذكر والأنثى ، بالاضافة إلى بيان الأوجه التى فرق الشارع فيها بين الذكر والأنثى ، وبيان وجه الحكمة من التفريق .

ورغبتى الأكيدة الملحة منذ نعومة أظفارى بصد هجمات الأعداء من مستشرقين ويهود وصليبيين ، وفضح مخططاتهم ، وكشف الستار عن أهدافهم ونواياهم السيئة ، لتعرفهم تلك المرأة التى استخدموها لتكون معولاً لهدم دينها ، تلك التي كانت جسراً ساروا عليه للوصول بسرعة فائقة إلى أهدافهم ومآربهم الخبيثة .

حبى لدينى جعلنى أتطلع دائماً إلى تلك المواقف النبيلة من سيرة السلف الصالح بعين الإعجاب ،والإجلال ،والاكبار لصاحبات تلك المواقف الطيبة المشرفة ، وفى نفس الوقت أشعر بالأسى والحسرة والندم عندما أعيش واقعنا المعاصر ، فهناك بون شاسع ، لهذا حاولت جاهدة التذكير ببعض الصور فى مجالات متعددة لنساء السلف الصالح .

أملى الوحيد أن كل امرأة مسلمة تجلس مع نفسها جلسة صريحة وتفكر في هذه الحالة التى وصلت اليها المرأة المسلمة المعاصرة وتستحث ذاكرة التاريخ فتقرأ عن أوضاع المرأة فى بعض المجتمعات القديمة وبعض الديانات المزيفة ، كيف كانت ؟ ثم تحث السير إلى أن تصل بخطى ثابتة

إلى المكانة العالية المرموقة التى وصلت إليها المرأة من خلال مظاهر تكريمها ، وكيف أنشأت جيلاً منهجه العبودية لله تعالى، ورايته الجهاد فى سبيل الله ، وزاده الإيمان والتقوى ، جيلاً يحارب الشرك والكفر والفساد فى هذه المعمورة ، لا يخضع لطاغية مهما حشد من قوة وعتاد ، دستوره القرآن والسنة ، فكان على أيديهم فتح العالم بأسره وبلوغ دعوة الإسلام إلى ما استطاعوا إليه سبيلاً ، إلى أن تصل للمرأة المسلمة المعاصرة والمرأة الغربية الكافرة . فتقوم بمقارنة التشابه والتطبيق فإن كانت صادقة ومخلصة فى تطبيقها هذا ، لا شك أنها ستجد أحوال المرأة المسلمة المعاصرة أقرب ما تكون إلى أحوال المرأة فى بعض المجتمعات الجاهليه من ناحية ، والمرأة الغربية من ناحية أخرى ،فهى تشبه الأولى فى المذلة والمهانة حين أذلت نفسها للأعداء وأصبحت تحت سيطرتهم يتصرفون بها كيفما شاءوا .

وتشبه الثانية فى التبذل والسفور والإنخراط فى سلك الموضة والمدنية والحضارة المزيفة .

لهذا وغيره من مآسى أريد أن أجعل من بحثى هذا صرخة إلى كل فرد من أفراد الأمة الإسلامية بصفة عامة وإلى دعاة الإسلام ذكوراً وإناثاً بصفة خاصة الذين هم ورثة أنبيائه ورسله في تحمل شرائعه والذب عنها ، وذلك بالتنبيه إلى ما يحيق بالمرأة من مكر سئ ، وان يبذلوا قصارى جهدهم لتقويم أمرها ، وايقاظها من سباتها ، الذي طال عهده وانتشالها قبل السقوط والانهيار حيث يترتب على ذلك انهيار - والعياذ بالله - للأمة الإسلامية .

فيادعاة الإسلام انهضوا بعزيمة الجهاد فالإسلام اليوم فى أمس الحاجة إلى مواقفكم النبيلة الشجاعة التى تستأصل الشر والفجور والفسق الذى فشا فى الأمة الإسلامية ، مواقف تشبه مواقف الرعيل الأول الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ووفوا بوعودهم وحفظوا مواثيقهم

فضربوا أروع الأمثال على مدار الأيام والسنين ، فكانوا خير جيل على وجه الأرض ، عندما حملوا الأمانة فكانوا أهلا لها أدوا ما عليهم أمام الله وبلغوا الرسالة ، فأوصلوها إلى ما شاء الله لها أن تصل فكان كل فرد منهم ذكراً كان أو أنثى يناضل من أجل تبليغها إلى آخر يوم فى حياته وجاهدوا فى الله حق جهاده ، فكانوا يتسابقون من أجل اعلاء كلمة الله . .. فلم يتهافتوا على دينار أو درهم ، ولم يتطلعوا إلى عرض زائل ، لعلمهم أن النعيم المقيم الدائم هو فى الدار الآخرة ، فرضي الله عنهم جميعاً ، وجعلنا من الذين يتبعون سبيلهم فى الدنيا وممن ينزلون منازلهم فى الآخرة .

منهج البحث

أما المنهج الذى سلكته فى كتابة هذه الرسالة فيتلخص فى الآتى:

أولاً : لم أسلك فى كتابة هذه الرسالة مسلك التحليل الموضوعى للنص القرآنى ، وللحديث النبوى اذ أن الهدف من الاستشهاد بالآية أو الآيات ، والحديث ، أو الأحاديث هو مجرد ايضاح للموضوع الذى أكتب حوله وتدعيم له وتثبيت بنص من نصوص القرآن والسنة ،ولذلك قل أن تجد تحليلاً للألفاظ من الناحية اللغوية ونحوها ، إلا بقدر ما تمس الحاجة إليه ، بالإضافة إلى بيان غريب الحديث ان وجد.

ثانياً : قد أسرد جملة من الآيات القرآنية للاستدلال بها على معنى معين دون تعليق على كل آية ، اكتفاء بالعنوان المتقدم ذكره على سردها مع امكان الاستغناء ببعضها ، لتوافق مدلولاتها على معنى واحد ولكنى أقصد من ذلك أن أجمع للداعية رصيدا من الأدلة المتماثلة ، لتستفيد منها وتضع يدها على مكانها ، الى جانب كون كثرة الأدلة ترسخ المفاهيم وتثبت المعنى فى الأذهان ، كما حرصت على عزو الآيات القرآنية الى مواضعها من الآيات والسور ، كذلك قمت بتصوير الآيات القرآنية من المصحف ووضعتها بين قوسين . وغالبا ما أقوم بذكر الآية جميعها وأضع خط تحت الشاهد.وذلك للاحتفاظ برسم المصحف وضبطه .

ثالثاً: لم أستقص جميع الآيات والأحاديث المتعلقة بالموضوعات التى تحدثت عنها ، اذ ليس من أهداف الرسالة ، وانما اكتفيت منها بما يحقق الهدف من كل موضوع تناولته وتعرضت له .

رابعاً : قد يتكرر الاستشهاد ببعض نصوص القرآن الكريم وبعض نصوص الحديث الشريف ، وذلك للاستدلال بها في كل موضع حسب مايقتضيه المقام ، واما لكونها مشتملة على أمور متعددة ، أوكونها تحتمل عدة معان .

خامساً : قد علم من عنوان هذه الرسالة ، ان المادة العلمية التى يستند اليها فى كتابتها - فى الدرجة الأولى - هو القرآن الكريم وسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم .

سادساً: أما بالنسبة للأحاديث من سنة الرسول صلى الله عليه وسلم مما له علاقة بموضوع الرسالة . فقد حرصت على أن لا أثبت - في الغالب - الا ما كان صحيحاً أو حسناً وذلك :

* اما أن يكون قد أخرجه الشيخان أو أحدهما ، أو مما أخرجه أصحاب السنن أوغيرهم مع ثبوت صحة الحديث أو حسنه وذلك عن طريق الحكم على الحديث بالصحة أو الحسن .

* واما بجزم بعض أصحاب السنن بذلك كالترمذى مثلا ، أو جزم الحاكم فى المستدرك بصحته مع اقرار الذهبى له على ذلك ، أو يقول الهيثمى فى مجمع الزوائد عن الحديث - رجاله رجال الصحيح ، أو رجاله ثقات .

وقد حرصت على تخريج الحديث من جميع مواضعه فى الصحيحين ومن جميع مظانه فى الكتب الأخرى ما استطعت اليه سبيلاً .

هذا بالاضافة الى عزو الأحاديث الى مصادرها ، مع ذكر الكتاب والباب ورقم الحديث والجزء والصفحة وبيان صاحب اللفظ تقريباً للباحث بحيث يسهل عليه معرفة مكان الحديث. كما قمت بضبط الأحاديث بالشكل ، لزيادة الاعتناء بأحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم .

سابعاً : أما ما عدا القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف مما ورد فى الرسالة فهو على أضرب :

أ - فهو اما نقل لما استحسنه من بعض كتب التفسير . ويلاحظ رجوعى لعدد من التفاسير فى الآية الواحدة ، أو شروح الأحاديث وغيرها بالنص

ب - أو فهم أصل إليه نتيجة الاطلاع وكثرة البحث والقراءة مع المقارنة لبعض الآراء والتحليل .. الى غير ذلك من حفظ لهذه الأشياء منذ أيام الدراسة ، وقد يكون بيت شعر مثلاً أو بعض العبارات والجمل والفقرات وان كانت قليلة ، مثل هذه يصعب على عزوها الى جهة معينة .

جـ - أو نقل من مرجع أو أكثر مع وجود تصرف فى النص الأصلى وفى هذه الحال :

- اما أن يكون التصرف يسيراً ، فأجعل النص المنقول بين قوسين وأشير فى الهامش إلى المرجع مع ما فيه من تصرف يسير أو اختصار أو كليهما .
- واما أن يكون التصرف كثيراً بحيث يصعب معه عزوه لمن نقل عنه ، وفى هذه الحال أترك الكلام مفتوحاً غير مقوس ، مع الإشارة فى الهامش إلى المرجع وقبله كلمة ينظر .

ثامناً : قد يلاحظ في بعض موضوعات الرسالة تكرار لموضوع " القدوة " مثلاً وهو فى الحقيقة ليس تكراراً بل يذكر فى كل موضوع حسب ما يقتضيه المقام وفى كل مرة يختلف عن الأخرى فمرة تأتى القدوة فى التربية ، وأخرى وسيلة من وسائل الدعوة ، وثالثة وسيلة غير مباشرة للدعوة . كذلك يلاحظ تكرار لقصة خطيبة النساء " أسماء بنت يزيد بن السكن " وتكرار لبعض العبارات مثل " شيئاً فشيئاً " وهو في الحقيقة ليس تكراراً بل يذكر في كل مرة حسب ما يقتضيه المقام .

تاسعاً : عند ذكر المصدر أو المرجع أول مرة أعرف بالكتاب تعريفاً كاملاً ما استطعت إلي ذلك سبيلاً .

عاشراً : ورأيت أنه من تمام الفائدة أن أكتب ترجمة مختصرة للتعريف ببعض الأعلام الذين جاء ذكرهم في الرسالة ، من الصحابة والتابعين فمن بعدهم ورجعت في ذلك إلى عدد من كتب التراجم . وإذا مر العلم مرة ثانية أقول سبقت ترجمته انما حين يمر ثالثة ورابعة وهكذا لا أذكر ذلك خشية الاطالة وحيث ان فهرس الأعلام يغني عن ذلك . علما بأنني لم أترجم للمعاصرين والمستشرقين لمعرفة الناس لهم .

حادي عشر : كانت تعرض لي بعض الفوائد التي لها علاقة ببعض مباحث الرسالة أو مزيد من التفصيل والبيان لبعض ما أدونه وكنت أرى أن نقل مثل ذلك سيؤدي إلى مزيد من البسط في الرسالة فوق ما وصلت إليه ، لذلك كنت أكتفي بالاحالة على مكانه ذاكرة ، موطنه من الجزء والصفحة كأن أقول مثلاً - ينظر كذا : ج كذا ، ص كذا .

ثاني عشر : كنت في بعض الموضوعات أذكر بعض المصادر والمراجع لمن أراد الفائدة ، والاستزادة في النقطة ليستفيد من رجع اليها .

ثالث عشر : يلاحظ أنني قد رجعت إلى المصادر القديمة بالإضافة إلى المراجع لبعض المتأخرين ، هذا وقد رجعت إلى بعض الدوريات والصحف ، وذلك لمعالجتها لبعض القضايا المستجدة المعاصرة ، ولا شك أن كثيراً من الكتاب الإسلاميين المتأخرين كان لهم فضل لا ينكر في معالجة قضايا المرأة ووضع الحلول لمشكلاتها وفي بسط القضايا المعاصرة والمذاهب الفكرية الهدامة والدفاع عن الإسلام والتصدي لمطاعن أعداء الإسلام ، وشبهاتهم حول الإسلام ، كذلك بالنسبة للكتب المؤلفة في الموضوعات المستحدثة مثل وسائل الاعلام وغيرها ، مما استحدث بحيث انه لا يستغني عن كثير مما نشروه من العلم والمعارف .

لذا فإنني جلت في بعض كتب العلماء المعاصرين لا سيما رجال الدعوة إلى الله ممن بذلوا جل وقتهم لخدمة الإسلام والمسلمين عن طريق الكتابة ، استفدت منها أفكاراً أو نصوصاً رأيت أن الفائدة تقتضي أخذها كاملة أو مختصرة بلفظها ، وقد أصوغ معناها اختصاراً كما حصل في بعض مراجع الأستاذ : محمد قطب ، والشيخ عبد الله علوان ، والدكتور :عبد الكريم زيدان ، والدكتور :جلال العمري وغيرهم .

وفي كل حال أشير إلى مراجعي ولا أهملها إلا إذا حصل مني سهو أو غفلة حرصاً مني على الاعتراف بحق السابق والدلالة على المرجع ليستفيد منه القارئ .

رابع عشر : كنت عند ذكر المصادر في الهوامش أرتبها ترتيباً زمنياً حسب وفاة المؤلفين لها ما أمكنني ذلك ، هذا بالاضافة إلى أنني كنت أرتبها حسب الحروف الأبجدية ليكون الهامش أكثر ترتيباً .

خامس عشر : استعنت بالرسوم والخطوط والنشرات لتوضيح الأفكار التي أتحدث عنها ليفهم القصد أو الغرض من البحث لعلي في ذلك أصل إلى ما يضيء الطريق ويحدد المعالم لكل من تريد الصلاح والفلاح لهذه الأمة ، فان كنت قد أصبت فذلك من توفيق الله لي ، وان كنت قد أخطأت فأسأل الله أن يغفر لي ، وعذري أني بذلت قصارى جهدي ، فأسأله سبحانه أجر المجتهد ونية المحتسب.

سادس عشر : قمت بعمل فهارس علمية ، لتمام الفائدة وليسهل على القارئ الرجوع إلى أي نقطة في البحث عن طريقها فهي بمثابة الدليل لمحتويات الرسالة .

سابع عشر : أما أسلوب البحث فقد آثرت أن يكون سهل التناول لجميع طبقات الناس لأن الموضوع ليس خاصاً بأمرأة دون أخرى انما هو موضوع عام معاصر يعني الجميع من ذكور وإناث ، وليس هذا بغريب على رسالة في ضوء الكتاب والسنة فإنها تستمد اليسر والسهولة منهما .

البناء العـــام

لقد كانت خطة البحث تستهدف اقناع المسلمين والمسلمات بضرورة الوقوف على دور المرأة وتوظيفه فى الدعوة إلى الله ، وأن دورها هذا يسير وفق الفطرة التى جبلت عليها ، حيث يراعى فيه الفروق بينها وبين الرجل من الناحية الجسمية والنفسية والاجتماعية .

هذا بالاضافة إلى أن مجالات نشاطها محددة فى بيتها بالدرجة الأولى ثم فى وسط بنات جنسها فى مناطق تجمعاتهن البعيدة عن الاختلاط، ففي بيتها تقف بجانب زوجها ، وتربى أبناءها التربية الصالحة وهذه الوقفة مع الزوج في السراء والضراء، وتربية الأبناء ، وعن طريق الكتابة تدعو من محرابها.

أما التى تدعى انها فى عملها خارج البيت وان كان فى المدارس والجامعات النسائية دعوة فى حين نجدها تترك بيتها ومن فيه من الأولاد كالسفينة العائمة التى تتقاذفها الأمواج ، فإن مثل هذه تكذب على نفسها ، وعلى الآخرين، حيث لو كانت صادقة فعلاً لكان بيتها أولى بدعوتها وغرس بذور الخير فيه . فهل يصدق الفلاح حين يدعى أنه ترك أرضه إلى أرض جاره ليغرس فيها البذور ، ليستفيد منها جاره وتجنى ثمارها وهو يترك أرضه قاحلة لا حياة فيها ولا فائدة منها ، فمثل هذا لا شك بأنه سيحكم عليه بأنه غير سوى .

لهذا ينبغى أن يكون هناك نوع من التكافل الاجتماعى لتقوم المرأة بدورها الدعوى فى جميع مراحل حياتها ، فإن كانت فتاة لم تتزوج ، تقوم بدعوتها في بيتها ومحيطها النسائى ، فإن كان عندها ما يؤهلها للعمل خارج المنزل فإنها تقوم بدعوتها خارج البيت فى المدارس والجامعات ، لأنها متفرغة لهذا العمل وعند قيامها به لن تخفق فى غيره .

أما ان كانت فى مرحلة ما بعد الزواج ولم ترزق بالأبناء تستمر فى عملها الدعوى فىمجال التدريس على أن لا تقصر فى حقوق زوجها.

أما حين تتزوج ويكون عندها أبناء المفروض أن تقتصرفيعملها عليهم ،وان كانت ذات مؤهلات عالية ، فإن بيتها فى هذه المرحلة الحساسة فى أمس الحاجة اليها ، عندها يحصل التكافل الاجتماعى وتستطيع خريجات الجامعات اللاتى هن فى مرحلة ما قبل الزواج أنيجدن عملاً فى مجتمعهن ، ويمارسن الدعوة خارج المنزل بينما تتفرغ الأم لمسؤولياتها الدعوية داخل بيتها.
عندها يستفيد الجميع من المرأة فىكافة المراحل وتقوم بواجباتها الدعوية خير قيام من غير أن تخفق فى ناحية من النواحى ، فيحصل الهدف المنشود فتعملالمرأة لتكون أداة خير بدلاً من أن نتركها ونتخلى عنها فيستخدمها الأعداء معول شر لهدم الدين الإسلامى نتيجة الفراغ الذى تجده .

لذلك تجد كل موضوع يدور على هذا المحور ، وان اختلف مضمونه عن الموضوعات الأخرى ، فالكلام عن تكليفها يؤكد ضرورة دورها ، والكلام عن الفروق يحض على قيامها بهذا الدور الإيجابى حسب استطاعتها وامكانياتها الخلقية ، والكلام عن اعدادها فيه حث للمربين من الآباء والأمهات وغيرهم على التربية بغرس بذور تلك الدعوة منذ نعومة الأظفار والكلام عن الوسائل التى تمكن المرأة من القيام بالدعوة تذكرها بنوع الوسيلة التى يمكن ان تسلكها فى دعوتها وتبث من خلالها هذه الدعوة ، والكلام عن بعض حقائق الاسلام لتكون واضحة جلية لمن خفيت عليها ،والكلام عن النماذج التطبيقية من نساء السلف الصالح لتذكير المرأة بالأدوار التى قامت بها المرأة الصادقة التى عاهدت الله ورسوله ووفت بذلك العهد لتكون قدوة لها تحذو حذوها . والكلام عن الواقع المعاصر لبيان حاجة الأمة للداعيات فى مثل تلك العصور .. وهكذا دواليك ولعلى قد بلغت ماقصدت من اقناع المسلمين والمسلمات بضرورة قيام المرأة بهذا الواجب مع توضيح أدلة وجوبه ووسائله وحقيقته وغايته .

وقد اشتمل هذا البحث على مقدمة ، وتمهيد وتعريف ،وأربعة أبـــواب وخاتمة على الوجه التالى :

المقدمـــة : وتشتمل على :ـ

– بيان اسباب اختيار هذا الموضوع واهميته .

– البناء العام للبحث .

التمهيد والتعريف : ويشتمل على قسمين يتناولان التعريف بالتكليــف وبعض المصطلحات والتعريفات المتعلقة بالدعوة .

الباب الأول : المرأة فى الجاهلية والاسلام .

ويحتوى على تمهيد وفصلين :

التمهيد : يتناول اوضاع المرأة فى بعض المجتمعات القديمة .

الفصل الأول : المرأة فى الجاهلية وأوضاعها المنحطة .

الفصل الثانى: المرأة فى الاسلام وبعض مظاهر تكريمها .

الباب الثانى : المرأة مكلفة بالدعوة الى الله .

ويشتمل على تمهيد وفصلين .

الفصل الأول : وجوب الدعوة على المرأة من خلال الكتاب والسنه .

الفصل الثانى: بيان دور المرأة فى الدعوة يختلف عن دور الرجل لاختلاف طبيعة كل منهما .

الباب الثالث : اعداد المرأة للدعوة الى الاسلام .

ويشتمل على تمهيد وفصلين :

الفصل الأول : الوسائل التى تمكن المرأة من القام بدورها وتحمل امانتها مع الرجل المسلم .

الفصل الثانى: اعداد المرأة للدعوة ومجالات نشاطها.

الباب الرابع : النماذج التطبيقية من خلال القرآن والسنة والواقع . التاريخى ويشتمل على تمهيد وفصلين :

الفصل الأول : شهيرات النساء فى مجال الدعوة .

الفصل الثانى: واقع المرأة المعاصرة وفيه مبحثان :

المبحث الأول : واقع المرأة المسلمة اليوم .

المبحث الثانى: حاجة الأمة الاسلامية الى امثال الداعيات فى العصور الماضية .

الخاتمة : وتشمل أهم نتائج البحث وتوصياته .

هذا بيان اجمالى بما اشتمل عليه البحث من اسماء الأبواب والفصول وبعض المباحث . أما باقى المباحث وما تفرع عنها من عناوين فقد فصلتها فى فهرس الموضوعات لكثرتها .

والله تعالى اسأل ان ينفعنى به وينفع المسلمين والمسلمات وأن يتقبله منى عملا خالصا لوجهه الكريم انه سميع مجيب ، وماتوفيقى الا بالله ، وعليه توكلت واليه أنيب .

* * *

التمهيد والتعريف

وقسمته إلى قسمين :

الأول: ويشتمل على :

أ- التعريف بالتكليف .

ب- التعريف بالدعوة .

جـ- معاني كلمة الدعوة .

الثاني: ويشتمل على :

أ- مفهوم الدعوة إلى الله.

ب- تفسير العلماء لكلمة « الخيرات »

جـ- مصادر الدعوة الإسلامية.

(أ) التعريـــف بالتكليـــف :

(١) فى اللغـــة :

(كلفه تكليفاً أى أمره بما يشق عليه، وتكلفت الشئ تجشمته على مشقة على خلاف عادتك ، وكلفته إذا تحملته ، ويقال فلان يتكلف لإخوانه الكلف والتكاليف .

ويقال : حملت الشيء تكَلِفَة إذا لم تُطِقْهُ إلاّ تَكَلُّفاً وهو تفعله . عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : كُنَّا عِنْدَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ : " نُهِينَا عَنِ التَّكَلُّفِ"(١) أراد كثرة السؤال والبحث عن الأشياء الغامضة التى لايجب البحث عنها والأخذ بظاهر الشريعة وقبول ما أتت به(٢)) .

(والكلفة : مايتكلفه الإنسان من نائبة أو حق والتكليف:الأمر بما يشق عليك وقد كلفه تكليفاً قال تعالى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾

(سورة البقرة ، الآية "٢٨٦")

وكَلَّفَهُ تكليفاً ، أى أمره بما يشق عليه(٣)) .

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه فى (كتاب الاعتصام ،باب مايكره من كثرة السؤال وتكلف مالايعنيه) ،(رقم: ٧٢٩٤) ،(٧٨/٩/٣) .

(٢) لسان العرب /لابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم الانصارى، (طبعة مصرعن طبعة بولاق) ، (الناشر:الدار المصرية للتأليف والترجمة) ، (٢١٨/١١) .

(٣) القاموس المحيط /لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادى ، (ط: ٢/عام ١٣٧١ هـ – ١٩٥٢ م) ، (الناشر : شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده – بمصر) ، (١٩٨/٣) .

(٢) فى الاصطــلاح :

والتكليف عند اكثر العلماء هو :

(الزام مافيه مشقة ، وعلى هذا فالتعريف لايشمل غير الإيجاب والتحريم

وقال البعض هو :

طلب مافيه مشقة ، وعلى هذا يشمل الإيجاب والتحريم والندب والكراهـــة

وكل من التعريفين لا يشمل الإباحة .

فإن قيل : كيف تكون الإباحة داخلة تحت الحكم ؟

لأنها : أحد اقسامه .

ولاتكون داخلة تحت التكليف .

وأحسن جواب قاله العلماء :

إنها داخلة تحت التكليف

واطلاقه عليها من باب التغليب . لأنه : لاتكليف فى الإباحة على الحقيقة .

أو يجاب : أنها من التكليف لانها لاتتعلق إلا بالمكلف كما ذكر ذلك صاحب التهذيب).(١)

والمكلفون من المخلوقات هم :

الانس ـ والجن .

ومرادنا هنا : البحث عن المكلفين من الإنس دون غيرهم

وليس كل الإنس مكلفين ، فالمكلفون منهم هم :

البالغون العقلاء الذين بلغتهم الدعوة(٢) .

(١) تهذيب الفروق والقواعد السنية فى الاسرار الفقهية/ للشيخ محمد على بن المرحوم مفتى المالكية (ط:عام١٣٢٦هـ)، (الناشر :دار احياء الكتب العربيـــة) (١٧٥/١)

(٢) مقاصد المكلفين فيما يتعبد لرب العالمين أو " النيات فى العبادات"/ للدكتور عمر سليمان الاشقر (ط : ١ / ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م) ، (الناشر: مكتبة الفلاح ـ الكويت) (ص : ٤٢) . بتصرف يسير .

وقد ذكر الآمدى[1] : (اتفاق العقلاء على أن شرط التكليف أن يكون عاقلاً فاهماً لأن التكليف خطاب ، وخطاب من لايعقل ولايفهم محال ،كالجماد والبهيمة[2] ") .

(وشبيه بالجماد والبهيمة : المجنون والصغير الذى لايميز ،فهذان وإن وجد لهما أصل الفهم لأصل الخطاب ، فليس عندهما فهم لتفاصيل الخطاب : من كونه أمراً أو نهياً ، ومقتضيات للثواب والعقاب ، ومن كون الامر به هو اللّه تعالى ، وأنه لما تعذر ذلك من المجنون والصغير استحال تكليفهما .

أما الصبى المميز – وإن كان له فهم – فان فهمه غير كامل ، ومن رحمة اللّه أنه لم يكلفه حتى يكتمل عقله .

ولما كان العقل والفهم خفيين ، ولايظهران دفعة واحدة ، بل يبدوان على التدريج ، فقد جعل الشارع ضابط العقل : البلوغ، وفى الحديث عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللّٰهِ صلى اللّٰهُ عليه وسلّم قَالَ : " رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ : عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيقِظَ ، وَعَنِ الْمُبْتَلَى حَتَّى يَبْرَأَ ، وَعَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَكْبُرَ "[3]

---

(١) هو على بن محمد بن سالم التغلبى أصولى باحث ،ولد فى (آمد) من ديار بكر سنة (٥٥١ هـ) ،وتعلم فى بغداد والشام ،واشتهر فى القاهرة ، توفى فى دمشق سنة (٦٣١ هـ) ،له نحو عشرين مصنفا ، أشهرها (الاحكام فى اصول الاحكام) ،(ومنتهى السول) .
ينظر : (التكملة لوفيات النقلة/للحافظ المنذرى : ٦/٩٠)،(الإعلام للزركلى : ٤/٣٣٢) .

(٢) الاحكام فى اصول الأحكام / لعلى بن محمد الآمدى ،(ط : عام /١٣٣٢هـ – ١٩١٤ م) ، (الناشر : دار الكتب)،(١ / ١١٥) .

(٣) (أ) أخرجه أبوداود فى سننه بروايات متعدده فى (كتاب الحدود – باب فى المجنون يسرق أو يصيب حداً) ،(رقم :٤٣٩٨ – ٤٣٩٩ – ٤٤٠٠ – ٤٤٠٢ – ٤٤٠٣) ،(٤/١٣٩ – ١٤٠) ،واللفظ له .
(ب) وأخرجه الترمذى فى سننه فى (كتاب الحدود ، باب ماجاء فيمن لايجب عليه الحد) ،(رقم:١٤٢٣)،(٤/٣٢) ==

ولما كان النائم والناسى والغافل لايتأتى منهم الفهم كانوا غير مكلفين حال اتصافهم بذلك ، لأن القصد لايتأتى منهم فى هذه الأحوال .

والكفار مكلفون مخاطبون بفروع الشريعة على الصحيح ، ولكنّ العبادات لاتصح منهم حال كفرهم[1] .

== (جـ) وأخرجه النسائى فى سننه فى (كتاب الطلاق ،باب من لايقع طلاقه من الأزواج) ،(رقم : ٣٤٣٢) ، (٦/١٥٦) .

(د) أخرجه الحاكم فى المستدرك ،فى (١/٢٥٨) ،(٢/٥٩) ،(٤ / ٣٨٩) ،وقال : على شرط الشيخان ولم يخرجاه وأقره الذهبى .

(١) مقاصد المكلفين /د: عمر سليمان الأشقر ،(ص : ٤٢ - ٤٣) .

(ب) التعريف بالدعــوة :

(١) فــى اللغــة :

والدعوة: المرة الواحدة من الدعاء وفيه حديث الرسول صلــى الله عليه وسلم :

" فَإِنَّ دَعْوَتَهُمْ تُحِيطُ مَنْ وَرَائِهُمْ "(١)

---

(١) جزء من حديث هذا نصه (قَالَ صَلى اللَّهُ عليْه وسلَّمْ : " نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سمعَ مِنَّا حَديثاً فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ غَيْرَهُ فَإِنَّهُ رُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلىَ مَــنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ ثَلاثُ خِصَالٍ لايغل عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُسْلِم أَبَداً إِخْلاصُ الْعَمَلِ للَّــهِ وَمُنَاصَحَةُ وُلاةِ الأمْرِ وَلُزُومُ الْجَمَاعَةِ فَإِنَّ دَعْوَتَهُمْ تُحِيطُ مَنْ وَرَائِهُــمْ وَقَالَ : مَنْ كَانَ هَمَّهُ الآخِرَةُ جَمَعَ اللَّهُ شَمْلَهُ وَجَعَلَ غِنَاهُ فى قَلْبِهِ وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وهِىَ رَاغِمَةٌ وَمَنْ كَانَتْ نِيَّتُه الدُّنْيَا فَرَّقَ اللَّهُ عَلَيْهِ ضَيعْتَــهُ وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَاكُتِبَ لَهُ وَسَأَلْنَا عَنْ الصَّلاَة الوُسْطىَ وَهِىَ الظُهْرُ "

(أ) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده فى (١٨٣/٥) واللفظ له .

(ب) وأخرجه الإمام/ أبومحمد عبدالله بن عبدالرحمن بن الفضل بــن بهرام الدارمى . (ت:٢٥٥) ،فى سننه (طبع : بعناية محمــد أحمد دهمان) ،(الناشر : دار احياء السنه النبويه)،(بــاب الاقتداء بالعلماء) ،(٧٤/١ –٧٥– ٧٦) .

(ج) وأخرجه ابن ماجه فى سننه فى (المقدمة ،باب من بلغ علمــاً)، (رقم : ٢٣٠ – ٢٣١ – ٢٣٢ ، ٢٣٦) ،(٨٤/١ – ٨٥ – ٨٦) . وفــى (كتــاب المناســك ، باب الخطبــة يــوم النحــر) ، (رقم : ٣٠٥٦) ، (١٠١٥/٢) .

(د) وأخرجه أبوداود فى سننه فى (كتاب العلم ،باب فضل نشــر العلم) ،(رقم : ٣٦٦٠) ،(٣٢٢/٣) .

(هـ) وأخرجه الترمذى فى سننه فى (كتاب العلم ،باب ماجاء فــى الحث على تبليغ السماع) ،(رقم : ٢٦٥٦ ، ٢٦٥٧ ، ٢٦٥٨) ،(٥ / ٣٣ – ٣٤ – ٣٥) ،وقال عنه حديث حسن صحيح .

(و) وينظر الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان / ترتيب الامير علاء الدين على بن بلبان الفارسى (ت ٧٣٩ هـ) (قدم له وضبط نصه/كمال يوسف الحوت) ،(ط ١ – ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م– بيروت – لبنان) ،(الناشر : دار الكتب العلمية) (رقــم: ٦٦ – ٦٧ – ٦٨ – ٦٩) ،(١٤٣/١ – ١٤٤) ،(ورقم ٦٧٩)،(٢ / ٣٥) .

والداعي : هو الذى يقوم بأمر الدعوة ويتحمل اعباءهاومسؤوليتها وهو اسم فاعل،ومنها تداعى القوم : دعا بعضهم بعضا حتى يجتمعوا وداعية : اسم فاعل والتاء فيه للمبالغة (١) .

وقد جاء فى معجم مقاييس اللغة : أن " الدال والعين ،والحرف المعتل " أصل واحد وهو أن تميل الشئ اليك بصوت وكلام يكون منك ، تقول دعوت ، أدعو ، دعاء .

والدَعوة إلى الطعام بالفتح،والدِعوة فى النسب بالكسر،ومنه داعية اللبن وهو مايترك فى الضرع (٢) ليطلب مابعده،ومنه تداعت الحيطان إذا سقط واحد وآخر بعده فكأن الأول يدعو الثانى .

ودواعى الدهر : صروفه لأنها تأتى متعاقبة وكأن الأول يدعو الثانى فيميله وهكذا (٣) .

ومنه قَولَ النُعْمَانَ (٤) بْنَ بَشِيرٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى اللّه

---

(١) تاج العروس / لمحمد مرتضى الزبيدى (١١٤٥ - ١٢٠٥ هـ) ،(ط:بدون)، (الناشر : بيروت دار مكتبة الحياة) ،(١٠/١٢٧) .

(٢) " الضرع " لكل ذات ظلف أوخف . ينظر : مختار الصحاح /لمحمد بن ابى بكر بن عبدالقادر الرازى (ت ٦٦٦) ، (ط : ١ / ١٩٦٧ م) ، (الناشر : دار الكتب / لبنان) (ص : ٣٠٨) .

(٣) مقاييس اللغه / لأبى الحسين أحمد بن فارس ابن زكريا (ت : ٣٩٥هـ)، تحقيق / عبدالسلام هارون ،(ط : ٢ /١٣٩ هـ) ،(الناشر : مطبعة الحلبى - مصر) ،(٢/٢٨٩ - ٢٩٠) .

(٤) النعمان بن بشير هو ابن سعد بن ثعلبة ،الأمير العالم ،صاحب رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم وابن صاحبه . وولد النعمان سنة اثنتين ، وسمع من النبى صلى اللّه عليه وسلم وعُدَّ من الصحابة الصبيان باتفاق وكان من امراء معاوية ، فولاه الكوفة مدة ، ثم ولى قضاء دمشق بعد فضالة ، ثم ولى امرة حمص . وقيل : قتل بقرية " بيرين " قرية من قرى حمص ،قتله خالد بن خلى بعد وقعة مرج راهط فى آخر سنة أربع وستين رضى اللّه عنه .

ينظر:(المحبر/ لمحمدبن حبيب : ٢٧٦،٢٩٤،٤٢١)،(تهذيب الاسماء واللغات للنووى : ١/٢/١٢٩).

عليه وسلم : " تَرَى المُؤمنينَ في تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى عُضْواً تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى (١) ".

ومن ذلك يتضح لنا إن الدّعوة مصدر دعا يدعو دعوة ودعاءً ، وقد دعا فهو داع والجمع دعاة .

والدعوة بمعنى التبليغ : اسم من الفعل دعا ومصدره دعاء .

والدعاء في اللغة : الرغبة الى الله فيما عنده من الخير والابتهال اليه بالسؤال ومنه قوله تعالى في محكم كتابه :

﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ۝٥٥ ﴾

(سورة الاعراف ، الآية "٥٥")

و

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ۝٦٠ ﴾ (سورة غافر ، الآية "٦٠")

وقد وردت هذه الكلمة في لغة العرب لعدة معان نذكر منها على سبيل المثال :

(١) الاستغاثة والطلب ، كقولك للرجل : " إذا لقيت العدو خلياً فادع المسلمين (٢) " اى : استغث بالمسلمين واطلبهم .

(٢) الدَّعْوَة إلى الطعام والشراب (٣) .

---

(١) (أ) أخرجه البخاري في صحيحه في (كتاب الأدب ، باب رحمة الناس والبهائم) ، (رقم : ٦٠١١) ، (٩/٨/٣) ، واللفظ له .
(ب) وأخرجه مسلم في صحيحه في (كتاب البر والعلم ، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم) ، (رقم : ٢٠٨٦) ، (١٩٩٩/٤) .

(٢) تهذيب اللغة / لابي منصور محمد بن احمد الازهري (ت ٣٧٠ هـ) ، (ط : الدار المصريه للتأليف والترجمه) ، (١١٩/٣) .

(٣) الصحاح / لاسماعيل بن حماد الجوهري ، (٢٣٣٦/٦) .

(٣) المناداه قال ابن منظور : " ودعا الرجل دعوا ودعاءً :ناداه.والاسم الدعوة ،ودعوت فلاناً : أى صحت به واستدعيته(١) " .

(٤) الدِّعْوَة بالكسر فى النسب . يقال : فلان دعّى بين الدعوة والدعوى فى النسب(٢)).

(٢) الدعوة فى الاصطلاح :

من خلال التعريف اللغوى وجدنا أن لفظ الدعوة صالح لأن يستعمل فى الخير والشر ، ولذا فإن التعريف الاصطلاحى يميزها .

فللدعوة فى المصطلح الإسلامى تعريفات متعدده منها :

(أ) قيام العلماء المستنيرين فى الدين بتعليم الجمهور من العامة مايبصرهم بأمور دينهم ، ودنياهم على قدر الطاقة(٣).

(ب) والتعريف الآخر هو : الدعوة الإسلامية :حركة إحياء للنظام الإلهى الذى أنزله اللّٰه عز وجل على نبيه الخاتم(٤) .

(ج) ويقول الشيخ ابن تيمية فى تعريفها : الدعوة إلى اللّٰه هى: الدعوة إلى الإيمان به ، وبما جاءت به رسله ، بتصديقهم فيما أخبروا به ، وطاعتهم فيما أمروا،وذلك يتضمن الدعوة الى الشهادتين ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان، وحج البيت ، والدعوة إلى الإيمان باللّٰه ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله والبعث بعد الموت ، والإيمان بالقدر خيره وشره ،والدعوة إلى أن يعبد العبد ربه كأنه يراه(٥).

---

(١) لسان العرب / لابن منظور ،(٢٥٨/١٤) ، والصحاح للجوهرى ، (٦ / ٢٣٣٧) .

(٢) جمهرة اللغة / لأبى بكر محمد بن الحسن الأزدى البصرى المعروف بابن دريد ،(ت : ٣٢١ هـ) ، (ط : بدون) ، (الناشر : موسسة عيسى البابى الحلبى وشركاه ـ القاهرة) ، (٢٨٣/٢) .

(٣) الدعوة الإسلاميه / أبوبكر ذكرى ،(ط : بدون) ،(الناشر : دار المعرفة مصر) ،(ص : ٨) .

(٤) الدعوه الإسلاميه فى عهدها المكى مناهجها وغاياتها/د: رؤوف شلبى ، (ط : ٣ / ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م) ،(الناشر : دار القلم / الكويت)، (ص : ٣٢) .

(٥) مجموع الفتاوى ، (١٥٧/١٥ ـ ١٥٨) .

فمن الملاحظ أن كل هذه المعانى الاصطلاحية متلازمة ومتعانقة ومتعاونة بعضها مع بعض ، تهدف الى تحقيق غرض واحد ، وهو تغيير حال المدعو من الضلال إلى الهدى ، ومن الشر إلى الخير ، ومن الظلام إلى النور سواء كان القائم بها فرداً أو جماعة ، وسواء كان القائم بها أيضاً رجلاً أو امرأةً .

(جـ) معانى كلمة الدعوة فى القرآن الكريم :

ورد لفظ الدعوة فى القرآن الكريم فى آيات كثيرة وبمعان متعددة ونحن بصدد موضوعنا يهمنا هنا المعنيان التاليان :

الأول : الدعوة بمعنى التبليغ والبيان ونقل هداية الله إلى الناس

وقد ورد بهذا المعنى آيات كثيرة منها :

قوله فى محكم كتابه : ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (٩٤) ﴾

(سورة الحجر ، الآية "٩٤")

وقوله تعالى فى كلامه المعجز : ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا (٢٩) ﴾

(سورة الكهف ، الآية "٢٩")

وقال تعالى : ﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٨) ﴾

(سورة يوسف ، الآية "١٠٨")

وقال جلّ جلاله : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٣) ﴾

(سورة فصلت ، الآية "٣٣")

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا (٥) ﴾

(سورة نوح ، الآية "٥")

١٨١٥



الثانى : من معانى كلمة الدعوة فى القرآن الكريم وهو الدعوة العامة بمعنى الدعوة الإسلامية دين وقد وردت آيات قرآنية كثيرة بهذا المعنى منها :

قوله عزّ من قائل :

﴿ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾ ﴾ (سورة الرعد ، الآية "١٤")

وقوله عزّ وجلّ :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (سورة الانفال ، الآية "٢٤")

والدعوة بالمعنى الأول موضوع هذه الرسالة ، ولاشك أن لهذه الدعوة بهذا المعنى " الأول " أصولاً أساسية أربعة هي :

(١) الموضوع .

(٢) والداعى .

(٣) والدعوة .

(٤) والوسائل .

(أ) مفهوم الدعوه إلى اللّٰه :

من التعريفات السابقة اللغوية والاصطلاحية،ومن معانى كلمة الدعوة الى الله فى القرآن الكريم ، اتضح لنا مفهوم الدعوة إلى اللّٰه وهو :

أن الخير الذى كلفت الأمة الإسلامية بالدعوة إليه هو دين اللّٰه الذى انزله على محمد صلى الله عليه وسلم،وكل ما آتاه تبارك وتعالى من العقائد والأصول والانظمة والمبادىء ، فالمقياس للخير والشر هو دين اللّٰه وحده ، فكل مافى دين اللّٰه هو الخير ومادونه هو الشر ، لذلك فرض الله تعالى على الأمة الإسلامية أن تدعو إليه العالمين حيث إن الأمة الإسلامية ، وجدت على الكوكب الأرضى لمحاربة أى فكرة تصد عن دين اللّٰه ، ليظهر دين اللّٰه تعالى تحقيقاً لقوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ﴿٢٨﴾ ﴾

(سورة الفتح ، الآية "٢٨") .

والدعوة إلى الخير التى نحن بصددها ، لاتعنى الدعوة إلى جزء من أجزاء الدين وترك الجزء الآخر ، فالأمة الإسلامية ، مأمورة بالدعوة إلى الخير بأجمعه كما يتبين من كثير من آيات القرآن الكريم ، فقال تعالى : بعد ذكر إبراهيم واسحاق ويعقوب صلوات اللّٰه عليهم :

﴿ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِمۡ فِعۡلَ ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِۖ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ (سورة الانبياء ، الآية "٧٣")

فقد أطلقت كلمة الخيرات فى الآية الكريمة على الأعمال التي أمر اللّٰه تعالىٰ رسله وأنبياءه بالقيام بها ، ومن الواضح أن أعمال الخير التى كانت توحى كان نطاقها واسعاً جداً .

فيتبين من ذلك كله أن كلمة الخيرات ، أطلقت على الشريعة الكاملة المنزله من اللّٰه على رسله ، وتكون حياتهم نموذجاً حياً ومثلاً شاخصاً لها[1].

---

(١) ينظر : الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر / للسيد جلال الدين العمرى، نقله إلى العربية / محمد أجمل أيوب الاصلاحى ،(ط : بدون)،(الناشر: شركة الشعاع للنشر - الكويت) ،(ص : ٦ - ٧) .

تفسير العلماء لكلمة " الخيرات " المذكوره فى قوله جل شأنه :

﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ (سورة الأنبياء ، الآية "٧٣")

قال الشوكانى(١) : (وأوحينا اليهم فعل الخيرات) أي أن يفعلوا الطاعات وقيل(٢) المراد بالخيرات شرائع النبوات(٣)) .

وقال العلامة البغوى فى تفسير الآية الكريمة :

(وجعلناهم أئمة " يقتدى بهم فى الخيرات " يهدون بأمرنا " يدعون الناس الى ديننا " وأوحينا اليهم فعل الخيرات " يعنى العمل بالشرائع)(٤)

وفسر ابن الجوزى(٥) الآية فقال :

---

(١) محمد بن على بن محمد بن عبدالله بن الحسن بن محمد بن صلاح بن على بن عبدالله الشوكانى ،الخولانى ،ثم الصنعانى ،مفسر ،محدث ،فقيه ، أصولى ،مؤرخ ، أديب ،نحوى ،منطقي ،متكلم ،حكيم ،(١١٧٣ - ١٢٥٠ هـ). نشأ بصنعاء ،وولى القضاء ،وكان يرى تحريم التقليد ،كان له ١١٤ مؤلفا .
ينظر: (البدر الطالع /للشوكانى ٢١٤/٢ - ٢٢٥) ،(نيل الوطر/لمحمد بن زباره الحسنى ٢٠٣/١/٢٩٧)

(٢) الرأى الثانى الذى اداه بصيغة التضعيف أولى واصوب .

(٣) فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدرايه من علم التفسير/لمحمد بن على بن محمد الشوكانى ،(ط:بدون) ،(الناشر: دار المعرفه للطباعة والنشر ، بيروت) ،(٤١٦/٣) .

(٤) لباب التأويل فى معالم التنزيل /أبومحمد الحسين البغوى ،مطبوع بهامش تفسير الخازن ،(ط :٢/١٣٧٥هـ - ١٩٥٥ م) ،(الناشر: مصطفى البابى الحلبى بمصر) ،(٢٤٥/٤)

(٥) عبدالرحمن بن على بن محمد بن على بن عبدالله بن حماد بن أحمد بن جعفر القرشى التيمي ،البكري ،البغدادى ،الحنبلى المعروف بابن الجوزى جمال الدين ،أبوالفرج .(٥٠٨ - ٥٩٧ هـ) ،محدث ،حافظ ، مفسر ،فقيه ،واعظ ،اديب ،مؤرخ الى جانب مشاركته فى انواع أخرى من العلوم ولد ببغداد وتوفى بها له مؤلفات كثيره منها (زادالمسير فى علم التفسير ،(جامع المسانيد) ،(المنتظم فى تاريخ الأمم)، (تذكرة الأسباب فى اللغة) .
ينظر : (تذكرة الحفاظ للذهبى : ١٣١/٤ - ١٣٦) ،(النجوم الزاهره لابن تغرى بردى : ١٧٤/٦ - ١٧٦) .

(" يهدون بأمرنا " أي يدعون الناس إلى ديننا بأمرنا إياهم بذلك " وأوحينا إليهم فعل الخيرات " قال ابن عباس: شرائع النبوه وقال مقاتل(١) : الأعمال الصالحة)(٢).

وفسر الخازن(٣) ايضا : " فعل الخيرات " (بالعمل بالشرائع)(٤)

(ويدل ذلك على أن " الخير " مرادف للشريعه الالهية ، وهذا الخير هو الذى أمر الأنبياء بفعله ، وهو الذى رفعهم الى درجة العبوديه الرفيعه فكانوا من العابدين . ولنتدبر - لفهم معنى الخير - آية أخرى من سورة المائدة ، وهى تتحدث عن اختلاف الشرائع ، فكان دين اللّٰه واحداً لم يتغير قط ، ولكن الشرائع اختلفت باختلاف العصور ، فكانت الشريعة التى آتاها اللّٰه تعالى بنى إسرائيل قد تبدلت بعد بعثة النبى صلى اللّٰه عليه وسلم الذى نزل بشريعة جديدة ، ومما ينبغى التنبيه إليه أن اختلاف

---

(١) ابن الحسن ، مقاتل سليمان البلخى ، كبير المفسرين، قال ابن المبارك : ما أحسن تفسيره لو كان ثقة وعن مقاتل بن حبان - وهو صدوق قال : ماوجدت علم مقاتل بن سليمان الا كالبحر ، قال الشافعى : الناس عيال فى التفسير على مقاتل ، مات مقاتل سنة نيف وخمسين ومئه ، قال البخارى : مقاتل لاشىء البته . ينظر : (الجرح والتعديل للرازى ٣٥٤/٨ - ٣٥٥) ،(المجروحين للبستى : ١٤/٣ - ١٦) .

(٢) زاد المسير فى علم التفسير /للإمام أبى الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن جعفر القرشى الجوزى . (ط : ١٤٠٤/٣ هـ - ١٩٨٤ م) ،(الناشر : المكتب الإسلامى - بيروت) ،(٣٦٩/٥) .

(٣) على بن محمد بن إبراهيم السبحى علا الدين المعروف بالخازن (٦٧٨ - ٧٤١هـ) ،عالم بالتفسير والحديث من فقهاء الشافعية بغدادى الاصل وسكن دمشق له تصانيف منها :(لباب التأويل فى معانى التنزيل)، (وعدة الافهام فى شرح عمدة الاحكام)،(ومقبول المنقول) . ينظر : (معجم المطبوعات العربية والمعربة / ليوسف اليان سركيس)، (ص : ٨٠٩) .

(٤) لباب التأويل فى معانى التنزيل / على بن محمد الخازن ، (ط : ١٣٧٥/٢ هـ - ١٩٥٥ م) ،(الناشر : مصطفى البابى الحلبى - بمصر)، (٣١٤/٤) .

الشريعة لايعنى اختلاف الدين أبداً . ومما تقتضيه عبودية الله وتوجبه: أن يكون الإنسان في كل عصر مستعداً للخضوع للشريعة المتجددة ، ومن لايرضى بالتخلص من الشريعة السابقة بعد نزول الشريعة الجديدة فهو يكفر بمنزلها سبحانه فقال تعالى :

﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۖ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾

(سورة المائدة ، الآية "٤٨")

المقصود باستباق الخيرات فى الآية الكريمة هو العمل بالشريعة التى جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم فإن النجاة منوطة باتباعها ليس غير[(١)]

يقول ابن كثير[(٢)] بصدد تفسيره لقوله تعالى " فاستبقوا الخيرات " (وهى طاعة الله واتباع شرعه الذى جعله ناسخاً لما قبله والتصديق

---

(١) الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر / للسيد جلال الدين العمرى /نقله الى العربية محمد الاصلاحى (ص : ٨) بتصرف .

(٢) هو اسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير إبن زرع البصروى ، ثم الدمشقى ، الشافعى المعروف بابن كثير ، عماد الدين ، ابو الفداء ، محدث ، مؤرخ ، مفسر ، فقيه ، ولد فى قرية من اعمال بصرى فى الشام (٧٠١ هـ) . اكثر من التأليف ، من كتبه : (البداية والنهاية) ، (وتفسير القرآن العظيم) ، توفى بدمشق عام (٧٧٤هـ) . ينظر : (الدرر الكامنه/للعسقلانى : ٣٧٣/١) ، (البدر الطالع لمحمد الشوكانى : ١٥٣/١) ، (شذرات الذهب/لابن العماد ٢٣١/٦ - ٢٣٢).

بكتابه القرآن الذى هو آخر كتاب أنزله)[١].

ويقول أبو السعود[٢] فى تفسيره :

(فسارعوا إلى ماهو خير لكم فى الدارين من العقائد الحقة والأعمال الصالحة المندرجة فى القرآن الكريم)[٣] .

وقال العلامة نظام الدين القمى[٤] النيسابورى :

(يعنى بالخيرات هاهنا ماهو الحق من الاعتقادات والمحقق من التكاليف)[٥].

فهذه الأقوال كلهاتدلعلى أن استباق الخيرات أي المسابقة فى الخير الذى هو عبادة الله تعالى وحده ،وطاعة نبيه صلى الله عليه وسلم، والالتزام بتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية الخالدة .

---

(١) تفسير القرآن العظيم / للامام الجليل ، الحافظ عماد الدين، ابوالفدا ، اسماعيل بن كثير الدمشقى ،(: بدون) ،(الناشر : المكتبه التجاريه الكبرى بمصر) . (٦٧/٢) .

(٢) محمد بن محمد بن مصطفى العمادى ، الحنفى (٨٩٨ - ٩٨٢ هـ) فقيه ، أصولى ، مفسر ، شاعر ، عارف باللغات العربيه والفارسيه والتركيه ، من موالى الروم . ولد بقريه بالقرب من القسطنطينية ،وتوفى بها فى ٥ جماد الأولى ، ودفن بجوار ابى أيوب الانصارى ، من تصانيفه : (ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم) ،(وبضاعة القاضى فى الصكوك) .
ينظر : (شذرات الذهب/لابن العماد : ٣٩٨/٨ - ٤٠٠) ، (البدر الطالع /للشوكانى : ٢٦١/١) .

(٣) ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم لأبى السعود محمد بن محمد العمادى ،(ط : بدون) ،(الناشر : دار احياء التراث العربى/ بيروت) ،(٤٦/٣/٢) .

(٤) الحسن بن محمد بن الحسين القمي النيسابوري ،نظام الدين (بعد ٨٥٠هـ)، ويقال له :الاعرج مفسر ،له اشتغال بالحكمة والرياضيات ، اصله من بلدة " قم " ومنشأه وسكنه فى نيسابور له كتب منها (غرائب القرآن ورغائب الفرقان)(أوقاف القرآن) ،(لب التأويل) .
ينظر: (هداية العارفين/لاسماعيل البغدادى:١٩٥١ - ١٩٥٥) ، (الاعلام للزركلى: ٢١٦/٢) .

(٥) غرائب القرآن ورغائب الفرقان/الحسن بن محمد بن الحسين القمى/على هامش جامع البيان ، (ط:عام/١٣٢١هـ) ، (الناشر:المطبعه الميمنيه - بمصر) ، (١٣٥/٦) .

فمما سبق اتضح لنا : أن كلمة " الخير " استوعبت وشملت وحدهـا كل نظام العقائد والأعمال التى أمر الله بها عباده .

وذلك هو الخير الذى أمرت الأمة الإسلامية أفراداً وجماعات ذكوراً وإناث بدعوة الناس إليه .

وكما نقل عن محمد الباقر[١] قوله : (والخير هو اتباع القرآن الكريم والسنة المطهرة[٢]) .

وقد أوضح المفسر الكبير الإمام إبن جرير الطبرى[٣] معنى كلمة " الخير " عند تفسيره لقوله تعالى :

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤) ﴾

(سورة آل عمران ، الآية "١٠٤")

إيضاحاً بالغاً فقال : (ولتكن منكم أيها المؤمنون أمة ، يقول جماعة يدعون إلى الخير يعنى إلى الإسلام وشرائعه التى شرعها الله لعباده)[٤].

---

(١) محمد بن على بن زين العابدين بن الحسين الهاشمى القرشى ابوجعفر الباقر (ت:١١٤ هـ) خامس الائمة الاثنى عشر عند الإمامية . كان ناسكاً عابداً له فى العلم والتفسير آراء وأقوال .
ينظر : (حلية الاولياء/لابى نعيم الاصبهانى : ١٨٠/٣) ، (منهاج السنه/لابن تيمية : ١١٤/٢) .

(٢) ينظر ،تفسير القرآن العظيم / لابن كثير ، (٣٩٠/١) .

(٣) محمد بن جرير بن يزيد الطبرى ابوجعفر ، (٢٢٤ – ٣١٠هـ) ،مفسر، مقرئ ،محدث ،مؤرخ ،فقيه ،أصولى ،مجتهد ،ولد بآمل طبرستان ، واستوطن بغداد وتوفى بها وعرض عليه القضاء فامتنع ،والمظالم فأبى ،واختار لنفسه مذهباً فى الفقه ،من تصانيفه : (جامع البيان فى تأويل القرآن) ، (تاريخ الأمم والملوك) ، (تهذيب الآثار).
ينظر : (ارشاد الاريب/لياقوت الحموي :٤٢٣/٦) ، (لسان الميزان/ للعسقلانى : ١٠٠/٥) ، (تاريخ بغداد/للخطيب البغدادى :١٦٢/٢) .

(٤) جامع البيان فى تأويل القرآن /لمحمد بن جرير الطبرى ، (ط:عام / ١٣٢١ هـ) ، (الناشر: المطبعةالميمنية – بمصر) ، (٢٤/٤) .

ويقول أبوحيان[1] الأندلسى :

(الدعاء إلى الخير وهو عام فى التكاليف من الأفعال والتروك[2]) .

ويقول القاضى[3] البيضاوى :

(الدعاء إلى الخير: يعم الدعاء إلى مافيه صلاح دينى ودنيوي[4]).

وهذا الصلاح الدينى والدنيوى الذى كلفت الأمة الإسلامية الدعوة إليه يتضمنه كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأن العقائد والأعمال التى نص عليها وأرشد اليها كتاب الله وسنة رسوله هى التى تضمن الصلاح والفلاح وكل مادون ذلك من مذهب وفكرة ورأى وعمل هو فساد وضلال وظلمات بعضها فوق بعض ، وذلك هو الذى عناه المفسرون)[5].

---

(١) محمد بن يوسف بن على بن يوسف بن حبان الغرناطى الأندلسى ، اثير الدين ابوحيان ، (٦٥٤ – ٧٤٥ هـ) ، لغوى ، مفسر ، محدث ، مقرى ، مؤرخ ، وأديب نحوى ، بمطخشاوش من اعمال غرناطه فى آخر شوال ، وتوفى بالقاهرة فى (١٨/صفر) ، من أشهر تصانيفه : (البحر المحيط فى تفسير القرآن) ، (تحفة الاديب بما فى القرآن من الغريب) ، (الاعلام بأركان الاسلام) .
ينظر : (بغية الوعاة/للسيوطى : ١٢١) ، (غاية النهاية/للجزرى ٢٨٥/٢) ، (الطبقات الكبرى/للسبكى ٣١/٦ ، ٤٤) .

(٢) البحر المحيط فى تفسير القرآن/لمحمد بن يوسف ابوحيان الاندلسى ، (ط : عام ١٣٢٨ هـ) ، (الناشر : مطبعة السعاده – بمصر) ، (٢/٣) .

(٣) عبدالله بن عمر بن محمد بن على البيضاوى ، الشيرازى ، الشافعى ، ناصر الدين أبوسعيد البيضاوى ، (ت ٦٨٥ هـ) – قاضى ، عالم بالفقه والتفسير والاصول ، والعربيه ، والمنطق والحديث ، من تصانيفه : (انوار التنزيل واسرار التأويل) ، (منهاج الوصول الى علم الأصول) .
ينظر : (مفتاح السعاده/لطاشى كبرى زاده : ٤٣٦/١) ، (نزهة الجليس للموسوى : ٨٧/٢) .

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، المسمى تفسير البيضاوى /للإمام ناصرالدين عبدالله البيضاوى ، (ط : بدون) ، (الناشر : دارالفكر ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢ م) ، (ص :٨٤) .

(٥) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم / لابى السعود العمادى ، (٦٧/٢/١) .

ويسمى الشيخ اسماعيل حقى[1] ، الصلاح الدينى والدنيوى " تكليفاً شرعياً " والتكليف الشرعى لايثبت إلاّ بكتاب اللّه وسنة رسوله صلى اللّه عليه وسلم ، يقول الشيخ : " ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير " جماعة داعية إلى الخير أي إلى مافيه صلاح دينى ودنيوى فالدعاء إلى الخير عام فى التكليف من الافعال والتروك[2]) .

(يتبين مما أسلفنا أن ما أثبته القرآن الكريم ونص عليه ،ومافسر به المفسرون كلهم هو أن الدعوة إلى الخير مرادفه للدعوة إلى الإسلام ،ومما لاشك فيه أن تكليف الأمة الإسلامية الدعوة إلى الخير لايمكن أن يعنى مجرد مدح الإسلام وإطرائه وإغداق الثناء عليه بين أيدى الناس،أو تأليف كتاب يثبت أنه هو الدين الحق.فلن تستطيع الأمة الإسلامية أن تؤدي حق هذه الدعوة إلا إذا وقفت نفسها لنشرها وتبليغها ، واستخدمت جميع طاقاتها وكفاياتها لإقامتها وتمكينها ، فيجب عليها أنْ تبذل كل مافى وسعها لنيل هذا الهدف المنشود، فتكون فى سبيله سلمها وحربها ، وحياتها وموتها)[3]

وتتخذ الدين منهجاً عملياً وسلوكاً فى حياة الفرد والجماعه ،ومن أجله لابد من التضحية بكل غال ورخيص ،ليصل إلى أقصى بقاع العالم ، ونحاول إزالت كل العوائق التى فى طريقه ليصل الى القلوب فيشع فيها نوره الربانى تلك القلوب المتعطشه التى تعيش فى ظلام دامس ، إلى أن يصل إليها هذا الدين الخالد ،فواجب المسلمين جميعاً ذكوراً وإناثاً ، الثبات أمام كل التيارات التى تحاول زعزعة هذا الدين أو تشويهه ،وذلك بالصمود فى وجهه وببيان زيفه وبطلانه .

---

(١) اسماعيل حقى بن مصطفى الاسلامبولى الحنفى الخلوتى،البروسى ،أبوالفداء ، (١٠٦٣ - ١١٣٧هـ) ،مفسر ،تركى مستعرب ولد فى آيدوس وسكن القسطنطينية ، وانتقل الى بروسه وتوفى فيها له كتب شتى منها :(روح البيان فى تفسير القرآن) ،(شرح الأربعين فى الحديث) ،(كتاب التوحيد) .
ينظر:(ايضاح المكنون/لاسماعيل باشا :٥٨٥/١) ،(فهرس المكتبه الازهريه / أبوالوفاء المراغى : ٢٣٣/١).

(٢) روح البيان فى تفسير القرآن /لاسماعيل حقىأبوالفداء ،(ط:عام١٩٨٥ هـ) ، (الناشر:دار الطباعة العامرة باستانبول) ،(٣٥٢/١) .

(٣) الامر بالمعروف والنهى عن المنكر/للسيد جلال الدين العمرى،(ص :٩- ١١).

(ب) مصادر الدعوة الإسلامية :

لكل دعوة من الدعوات مصادر تستقى من فيض معينها أساليبها ووسائلها ، وغاياتها ، وأحكامها ، وقد تفردت الدعوة الإسلامية بثبوت مصدريها وصحتهما : الكتاب والسنة ، وذلك بحفظ الله عز وجل لكتابه قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٩) ﴾

(سورة الحجر ، الآية "٩") .

وقد حظيت مصادر الدعوة الإسلامية بالحفظ والعناية بخلاف مصادر الدعوات الأخرى فقد أصابها التحريف والتغير والتبديل ، على يد علمائها وقد أشار القرآن إلى ذلك فقال عزّ وجلّ في حق أهل الكتاب : ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣) ﴾

(سورة المائدة ، الآية "١٣")

* المصدر الأول : القرآن الكريم :

(أ) تعريفه :

(هو كتاب الله تعالى المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ، بلفظه ومعناه المنقول بالتواتر ، المفيد للقطع واليقين ، المكتوب فى المصاحف المتعبد بتلاوته ، المبدوء بسورة الفاتحه ، المنتهى بسورة الناس المتحدى بأقصر سورة منه)(١)

---

(١) (أ) مناهل العرفان فى علوم القرآن/للشيخ محمد عبدالعظيم الزرقانى، (ط:بدون) ، (طبع بمطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه) ، (١٩/١) .
(ب) المدخل لدراسة القرآن/للدكتور محمد محمد أبوشهبة ، (ط:٢) ، (الناشر: دار الكتب القاهرة) ، (ص : ٨) .

(ب) الرعاية الإلهية للقرآن :

احيط القرآن الكريم بعناية اللّٰه وحفظه ،تلك العناية التى حين لم تحط بها الكتب السابقة فدخلها التغيير والتحريف والتبديل،فقال تعالى في شأنه :

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾

(سورة الحجر ، الآية "٩")

يقول الخازن فى تفسيره : (الضمير فى " له " يرجع إلى الذكر يعنى : وإنا للذكر الذى أنزلناه على محمد لحافظون ، يعنى من الزيادة فيه والنقص منه والتغيير والتبديل والتحريف،فالقرآن العظيم محفوظ من هذه الأشياء كلها ، لايقدر أحد من جميع الخلق ، من الجن والإنس أن يزيد فيه أوينقص منه حرفاً واحداً أو كلمة واحدة) (١) .

(واقتضت العناية الإلهية أن يبقى هذا القرآن بعيداً عن عبث العابثين وتلاعب المحرفين ، فهو ليس كبقية الكتب لم ينقل بالكتابة وحدها، ولا بالحفظ وحده ، وإنما نقل بالحفظ والكتابة على سبيل التواتر بخلاف الكتب السابقة التى نقلت بالكتابة فقط ، ولم يتكفل اللّٰه بحفظها ، بل وكلها إلى حفظ الناس.والسرّ فى كون القرآن الكريم وحده ، تعهده اللّٰه بحفظه دون الكتب السابقة ، أن تلك الكتب جىء بها على التوقيت لا التأبيد ، وأما القرآن الكريم فجىء به خاتماً خالداً إلى يوم القيامة ، مصدقاً لما بين يديه من الكتب ومهيمناً عليه فكان جامعاً لما فيها من الحقائق الثابته زائداً عليها بما شاء اللّٰه زيادته ، وكان ساداً مسدها ، ولم يكن شىء منها ليسد مسده فقضى اللّٰه أن يبقى حجة إلى قيام الساعة وإذا قضى اللّٰه أمراً يسر له أسبابه وهو الحكيم العليم) (٢) ، لذلك قال عز من

---

(١) لباب التأويل فى معانى التنزيل / لعلى بن محمد الشهير بالخازن ، (٤ / ٥٧) .

(٢) النبأ العظيم / د/محمد عبداللّٰه دراز ،(ط : ٢ / ١٣٩٠) ،(الناشر: دار القلم - الكويت) ،(ص ١٣ - ١٤) .

قائل فى شأن تنزيله المحكم :

﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ (سورة فصلت ، الآية "٤٢")

(وكان من أسباب حفظ القرآن عند الرسول صلى الله عليه وسلم وتثبيته فى قلبه أن جبريل عليه السلام كان يعارضه القرآن فى رمضان من كل عام مرة واحدة ، وقد عارضه إياه مرتين فى العام الذى توفى فيه)(١)

ثم إن من خصائص هذه الأمة حفظها للقرآن الكريم ، وقد جاء فى الحديث الذى رواه عياض(٢) بْنِ حَمَارٍ الْمُجَاشِعِىِّ قال :قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : " وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَاباً لَايَغْسِلُهُ الْمَاءُ تَقْرَؤُهُ نَائِماً وَيَقْظَانَ(٣) " .

---

(١) فتح البارى شرح صحيح البخارى لأحمد بن على بن حجر العسقلانى ، (: ٤٣/٩) .

(٢) عياض بن حمار بن أبى حمار بن ناجيه بن عقال بن محمد ابن سفيان بن مجاشع المجاشعى التميمى نسبه خليفه سكن البصرة . روى عن النبى صلى الله عليه وسلم ،له عند مسلم هذا الحديث ،ذكر عمرو بن شبه ان الزبير بن العوام لما دخل البصرة فى وقعة الجمل ،وقف على مسجد بنى مجاشع فسأل عن عياض بن حمار فقال له النعمان بن زمام هو بواد السباع فمضى يريده ،فيؤخذ منه ان عياضاً كان فى خلافة على. ينظر: (تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلانى : ٢٠٠/٨).

(٣) جزء من حديث طويل هذا نصه :" عَنْ عِيَاضِ بْنِ حَمَارٍ الْمُجَاشِعِىِّ ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى اللَّهُ عليه وسلم قَالَ ،ذَاتَ يَوْمٍ فِى خُطْبَتِهِ :" أَلَا إِنَّ رَبِّى أَمَرَنِى أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَاجَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِى ،يَوْمِى هَذَا كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْداً ، حَلَالٌ . وَإِنِّى خَلَقْتُ ،عِبَادِى حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ . وإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ ،وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ . وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِى مَالَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَاناً . وَإِنَّ اللَّهَ نَظَرَ إِلَىٰ أَهْلِ الْأَرْضِ فَمَقَتَهُمْ ، عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ ،إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ . وَقَالَ : إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لِأَبْتَلِيَكَ وَأَبْتَلِىَ بِكَ . وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَاباً لَايَغْسِلُهُ الْمَاءُ . تَقْرَؤُهُ نَائِماً وَيَقْظَانَ . وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِى أَنْ أُحَرِّقَ قُرَيْشاً . فَقُلْتُ : رَبِّ ! إِذاً يَثْلَغُوا رَأْسِى فَيَدَعُوهُ خُبْزَةً قَالَ : اسْتَخْرِجْهُمْ كَمَا اسْتَخْرَجُوكَ.وَاغْزُهُمْ نُغْزِكَ . وَأَنْفِقْ فَسَنُنْفِقَ عَلَيْكَ وَابْعَثْ جَيْشاً نَبْعَثْ خَمْسَةً مِثْلَهُ . وَقَاتِلْ بِمَنْ أَطَاعَكَ مَنْ عَصَاكَ . قَالَ : وَأَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ : ذو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ . وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِى قُرْبَىٰ ،وَمُسْلِمٍ . وَعَفِيفٌ ==

فهذا الحديث يشير إلى ان الكتاب الذى انزل على محمد صلى الله عليه وسلم محفوظ بحفظ الله تعالى له من الزوال والاندثار، حتى يرث الله الأرض ومن عليها. فهذا الكتاب العظيم الذى لايغسله الماء، ويقرأ فى النوم واليقظه لاشك هو الذى لايصله التحريف والتغيير والتبديل، وأيضاً فالقرآن محله القلوب لا الصحف، وقد جاء فى وصف هذه الأمة التى أنزل على نبيها القرآن الكريم " أنا جيلهم فى صدورهم "(1)

(فالله تعالى يخبر عن أناس اصطفاهم لوراثة القرآن العظيم فيحفظونه فى صدورهم ويحرسونه بأبصارهم وبصائرهم ويخدمونه بقلوبهم وهى صفة أختص الله بها حفظة كتابه، وقد ميزهم عن غيرهم بأن من كان منهم ظالماً لنفسه يغفر له، ومن كان منهم مقتصداً يحاسبه حساباً يسيراً ومن كان منهم سابقاً فى الخيرات يدخله الجنة بغير حساب(2)) فقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَالَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَٰبِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَٰبَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِالْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ ﴾ (سورة فاطر، الآية "٣١"، "٣٢")

= مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ. قَالَ: وَأَهْلُ النَّارِ خَمْسَةٌ: الضَّعِيفُ الَّذِى لَازَبْرَ لَهُ، الَّذِينَ هُمْ فِيكُمْ تَبَعاً لَايَبْتَغُونَ أَهْلاً وَلَا مَالاً. وَالْخَائِنُ الَّذِى لَايَخْفَى لَهُ طَمَعٌ، وَإِنْ دَقَّ إِلَّا خَانَهُ. وَرَجُلٌ لَايُصْبِحُ وَلَايُمْسِى إِلَّا وَهُوَ يُخَادِعُكَ عَنْ أَهْلِكَ وَمَالِكَ " وَذَكَرَ الْبُخْلَ أَوِ الْكَذِبَ " وَالشِّنْظِيرُ الفحاش ".

(أ) أخرجه الامام أحمد فى المسند فى (١٦٢/٤).

(ب) وأخرجه مسلم فى صحيحه فى (كتاب الجنة وصفها ونعيمها واهلها باب الصفات التى يعرف بها فى الدنيا اهل الجنة واهل النار)، (رقم: ٢٨٦٥)، (٢١٩٧/٤). واللفظ له.

(١) (أ) اخرجه أحمد بن عبدالله الاصبهانى ابونعيم (ت: ٤٣٠ هـ)، فى دلائل النبوة، (ط: ١٣٦٩/٢ هـ - ١٩٥٠ م - حيدر آباد الدكن). (الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية)، (١٦/١).

(ب) وذكره جلال الدين عبدالرحمن أبى بكر السيوطى (٨٤٩ - ٩١١ هـ)، فى الخصائص الكبرى، تحقيق/محمد خليل الهراس، (: عام- ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.)، (الناشر: دار الكتب الحديثه - القاهرة)، (٢٩/١).

---

(٢) جامع البيان فى تأويل القرآن / للطبرى، (٨٨/١).

وقد بين الرَّسُولَ صَلّى اللّه عليْهِ وسَلّمَ فى الحديث الذى رواه أَنَس بْنِ مَالِكٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلى اللَّهُ عليْه وسلمُ : " إنَّ لِلَّهِ أَهْلِينَ مِـــنَ النَّاسِ " قَالُوا : يارَسُولَ اللَّه ! مَنْ هُمْ ؟ قَالَ :" هُمْ أَهْلُ الْقُــــرْآنِ "، أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ "(١)

ولم تكن العناية والرعاية الإلهية للقرآن فى عهد الصحابة فقـــط، بل من بعدهم جاء التابعون فحافظوا على القرآن وحفظوا آياته بحفظ اللّــه سبحانه وتعالى له حيث قال تعالىٰ فى محكم كتابه :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ (سورة فصلت ، الآية "٤١"،"٤٢")

ولم يكن حفظ القرآن الكريم موقوفاً على الرجال فقط بل تعداه إلـى النساء فقد كان هناك عدد من النساء يحفظن القرآن،وقمن بالاهتمام بـــه ورعايته وجمعه ذكر ابن سعد(٢) فى كتابه الطبقات عدد من النساء اللاتـى أولين كتاب اللّه كل عناية واهتمام مابين حفظ وجمع وعلم وتعلم(٣) .

ولاشك أن المسلمين يقتدون برسولهم صلى اللّه عليه وسلم وفيما كـان يتأسى به من سيرة المرسلين فى أمور الدعوة إلى اللّه قال تعالى :

﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾

(سورة يوسف ،الآية "١١١")

---

(١) أخرجه ابن ماجه فى سننه / فى المقدمه ،(باب فضل من تعلم القـرآن وعلمه) ،(رقم :٢١٥) (٧٨/١)،قال الحافظ شهاب الدين احمد بـــن أبى بكر الكنانى البوصيرى (ت : ٨٤٠ هـ) فى مصباح الزجاجة فـــى زوائد ابن ماجه : هذا اسناده صحيح ورجاله موثوقون .
ينظر :(كتاب اتباع السنه ،باب فضل من تعلم القرآن وعلمـــه)، (رقم : ٧٧) ،(٧٢/١) .

(٢) محمد بن سعد بن منيع الزهرى مولاهم ،البصرى ،كاتب الواقدى ،أبـــو عبداللّه (١٦٨ - ٢٣٠ هـ) ،محدث ،حافظ ،ولد بالبصرة ،وسكن بغداد ، وحدث وروى كتب الحديث والغريب والفقه . من آثاره :(كتاب الطبقات الكبرى) ،(الزخرف القصرى فى ترجمة ابى سعيد بن يسار) .
ينظر : (تاريخ بغداد للخطيب البغدادى : ٣٢١/٥ - ٣٢٢) ،(تذكـــرة الحفاظ للذهبى : ١٢/٢) .

(٣) ينظر : (الطبقات الكبرى لابن سعد الجزء الثامن) .

ففى قصص السابقين من أمم الأرض وماجرى عليهم وماجرى لأنبيائهم معهم، عبرة وموعظة لاصحاب العقول السليمة، وهداية ورحمة للمؤمنين بالله ورسوله منهم الذين يعتبرون بما قصه الله عن الماضين ويتعظون به؛ لأن الإيمان قد فتح قلوبهم للحق وأرهف حسهم لمواضع العبرة ومعاني الموعظة وقال تعالىٰ :

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًاۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ۝٩٠ ﴾

(سورة الانعام ، الآية "٩٠")

فهذه الآيات الكريمة تشير إلى لزوم الاقتداء بنهج رسول الله في الدعوة إليه و يستفاد منها أصول وأساليب الدعوة ووسائلها التى يجب أن يفقهها المسلم كما يفقه أمور الدين الأخرى ، لأن الله جل جلاله ، ماقصها علينا وأخبرنا بها الا لنستفيد منها ونتزود من معانيها بما يُعيننا على الدعوة إلى الله تعالىٰ ، ونلتزم بنهجها ، قال ربنا تبارك وتعالىٰ :

﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝١٢٠ ﴾

(سورة هود ، الآية "١٢٠")

(ج) شهادة بعض الغربيين فى القرآن :

(١) يقول أحد الغربيين الذين اعتنقوا الإسلام :

(هل يتأتى لجميع فلا سفة العالم أن يثبتوا غلطة واحدة فى القرآن، ولو ارتكنوا على كل ما فى أيديهم من علوم عصرية ، لايتأتى لهم ذلك والعلوم كل يوم فى تبديل وتغيير وفى كل لحظة تظهر معانى باهرة لآيات قرآنية ، ما كنا لنفهم معناها إلا بعد تقدم العلوم)[١].

(٢) ويقول " جرنيه المسلم الفرنسى الشهير :

(لقد تتبعت كل الآيات القرآنية التى لها ارتباط بالعلوم الطبيعية والصحية والطبية التى درستها من صغرى ، وفهمتها جيداً فوجدتها منطبقة كل الانطباق مع معارفنا الحديثة فأسلمت لأنى تيقنت أن الإسلام أتى بالحق الصريح ، من قبل ألف سنة ، ولو أن كل صاحب فن من الفنون أو علم من العلوم، قارن كل الآيات القرآنية المرتبطة بما يعلمه جيداً كما قارنت أنا ، لأسلم دون ريب هذا إن كان عاقلاً خالياً عن الأغراض والأهواء)[٢].

(٣) (ويقول أحد علماء الإنجليز فى محاضرة عن الإسلام ألقاها سنة ١٣٨٥ فى كنيسة البرستيان : إذا كان فى عالم الالهام أمر يدعى وحيا وكان للوحى وجود كامل فلن يشك فى أن القرآن كتاب منزل)[٣].

(٤) ويقول المستشرق لوبلوا:

(ان القرآن هو الكتاب الربانى الوحيد الذى ليس فيه أى تغيير يذكر)[٤]

---

(١) البرهان من القرآن / لمحمد أحمد مهدى ،(ط :١٣٨٥هـ) ،(منشورات: حمد - بيروت) ،(ص:٣٠).

(٢) المرجع السابق نفسه .

(٣) الدين والعلم / المشير أحمد ،(ط :عام ١٣٦٩هـ)،(الناشر : مطبعة لجنة التأليف والترجمة) ،(ص:٥٥).

(٤) مدخل الى القرآن الكريم / د. محمد عبدالله دراز ، (ط :٢ عام ١٣٩٤هـ) ،(الناشر : دار القلم ، الكويت) ،(ص : ٤٠).

(٥) وقال وليم موير :

(إن المصحف الذى جمعه عثمان [1]، قد تواتر انتقاله من يد ليد حتى وصل الينا بدون أي تحريف ، ولقد حفظ بعناية شديدة بحيث لم يطرأ عليه أي تغيير يذكر ، بل نستطيع أن نقول إنه لم يطرأ عليه أي تغيير على الاطلاق ، فى النسخ التى لا حصر لها ، والمتداولة فى البلاد الإسلامية الواسعة ، فلم يوجد إلا قرآن واحد لجميع الفرق الإسلامية المتنازعة وهذا الاستعمال الاجماعى لنفس النص المنزل الموجود معنا ، والذى يرجع إلى الخليفة المنكوب عثمان الذى مات مقتولاً) [2].

فنجد أن الحفظة قد بلغ عددهم فىعهد التابعين الآلاف المؤلفة ، وهكذا كل طبقة تتلقى هذا القرآن عن التى قبلها ، وكل جماعة تأخذه عن التى سبقتها ، حتى وصل الينا فىأيامنا هذه نقياً صافياً كما أنزله رب العزة والجلال على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم ،فهو خالد، وسيبقى كذلك الى يوم القيامة ان شاء الله ، لا تبلى له جدة ،ولايزداد على الزمن إلا روعةً وجلالاً وأخذاً بمجامع العقول ، وذلك يذكرنا بما قاله الفيلسوف الفرنسى غوستاف لوبون (حسب هذا القرآن جلالاً وفخراً أن الأربعة عشر قرناً التى مضت عليه لم تستطع أن تغير ولو بعض من جدته حتى لكأن عهده بالحياة أمس) [3].

---

(١) هو الخليفة الراشد عثمان ، ذو النورين ، ثالث الخلفاء الراشدين ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة ، جواد كريم ، منفق معطاء ،جهز جيش العسرة ، وجمع القرآن ، توفى فى المدينة سنة "٣٥هـ"شهيداً.
ينظر: (طبقات الحفاظ/للسيوطى:ص:٤) ،(خلاصة تذهيب الكمال /٢١٩/٢) ، (الكاشف /للذهبى:٢٥٤/٢).

(٢) مدخل إلى القرآن الكريم /د.محمدعبدالله دراز ،(ص :٤٠) ،(وينظر حياة محمد/ لمحمد حسين هيكل ،(ط :١٩٦٨/١٣م) ،(الناشر:مكتبة النهضة المصرية) ،(ص :٣١-٣٨)بتصرف .

(٣) القصة فى القرآن / د.عبدالغنى عوض الراجحى ، مذكرة مصورة من الكتاب الأصلى للمؤلف درسناها فى " مادة علوم القرآن " من قبل المؤلف نفسه فىالسنة المنهجية ،(ص :٣٢).

(٦) تقول الدكتوره لورافيشيا فاغليرى أستاذة اللغة العربية وتاريخ الحضارة فى جامعة نابولى بايطاليا :

(فإلى الكتاب العزيز الذى لم يحرفه قط،لا أصدقاؤه ولا أعداؤه،ولاالمثقفون ولا الأميون،ذلك الكتاب الذى لايبليه الزمان،لايزال إلى اليوم كعهده يوم أوحى الله به إلى الرسول الأمى البسيط - آخر الأنبياء - حملة الشرائع - إلى هذا المصدر الصافى دون غيره سوف يرجع المسلمون حتى إذا نهلوا مباشرة من معين هذا الكتاب المقدس فعندئذ يستعيدون قوتهم السابقة من غير ريب) (١)

هذه شهادات بعض علماء الغرب المنصفين فى القرآن،سجلتها لالحاجتنا إلى تزكية كتاب الله من أحد،ولكن لكى يتنبه ويلتفت بعض التائهين من المسلمين،وليدرسوا القرآن وليطلعوا على تعاليمه فيعرفوا حقيقة مافيه كما عرفها الأعداء حين درسوا وتعمقوا فى الاطلاع عليه،فعرفوا أنه المصدر الأول لجميع العلوم فشهدوا شهادة الحق ، والفضل ماشهدت به الاعداء ، ففي القرآن الكريم آيات كثيره تتعلق بأخبار الرسل الكرام وماجرى لهم مع أقوامهم وماخاطب الله تعالى به خاتمهم سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم - من أمور الدعوة إليه -.

---

(١) محمد عبقرى مصلح أم نبى مرسل / محمد شيخانى ،(ط : بدون)،(الناشر: مكتبة التراث الاسلامى - القاهرة) ،(ص : ٢٢٣ - ٢٢٤) .

* المصدر الثانى : السنه النبوية :

(أ) تعريف السنة فى اللغة :

تطلق السنة فى اللغة على معانٍ عدة منها :

(١) السيرة والطريقة ، حسنة أو قبيحة :

وبهذا المعنى ورد قوله صلى اللّٰه عليه وسلم : " مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً ، فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ ، كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا ، وَلَايَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِم شَيْءٌ . وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً ، فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ ، كُتِبَ عَلَيْهِ مِثْلُ وِزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا ، وَلَايَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِم شَيْءٌ "(١)

(٢) (تتابع الشيء وتواليه ، يقال : سن الماء إذا صبه ووالى في ذلك وتابعه)(٢). (وهو من باب تشبيه الحسنة ، لاطراد العمل بها بالماء المصبوب لتواليه على مكان واحد)(٣)

(ب) تعريف السنه فى اصطلاح المحدثين :

(هى ما أضيف إلى النبى صلى اللّٰه عليه وسلم من قول ، أو فعل ، أو تقرير ، أو صفة خلقية أو خُلقية ، أو سيرة سواء كان ذلك قبل بعثته

---

(١) (أ) أخرجه مسلم ، فى (كتاب العلم ، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا الى هدى أو ضلالة) ، (رقم :٢٦٧٤) ، (٢٠٥٩/٤) . وفى (كتاب الزكاة ، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة) ، (رقم ١٠١٧) ، (٢ / ٧٥٠) ، واللفظ له .

(ب) وأخرجه الترمذى ، فى (كتاب العلم ، باب ماجاء فيمن دعا الى هدى فاتبع أو إلى ضلاله) ، (رقم ٢٦٧٥) ، (٤٣/٥) ، قال ابوعيسى : هذا حديث حسن صحيح .

(ج) وأخرجه النسائى ، فى (كتاب الزكاة ، باب التحريض على الصدقة) ، (رقم ٦٤) ، (٧٦/٥) .

(٢) القاموس المحيط / للفيروز آبادى ، (٢٣٩/٤) .

(٣) البدعة / د. عزت على عطيه ، (مطبعة المدنى) ، (الناشر: دار الكتب الحديثه) ، (ص : ١١٧) .

صلى الله عليه وسلم فى غار حراء، أم بعدها) (١)

وكما هو معروف فإن مرتبة السنة المحمدية فى الحجية تلى مرتبة القرآن الكريم؛لأن السنة النبوية تأتى مفسرة لنصوصه وموضحة لمعانيه ، ومقيدة لمطلقه،ومخصصة لعامة،ومعينة لمبهمه وموضحة لمشكله ومعللة لمحكمه فاتباع السنة واجب كالكتاب،لما ثبت فى القرآن من قوله تعالى :

﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٧ ﴾

(سورة الحشر ، الآية "٧")

(وفى السنه النبوية أحاديث كثيره تتعلق بأمور الدعوة ووسائلها، كما أن السيرة النبوية المطهرة،وماجرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى مكة والمدينه،وكيفية معالجته للأحداث والظروف التى واجهته ،كل ذلك

---

(١) ينظر :

(أ) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول /لمحمد بن على بن محمد الشوكانى ،(ط : ١٣٥٦/١ هـ - ١٩٣٧ م) ،(الناشر : البابى الحلبى) ،(ص : ٣٣) .

(ب) توجيه النظر الى أصول الأثر / لطاهر بن صالح الجزائرى ، (مصورة عن طبعة مصر) ،(ص : ٢) .

(ج) السنه ومكانتها فى التشريع /د.مصطفى السباعى ،(ط : ١ مطبعة المدنى ١٣٨٠ هـ - ١٩٦١ م) ،(ص : ٤٧) .

(د) البدعه / د. عزت على عطيه ،(ص : ١١٨) .

(هـ) الحديث والمحدثون / د: محمد محمد ابوزهر ،(ط : ١/القاهرة/ ١٩٥٨ م) ،(ص :١٠) .

(و) السنه قبل التدوين /د. محمد عجاج الخطيب ،(ط : ٣ / ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠ م) ،(دار الفكر للطباعة والنشر) ،(ص : ١٦) .

(ز) السنة ومكانتها فى التشريع / عباس متولى حماد ،(الدار القوميه للطباعة والنشر ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٥ م) ،(ص : ٢٣) .

(ح) دراسات فى الحديث النبوى تاريخ وتدوين / د.محمد مصطفى الاعظمى ،(مطابع جامعة الرياض) ،(ص : ١) .

يعطينا مادة غزيرة جداً في أساليب الدعوة ووسائلها؛ لأن الرسول الكريم صلى اللّٰه عليه وسلم مرّ بمختلف الظروف والأحوال التي يمكن أن يمر بها الداعي في كل زمان ومكان فما من حالة يكون فيها الداعي أو احداث تواجهه إلاويوجد نفسها أو مثلها أو شبهها، أو قريباً منها في سيرة النبي صلى اللّٰه عليه وسلم فيستفيد الداعي منها الحل الصحيح، والموقف السليم الذي يجب أن يقفه إذا مافقه معاني السيرة النبوية. ومن حكمة اللّٰه ولطيف لطف اللّٰه أن جعل رسوله الكريم يمر بما مر به من ظروف وأحوال حتى يعرف الدعاة المسلمون كيف يتصرفون، وكيف يسلكون في أمور الدعوة، في مختلف الظروف والاحوال اقتداء بسيرة رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم. فالسيرة النبوية والتوجيهات النبوية الكريمة تطبيقات عملية لما أمر اللّٰه به رسوله في أمور الدعوة وتبليغ الرسالة ، وما ألهم رسوله في هذا المجال فلا يجوز للداعي أن يغفل عن سيرة النبي صلى اللّٰه عليه وسلم)[1]

فالقرآن الكريم والسنة النبوية إذن هما المصدران الأساسيان للدعوة الإسلامية . وهناك مصادر أخرى لاتستغني عنها المرأة الداعية إلى اللّٰه تعالى وهي في المرتبه بعد المصدرين الأساسيين :

---

(١) أصول الدعوة /د: عبدالكريم زيدان ،(ط : ١٣٩٦/٣ هـ - ١٩٧٦ م) ، دار عمر بن الخطاب للطباعة والنشر - بالاسكندرية) ،(ص : ٣٩٨ - ٣٩٩) .

* المصدر الثالث : سيرة السلف الصالح :

وفى سيرة سلفنا، الصالح من الصحابة الكرام، والتابعين لهم بإحسان سوابق مهمة فى أمور الدعوة يستفيد منها الدعاة إلى اللّٰه؛ لأن السلف الصالح كانوا أعلم من غيرهم بمراد الشارع وفقه الدعوة إلى اللّٰه ومازال اهل العلم يستدلون بسيرتهم. والرسول صلى اللّٰه عليه وسلم بيّن أن قرون السلف الصالح خير القرون حيث قال عليه أفضل الصلاة والسلام فى الحديث الذى رواه عِمْرَانُ(1) ابْنَ حُصَيْنٍ رَضِىَ اللّٰهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ النَّبِىّ صَلى اللّٰهُ عَليه وسلّمَ : " خَيْرُكُمْ قَرْنِى ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ " قَالَ عِمْرَانُ : لاَ أَدْرِى أَذكَرَ النَّبِىّ صَلى اللّٰهُ عَليه وسلّم بَعْدَ قَرْنين أَوْ ثَلاثَةً، قَالَ النَّبِىّ صَلى اللّٰهُ عَليه وسلّم : " ان بَعْدَكُمْ قَوْماً يَخُونُونَ وَلاَيُؤْتَمَنُونَ، وَيَشْهَدُونَ وَلاَيُسْتَشْهَدُونَ ، وَيَنْذُرُونَ وَلاَيفُونَ ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ(2) "(3) .

---

(1) عمران بن حصين بن عبيد ، أبونجيد الخزاعى: من علماء الصحابه ، أسلم عام خيبر سنة "٧ هـ" وكانت معه راية خزاعه يوم فتح مكة، وبعثه عمر إلى اهل البصره ليفقههم . وولاه زياد قضاءها وتوفى بها، وهو ممن اعتزل حرب صفين . له فى كتب الحديث ١٣٠ حديثا توفى "٣٦٩ هـ" .
ينظر: (طبقات ابن سعد: ٤/٧)، (صفة الصفوه لابن الجوزى :٢٨٣/١) .

(2) " السمن " اى يتكثرون بما ليس عندهم، ويدعون ماليس لهم من الشرف . وقيل أراد جمعهم الأموال . وقيل يحبون التوسع فى المآكل والمشارب، وهى أسباب السمن .
ينظر: (النهاية فى غريب الحديث والأثر/لابن الأثير)، (٤٠٥/٢) .

(3) (أ) أخرجه البخارى فى صحيحه فى (كتاب الشهادات، باب لايشهد على شهادة جور إذا أشهد)، (رقم: ٢٦٥١)، (١٥٠/٣/١) .
وفى (كتاب الفضائل ، باب فضائل أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم)، (رقم : ٣٦٥٠)، (٣/٥/٢) .
وفى (كتاب الرقاق ، باب مايحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها)، (رقم: ٦٤٢٥)، (٧٦/٨/٣) .
وفى (كتاب الايمان والنذور ، باب اثم من لايفى بالنذر) ، (رقم : ٦٦٩٥) ، (١١٩/٩/٣) . بهذا اللفظ .
(ب) وأخرجه مسلم فى صحيحه فى (كتاب فضائل الصحابه ، باب فضل الصحابه ، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) ، (رقم : ٢٥٣٥) ، (١٩٦٤/٤)

==

فهذا دليل من السنه النبوية على أفضلية أولئك السلف الذين عاشوا في تلك القرون، وذلك لأنهم أعلم بمراد الله تعالى وبأمور الشريعة من الأمم الأخرى التي جاءت من بعدهم،لذلك لابد للداعية إلى سبيل الله تعالى أن تستفيد من هذا العلم وتستقي منه وتستدل بسيرتهم العطرة في نفسها ، ثم في دعوتها وفي تربيتها للأجيال،حيث تغرس في نفوسهم حب السلف الصالح والاقتداء بهم .

فقد روى عَبْدِاللَّهِ (١) بْنَ عمْرٍو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أُمَّتى مَا أَتَى عَلَى بَني إِسْرَائِيلَ حَذْوَ (٢) النَّعْلِ بِالنَّعْلِ ، حَتى إِنْ كَانَ مِنْهُمْ مَنْ أَتَى أُمَّهُ عَلَانِيَةً لَكَانَ في أُمَّتى مَنْ يَصْنَعُ ذٰلِكَ ، وَإِنَّ بَنِي إِسْرَائيلَ تَفَرَّقَتْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً ، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً ، كُلُّهُمْ في النَّارِ إِلاَّ مِلَّةً وَاحِدَةً ،قَالُوا:

= (جـ) وأخرجه أبوداود في سننه في (كتاب السنه ،باب النهي عن سب اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم)،(رقم:٤٦٥٧)،(١٤/٤) .

(د) وأخرجه الترمذي في سننه في (كتاب الفتن ،باب ماجاء في القرن الثالث) ،(رقم :٢٢٢) ،(٥٠٠/٤) .
وفي (كتاب الشهادات ، باب في شهادة الزور) ،(رقم : ٢٣٠٢)،(٥٤٨/٤)،قال أبوعيسى ،حسن صحيح.

(هـ) وأخرجه النسائي في سننه في (كتاب الإيمان والنذور ،باب الوفاء بالنذر) ،(رقم :٣٨٠٩) ،(١٧/٧) .

(١) عبدالله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هشام بن سعيد بن سعد بن سهم بن كعب بن لوّي بن غالب ،ولد قبل الهجرة بسبع سنوات ،من قريش صحابي ،من النساك من أهل مكة ،كان يكتب في الجاهلية ويحسن السريانيه واسلم قبل ابيه فاستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ان يكتب مايسمع عنه ،فأذن له ،وكان يشهد الحروب والغزوات ويضرب بسيفين وحمل راية ابيه يوم اليرموك ،وشهد صفين مع معاوية توفي رضى الله عنه (٦٥ هـ) .
ينظر :(نسب قريش / للزبيري ص : ٤١١) ،(حلية الاولياء /لابي نعيم : ٢٨٣/١) ،(الكاشف / للذهبي : ١١٣/٢) .

(٢) اى تعملون مثل اعمالهم كما تقطع احدى النعلين على قدر النعل الأخرى والحذو : التقدير والقطع .
ينظر : النهاية في غريب الحديث /لابن الاثير (٣٥٧/١) .

وَمَنْ هِىَ يَارَسُولَ اللّٰهِ قَالَ : مَاأَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِى "(١)

وفعلاً قد تحقق هذا الحديث النبوى الشريف فقد تكاثرت الفرق حتى عددها أصحاب كتب الفرق والملل والنحل أثنين وسبعين فرقة أصولها ست فرق، وكل فرقة تفرقت من بعد إلى فرق كثيرة، فكل أصل من هذه الفرق الست تفرق إلى اثنتى عشرة فرقة فيصبح المجموع اثنتين وسبعين فرقة .

فأصولها عند بعض العلماء ست فرق هى: المعتزله، الخوارج، الصفاتية، الجبرية، والمرجئة ، والشيعة . والسلف وقف من هذه الفرق جميعاً موقف المتمسكين بكتاب اللّٰه وسنة رسوله صلى اللّٰه عليه وسلم وقاوموا تيار الانحرافات الجارف ، وكان تصديهم للباطل ملفتاً للنظر مضرباً للمثل حيناً آخر(٢)

---

(١) أخرجه الترمذى فى سننه فى (كتاب الإيمان ، باب ماجاء فى افتراق هذه الأمة) ، (رقم : ٢٦٤١) ، (٢٦/٥) ، قال أبوعيسي : هذا حديث حسن غريب مفسر ، لانعرفه مثل هذا الا من هذا الوجه .

(٢) ينظر: (أ) الفرق بين الفرق وبيان الفرقه الناجيه منهم /لعبد القاهر البغدادى ، (ط : ٥ / ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م) ، (الناشر : دار الآفاق الجديدة بيروت) ، (ص : ٤ ومابعدها) .
(ب) الملل والنحل/لأبى الفتح محمدعبدالكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستانى ، (١٥/١) .

* المصدر الرابع : استنباطات الفقهاء :

(الفقهاء يعنون باستنباط الأحكام الشرعية العمليه من أدلتها التفصيلية.ومن هذه الأحكام مايتعلق بأمور الدعوة إلى الله ، مثل احكام الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والجهاد والحسبه وقد افردوا لهذه الأحكام أبواباً خاصة فى كتبهم الفقهية وماقرروه من اجتهادات فى أمور الدعوه ومجالها ، حكمه حكم اجتهاداتهم الأخرى التى يجب اتباعها ،أو يندب لأن الوسائل والأساليب فى الدعوة من أمور الدين مثل مسائل العبادات والمعاملات) (١)

---

(١) أصول الدعوة/د.عبد الكريم زيدان ،(ص : ٣٩٩) .

* المصدر الخامس : الاستفادة من التجارب :

التجربه معلم جيد للإنسان لاسيما لمن يعمل مع الناس،وللداعى تجارب كثيرة فى مجال الدعوة هى حصيلة عمله المباشر مع الناس ومباشرته للوسائل فعلا فى ضوء مافهمه من المصادر السابقة ؛ لأن التطبيق قد يظهر له وجه خطئه فيتجنبه فى المستقبل،وقد يكون الثمن غالياً ولكن مايتعلمه من التجارب أغلى من الثمن المدفوع إذا أنتفع من التجارب حقاً.وهذا هو المأمول من المؤمن فإن المؤمن لايلدغ مرتين ... وكما أن الداعى يستفيد من تجاربه الخاصة يستفيد أيضاً من تجارب الآخرين فى مجال الوسائل والاساليب فإن الحكمة ضالة المؤمن يأخذها من أى وعاء خرجت[١].

وقيل فى الامثال : (السعيد من وعظ بغيره[٢]) .

حتى ان تجارب الإنسان نفسه تكون خير واعظ له إذا كان ممن يدرك ويعى ويستفيد؛لهذا قيل : (ماوعظ امرءاً كتجاربه)[٣].

---

(١) أصول الدعوة /د.عبدالكريم زيدان ،(ص ٣٩٩) .
(٢) مجمع الأمثال /لابى الفضل أحمد بن محمد النيسابورى الميدانى ، (تحقيق ،محى الدين عبدالحميد) ،(ط : دار المعرفه - بيروت - لبنان) ،(٣٤٣/١) .
(٣) المصدر السابق نفسه ،(٣٢٧/٢) .

الباب الأول

المرأة في الجاهلية والإسلام

ويحتوي على تمهيد و فصلين :

تمهيد عن أوضاع المرأة في بعض المجتمعات القديمة

الأول : المرأة في الجاهلية وأوضاعها المنحطة .

الثاني : المرأة في الإسلام وبعض مظاهر تكريمها .

التمهيد عن أوضاع المرأة في بعض المجتمعات القديمة التالية :

أ - المرأة في الحضارة الهندية .

ب - المرأة عند الفرس .

ج - المرأة في الحضارة المصرية القديمة .

د - المرأة في الحضارة اليونانية .

هـ - المرأة في الحضارة الرومانية .

و - المرأة عند اليهود .

ز - المرأة عند النصارى .

(١) تمهيـــــــد:

قبل الحديث عن المرأة فى الجاهلية والإسلام ،لابد من إلقاء نظرة على أحوال المرأة الاجتماعية فى المجتمعات القديمة . فقد كانت المـــرأة فيها مخلوقاً ناقص الأهلية ،مهضوم الحقوق ،مهيض الجناح ، أداة إغـــواء تعانى من الاضطهاد والاحتقار داخل البيت وخارجه ...

(أ) المرأة فى الحضارة الهندية :

المجتمع الهندى ينكر إنسانية المرأة ويعرض عن الاعتراف بقيمتها الاجتماعية وذلك مادعاه إلى انكار حقوقها وإثقال كاهلها بالكثير مــن الواجبات . وكان الهنود الأقدمون يرون أن الإنسان لا يستطيع تحصيل العلوم والمعارف ما لم يتخل عن جميع الروابط العائلية .

وتتخذ المرأة على أنها عبدة ذليلة للرجـــل ،وهى محتوم عليها أن تظل عبـــدة لأبيها بكراً ، ولبعلها زوجة ، ولأولادها أيماً .

ثم هم أيضاً لا يكتفون بهذا الذل والهوان بل إنها تحرم من جميـــع حقوق الملكية ، ومن الإرث وعليها أن ترضى بقوانـــين الزواج المتبعـــة عندهم .

والأكثر فظاعة من ذلك أنها ليس لها الحق الطبيعى فى الحياة : فهي تدفن حية عند موت الزوج ، أو تجبر على إلقاء نفسها فى النار التى أضرمت لإحراق جثة الزوج رغم ما قد تكون عليه من شباب واكتمال قوى ومـــدارك، وقد تسعف فتبقى على قيد الحياة لتباع مع ما يباع من أمتعة الزوج .

وقيمتها الإنسانية فى أى حال من الأحوال لم تكن بأحسن من قيمتهـــا الاجتماعية عندهم ، فكانت محل إعراض وتنكر وعدم اعتبار، وكانوا يحرضون بعضهم البعض على عدم الالتفات إليها والتحذير منها ، فأورثها ذلك الخضوع لارادة الرجل ، والسيادة المطلقة فى المجتمع الهندى داخل البيت للرجـــل ، فتتحمل الزوجة مسؤولية القيام بالواجبات العديدة التى لاحصر لها دون أن يرعى

حق أنوثتها أو ضعف جسمها . فهى مهضومة الحقوق المادية والأدبية أيضاً.

وكان الشعب الهندى ،يعتقد أن المرأة هى مادة الإثم وعنوان الانحطاط الخلقى ، والروحى ،ولايسلم لها حتى بوجود الشخصية المستقلة كإنسان كامل . وكانت المرأة الهندية تخاطب زوجها فى خشوع قائلة : يامولاى .. وياسيدى .. ويا إلهى(١)!! .

---

(١) ينظر:

(أ) قصة الحضارة / دول يورانت ،ترجمة :محمد بدران ،(ط ٢/١٩٦١م) ، (الناشر :مطبعة التأليف والترجمة والنشر– القاهرة) ، (٣/٧٧) .

(ب) الرسالات الكبرى /للسيدة :سنية قراعه ،(ط. عام١٣٨٥هـ – ١٩٦٦م) ، (الناشر : مكتب الصحافه الدولى للصحافة والنشر– مصر) ، (ص:٦٦١) .

(جـ) المرأة بين الفقه والقانون /د: مصطفى السباعى (ط : ٥) ، (الناشر : المكتب الاسلامى – دمشق) ،(ص : ٨) .

(د) المرأة من خلال الآيات القرآنيه /للسيدة:عصمة الدين كركر جرم الهيله ، (ط:بدون) ، (الناشر:الشركة التونسيه للتوزيع) ، (ص :٢١ – ٢٢) .

(هـ) المرأة فى ظل الاسلام/ للسيدة :مريم نورالدين فضل الله ، (ط ٣ / ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م) ، (الناشر:دارالزهراء – بيروت – لبنان) ، (ص :٣١) .

(و) المرأة المسلمة أمام التحديات / للشيخ :أحمد عبدالعزيز الحصين ، (ط :١٤٠٧/٥هـ – ١٩٨٦م) ، (الناشر:دارالبخارى للنشر والتوزيع) ، (ص : ١٧ – ١٨) .

(ز) المرأة وحقوقها فى الاسلام /د:محمد الصادق عفيفى ،سلسلة دعوة الحق شهرية ،السنة الثانية /١٤٠٢هـ – شعبان – ١٧) ، (ص :١١ – ١٢) .

(ح) الاسلام والمرأة /د:اقبال المسلم ورفيقتها ، (ط ٢ /١٤٠٤هـ – ١٩٨٤) ، (الناشر : الدار السلفية – الكويت) ،(ص : ٩) .

(ط) المرأة فى جميع الاديان والعصور / أ : محمد عبدالمقصود) ، (ط : ١٩٨٣/١ م) ،(الناشر : مكتبة مدبولى – القاهرة) ، (ص : ٣٢) .

(ب) المرأة عند الفرس :

كانت المرأة الفارسية عبدة سجينة منزلها ، تباع بيع السوائم ، فقد أباحت الأنظمة الفارسية بيعها وشراءها ، وكانت تحت سلطة الرجل المطلقة ، ويحق له أن يحكم عليها بالموت دون رقيب أو مؤاخذة ، ويتصرف بها تصرفه بسلعته ومتاع بيته ، لايخالطها فى أثناء الحيض خوفاً من أن ينجس إذا مسها . وشرّ من ذلك أن الأنظمة الفارسيه أباحت الزواج بالمحرمات من النسب كالأمهات والأخوات والبنات والعمات والخالات ...

ومن قبل ذلك الوقت - فى القرن الثالث لميلاد المسيح عليه السلام - ظهر " مانى " فكان له رأى غير طبيعى ضد النزعة الشهوانية التى كانت متفشية ، فدعا إلى حياة العزوبة لحسم مادة الفساد والشرّ فى العالم وحرم النكاح .

ثم ثاروا على تعاليم " مانى " المجحفة ، واتبعوا دعوة " مزدك " الذى دعا إلى الشيوعية فى المال والنساء كاشتراكهم فى الماء والنار والكلأ .

عندها افترص السفلة ذلك واغتنموه ، وكاتفوا "مزدك" وأصحابه وشايعوهم ، فابتلى الناس بهم ، وقوى أمرهم ، حتى كانوا يدخلون على الرجل فى داره فيغلبونه على منزله ونسائه وأمواله ولايستطيع الامتناع منهم وحملوا " قباذ " ملكهم على تزيين ذلك ، وتوعدوه بخلعه . فلم يلبثوا إلا قليلاً حتى صاروا لايعرف الرجل ولده ، ولا المولود أباه ،ولايملك الرجل شيئا مما يتسع به .

فكانت المرأة لدى الفرس على أى حال فى انحطاط وذلة فهى واقعة تحت تيارات التعاليم والأنظمة،فتارة تكون مضطهدة ومحرومة ، وتارة أخرى يحرم نكاحها ، وثالثة تكون ملكاً مشاعاً لأى رجل وهكذا .. فحياتها رهن إشارة وتصرف الرجل وأنظمته وقوانيينه (١).

---

(١) ينظر:
(أ) تاريخ الأمم والملوك / لأبى جعفر محمد بن جرير بن يزيد

....

الطبرى ، (٢٢٤ – ٣١٠ هـ) ، (ط : بدون) ، (الناشر : المطبعة الحسنيه بالقاهرة) ، (٨٨/٢) ٠

(ب) الملل والنحل / لابى الفتح محمد بن عبدالكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستانى ، تحقيق / محمد سيد كيلانى ، (ط : ٢) ، (الناشر : دار المعرفة للطباعة والنشر – بيروت) ، (١ : ٢٤٩ – ٢٥٠) ٠

(ج) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين / الشيخ : ابى الحسن على الحسينى الندوى ، (ط : ٨ / ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤ م)،(الناشر: دار الكتاب العربى – بيروت – لبنان) ، (ص : ٣٨ – ٤٠)٠

(د) حقوق المرأة فى الاسلام /أ : محمد بن عبدالله بن سليمان عرفه، (ط : ١٤٠٣/٣ هـ – ١٩٨٣ م) ، (الناشر : المكتب الاسلامى)، (ص : ٢٥ – ٢٦) ٠

(هـ) الاسلام والمرأة / السيد سعيد الافغانى ،(ط : ٢ / ١٩٧٠ م) ، (الناشر : دار الفكر فى بيروت) ، (ص : ١٣) ٠

(ج) فى الحضارة المصرية القديمة :

تمتاز عن الحضارات السابقة بأنها خصت المرأة بمكانه مرموقة ، فولتها الملك ، وحكمتها فى الأفراد والجماعات ، فسطرت القوانين ، وسيرت الشؤون السياسية ، وحفظ المجتمع المصرى للمرأة الود ، ونصب لها التماثيل تعظيماً لشأنها واعترافاً بمقدرتها ونفوذها وكيدها .

فقد تمتعت المرأة المصرية ، بصفة عامة بالشخصية الأدبية واكتسبت حقوقها المادية الكاملة ، فتصرفت تصرفاً مطلقاً دون رقابة أو حجر ، وسمح لها بالمساهمة فى النفقة العائلية ، إذا شرط ذلك فى عقد الزواج ، كما أنها اعتبرت سيدة البيت فنسب لها الابناء فى حالات عدة ، وإذا مات الزوج انتقلت اليها السلطة على الأبناء الذين لم يبلغوا سن الرشد ، ولو فى علاقات الأسرة بالدولة .

غير أن القانون الجنائى كان معها صارماً ، إذ سلط عليها الحكم بالموت بمجرد الشبهة فيما يتعلق بطهارتها .

ولكن للرجل أن يضاجع قرابته من النساء ويتزوج أخته قصد وضع يده فى الغالب على ثرواتهن وممتلكاتهن ، لأن كل الأملاك الزراعية كانت من حقهن ، وكان له أن يتزوج بعديد من النسوة من غير طبقة زوجه أو يتسرى بهن ، فإن زوجته الأولى تبقى سيدة حريمه وينسب أولادها إليها ،وإن طلقها عوضها جزاء كبيراً من أملاك الأسرة إلا إذا كان سبب الطلاق ارتكابها لجريمة الزنا .

ومن العادات المصرية القديمة أن المرأة هى التى كانت تبدأ بخطبة الرجل واختياره ، وكانت تمهد لذلك بقصائد غزلية فيها تلميح للزوج ، أو بإلقاء جمل الاستحسان ، وعذب الكلام على مسامع الرجل ، فإذا وجدت منه إعراضاً انصرفت عنه ، وإذا صادفت قبولاً ، حددت موعداً للقاء معه وعرضت عليه الزواج وخير شاهد على ذلك ماكتب على أوراق البردى المأثورة .

والجدير بالذكر هو أن البيئة المصرية القديمة كانت تسودها الطبقية المطلقة الفرعونية الصارمة فعاشت المرأة ظروف بيئتها القاسية تبعـــا لضعف مكانة أهلها الاجتماعية ، أو كريمة معززة مسايره لعز أهلهـــا وذويها ٠

يقول ماكس مولر :

ليس ثمة شعب قديم أو حديث قد رفع منزلة المرأة مثلما رفعها سكـان وادى النيل[١].

---

(١) ينظر :

(أ) قصة الحضارة / دول يورانت ،(٢/٩٦ ، ٩٨) ٠

(ب) المرأة فى عصر الديمقراطية / اسماعيل مظهر ،(ط : عـــام ١٩٤٩ م) ، (الناشر : مكتبة النهضة المصرية بالقاهـــرة)، (ص : ٧) ٠

(ج) المرأة وحقوقها فى الاسلام / د. محمد الصادق عفيفى ، (ص : ١٤) ٠

(د) المرأة من خلال الآيات القرآنيه / للسيده عصمة الدين كركـر جرم الهيلة ،(ص : ٢٥ - ٢٦) ٠

(د) فى الحضارة اليونانية :

بالرغم من الحضارة العريقة التى تتمتع بها هذه الأمة إلا أنهـــا تنظر إلى المرأة بأنها من سقط المتاع ، ولم يكن لها أية حقوق وأهلية ، وكانت تباع وتشترى فى الأسواق وهى مفقودة الحرية ومسلوبة المكانة فـــى كل مايرجع الى الحقوق المدنية ، وفى حضارتها الراقية شاعت الفاحشـــة بين النساء والرجال ، حتى أصبح الزنى أمراً مألوفاً ، وانتشرت دور البغاء فتبوأت العاهرات والمومسات مكانة عالية ، لانظير لها فى تاريخ البشرية .

وقد اتخذ الأدباء والشعراء والفلاسفة مكانهم فى الجوّ الخانـــق ، فجعلوا بيوت الدعارة مركزاً لهم ثم وصل التدهور أكثر فأكثر فانتشـــر اللواط انتشاراً كبيراً بين الرجال والشباب .

وأثر عن أفلاطون أنه دعا إلى شيوع النساء ، وإلغاء نظام الاســرة . فالثقافة اليونانية في إبان ازدهارها لم تعط المرأة شيئا تعلو به عـــن مقام الأنثى فى المجتمعات البدائيه .. والمثل الأعلى الذى رشحها لـــه خيال أفلاطون فى مدينته الفاضلة أن تعتبرها الأمة ملكاً مشاعاً تنجب النسل لمن يختارها من الرجال ، فالنساء فى مدينة أفلاطون حظيرة مباحة من الاناث تؤدى وظيفة الولادة كما تؤديها إناث الحيوان .

ويصور لنا أحد خطباء اليونان " ديموستين " أهم مظاهر دور المرأة ، اذ يقول : اننا نتخذ العاهرات للذة ، ونتخذ الخليلات للعناية بصحـــة أجسامنا اليومية ، ونتخذ الزوجات ليلدن لنا الأبناء الشرعيين .

وقال سقراط : إن وجود المرأة هو أكبر منشأ ومصدر للأزمة والانهيار فى العالم وأن المرأة تشبه شجرة مسمومة ظاهرها جميل ولكن عندما تأكـل منها العصافير تموت حالاً .

والذى أوصل المرأة إلى هذا الوضع المشين هو ماأثقل كاهلها مـــن واجبات وما آلمها من سوء معاملة المجتمع لها فقد لجأت الى الخروج عـــن

حدود المجتمع وقوانينه . ونتيجة هذا التدهور والانحطاط انهارت هـــــذه الحضاره والإمبراطورية وكأنها لم يكن لها يوماً شأن عظيم (١).

---

(١) ينظر :
(أ) مركز المرأة فى الاسلام /أ: أمير على بن سعادت الهنـــــدى تعريب / على فهمى محمد، (ط : عام ١٩١٢ م) ،(الناشـــر : مطبعة الياس زخور ، مصر) ، (ص : ٣٦) .
(ب) حضارة العرب / لغوستاف لوبون ،ترجمة : عادل زعيتر ،(ط:٢) (الناشر : البابى الحلبى بالقاهرة)،(ص : ٢٦) .
(جـ) المرأة فى القرآن / عباس محمود العقاد ،(ط : ٢ / ١٩٦٧ م)، (الناشر : دار الكتاب العربى – بيروت) ،(ص : ١٠٦-١٠٧) .

(هـ) فى الحضارة الرومانية :

لم يكن حظ المرأة الرومانية فى القانون الرومانى بأحسن من حظ أختها اليونانية نظراً لما بين الحضارتين من تفاعل عميق بعيد المدى .

وكان رب الأسرة هو رئيسها الدينى وحاكمها السياسى ومديرها الاقتصادى ، أما المرأة فلم يكن لها إلى جانبه شئ إذ لم تكن لها أهلية أو شخصية ، وكانت المرأة فى التاريخ الرومانى القديم ناقصة الأهلية فى إمضاء العقود أو عمل وصية أو أداء شهادة ... وإذا تزوجت أبرمت مع زوجها عقدا يسمى : اتفاق السيادة أى سيادة الزوج عليها وله أن يحكم على زوجته بالإعدام فى بعض التهم ، ولم يكن ملزماً بقبول ضم ولده إلى أسرته سواءً كان ذكراً أم انثى كما كان له الحق فى أن يدخل فى أسرته من الاجانب من يريد ويخرج من أبنائه الذين هم من صلبه من يشاء أو يبيعهم.

وكانت سلطة الأب مثل سلطة الحاكم له الحق فى بيع أولاده أو أن يقتلهم أو أن يعذبهم ، وكانت النتيجة الحتمية لمثل هذا التصرف أن اندفع تيار الفساد وجموح الشهوات وانتشرت بيوت الدعارة والصور التى تتظاهر بالخلاعة بين الجنسين ، وراجت تجارة الخمور والدعارة وانجذبت إليها بعض ربات البيوت فكانت نتيجه هذا الانفساح أن تمزقت هذه الدولة شرّ ممزق وانهارت شر انهيار .

فصارت المرأة تتمتع بكثير من حقوقها مما أدى إلى انفصام الرابطة الزوجية وإنتشار الفساد الأخلاقى والطلاق ، وماذلك إلا نتيجة الكبت الاول والتحرر المفاجئى السريع الذى تمتعت به ثانياً ، فتمكن الرجل لمحض حظ نفسه من إتلاف أخلاقهن وتدنيس طهارتهن وهتك حيائهن ، حتى صرن يحضرن المراقص ويغنين فى المنتديات وساد سلطانهن حتى صار لهن الصوت الأول فى تعيين رجال السياسة وخلعهم فلم تلبث دولة الرومان على هذه الحالة حتى جاءها الخراب من حيث تدري أو لاتدري فانهارت وتصدعت الإمبراطورية وماذلك إلا نتيجة لعدم الانضباط فى أوضاع المرأة بحيث صارت فى هذه الحضارة بين

وضعين متناقضين مما أدى بها فى النهاية إلى أن كانت السبب فى انهيار روما (١).

---

(١) ينظر :

(أ) المرأة فى مختلف العصور / أ: أحمد خاكى ، (ط : عام ١٩٤٧ م بمطبعة دار الكتب المصرية) ، (الناشر : دار المعارف بمصر) ، (ص : ٢٥ – ٣٠) .

(ب) المرأة المصرية بين الماضى والحاضر /أ: أحمد طه ، (ط / عام ١٣٩٩ هـ – ١٩٧٩ م) ، (الناشر : مطبعة دار التأليف – القاهرة) ، (ص : ٢٠) .

(ج) مكانة المرأة فى الإسلام / أ: محمد عطيه الإبراشى ، (ط:بدون)، (الناشر : مكتبة مصر ودار مصر للطباعة) ، (ص : ٦ – ٧) .

(و) عنـــد اليهـــود :

المرأة اليهودية أشبه ماتكون بالسائمة ، فهى تحت وصاية والدهـا ، ثم تحت وصاية زوجها بعد الزواج ، ولليهودى المعسر أن يبيع ابنته بيـع الرقيق لقاء ثمن بخس دراهم معدوده ،ويعتبر اليهود المرأة لعنة لأنهـا أغوت آدم ، وقد جاءت التوراة المحرفة تقول : " إن المرأة أمرّ من المـوت وأن الصالح أمام الله لاينجو منها ، رجلا بين ألف ، وجدت أمام امـرأة فبين كل أولئك لم أجد " والتوراة تقول : " لقد بدأ الذنب من طـرف المرأة وإن المرأة هى التى توجب موتنا " .

وكانت المرأة تعتبر خادمة وليس لها حقوق أو أهلية ، وكانـوا لايورثون البنت أصلاً حفاظاً لقوام العائلات على التعاقب والعصبة ، ويـرون أن المرأة إذا حاضت تكون نجسة ، تنجس البيت ، وكل ماتمسه من طعـام أو إنسان أو حيوان يكون نجساً ، وبعضهـم يطردها من بيته لأنها نجسه ، وإذا طهرت رجعت إلى بيتها وهكذا ، وكان منهـم مـن ينصب لها خيمـة ويضع أمامها خبزاً وماء ويجعلها فى هذه الخيمة حتى تطهر .

كما حذر التلمود من المرأة واعتبرها خطراً عندما نصح عامة اليهود بما نصه : " خير للإنسان أن يمشى وراء أسد من أن يمشى وراء امرأة ".ولـم تكتف القوانيين اليهودية بهذا التخويف من المرأة بل ذهبت الى أبعـد من ذلك فى الترهيب منها والحط من منزلتها وشأنها . ومن الطبيعـى أن مثل هذه الأقوال الوارده فى كتب اليهود أورثت الرجل قسوة على المـرأة وقضت على أواصر الثقة والود التى يجب أن تسود بين نوعى الجنس البشـرى وهذا كله جعل المرأة اليهودية تحتل المرتبة الدنيا فى المجتمع اليهودى فشهادة الرجل الواحد تعادل شهادة مائة امرأة .

وكل ممتلكات الزوجة تحت التصرف الكامل للزوج ، ويمنح الزوج حـق تعدد الزوجات ، مع كون الديانة اليهودية توصى بحسن المعاشرة حيث إنهـا

تمكن الزوجة من حق المطالبة بالطلاق إذا ما أراد زوجها أن يتزوج ثانية ، كما أنها تفرض عليه النفقة إذا تم الطلاق[1].

إنها في الحقيقة وضعيات متناقضة ومواقف متباينة [2]. والله أعلم.

---

(١) (أ) حضارة العرب / لغوستاف لوبون ، (ص : ٤٩٢) .

(ب) مقارنة الأديان - اليهودية - / د. أحمد شلبي ، (ط:١٩٧٨/٥م) ، (الناشر : مكتبة النهضة المصرية) ، (ص : ٣٠٨ - ٣٠٩).

(ج) اليهود في كتابهم المقدس اعداء الإنسانية / كمال أحمد عون ، (ط : عام ١٩٦٩ م) ، (الناشر : مطبعة مصر) ، (ص : ٤٤) .

(٢) يلاحظ أن هذه الاوضاع والاحكام كانت نتيجة التغيير والتحريف والتبديل الذى أدخل على أصول الديانة اليهودية .

(ز) عنـــد النصـــارى :

لم يأخذ رجال الدين بمبدأ مساواة المرأة بالرجل وصبّوا جام غضبهم عليها ، لأنها هي التى كانت السبب فى خروج آدم من الجنة ، ولايستقيـــم لرجل فيه ذرة من رجولة أن ينقاد لامرأة ، وأن يسير وراء مشورتها لضعـــف خلقها وفساد طبعها ، لذلك يجب الابتعاد عنها ، ومن ثم آثروا التبتل على الزواج ، وأن العزب عند اللّه أكرم من المتزوج ، وأعلنوا أنها بـــاب الشيطان ، وأنها يجب أن تستحى من جمالها ، لأنه سلاح إبليس للفتنـــة والإغراء .

وليس أدل على مواقف الكنيسة تجاه المرأة من مواقف رجال الديـــن منها وأقوالهم فيها ، فقد قال " كريستوم " : المرأة شرّ لابد منه ،وإغواء طبيعى ، وكارثة لازمة ، وخطر منزلى ، وفتنة مهلكة ، وشر عليه طلاء .

وقال " توماس اكويناس " المعروف عند النصارى برسول الرحمة : إن المرأة خاضعة للرجل لضعف طبيعتها الجسمية والعقلية معاً ، والرجل مبدأ المرأة ومنتهاها كما أن اللّه مبدأ كل شىء ومنتهاه .

وقد فرض الخضوع على المرأة عملاً بقانون الطبيعة . أما العبـــد فليس كذلك . ويجب على الأبناء أن يحبوا آباءهم أكثر مما يحبون أمهاتهم .

وبلغ بهم العنت أن انقسموا إلى اتجاهين :

(١) اتجاه ماكون : فى القرن الخامس الميلادي _ وكان قاسيا فى رأيـه ، فقد بحث فى حقيقة المرأة ، وهل لها روح ، وهل هذه الروح هـــى روح شيطانية أم روح خبيثه ، وهل تؤهلها لأن توضع بين الحيوانـات الشرسة أم بين الكائنات " الراقيه " .

(٢) واتجاه قرطاجة : الذى ذهب الى أنها ليست بإنسانة ، وليس لها حق التعميد ، ولا الاقتراب من الهيكل المقدس لأنها نجَس ، وليس لهـــا حق التعليم ، أو الحظوة ببركات الكنيسة ، وأنها لم تخلق الا لخدمة الرجل .

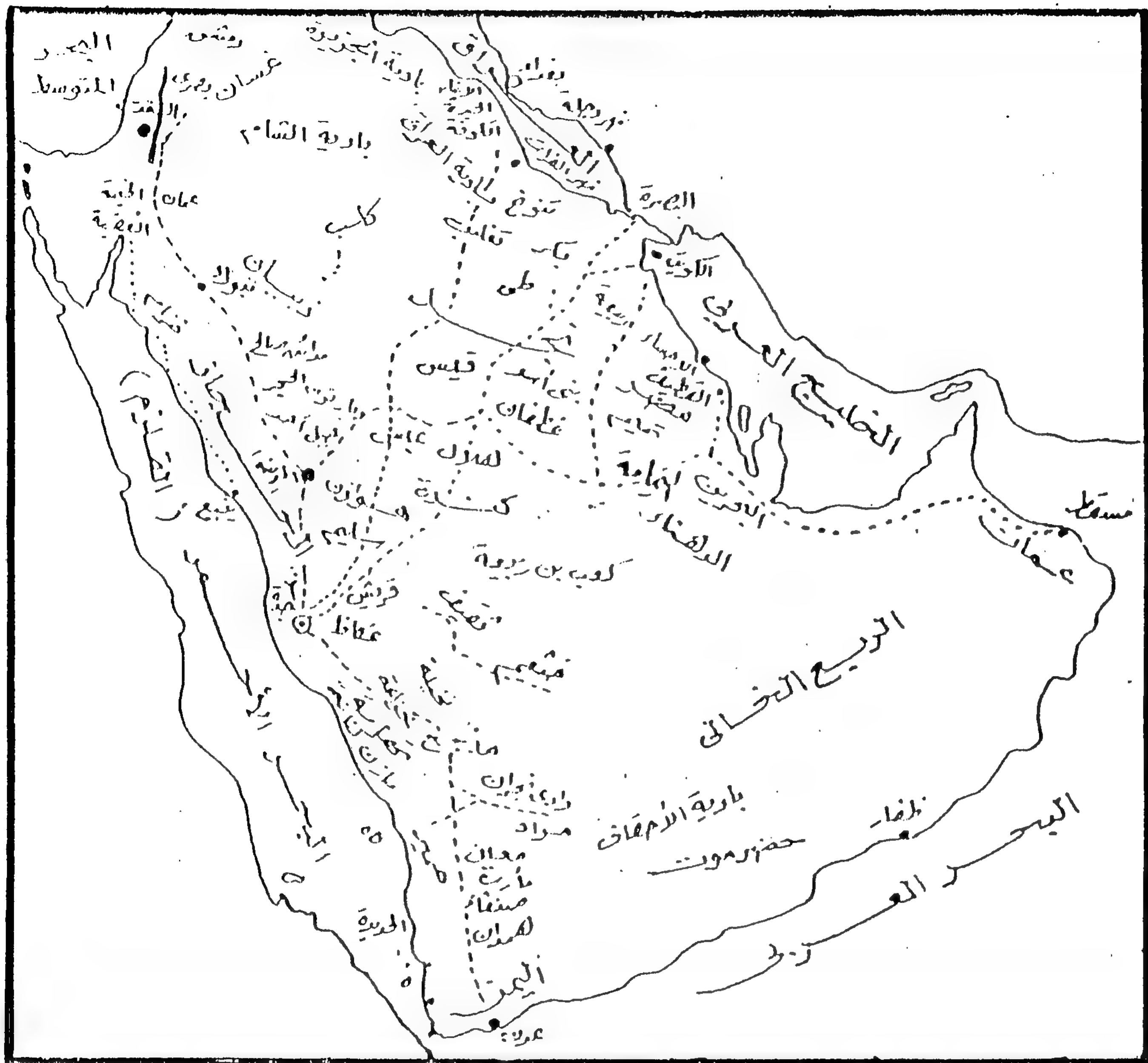
ولما انتشرت النصرانية بمبادئها الروحية والخلقية ، خففت من القيود التى كانت تقيد المرأة ، وتدعو لنبذ آدميتها ، فكما دعت الى تخفيف سلطة الأب وقسوته وجعلت الميراث على أساس صلة الدم والقرابة (١).

---

(١) ينظر :

(آ) الأسرة والمجتمع /د. على عبدالواحد وافى ،(ط : ٧ /١٣٩٧هـ - ١٩٧٧ م) ،(الناشر : دار نهضة مصر) ، (ص : ١٤٨) .

(ب) الحجاب / ابوالأعلى المودودى ، (ط : بدون) ، (الناشر : دار الفكر) ، (ص : ٢١ - ٢٤) .



بلاد العرب والقبائل العربية قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم

- هذه الخارطة مقتبسة من كتاب
- المرأة العربية في الجاهلية / لعلي اسماعيل
- وقد قمت بعرضها للفائدة .

الأول: المرأة في الجاهلية وأوضاعها المنحطة ويحتوي على:

أ- مفهوم كلمة «الجاهلية»

ب- وضع المرأة الذي كانت عليه في العصر الجاهلي.

ج- الوأد وبواعثه:

١- وأد المولودة.

٢- بواعث الوأد

د- سلوك المرأة في الجاهلية.

هـ- زواج المرأة في الجاهلية.

و- طلاق المرأة ونظام عدتها:

١- الطلاق.

٢- نظام العدة

ز- حقها في التملك.

ح- أقوال بعض المغالين في مكانتها وسمو رفعتها والرد عليهم.

الاول : المرأة فى الجاهليــــة :

(أ) مفهوم كلمة الجاهلية :

بعد العرض التمهيدى الموجز لأوضاع المرأة فى المجتمعات القديمة والديانات السابقة نتمم ذلك بمعرفة ماكانت عليه المرأة فى العصر الجاهلى لنرى مامنحتها الشريعة الغراء من مكانة عالية ومنزلة رفيعة وما أعطتها من حقوق وما أوجبت عليها من واجبات تجاه ربها ومجتمعها الذى تعيش فيه ، وما أزالت عن كاهلها من أعباء كانت قد تحملتها فى العصر الجاهلى وغيره من المجتمعات القديمة والديانات القديمة بعد تحريفها ، والأحوال التى مرت بها،وذلك لتتضح التعاليم الإسلامية بسموها وأصالتها ، وآثارها الحسنة الإيجابية على من يتبعها كما هى عن بصيرة .

من المعروف أن حياة الصحراء فى الجزيرة العربية كانت تصبغهم بصبغة البداوة حيث كان العرب ينقسمون الى قسمين :

(١) أقوام يعنون بالتجارة كسكان المدن .

(٢) قبائل بدوية .

إلا أن الغالبية العظمى كانوا قبائل بدوية حيث ان حياة الصحراء فى الجزيرة العربية صبغتهم بصبغة البداوةفقد كان العرب فى الغالب رعاة رحلاً ينتقلون من مكان إلى مكان طلباً للعشب والكلأ وانتجاعاً لموارد الماء، ليستطيعوا العيش فى المكان الذى تتوافر فيه أسباب العيش لهم ولقطعانهم من المواشى.وهذه القبائل البدوية هى الغالبية العظمى لذلك تحكمهم الأعراف والتقاليد القبلية .

ومن المعلوم أن حياة القبائل-عادة ونظراً لطبيعة معيشتهم-تقوم على الحرب والغارات عند ذلك تحتاج هذه القبائل إلى القوة حيث إن القوة يكون لها السلطان وكان لابد من قوة البدن وحمل السلاح ، للدفاع عن القبيلة وحماية الأهل والذود عن القطعان .

والذى يكون على هذا القدر من القوة وحمل السلاح والدفاع عن القبيلة هو : الرجل حيث إنه يعتبر فى هذه البيئة أساس القوة فى المجتمع .

وسبق أن ذكرنا أن الحياة فى الجاهلية نوعان : بدوية وحضرية ، ولكن العادات التى فى البدو وفى المدن كانت متشابهة (١).

فالجاهلية هنا ليست من الجهل الذى هو ضد العلم بل من الجهل الذى هو ضد الحلم حيث ان العادات التى سادت فى ذلك العصر من الثأر والغزو والعصبية الجامحة ووأد الأولاد وشرب الخمر ولعب القمار ، وتبرج النساء ، وهى التى أوجبت هذه التسمية التى أطلقها القرآن الكريم على العصر الذى نعالجه (٢).

حيث قال تعالى :

﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ (١٥٤) ﴾ سورة آل عمران ، الآية " ١٥٤ "

---

(١) ينظر: المرأة فى مختلف العصور / أحمد خاكى ،(ص :٦١- ٧٠) باختصار وتصرف .

(٢) ينظر : الأسرة فى الشرع الاسلامى مع لمحة من تاريخ التشريع الى ظهور الإسلام / عمر فروخ ، (ط : ٢/١٣٩٤هـ - ١٩٧٤ م) ، (الناشر:المكتبة العصريه - صيدا - بيروت) ، (ص : ٣٤) .

وقال عز وجل : ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾

سورة المائدة ، الآية " ٥٠ "

وقال جل جلاله : ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾

سورة الاحزاب ، الآية " ٣٣ "

ويقول فى محكم التنزيل : ﴿ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾ ﴾

سورة الفتح ، الآية " ٢٦ "

(فكلمة الجاهلية إذن تنصرف إلى معنى الجهل الذى هو مقابل الحلم وليس ضد العلم ، لذلك غدت الجاهلية تثير فى نفوس المسلمين شعوراً بكراهية عهد وثنى مملوء بالظلم والآثام فهذا الرسول الكريم صلى اللّه عليه وسلم يسمع أباذر(1) يعير رجلاً بأمه فيقول مؤنباً ومعاتباً " ... إِنَّكَ

---

(١) هو جندب بن جناده بن سفيان من بنى غفار ، من السابقين إلى الإسلام يضرب به المثل فى الصدق ، كان شديداً على الاغنياء ، يلومهم ويقرعهم لعدم بذلهم الأموال للمحتاجين ، توفى بالرَبَذة، قرب المدينة عام " ٣٢ هـ " .

ينظر : (الكنى والاسماء / للدولابى : ٢٨/١) ،(حلية الاولياء للاصفهانى : ١٥٦/١) ، (صفة الصفوه /لابن الجوزى : ٣١٦/١).

امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ(١) ... "(٢).

---

(١) جزء من حديث هذا نصه : عَنْ أَبِي ذَرٍّ ، قَالَ رَأَيْتُ عَلَيْهِ بُرْداً ، وَعَلَى غُلَامِهِ بُرْداً ، فَقُلْتُ لَوْ أَخَذْتَ هَذَا فَلَبِسْتَهُ كَانَتْ حُلَّةً وَأَعْطَيْتَهُ ثَوْباً آخَرَ ،فَقَالَ كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ كَلَامٌ ، وَكَانَتْ أُمُّهُ أَعْجَمِيَّةً فَنِلْتُ مِنْهَا ، فَذَكَرَنِي إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ،فَقَالَ لِي أَسَابَبْتَ فُلَاناً ؟ قُلْتُ نَعَمْ ، قَالَ أَفَنِلْتَ مِنْ أُمِّهِ ؟ قُلْتُ نَعَمْ ،قَالَ : " إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ ، قُلْتُ عَلَى حِينِ سَاعَتِي هَذِهِ مِنْ كِبَرِ السِّنِّ ؟ قَالَ : نَعَمْ هُمْ إِخْوَانُكُمْ ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ ،فَمَنْ جَعَلَ اللَّهُ أَخَاهُ تَحْتَ يَدِهِ ،فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ ، وَلَا يُكَلِّفُهُ مِنَ الْعَمَلِ مَا يَغْلِبُهُ ،فَإِنْ كَلَّفَهُ مَا يَغْلِبُهُ ، فَلْيُعِنْهُ عَلَيْهِ " .

(أ) أخرجه أبو عبدالله البخاري ، شيخ المحدثين الامام محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيره ابن بَرْدِزْبَة البخارى الجعفي في الجامع الصحيح ، (١٩٤ - ٢٥٦ هـ) ،(ط : ٢/ ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م) ، (الناشران : مكتبة النهضة الحديثة - مكة المكرمة ، و مكتبة الرياض الحديثه) ، فى (كتاب الأدب ، باب ماينهى عن السباب) ،(رقم : ٦٠٥٠) ،(١٤/٨/٣) ،بهذا اللفظ .

وفى (كتاب الإيمان ، باب المعاصى من أمر الجاهليه ...) ، (رقم : ٣٠) ، (١٢/١/١) . وفى (كتاب العتق ، باب قول النبى صلى الله عليه وسلم : العبيد اخوانكم ...) ،(رقم : ٢٥٤٥) ، (١٣٠/٣/١) .

(ب) وأخرجه الامام ابى الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى، (٢٠٦ - ٢٦١ هـ) فى صحيحه ، (تحقيق وتعليق / الشيخ:محمد فؤاد عبدالباقى) ، (ط : ٢ / ١٩٧٢ م) ،(الناشر :دار التراث العربى - بيروت) ، فى كتاب الايمان ،باب اطعام المملوك مما يأكل ...) ،(رقم : ١٦٦١) ،(١٢٨٢/٣) .

(ج) وأخرجه الامام الحافظ ابى داود سليمان بن الأشعث السجستانى الأزدى ،(٢٠٢ - ٢٧٥ هـ) ،فى سننه ،(راجعه وضبطه وعلق عليه / أ: محمد محى الدين عبدالحميد) ،(ط : بدون) ، (الناشر : دار احيات التراث العربى - بيروت) ،فى كتاب الأدب ،باب فى حق المملوك) ،(رقم:٥١٥٧،٥١٥٨ و٥١٦١) ،(٣٤٠/٤ - ٣٤١) .

(د) وأخرجه أبوعيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذى ،(٢٠٩ - ٢٩٧هـ) فى سننه ،(تحقيق وتعليق :احمد شاكر للجزئين - ١ ، ٢ - ومحمد =

ومما تجدر الإشارة إليه فى هذا المقام ان الكثير من الناس حين يطلق لفظ الجاهلية يتبادر إلى أذهانهم دائماً على أنها الفترة الزمنية المحدده بزمن معين وهو ماقبل البعثه المحمدية فقط ، ففى نظر هؤلاء أنه بعد ذلك لم تصبح هناك جاهلية سواءً أمتد الزمن أو عاد كما كان . وهذا بالطبع مفهوم خطأ؛لأن الجاهلية ليست فترة محددة بحدود زمانية أو مكانية بل يطلق الجهل على معنيين هما :

(١) الجهل بمقام الألوهية .

(٢) الجهل بمقام الحكم .

عوداً على بداء إلى الجاهلية التى نحن بصدد الحديث عنها فنقول : طالما ان القوة هى الإساس فالقبيلة تجد العون من فتيانها ولاتجده من فتياتها ، مما دعاهم إلى إيثار البنين على البنات ، وتفضيل الذكور على الإناث بل بلغ بهم الحال إلى حرمانها من الحياة، فكانوا يتشاءمون من ولادتها، وكانوا ينظرون إليها نظرة احتقار وكراهية، مما جعلها تتعرض للوأد وهى طفلة تارة وللعضل والإهمال إن بقيت على قيد الحياة تارة أخرى، والظلم والاضطهاد والابتزاز من الزوج إن تزوجت؛حيث لم يكن يمنعه من النكاية بها أحد.ولقد كان الطلاق بدون حدّ حسب مزاج الزوج ، كما أنها كانت مهضومة فى كثير من الحقوق كالإرث ، وحقها فى الكسب والتصرف بما تملك ، وكان الرجل من شدة المضارة والمكايدة ، وعدم الاهتمام بالعدل يجمع فى عصمته مايشاء من الزوجات بدون تحديد عدد .

= فؤاد عبدالباقى - للجزء - ٣ - وإبراهيم عطوه عوض - للجزئين ٤ ، ٥ -) ، (ط : بدون) ، (الناشر : دار احياء التراث العربى - بيروت) ، فى (كتاب البر والصلة - باب ماجاء فى الاحسان الى الخدم) ، (رقم : ١٩٤٥) ، (٣٣٤/٤) .

(٢) ينظر : الشعر الجاهلى خصائصه وفنونه /د : يحيى الجبورى ، (ط :٤/ ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م) ، (الناشر : مؤسسة الرسالة) ، (ص : ٢٧- ٢٨)

هذه الحالة السيئة هى التى كانت معروفة عن المرأة فى الجاهلية وهى الصفة الغالبة فى ذلك الوقت ، بل تعتبر طفيلية لاقيمة لها فى المجتمع ، تعامل معاملة الحيوان فى الانتفاع بها والعمل عليها فلا قيمة لها آنذاك عند الرجل إلا فى حدود استثمارها وماتقوم به من اعمال تثقل كاهلها ، هكذا كانت حياتها .

لذا سنلقى نظرة موجزه لأن الوقت لايتسع لإلقاء نظرة عامة شاملة

للتأكد من وضعها وحالتها فى الجاهلية ومن ثم بعد ذلك نورد بعض الأمثلة على أقوال هؤلاء الكتاب والأدباء والمخالفين ، لأوثق المصادر وهما القرآن الكريم والسنة النبوية ، حيث بواسطتهما نستطيع معرفة واقع المرأة فى الجاهلية بتوثيق ، حيث ان الباحث فى اوضاع المرأة فى الجاهلية لايكاد يجد شيئا يثق به وإن وجده فإنه لايسد حاجة ولايشفى الفؤاد فضلاً عما يجده فيه من الأقوال المتناقضة والروايات المتضاربه التى يحتار الباحث أمامها فلا يستطيع من خلالها معرفة حال أو اصدار حكم على تلك الأوضاع التى لاتكاد تتضح فلا يسعه الا أن يتركها .

وسأعرض الآن لبعض الجوانب التى نتبين من خلالها وضع المرأة وواقعها فى الجاهلية فى ضوء اوثق المصادر :

(ب) وضع المرأة فى الجاهلية :

لقد أثبتلنا التنزيل المحكم شيئاً مما كانت عليه المرأة فىذلك العصر فقـال عز وجـل : ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ (سورة النحل ، الآية "٦٢")

وقال تعالى ذكره :

﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾

(سورة النحل ، الآية "٥٧")

ومن خلال الآيتين الكريمتين يتضح بلا جدال ذلك الوضع غير الحميد الذى كانت تعيشه الانثى مظلومة ومضطهدة ومبغوضة حتى انهم يفرقون بينها وبين أخيها الذكر فكانوا يلحقون الإناث بالله لأنهم يكرهونهن وينسبون الأولاد لهم ، سبحانه وتعالى عما وصفوه به ، ولم يكتفوا بذلك بل انهم استمروا فى بغضهم وافترائهم فقال جلّ شأنه منكراً عليهم ماقالوه :

﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ (سورة الزخرف ، الآية "١٩")

فكانوا يفترون على الله وعلى خلقه سبحانه الذين هم : الملائكة فيقولون : إنهم إناث فيتوعدهم عز وجل بأن تلك تعد شهادة منهم يسألهم عنها يوم القيامة فهل هم شاهدوا خلق الملائكة حتى يجعلوهم إناثاً . تعالى الله علواً كبيراً .

وفى الآية الآتية نتبين الحقيقة الواضحة الجلية التى لاتشوبها الشوائب عن واقع المرأة المهين فى وصفها المشين فى ذلك الوقت وفى ذلك يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ ﴾ (سورة الانعام ، الآية "١٣٩")

هنا تتضح لنا صورة الظلم والإهانة التى كانت تعانى منها المرأة حيث ان الرجال يقسمون هذه القسمة غير العادلة فيأخذون النصيب الأوفى ويتركون الخبيث لتشاركهم فيه النساء ، فهذا هو الحرمان الذى تعيشه النساء فى ذلك العصر فإنهم من شدة جهلهم وظلمهم قد جعلوا مافى بطون أنعامهم من الحمل حين تنتج للذكور خالصة من غير مشاركة ، أما إذا سقط الحمل ميتاً عند ذلك تشاركهم الإناث ، إنه الظلم بعينه والقسمة الجائره تلك التى اقتسموها حتى فى حال سقط الحمل لم يتركوها تستفرد به بل شاركوها أيضاً .

قال صاحب جامع البيان فى تأويل القرآن فى تفسيره لهذه الآية : (فهذه الأنعام ماولد منها من حى فهو خالص للرجال دون النساء أما ماولد من ميت فيأكله الرجال والنساء فكانوا يؤثرون بذلك رجالهم .

والأزواج : إنما هى نساؤهم فى كلامهم ، وهن لاشك بنات من هن أولاده وحلائل من هن أزواجه ، وقال : إن اللّه سيثيب ويكافىء هؤلاء المفترين عليه بالكذب فى تحريمهم مالم يحرمه اللّه ، وتحليلهم مالم يحلله اللّه ، وإضافتهم كذبهم فى ذلك إلى اللّه " إن اللّه حكيم " فى سائر تدبيره فى خلقه " عليم " بما يصلحون)(١)

---

(١) جامع البيان فى تفسير القرآن / لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى (٢٢٤ – ٣١٠) ،(ط : ٤ / ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠ م) ،(الناشر :دار المعرفة – بيروت – لبنان) ، (١٢ / ١٤٦) .

(ج) الـــــوأد :

(١) وأد المولوده :

من وضعها السابق نتبين أن البنت فى وضع لاتحسد عليه من كراهيـــة وتشاؤم وبغض : بل إن ظلـــم ذلك المجتمـــع تعـــدىٰ التشــــاؤم والتطاول والافتراء باللسان إلى العمل وهذا العمل بقسوة وشدة إنـــــه الوأد[1] للمولودة الضعيفة التى لم تجن أي ذنب حتى يكون هذا مصيرها.

فقدنقل لنا الذكر الحكيم تلك العادات السيئة بأبشع صورة وأنكر عليهم فعلتهم تلك فقال جلّ ثناؤه :

﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾

(سورة النحل ، الآية "٥٩،٥٨")

وقال تبارك وتعالى :

﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ ﴾

(سورة الزخرف ، الآية "١٧")

وقال عزّ من قائل :

﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ ﴾

(سورة التكوير ،الآية "٩،٨")

---

(١) وأد ابنته يئدها وأداً ،فهى مَوْءُودَةٌ أي دفنها فى القبر وهي حيّة. ينظر: الصحاح / لاسماعيل بن حماد الجوهرى ، (ت : ٣٩٣ هـ) ،تحقيق: الاستاذ:أحمد عبدالغفور عطار ،(ط : ١٣٩٩/٢ هـ ـ ١٩٧٩ م)،(الناشر: دار العلم للملايين ـ بيروت) ، (٥٤٦/٢) .

وقد جاء فى تفسير الآية الأخيرة : (وسؤال الموؤدة يوم القيامة فى مواجهة من وأدها ـ مع أن الأولى ـ فى ظاهر الأمر أن يسأل الجانى لا المجنى ، وفى هذا تشنيع على الجانى ومواجهة له بالجريمة التى اقترفها ووضعها بين يديه ليرى تلك الجناية الغليظة المنكرة وليسمع منطقها الذى يأخذ بتلابيبه ، ويملأ قلبه فزعاً ورعباً أرأيت إلى قتيل يظهر على مسرح القضاء هو وقاتله فى موقف المحاكمه ؟ ثم أرأيت إلى هذا القتيل وهو يروى للقاضى لم قتل ؟ وكيف قتل ؟ ثم أرأيت إلى القاتل وقد أذهله الموقف فخرس لسانه ، وأرتعدت فرائصه ، وانهار كيانه ؟ ذلك بعض من هذا المشهد الذى يكون بين الموؤدة ووائدها يوم القيامة[1]) .

فالله سبحانه وتعالى كره ذلك الصنيع وابغضه لهذا نراه استخدم فى خطابهم أساليب الإنكار ، والتقرير ، والتقريع ، والتوبيخ ،والاستفهام الإنكارى ، والتهديد .

(٢) بواعث الوأد :

وقد اشار القرآن الكريم الى طرف من تلك البواعث فقال تعالى :

﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١) ﴾

(سورة الانعام ، الآية "١٥١")

فالآية الكريمة تشير إلى إن قتل الأولاد عموما منهى عنه ، دون

---

(١) التفسير القرآنى للقرآن / لعبدالكريم الخطيب ، (ط : بدون) ، (الناشر : دار الفكر العربى) ، (١٤٦٩/٣٠/١٥) .

تفرقة بين الذكور والإناث ، فالمدبر للرزق هو اللّٰه ذو القوة المتين يدبره للذرية ذكورها واناثها وللآباء أيضاً .

وهذه سنة المصطفى تؤكد ذلك وتبين ان هذا الفعل الذى يقوم به الجاهلى من اعظم الذنوب عَنْ عَبْدِاللّٰهِ (١) بن مسعود رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ قَالَ :سَأَلْتُ أوْ سُئِلَ رَسُولُ اللّٰهِ صلى اللّٰه عليه وسلم أَيُّ الذَّنْبِ عِنْدَ اللّٰهِ أَكْبَرُ ؟ قَالَ: " أَنْ تَجْعَلَ لِلّٰهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ ، قُلْتُ : ثُمَّ أَيٌّ ؟ قَالَ : ثُمَّ أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ خَشْيَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ ، قُلْتُ : ثُمَّ أَيٌّ ؟ قَالَ : أَنْ تُزَانِيَ بِحَلِيلَةِ جَارِكَ"(٢)،قَالَ

---

(١) هو عبداللّٰه بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلى ، ابوعبدالرحمن صحابى من اكابرهم ،فضلاً وعقلاً ،وقرباً من رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم ، وأول من جهر بقراءة القرآن بمكة ، وكان خادم رسول اللّٰه الأمين وصاحب سره ، نظر إليه عمر يوماً وقال : وعاء ملىء علماً ، وولى بعد وفاة النبى صلى اللّٰه عليه وسلم بيت مال الكوفه ، ثم قدم المدينة فى خلافة عثمان فتوفى سنة (٣٢ هـ) .
ينظر : (صفة الصفوة / لابن الجوزى : ١٥٤/١) ،(والبيان والتبيان / للجاحظ : ٥٦/٢) ، (الاصابة / لابن حجر :٣٧٠/٢).

(٢) (أ) أخرجه البخارى فى صحيحه فى (كتاب التفسير – تفسير سورة الفرقان، باب قوله تعالى : " والذين لايدعون مع الله الها آخر ولايقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق) ،(رقم :٤٧٦١) ، (٩١/٦/٢)،بهذا اللفظ .
وفى (كتاب التفسير – سورة البقرة باب قوله تعالى :" فلا تجعلوا للّٰه اندادا") ،(رقم:٤٤٧٧)،(٢ / ١٦/٦) .
وفى (كتاب الأدب ، باب قتل الولد خشية أن يأكل معه) ، (رقم : ٦٠٠١) ، (٨/٨/٢) .
وفى (كتاب المحاربين ، باب اثم الزناة)، (رقم:٦٨١١) ، (١٣٧/٨/٢) .
وفى (كتاب التوحيد ، باب قول اللّٰه تعالىٰ : " يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك ") ،(رقم : ٧٥٣٢)، (٣/ ٩ /١٢٤ – ١٢٥).

(ب) وأخرجه مسلم فى صحيحه فى (كتاب الإيمان ،باب كون الشرك أقبح الذنوب) ،(رقم : ٨٦) ،(١ / ٩٠) .
=

وَنَزَلَتْ هٰذِهِ ٱلْآيَةُ تَصْدِيقاً لِقَوْلِ رَسُولِ ٱللَّهِ صلى الله عليه وسلم :(وَٱلَّذِينَ لَايَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَايَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ[(١)]) .

ومن بواعث الوأد الأخرى غير تلك التى أشار إليها القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف . أنهم يئدون البنات لمزيد الغيرة ومخافة لحوق العار بهم من اجلهن ، وكانوا يئدون من البنات من كانت زرقاء[(٢)] أو شيماء[(٣)] أو برشاء[(٤)] أوكسحاء[(٥)] تشاؤماً منهم بهذه الصفات . ومنهم من كان ينذر اذا بلغ بنوه عشره نحر واحدٍ منهم[(٦)] .

= (ج) وأخرجه ابوداود فى سننه فى (كتاب الطلاق ،باب تعظيم الزنا) ، (رقم : ٢٣١٠) ،(٢٩٤/٢) .

(د) وأخرجه الترمذى فى سننه فى (كتاب تفسير القرآن ،باب من سورة الفرقان) ،(رقم : ٣١٨٢ – ٣١٨٣) ،(٣٣٦/٥ – ٣٣٧) .

(١) سورة الفرقان الآية (٦٨) .

(٢) الزرقاء : أى بيِّنة الزَرَقِ . ينظر : (الصحاح / للجوهرى) ،(٤ / ١٤٨٩) .

(٣) شيماء : الشيم السُّود . وشام ويشيم اذ ظهرت بحلته الرقمه السوداء . ينظر : (لسان العرب /للامام ابى الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور) ،(ط : بدون) ،(الناشر : دار الفكر) ،(٣٢٩/١٢) .

(٤) برشاء : البرش لون مختلط حمرة وبياضاً أو غيرها من الالوان . ينظر : (النهاية فى غريب الحديث والأثر /للامام مجدالدين ابى السعادات المبارك محمد بن الجزرى ابن الأثير ،(٥٤٤ – ٦٠٦ هـ) ، (تحقيق / طاهر أحمد الزاوى ،ومحمود محمد الطناحى) ،(ط:بدون)، (الناشر : المكتبه العلمية – بيروت) ،(١١٨/١) .

(٥) كسحاء : داء يأخذ فى الاوراك فتضعف له الرجل ،والكسحاء العرجاء ، ينظر : (لسان العرب / لابن منظور) ،(٥٧١/٢) .

(٦) ينظر :
بلوغ الأرب فى معرفة احوال العرب / للسيد محمود شكرى الألوسى البغدادى ،عنى بشرحه وتصحيحه وضبطه / محمد بهجة الاثرى ،(ط: ٢)، (الناشر : عباس أحمد الباز المروة – مكة المكرمة)،(٤٢/٣ – ٤٦) .

(د) سلوك المرأة فى الجاهليه :

ما السلوك المنتظر من أمرأة فى ذلك الوضع المشين وكان لها ذلك المصير القاسى من أقرب الناس إليها وهو والدها ٠

فقد حذر القرآن الكريم من سلوك نفس مسلكها فقال عزّ وجلّ :

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾

(سورة الاحزاب ، الآية "٣٣")

فمن الواضح أنها عرفت بذلك،وكان من سماتها وصفاتها التبرج والسفور وإظهار للزينة،والتغنج فى السير،وترقيق الصوت،وإلى آخر ماهنالك من تبذل لذلك نهى المولى سبحانه النساء المؤمنات من الاتصاف بتلك الصفات السيئة لأنها من صفات المرأة الجاهلية ٠

ولقد أبطل الإسلام هذا السلوك بالحجاب والتستر والحشمة ٠ كذلك من السلوك القبيح الذى كانت تتصف به المرأة فى الجاهلية انها كانت تطوف بالبيت عريانة وقد ثبت ذلك فى صحيح مسلم [١] ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ [٢] قَالَ :كَانَتِ

(١) هو مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى النيسابورى ،أبوالحسين ، (٢٠٤ – ٢٦١ هـ) ،حافظ ، من أئمة المحدثين ،ولد بنيسابور ورحل الى الحجاز ومصر والشام والعراق ، وتوفى بظاهر نيسابور ،اشهر كتبه ،(صحيح مسلم) ٠
ينظر : (تاريخ بغداد : للخطيب البغدادى :١٠٠/١٣) ،(وفيات الاعيان / لابن خلكان : ٩١/٢) ٠

(٢) حبر الأمة وفقيه العصر وامام التفسير ،ابوالعباس عبدالله بن عباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم بن عبدالمطلب الهاشمى ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ،مولده بشعب بنى هاشم قبل الهجرة بثلاث سنين نشأ فى مكة المكرمة فصحب النبى صلى الله عليه وسلم ولازمه وحرص وهو لايزال غلاماً على معرفة أحوال النبى صلى =

الْمَرْأَةُ تَطُوفُ بِالْبَيْتِ وَهِيَ عُرْيَانَةٌ . فَتَقُولُ : مَنْ يُعِيرُنِي تِطْوَافاً ؟ تَجْعَلُهُ عَلَىٰ فَرْجِهَا . وَتَقُولُ :

الْيَوْمَ يَبْدُو بَعْضُهُ أَوْ كُلُّهُ ... فَمَا بَدَا مِنْهُ فَلَا أُحِلُّهُ (١).

فَنَزَلَتْ هَٰذِهِ الآيَةُ : خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ (٢).

وفى شرح هذا الحديث يقول الإمام النووى (٣) : (تِطوافا : بكسر التاء المثناه من فوق وهو ثوب تلبسه المرأة تطوف به وكان أهل الجاهلية يطوفون عراة ويرمون ثيابهم ويتركونها ملقاه على الأرض ولايأخذونها أبداً ويتركونها تداس بالأرجل حتى تبلى ، ويسمى اللقاء حتى جاء الإسلام فأمر اللّٰه تعالى بستر العورة وقال النبى صلى اللّٰه عليه وسلم " لَايَطُوفُ بِالْبَيْتِ

= الله عليه وسلم فى بيته ومما لايطلع عليه سائر الناس ،وكان يذهب الى الناس فى دورهم ،يسألهم عن العلم ،وكان متواضعاً فى طلبه للعلم ،وكان من اسباب قوة فهمه وإدراكه وغوصه على المعانى الدقيقة وسرعته حلة للمشكلات التى يحار منها ذوو الالباب ، دعاء النبى صلى اللّٰه عليه وسلم له بالفقه فى الدين والعلم بالتأويل . بقى فى مكة يعلم الناس ويفتيهم حتى توفى سنة (٦٨ هـ) رضى الله عنه .

ينظر : (نسب قريش / للزبيرى : ٢٦) ، (تقريب التهذيب/للعسقلانى : ١٧٦/١) ، (تفسير ابن عباس / د: عبدالعزيز الحميدى :(١/٦-٢٤ المقدمة) .

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه فى (كتاب التفسير ، باب قوله تعالى :"خذو زينتكم عند كل مسجد ") ، (رقم : ٣٠٢٨) ، (٢٣٢٠/٤) .

(٢) سورة الاعراف ، الآية (٣١) .

(٣) هو يحيى بن شرف النووى الشافعى ، ولد فى قرية " نوا " من قرى حوران وتوفى فيها ، (٦٣١ - ٦٧٦ هـ) كان علامة بالفقه والحديث ، تعلم فى دمشق ، وأقام بها زمناً طويلاً ،من كتبه التى لاغنى للعالم وطالب العلم عنها :(شرح صحيح مسلم) ، (المجموع شرح المهذب) ، (رياض الصالحين) .

ينظر : (تذكرة الحفاظ / للذهبى ١٤٧٠/٤) ، (طبقات الحفاظ للسيوطى : ٥١٠) ، (الدارس فى تاريخ المدارس / للنعيمى :٢٤/١) .

عُرْيَانٌ(١)) .

وقد ثبت ذلك أيضا فى الحديث عَنْ أَبِى(٢)هُرَيْرَةَ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : بَعَثَنِى أَبُوبَكْرٍ الصِّدِّيقُ(٣) فِى الْحَجَّةِ الَّتِى أَمَّرَهُ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ صلى اللَّه عليْه وسلم . قَبْلَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ فِى رَهْطٍ يُؤَذِّنُونَ فِى النَّاسِ يَوْمَ النَّحْرِ: لا يَحُجُّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ . وَلَايَطُوفُ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ(٤) .(٥) .

---

(١) شرح النووى على صحيح مسلم ، (ط : بدون) ،(الناشر : رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد - بالمملكة العربية السعودية) ، (١٦٢/١٨/٩ - ١٦٣) .

(٢) اختلف فى اسمه على أقوال كثيرة ، أصحها عبدالرحمن بن صخر ،(٢١ ق هـ - ٥٩)، واشتهر بكنيته ، اكثر الصحابة حفظاً للحديث فروى " ٥٣٧٤ " ولزم صحبة النبى صلى اللّه عليه وسلم ، وولى امرة المدينة مدة ، ولما صارت الخلافة إلى عمر آستعمله على البحرين ، ثم رآه لين العريكة مشغولاً بالعبادة عزله ،وكان يفتى وكان اكثر مقامه رضى الله عنه بالمدينة وتوفى فيها .
ينظر : (تهذيب الاسماء واللغات/للنووى :٢/٢٠٧) ،(تذكرة الحفاظ/ للذهبى : ٣٢/١) ،(شذرات الذهب / لابن العماد :٦٣/١).

(٣) هو عبداللّه بن أبى قحافة ،عثمان بن عامر التيمى القرشى ،صاحب رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم وأول الخلفاء الراشدين ،له فى مناصرة الإسلام وتثبيت أركانه مواقف مشهورة ،كان شجاعا حليما خطيباً ، توفى بالمدينة سنة (١٣ هـ) .
ينظر :(الطبقات الكبرى / لابن سعد :٢٦/٩ - ٢٧ فى الفهارس)،(منهاج السنه / لابن تيميه : ١١٨/٣) ،(تاريخ الخميس/ حسين بكر : ٢ / ١١٩) .

(٤) فهذا فيه إبطال لما كانت الجاهلية عليه من الطواف بالبيت عراة ، ينظر : (تعليق : محمد فؤاد عبدالباقى على صحيح مسلم)،(٩٨٢/٢).

(٥) أخرجه مسلم فى صحيحه فى (كتاب الحج ،باب لايحج بالبيت مشرك ولايطوف بالبيت عريان) ،(رقم : ١٣٤٧) ،(٩٨٢/٢) .

(هـ) زواج المرأة فى الجاهلية :

لم يكن للمرأة عند العرب الجاهليين معنوية ولاكرامة بل كانت فى نظرهم من سقط المتاع حيث إنها فى مجال الزواج لم يكن لها أى حق لتقرير مصيرها بنفسها أو حسب رأيها ، بل كانت تكره من قبل وليها على الزواج من أى رجل يرضاه ، رضيت به أم لم ترض ، ومن خلال إهانة واحتقار الولى لها من الطبيعى أن الزوج سيتصرف بها كيفما شاء ، وكان الولى يأخذ المهر ويصرفه على شؤونه الخاصة ولايعطيها أو ينفق عليها منه شيئا ، ولم يكن الزواج مجرد زواجٍ عادىٍ ، بل كان النكاح له صور متعددة ولم يكن من أجل الرغبة فى المرأة نفسها بل هى عندهم فى الغالب مستمتع للرجل ومكان للزرع فقط ، فليس لها كرامة أو رغبة شخصية فى شىء فألغوا إرادتها ، فإن ذلك غاية فى الامتهان والخسة حيث إنها سلبت جميع حقوقها ، ومن صور النكاح أيضاً عندهم أنه يزوج وليته بدون صداق وذلك بأن يزوجها مقابل أن يتزوج هو واحدة بواحدة وهو مايعرف بنكاح الشغار فنلاحظ من ذلك أن المرأة أصبحت صفقة تجارية بين شخصين فائدتها عائدة على الرجل ، كما أن هناك صوراً أخرى للنكاح جميعها تدل على ذلك الوضع المهين الذى سلبها شرعية التصرف المادى والمعنوى .

تقول السيدة عَائِشَةَ(١) رَضِىَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النِّكَاحَ فى الْجَاهِلِّيةِ كَانَ عَلَى أَرْبَعَةِ أَنْحَاءٍ ، فنِكَاحٌ مِنْهَا نِكَاحُ النَّاسِ الْيَوْمَ ، يَخْطُبُ الرَّجُلُ إِلَى الرَّجُلِ وَلِيَّتَهُ أَوِ ابْنَتَهُ فَيُصْدِقُهَا(٢) ثُمَّ يَنْكِحُهَا ، وَنِكَاحٌ آخَرُ : كَانَ الرَّجُلُ

---

(١) هى عائشة بنت أبى بكر ، الصديقه بنت الصديق ، أم المؤمنين حب رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم أفقه نساء المسلمين ، وأعلمهن بالدين والأدب ، من المكثرات فى الروايه عن الرسول صلى اللّه عليه وسلم . ولدت بمكة المكرمة قبل الهجرة بتسع سنوات ، وتوفيت سنة (٥٨ هـ) .
ينظر : (طبقات الحفاظ / للذهبى : ١٨) ، (خلاصة تذهيب الكمال / للخزرجى : ٣٨٧/٣) .

(٢) فيصدقها : من الصداق وهو مهر المرأة . ينظر : (النهاية فى غريب الحديث والاثر / لابن الأثير) ، (١٨/٣) .

يَقُولُ لِامْرَأَتِهِ : إِذَا طَهُرَتْ مِنْ طَمْثِهَا[١] : أَرْسِلِي إِلَى فُلَانٍ فَاسْتَبْضِعِي[٢] مِنْهُ ، وَيَعْتَزِلُهَا زَوْجُهَا وَلَايَمَسُّهَا أَبَداً ، حَتَّى يَتَبَيَّنَ حَمْلُهَا مِنْ ذَلِكَ الرَّجُلِ الَّذِي تَسْتَبْضِعُ مِنْهُ ، فَإِذَا تَبَيَّنَ حَمْلُهَا أَصَابَهَا زَوْجُهَا إِذَا أَحَبَّ ، وَإِنَّمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ رَغْبَةً فِى نَجَابَةِ الْوَلَدِ ، فَكَانَ هَذَا النِّكَاحُ نِكَاحَ الِاسْتِبْضَاعِ ، وَنِكَاحُ آخَرُ : يَجْتَمِعُ الرَّهْطُ مَادُونَ الْعَشَرَةِ فَيَدْخُلُونَ عَلَى الْمَرْأَةِ كُلُّهُمْ يُصِيبُهَا . فَإِذَا حَمَلَتْ وَوَضَعَتْ وَمَرَّ عَلَيْهَا لَيَالِى بَعْدَ أَنْ تَضَعَ حَمْلَهَا أَرْسَلَتْ إِلَيْهِمْ ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ رَجُلٌ مِنْهُمْ أَنْ يَمْتَنِعَ حَتَّى يَجْتَمِعُوا عِنْدَهَا ، تَقُولُ لَهُمْ قَدْ عَرَفْتُمُ الَّذِى كَانَ مِنْ أَمْرِكُمْ وَقَدْ وَلَدْتُ فَهُوَ ابْنُكَ يَافُلَانُ ، تُسَمِّى مَنْ أَحَبَّتْ بِاسْمِهِ فَيَلْحَقُ بِهِ وَلَدُهَا ، لَايَسْتَطِيعُ أَنْ يَمْتَنِعَ بِهِ الرَّجُلُ وَنِكَاحُ الرَّابِعِ : يَجْتَمِعُ النَّاسُ الْكَثِيرُ فَيَدْخُلُونَ عَلَى الْمَرْأَةِ لَاتَمْتَنِعُ مِمَّنْ جَاءَهَا ، وَهُنَّ الْبَغَايَا[٣] ، كُنَّ يَنْصِبْنَ عَلَى أَبْوَابِهِنَّ رَايَاتٍ تَكُونُ عَلَماً ، فَمَنْ أَرَادَهُنَّ دَخَلَ عَلَيْهِنَّ ، فَإِذَ حَمَلَتْ إِحْدَاهُنَّ وَوَضَعَتْ حَمْلَهَا جُمِعُوا لَهَا وَدَعَوْا لَهُمُ الْقَافَةَ ، ثُمَّ أَلْحَقُوا وَلَدَهَا بِالَّذِى يَرَوْنَ فَالْتَاطَ[٤] بِهِ وَدُعِيَ ابْنَهُ لَايَمْتَنِعُ مِنْ ذَلِكَ فَلَمَّا بُعِثَ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم بِالْحَقِّ هَدَمَ نِكَاحَ الْجَاهِلِيَّةِ كُلَّهُ إِلَّا نِكَاحَ النَّاسِ الْيَوْمَ[٥] .

---

(١) طمثها : أى حيضتها ،يقال طمثت المرأة تطمث طمثاً إذا حاضت ،ينظر: (النهاية فى غريب الحديث والأثر/ لابن الأثير)،(١٣٨/٣).

(٢) فاستبضعى : من البضع : الجماع ،وذلك أن تطلب المرأة جماع الرجل لتنال منه الولد فقط ،ينظر : النهاية فى غريب الحديث والأثر / لابن الأثير)،(١٣٣/١).

(٣) البغايا : جمع ومفردها بغى أى فاجرة ،يقال بغت المرأة تبغى بغاء - بالكسر - اذا زنت فهى بغى . ينظر : (النهاية فى غريب الحديث والاثر / لابن الأثير) ،(١٤٤/١) .

(٤) فالتاط به : نسب إليه واصل معنى لاط به : أى لزق به . ينظر:(النهاية فى غريب الحديث / لابن الأثير) ،(٢٤٩/٤ - ٢٥٠).

(٥) (أ) أخرجه البخارى فى صحيحه فى (كتاب النكاح ،باب الانكاح الابولى)، (رقم : ٥١٢٧) ،(١٤/٧/٣ - ١٥) ،واللفظ له .

(ب) وأخرجه أبوداود فى سننه فى (كتاب الطلاق ،باب فى وجوه النكاح التى كان يتناكح بها أهل الجاهلية)،(رقم : ٢٢٧٢)،(٢/ ٢٨١ - ٢٨٢) .

فمن خلال هذه الصور المتعدده اتضح لنا أن الزنا غير مستنكر عندهم بل متعارف عليه حتى إنهم يجبرون الفتيات عليه مما يدل على هبوط المستوى الأخلاقى عندهم وحب المال لأنهم يكرهونهن على ذلك طلباً له .

فلما جاء الإسلام نهى المسلمين عن ذلك فقال جلّ ذكره :

﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى الْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ (سورة النور ، الآية "٣٣")

وهناك صور أخرى غير تلك التى ذكرتها السيدة عائشة رضى اللّه عنها للنكاح منها :

نكاح المقت (نكاح الميراث) :

وهو أن يتزوج الولد من زوجة أبيه بعد مماته ، فقد كان من عادات أهل الجاهلية ، إذا مات الرجل قام أكبر أولاده ، فالقى ثوبه على امرأة أبيه ، وبذلك يصبح من حقه أن يرثه فى نكاحه ، فإن لم يكن له فيها حاجة زوجها من بعض إخوته بمهر جديد،وإن شاء حبسها حتى تموت أو تفتدى نفسها (١) .

وقد نهى اللّه سبحانه عن هذه الصورة من النكاح فقال جل شناوه : ﴿ وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ النِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ ﴾ (سورة النساء ،الآية "٢٢")

(١) ينظر : نهاية الأرب فى فنون الأدب / لشهاب الدين أحمد عبدالوهاب النويرى ،(ط : عام ١٩٤٣ م) ،(الناشر:المؤسسة المصرية) ،(١٢٠/٣) .

نكاح الشغار :

وهو الزواج الذى يتم عن طريق المبادلة ، وقد نهى عنه رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم فى الحديث الذى رواه عبداللّٰه (١) بن عُمَرَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمَا ، أَنَّ رَسُولَ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وسلم " نَهَى عَنِ الشِّغَارِ، والشِّغَارِ : أَنْ يُزَوِّجَ الرَّجُلُ ابْنَتَهُ ، عَلَى أَنْ يُزَوِّجَهُ الآخَرُ ابْنَتَهُ ، لَيْسَ بَيْنَهُمَا صَدَاقٌ(٢) " .

---

(١) هو عبدالله بن عمر بن الخطاب ، أسلم مع أبيه وهاجر ، راوية مكثر من الحديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، اشتهر بالحرص الشديد على اتباع السنه ، والاجتهاد فى العبادة ، ولد قبل الهجرة بعشر سنوات ، توفى سنة (٧٤ هـ) .
ينظر : (المحبر/ لابن حبيب البغدادى ؛٢٤، ٤٤٢) ، (جمهرة انساب العرب / لابن حزم : ١٥٢) .

(٢) (أ) أخرجه الامام مالك فى الموطأ فى (كتاب النكاح ، باب جامع مالايجوز من النكاح) ، (رقم : ٢٤) ، (٢/ ٥٣٥) .

(ب) وأخرجه البخارى فى صحيحه فى (كتاب النكاح ، باب الشغار) ، (رقم : ٥١١٢) ، (١٢/٧/٣) ، بهذا اللفظ .
وفى (كتاب الحيل ، باب الحيلة فى النكاح) ، (رقم : ٦٩٦٠) ، (٢١/٩/٣) .

(جـ) وأخرجه مسلم فى صحيحه فى (كتاب النكاح ، باب تحريم نكاح الشغار وبطلانه) ، (رقم : ١٤١٥) ، (١٠٣٤/٢) .

(د) وأخرجه أبوداود فى سننه فى (كتاب النكاح ، باب فى الشغار) ، (رقم : ٢٠٧٤) ، (٢٢٧/٢) .

(هـ) وأخرجه ابن ماجه فى سننه فى (كتاب النكاح ، باب النهى عن الشغار) ، (رقم : ١٨٨٣) ، (٦٠٦/١) .

(و) وأخرجه الترمذى فى سننه فى (كتاب النكاح ، باب ماجاء فى النهى عن نكاح الشغار) ، (رقم : ١١٢٤) ، (٤٣٢/٣) ، قال أبوعيسى حديث حسن صحيح .

(ز) وأخرجه أحمد بن شعيب بن على بن سنان بن دينار النسائى ، (ت : ٣٠٣) ، فى سننه ، (بشرح الحافظ جلال الدين السيوطى ، وحاشية الامام السندى) ، اعتنى به ورقمه ووضع فهارسه / الشيخ : عبدالفتاح أبوغدة ، (ط : ٢ - مصورة عن الطبعة الاولى سنة ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م) ، (الناشر : مكتب المطبوعات الاسلاميه - بحلب) ، (قامت بطباعته واخراجه دار البشائر الاسلامية للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت) .
فى (كتاب النكاح ، باب الشغار) ، (رقم : ٣٣٣٤) ، (٦/ ١١٠-١١١) .

وانتشر بين القبائل العربية تعدد الزوجات من غير قيد ولاضوابط ولانظام يدل على ذلك مارواه عَبْدُاللّٰه بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمَا ، أَنَّ غَيْلانَ(١) بْنَ سَلَمَةَ الثَّقَفِيَّ أَسْلَمَ وَلَهُ عَشْرُ نِسْوَةٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، فَأَسْلَمْنَ مَعَهُ فَأَمَرَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللّٰه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَتَخَيَّرَ أَرْبَعاً مِنْهُنَّ(٢).

فلما جاء الإسلام أقرّ(٣) نظام التعدد إلاّ أنه قيده ونظمه وضبطه فقال المولى جلّ جلاله : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴿٣﴾ ﴾

(سورة النساء ، الآية "٣") .

---

(١) هو غَيْلانَ بن سلمة الثقفي ،حكيم شاعر جاهلي ، أدرك الإسلام وأسلم يوم الطائف وكان أحد وجوه ثقيف ، انفرد في الجاهلية بأن قسم أعماله على الأيام ، فكان له يوم يحكم فيه بين الناس ، ويوم ينشد فيه شعره ، ويوم ينظر فيه إلى جماله ، وهو من وفد على كسرى وأعُجِب كسرى بكلامه ، توفي سنة (٢٣ هـ) .
ينظر : (المحبر / لابن حبيب : ٣٥٧) ،(الاستيعاب / لابن عبد البر بهامش الاصابه : ١٨٦/٣) .

(٢) (أ) اخرجه ابن ماجه الحافظ أبي عبداللّٰه محمد بن يزيد القزويني ، (٢٠٧ – ٢٧٥ هـ) في سننه ،تحقيق / الشيخ : محمد فوّاد عبدالباقي، (ط : عام ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م) ، (الناشر : دار التراث العربي ، في(كتاب النكاح ،باب الرجل يسلم وعنده اكثر من أربع نسوه) ، (رقم : ١٩٥٣) ،(٦٢٨/١) .

(ب) وأخرجه الترمذي في سننه في(كتاب النكاح ، باب ماجاء في الرجل يسلم وعنده عشر نسوة) ،(رقم : ١١٢٨) ،(٤٣٥/٣) ، قال أبوعيسى : والعمل على حديث غيلان بن سلمة عند اصحابنا منهم الشافعي وأحمد واسحق .واللفظ له .

(٣) لقد أقر الاسلام نظام التعدد ، ينظر : (ص : ٧٥٢– ٧٥٩) من البحث ، لمعرفة وجه الحكمة في ذلك .

(و) طلاق المرأة ونظام عدتها :

(١) الطـــــلاق :

من السهل جداً بعد ذلك أن نتصـــور الطـــلاق فى الجاهلية بعد أن عرفنا الأوضاع التى كانت عليها المرأة ، وطالما أن الزواج كـان من غير قيود وبصور متعدده ، كذلك الحال بالنسبة للطلاق ، فانه من غيـر قيود فكان الرجل المستهتر بالمرأة الكاره لها يطلقها كيف شاء فنجـده تارة يطلقها وأخرى يضمها إلى عصمته ويتلاعب بها دون أن يكون هناك عـدد للطلقات ولامراعاة للإنسانية .

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ كَانَ الرَّجُلُ يُطَلِّقُ امْرَأَتَهُ مَاشَـاءَ أنْ يُطَلِّقَهَا وَإِنْ طَلَّقَهَا مائَةَ أوْ اكْثَرَ إذَا ارْتَجَعَهَا قَبْلَ أنْ تَنْقَضِي عِدَّتَهَـا حَتَّى قَالَ الرَّجُلُ لِامْرَأتِهِ وَاللَّهِ لاَ أُطَلِّقُكِ فَتَبِينِي مِنِّي وَلاَ آوِيكِ إلَيَّ قَالَتْ: وَكَيْفَ ذَاكَ؟ قَالَ: أُطَلِّقُكِ وَكُلَّمَا قَارَبَتْ عِدَّتُكِ أنْ تَنْقَضِيَ ارتَجَعْتُكِ ثُمَّ أُطَلِّقُكِ فَشَكَـتْ الْمَرْأةُ ذَلِكَ إلَى عَائِشَةَ فَذَكَرَتْهُ لِلنَّبِيِّ صلى اللَّه عليه وسلم فَلَمْ يَقُلْ شَيْئـاً حَتَّى نَزَلَ الْقُرْآنُ(١) : ﴿ الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَن يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ ﴾ (سورة البقرة ، الآية "٢٢٩") .

---

(١) (أ) أخرجه الإمام مالك بن أنس فى الموطأ ، صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه / الشيخ محمد فؤاد عبدالباقى ، (ط : عام — ١٣٧٠هـ — ١٩٥١ م) ، (الناشر : دار التراث العربى) ، فى (كتـاب الطلاق ، باب جامع الطلاق) ، (رقم : ٨٠) ، (٥٨٨/٢) .

(ب) وأخرجه الترمذى فى سننه فى (كتاب الطلاق ، باب — ١٦ —) ، (رقم : ١١٩٢) ، (٤٩٧/٣) . =

وذلك للقيد والحدّ من هذا الضرر الذى كان يلحقه الرجل الجاهلى بالمرأة .

(٢) نظام عدتها :

نظام العدة فى الجاهلية فيه ضيق وشقاء وتعسف وعندما جاء الاسلام خفف عنها الأمر من الضيق الى السعة والدليل على ذلك حديث زينب (١) بنت

= (ج) وأخرجه الامام الحافظ أبى عبدالله الحاكم النيسابورى ، (ت:٤٠٥) ، وبذيله التلخيص / للحافظ الذهبى بإشراف / د: يوسف عبدالرحمن مرعشلى ، (ط : بدون) ، (الناشر : دار البار - مكة المكرمة) ، فى (٢٧٩/٢ - ٢٨٠) ، وقال هذا حديث صحيح الاسناد وأقرّه الذهبى واللفظ له .

(د) وينظر :

(١) الأم / أبوعبدالله محمد بن ادريس الشافعى (١٥٠-٢٠٤هـ) ، (ط : ١) ، (الناشر : دار الفكر - بيروت) ، (٥ / ١٢٤) .

(٢) شرح الزرقانى على موطأ الامام مالك / للعلامه محمد الزرقانى ، (صحة الطبعة وروجعت بمعرفة لجنة من العلماء ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م) ، (الناشر : دار الباز - مكة المكرمة) ، (٣ / ٢١٨) .

(٣) أسباب نزول القرآن الكريم / لأبى الحسن على بن الواحدى (ت : ٤٨٧ هـ) ، تحقيق / السيد أحمد صقر ، (ط : ٢ / ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م) ، (الناشر : دار القبلة للثقافة الإسلاميه) ، (ص : ٧٣) .

(١) هى زينب بنت عبدالله أبى سلمة بن عبدالأسد المخزوميه ، ربيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى ابنة أم المؤمنين أم سلمة ولدتها أمها فى الحبشة ، وكان اسمها برة فسماها النبى صلى الله عليه وسلم زينب ، وكانت من أفقه أهل زمانها توفيت بالمدينة سنة ٧٣ هـ وقيل ٦٣ هـ .

ينظر : (نسب قريش / للزبيرى : ص ٣٣٨) ، (الاستيعاب بهامش الاصابة / لابن عبدالبر : ٣١٩/٤) .

أَبِي سَلَمَةَ قَالَتْ سَمِعْتُ أمي أُمَّ سَلَمَةَ (١) تقول : جاءَتِ امْرَأَةٌ إلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلى اللَّه عَلَيْه وسلّم ، فَقَالَتْ يارَسُولَ اللَّهِ : إنَّ ابْنَتِي تُوُفِّيَ عَنْهَا زَوْجُهَا وَقَدِ اشْتَكَتْ عَيْنَهَا ، أَفَتَكْحُلُهَا ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلى اللَّه عَلَيْه وسلّم : لاَ ، مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاَثاً ، كُلَّ ذَلِكَ يَقُولُ لاَ ، ثُمَّ قال رَسُولُ اللَّهِ صَلى اللَّه عَلَيْه وسلّم : " إنَّمَا هِيَ أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ وَعَشْرٌ ، وَقَدْ كَانَتْ إحْدَاكُنَّ فِي الجَاهِلِيَّةِ تَرْمِي بالبَعَرَةِ عَلَى رَأْسِ الحَوْلِ " / قَالَ حُمَيْدٌ فَقُلْتُ لِزَيْنَبَ : وَمَاتَرْمِي بالبَعَرَةِ عَلَى رَأْسِ الحَوْلِ ؟ فَقَالَتْ زَيْنَبُ : كَانَتِ المَرْأَةُ إذَا تُوُفِّيَ عَنْهَا زَوْجُهَا دَخَلَتْ حِفْشاً (٢) وَلَبِسَتْ شَرَّ ثِيَابِهَا وَلَمْ تَمَسَّ طِيباً حَتَّى تَمُرَّ بِهَا سَنَةٌ ، ثُمَّ تُؤْتَى بِدَابَّةٍ حِمَارٍ أَوْ شَاةٍ أَوْ طَائِرٍ فَتَفْتَضُّ (٣) بِهِ فَقَلَّمَا تَفْتَضُّ بِشَيْءٍ إلاَّ مَاتَ ، ثُمَّ تَخْرُجُ فَتُعْطَى بَعَرَةً فَتَرْمِي ثُمَّ تُرَاجِعُ بَعْدُمَاشَاءَتْ مِنْ طِيبٍ أَوْ غَيْرِهِ (٤).

---

(١) هى هند بنت سهيل المعروف بأبى أمية ويقال أسمه : حذيفه ويعرف بزاد الراكب ابن المغيرة القرشية المخزومية ، (٢٨ ق هـ - ٦٢هـ) ، زوج النبى صلى اللّه عليه وسلم تزوجها فى السنة الرابعة للهجرة كانت رضى اللّه عنها من أكمل النساء عقلاً وخلقاً روت عن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم كثير من الأحاديث توفيت بالمدينه واختلف فى وفاتها قيل سنة " ٦٢ " ، وقيل " ٥٩ " .

ينظر : (السمط الثمين / للمحب الطبرى : ٨٦) ، (نهاية الأرب / للنويري: ١٧٩/١٨) ، (مرآت الجنان / لليافعى : ١٣٧/١) .

(٢) حفشاً : الحفش البيت الصغير الذليل القريب السمك سمى به لضيقه ، والتحفش : الانضمام والاجتماع ، ينظر : النهاية فى غريب الحديث والأثر / لابن الأثير) ، (٤٠٧/١) .

(٣) فتفتض : أى تكسر ماهى فيه من العدة ، بأن تأخذ طائر فتمسح به فرجها وتنبذه فلا يكاد يعيش ، ينظر :(النهاية فى غريب الحديث والأثر / لابن الأثير) ، (٤٥٤/٣) .

(٤) (أ) أخرجه الامام مالك فى الموطأ فى (كتاب الطلاق ، باب ماجاء فى الاحداد) ، (رقم : ١٠٣) ، (٥٩٧/٢ - ٥٩٨) .

(ب) وأخرجه البخارى فى صحيحه فى (كتاب الطلاق ، باب تحد المتوفى عنها أربعة أشهر وعشراً) ، (رقم :٥٣٣٦ - ٥٣٣٧) (٥١/٧/٣-٥٢) ، بهذا اللفظ .

وفى (كتاب الطلاق ، باب الكحل للحاده) ، (رقم : ٥٣٣٨) ، (٥٢/٧/٣) .

(جـ) وأخرجه مسلم فى صحيحه فى (كتاب الطلاق ، باب وجوب الاحداد فى عدة الوفاة وتحريمه فى غير ذلك الا ثلاثة ايام) ، (رقم : ١٤٨٨ - ١٤٨٩) ، (١١٢٤/٢ - ١١٢٥) . =

يالها من عادات ظلومة جهولة حتى فى عدتها لم تسلم من العناء والمشقة والضيم ، فهى وحدها التى تكابد وتتحمل تلك العادات والتقاليد السيئة .

= (د) وأخرجه أبوداود فى سننه فى (كتاب الطلاق ، باب إحداد المتوفى عنها زوجها) ،(رقم : ٢٢٩٩) ،(٢٩٠/٢) .

(هـ) وأخرجه الترمذى فى سننه فى (كتاب الطلاق ، باب ماجاء فى عدة المتوفى عنها زوجها) ، (رقم : ١١٩٧) ،(٥٠١/٣) ، قال أبوعيسى حديث زينب حديث حسن صحيح .

(و) وأخرجه النسائى فى سننه فى (كتاب الطلاق ، باب ترك الزينة للحادة المسلمة دون اليهودية والنصرانية) ، (رقم : ٣٥٣٣)، (٦ / ٢٠١ – ٢٠٢) .

وفى (كتاب الطلاق ، باب النهى عن الكحل للحاده) ، (رقم : ٣٥٣٨) ، (٢٠٥/٦) .

(ز) حقها فى التملك :

المرأة فى العصر الجاهلى مستعبدة تباع وتشترى لا رأى لها فهى فى نظرهم لاتستحق إلا القسوة والاحكام الجائرة ، فكيف نتوقع أن يكون لها حق فى الملك وهذا ماحصل فعلاً ، فليس لها أى حق ثابت فى الملك ، ومما يدل على ذلك قول عمر(١) بن الخطاب رضى اللّٰه عنه : (واللّٰه إن كنا فى الجاهلية مانعد للنساء أمراً ، حتى أنزل اللّٰه فيهن ماأنزل وقسم لهن ماقسم(٢)) .

(فالمرأة عندهم حكمها كحكم الصغار فلا ترث ولاتملك ، فكانوا فى الجاهلية لايورثون النساء ولا الصغير وان كان ذكراً ، انما يورثون الرجال الكبار ، وكانوا يقولون لايعطى إلا من قاتل على ظهر الخيل وحاز الغنيمة(٣)) .

بل إن الأدهى من ذلك والأمرّ منه أنهم لايكتفون بالحرمان من الملك والميراث فقط بل إنهم يمتلكونها ويرثونها كباقى المتاع والأموال .

فقد روى عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ انه قَالَ : كَانُوا إِذَا مَاتَ الرَّجُلُ كَانَ أَوْلِيَاؤُهُ أَحَقَّ بِامْرَأَتِهِ إِنْ شَاءَ بَعْضُهُمْ تَزَوَّجَهَا ، وإِنْ شَاؤا زوجوها ،

---

(١) هو عمر بن الخطاب بن نفيل القرشى العدوى ثانى الخلفاء الراشدين، وأول من لقب بأمير المؤمنين ، صحابى جليل ، بلغ من الشجاعة ، والحزم والعدل ، والعبادة ، والعلم ، مبلغاً عظيماً ، فتحت فى عهده الفتوحات ، وانتشر الإسلام ، ولد بمكة قبل الهجرة بـ (٤٠)سنة ، وتوفى فى المدينة سنة (٢٣) هجرية شهيداً ، قتله أبو لؤلؤة المجوسى .
ينظر : (الكاشف / للذهبى : ٢ / ٣٠٩) ، (طبقات الحفاظ / للسيوطى : ٨) ، (خلاصة تذهيب الكمال / للخزرجى : ٢ / ٢٦٨) .

(٢) عودة الحجاب / جمع وترتيب : محمد أحمد اسماعيل المقدم ،(ط:بدون)، (الناشر : دار طيبة - الرياض) ، (٤٩/٢) .

(٣) اسباب نزول القرآن / لابى الحسن على بن الواحدى ، (ص : ١٣٨) .

وان شاؤا لم يزوجوها ، فهم أحق بها من أهلها [1] ،فنزلت هذه الآية :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾ ﴾

(سورة النساء ،الآية رقم "١٩")

هذه نظرة موجزة القيناها على وضع المرأة فى الجاهلية فتبين لنا أنهم ينظرون اليها نظرة ازدراء تعتبر ملكاً للرجل وله الحق فى أن يحرمها من كل شئ ويطلقها متى أراد ، ولافرق بينها وبين الحيوان الأعجم، فالرجل يأمر وهى تتلقى الأوامر ، وتنفذها صاغرة وليس لها حق الاعتراض .

هذه هى الحالة الغالبة للنساء فى الجاهلية إلا أن هناك بعض النساء كان لهن نصيب وحظوة اجتماعية فى ذلك العصر ، لكن هذا النفر القليل من النساء اللاتى نلن هذه المكانة العظيمة لا يلغى الحالة العامة التى كانت تعيشها أكثر نساء الجاهلية من الامتهان والاستبعاد فى شتى مجالات حياتها ، وهذا هو المعروف عن المرأة فى الجاهلية .

---

(١) (أ) أخرجه البخارى فى صحيحه فى (كتاب التفسير - تفسير سورة النساء ، باب قوله تعالى : " لايحل لكم أن ترثوا ...) ،(رقم : ٤٥٧٩) ، (٢ / ٧ / ٣٧) ، بهذا اللفظ .
وفى (كتاب الاكراه ، باب من الاكراه) ، (رقم : ٦٩٤٨) ، (١٩/٩/٣) .

(ب) وأخرجه ابوداود فى سننه فى (كتاب النكاح ، باب قوله تعالى : " لايحل لكم أن ترثوا النساء ....) ، (رقم : ٢٠٨٩) ، (٢ / ٢٣٠) .

الثاني - المرأة في الإسلام وبعض مظاهر تكريمها ويحتوي على :

أ - كرامتها في جميع مراحل حياتها . " بنتاً - وزوجة وأماً "

ب - تقرير الإسلام لإنسانيتها واعتبار مسئوليتها

ج - أهليتها الاجتماعية .

د - إحترام ملكيتها .

هـ - أمان المرأة للحربيين .

و - مسئوليتها العامة فيما يختص بالدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وحدود دائرتها .

الثانى: المرأة في الإسلام :

إن النور الإلهى الذى أضاء العالم بأسره ، كان يتسم بالشمول والكمال ، ويبتعد عن النقص والجزئية فى نظرته الى المخلوقات بأسرها ، ويعنى بالإنسان باعتباره المخلوق المميز الذى وقع عليه عبء الخلافة فى هذه الأرض ، ومن هذين الاعتبارين : الشمول والاستخلاف تأخذ المرأة مكانها باعتبارها شريكاً للرجل ، فى مهمة الخلافة اذ لايقوم العمران وتمتد الحياة إلا بهما متعاونين متكاملين ، لهذا خاطبهما الله عز وجل بقوله :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾

(سورة النساء ، الآية "١")

فالمجتمعات والديانات الأخرى التى أسلفنا الحديث عنها أجحفت فى حق المرأة وحادت عن جادة الحق والإنصاف فى النظرة اليها ... فالإسلام جاء ليخلص المرأة من الاغلال التى قيدتها والتفريط الذى مسخها ، والإجحاف الذى نزل بها (1) وصدق الله حيث قال : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾

(سورة الاعراف ، الآية "١٥٧")

---

(١) ينظر : الإسلام وبناء المجتمع /د: أحمد محمد العسال ، (ط : ١٣٩٥/١هـ – ١٩٧٥ م) ، (الناشر : دار القلم) ، (ص : ١٥٥)

فالإسلام عند بزوغه ضمن للمرأة حريتها المستمدة من عبوديتها لله ، وهذه العبودية هى أرقى مراتب الحرية ، فالمرأة حين تتوجه للّه وحده تتحرر من كل سلطان ، لأنها لاتوجه قلبها إلا للّه ، ولاتتضرع وتخضع وتطأطىء رأسها إلا لمن منحها تلك الحرية فكان ولاؤها له وحده دون أحد سواه .

(لهذا كان من حكمة الإسلام وأصالته أنه حين عرض لتقرير مكانة المرأة فى الحياة عرض له على أساس الواقع من تقديمها أو تكوينها الفطرى ، الجامع لخصائصها الروحية والحسية ... فأعلن إنسانيتها التى تستوى فيها مع الرجل ، وأعلن وصفها الخاص الذى تنفرد به عنه باعتبارها أنثى ... وفى تشريعه لكل من هذين الوضعين لم يقصر بها عن الوضع الذى قررته الفطرة لإنسان ، ولم يجاوز بها المدى الذى رسمته الطبيعة[1] لأنثى[2]) .

لذا أرى أنه من الأجدر فى هذه العجالة أن أعرض بايجاز لبعض معالم الوصف العام للمرأة المسلمة نظراً لضيق المقام ، حيث إن من مقتضياته مايناسب موضوع بحثنا الذى سنتحدث عنه إن شاء اللّه تعالى .

أما بالنسبة للوصف الخاص فلن استطيع التحدث عن أي معلم من معالمه وذلك للاسباب الآتية :

(١) كما سبق وقلت انه لن يتسع المقام لهذا .

(٢) لأن الوصف الخاص قد فُصل الحديث فيه وفى إيضاح معالمه الكثيرة من طلاب العلم والكتاب ، كالزواج والطلاق والأمومة ونحوها والحجاب ومايتعلق به من آداب وشروط ، والاختلاط والسفور ومضارهما ،وإجمال مالها من حقوق وماعليها من واجبات وغير ذلك مما يختص بالمرأة المسلمة .

---

(١) الطبيعة مخلوق فكان الأفضل أن يقول :(الذى رسمه الخالق تعالى للأنثى .) حيث ان التعبير " بالطبيعة " اساساً غير صحيح. ولا ادرى كيف تكون مثل هذه السقطه من الشيخ : البهى الخولى ؟! .

(٢) الاسلام والمرأة المعاصرة/ للشيخ : البهى الخولى ،(ط : ١٤٠٤/٤هـ - ١٩٨٤ م) ،(الناشر : دار القلم الكويت) ،(ص : ١٥) .

(أ) كرامتها فى جميع مراحل حياتها " بنتاً وزوجةً وأماً " :

بعد تحريم الإسلام للوأد وتشنيعه على القائمين به واستنكاره منهم أحل محله المحبة والفرح والسرور بولادة الأنثى وحث على حسن تربيتها ورغب فى العناية بها وأمر الأزواج بالنفقة على المولود وهو جنين ذكراً كان أو انثى فقال المولى عز وجل :

﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِن كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾ ﴾ (سورة الطلاق ، الآية "٦")

ففى هذه الآية يفرض على الوالد النفقه على زوجته المطلقة بحيث يكفل للأم الغذاء المناسب ليتغذى منها الجنين وبالطبع يكون إنفاقه على زوجته غير المطلقة من باب أولى .

ثم بعد الولادة تبدأ الرضاعة ، فيوجب الإسلام على المولود له النفقة ليأخذ الرضيع حقه من الغذاء الكافى والرضاعة اللازمة .

(فالرضاع هو غذاء الطفل فهو نفقته ، ويجب أجره على من تجب عليه نفقته وهو الأب[1]) .

ولم يكن ذلك عارضاً إنما هو اهتمام نابع من صميم هذا الدين حتى إننا نراه اهتماماً دقيقاً بدليل أنه عز وجل بين المدة التى تستحق المرضعة النفقة فيها ، ولبيان انها هى المدة الكافيه التى يحتاجها المولود للرضاعة ، بالإضافة إلى لفت النظر إلى الرضاعة الطبيعية وأنها ذات مزايا كثيره لايمكن توافرها فى اى نوع من الغذاء ، وهذا ما اكتشفه العلم مؤخراً بعد مضى أربعة عشر قرناً من نزول الآيات الكريمة قال جلّ

---

(١) الإسلام والأسرة والمجتمع / د: محمد سلام مدكور ،(ط : ١ / ١٣٨١ هـ - ١٩٦٨ م) ،(الناشر : دار النهضة العربية - القاهرة)،(ص : ١٥٠) .

ذكره : ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾ ﴾

(سورة البقرة ، الآية "٢٣٣")

ليس فقط الوالد الذى أوجب اللّه عليه العناية بالأبناء وهم صغار ، بل الوالدة أيضاً فكما أنه جعل النفقه على الأب ، كذلك جعل الحضانة على الأم فى حال افتراقهما ، لاحتياجه فى هذه الفتره؛لها لهذا قدمت الأم فى الحضانة رعاية لمصلحة الطفل .

يقول الدكتور . محمد سلام مدكور فى الحكمة فى جعل احتضان الصغير حقاً للأم : (لأن الله سبحانه وتعالى منح الأم حباً لأطفالها لايقف عند حد ، وتعلقاً بهم يجعلها تفنى فى سبيل الحفاظ عليهم،والعناية بهم،غير عابئة بجهد أو مشقه دون ملل أو كلل . وقد أسند الشارع الحضانة للأم فى الفترة التى يكون الصغير محتاجاً إلى خدمة النساء،مراعاة لتوفر الحنان عند النساء بصفة عامة ، ومن الأم على وجه خاص فهى أقدر بسبب ذلك على تحمل السهر به والصبر عليه . وأحفظ له وأحمد عاقبة . ولذا فان الشارع لايعدل عنها فى حضانة الصغير إلاّ لضرورة ملجئة فإذا بلغ الصغير أو الصغيرة سناً يستغنى فيه عن خدمة النساء فإن الإشراف الكامل يكون للأب ، أو من يقوم مقامه لأن الطفل بعد مرحلة الطفولة يحتاج إلى من يوجهه ويصونه من أي انحراف أو فساد والأب أقدر فى هذا[(١)]) .

---

(١) المرجع السابق نفسه ،(ص: ١٥٥ — ١٥٦) .

مما تقدم نرى مدى عناية الإسلام بالمولود جنينا ورضيعاً وطفلاً ، وأين هذا من ذلك الجنين الذى لايكاد يرى النور ولايتنفس إلا وقد واراه التراب ؟ يالها من رعاية متكاملة عادلة للمولود ذكراً كان أم انثى ، أما بالنسبة للأنثى فقد أولاها عناية خاصة ، لأنها كما نعلم كانت محل كراهية فى الجاهلية لذلك نجده حث عليها بصفة خاصة ، وشجع على حسن تربيتها فقد جاء فى الحديث الذى رواه أَنَس(١) بْن مَالِكٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللّٰهِ صلى اللّٰه عليه وسلّم : " مَنْ عَالَ(٢) جَارِيَتَيْنِ حَتَّىٰ تَبْلُغَا ، جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَا وَهُوَ ، وَضَمَّ أَصَابِعَهُ(٣) " .

وأى شىء أعظم وأحسن من هذه الجائزة التى ينالها من يعول جاريتين " إنها الجنة " وبصحبة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فهل ينتظر هذا العائل أن يجد أجراً أحسن منه . علما بأن " الاعالة " ليست مجرد توفير

---

(١) هو أنس بن مالك ابن النَّضْر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جُنْدُب بن عامر بن غَنْم بن عدى بن النجار ، خادم رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم ، الإمامُ ، المفُتى ، المُقرىء ، المحدث ، رأوية الإسلام ، من المكثرين فى الرواية عن الرسول عليه الصلاة والسلام دعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بكثرة المال والولد ، أختلف فى وفاته فقيل سنة (٩١) ، وقيل (٩٢) وقيل (٩٣) وهو آخر من توفى بالبصرة من الصحابة رضى الله عنهم جميعاً .
ينظر : (أسد الغابة / لابن الأثير : ١٢٧/١ - ١٢٨) ، (سير أعلام النبلاء / للذهبى : ٣٩٥/٣ - ٤٠٦) ، (البداية والنهاية / لابن كثير : ٨٨/٩) ، (شذرات الذهب / لابن العماد : ١٠٠/١ - ١٠١) .

(٢) عال : مأخوذ من العول بمعنى عالهما أى قام عليهما بالمؤنة والتربية ونحوها . ينظر : (تعليق محمد فؤاد عبدالباقى على صحيح مسلم) ، (٢٠٢٨/٤) .

(٣) (أ) أخرجه مسلم فى صحيحه فى (كتاب البر والصلة والآداب ، باب فضل الاحسان الى البنات) ، (رقم : ٢٦٣١) ، (٢٠٢٧/٤ - ٢٠٢٨) واللفظ له .
(ب) وأخرجه الترمذى فى سننه فى (كتاب البر والصلة ، باب فى النفقه على البنات) ، (رقم : ١٩١٤) ، (٣١٩/٤) .

الغذاء والكساء فقط إنما لابد أن تكون الإعالة تشمل التربية الصالحة التى تؤهل الفتاة للقيام بمسؤولياتها تجاه ربها أولاً ثم تجاه جميع أفراد مجتمعها وليست فقط الإعالة خاصة بالبنات إنما هى تشمل كل الاناث من بنات وأخوات بدليل قوله " جاريتين ".

ولهذا نجد الإسلام أراد أن يجتث آثار تلك الجاهلية ويستأصلها من الناحية النفسيه والعملية بإبطال كل مايترتب عليها فاستخدم أسلوب الحث والترغيب فى الجنة لعلمه أن المؤمن يريد أى شئ يقربه منها لهذا نجده وضع لها الضمانات ليسمو بها ويعلى مكانتها ويحافظ على مشاعرها .

فعن عائِشَةَ رَضِيَ اُللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : دَخَلَتِ آمْرَأَةٌ مَعَهَا اُبْنَتَانِ لَهَا تَسأَلُ ، فَلَمْ تَجِدْ عِنْدِي شَيْئاً غَيْرَ تَمْرَةٍ فَأَعْطَيْتُهَا إِيَّاهَا ، فَقَسَمَتْهَا بَيْنَ اُبْنَتَيْهَا ، وَلَمْ تَأْكُلْ مِنْهَا ، ثُمَّ قامَتْ فخَرَجَتْ ، فَدَخَلَ النَّبِيُّ صلى اللّه عليه وسلمَ عَلَيْنَا فَأَخْبَرْتُهُ ، فقَالَ : " مَنِ اُبْتُلِي(١) مِنْ هٰذِهِ اُلْبَنَاتِ بِشَيْءٍ كُنَّ لَهُ سِتْراً مِنَ النَّارِ(٢) "

ومن فرط عناية الإسلام بالمرأة لم يكتف بتلك الحوافز التى جعلها لمن يوليها عناية ورعاية وهي فى شبابها بل إنه سما بها زوجةً وجعل لها مكانة عالية فى نفس الرجل بعد أن كانت فى يوم من الأيام دنساً ورجساً يجب التنزه منه، فكرمها ، وأسبغ على حياتهما معنىً رائعاً فقال تعالى

---

(١) ابتلى : إنما سماه ابتلاء ، لأن الناس يكرهونهن فى العادة. ينظر (تعليق محمد فؤاد عبدالباقى على صحيح مسلم) ، (٢٠٢٧/٤) .

(٢) (أ) أخرجه البخارى فى صحيحه فى (كتاب الزكاة ، باب اتقوا النار ولو بشق تمرة) ، (رقم : ١٤١٨) ، (٩٤/٢/١) ، بهذا اللفظ .
وفى (كتاب الأدب ، باب رحمة الولد وتقبيله) ، (رقم : ٥٩٩٥) ، (٧/٨/٣) .
(ب) وأخرجه مسلم فى صحيحه فى (كتاب البر والصلة والآداب ، باب فضل الإحسان إلى البنات) ، (رقم : ٢٦٢٩) ، (٢٠٢٧/٤) .
(ج) وأخرجه الترمذى فى سننه فى (كتاب البر والصلة ، باب ماجاء فى النفقه على البنات) ، (رقم : ١٩١٥) ، (٣١٩/٤ - ٣٢٠).

ممتناً عليهما ومعلياً لشأن الرابطة الزوجية :

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ (سورة الروم ، الآية "٢١")

ففى هذه الآية (تذكير للزوجين معاً بمدى مافى هذه الحياة من هدوء وسكينة واستقرار ، على أساس ما أوجده فيهما من قابلية التواد والتراحم، وحيث توجب عليهما بطبيعة الحال أن يفهماها ويمارساها على هذا الوجه ، وتوجب عليهما أن يكون أساس المودة والرحمة التى تقوم عليه متقابلاً فى الممارسة والفهم والشعور على قدم المساواة [(١)]) .

والرسول الكريم صلى الله عليه وسلم لايفتأ يحث الأزواج على العناية والاهتمام بزوجاتهم ،وكان هو المثل الأعلى فى ذلك والقدوة لهم ، فعَنْ أبى هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : " أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانـاً أحسَنُهُمْ خُلُقـاً . وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ خُلُقـاً [(٢)] " .

إن عناية الإسلام بالمرأة تظهر واضحة جلية فى الآيات والاحاديث المتقدمة ،وغيرها كثير، فقد رأينا كيف رعاها الإسلام وهى جنين ورضيع وطفلة وشابة وزوجة ، ومازال يشيد بالمرأة وينهض بأمرها ويرفع من شأنها فصار يحث على البرّ بها أمّاً ،ويحذر من العقوق ووباله ،فأوصى فى مواضع كثيره

---

(١) المرأة فى الإسلام بنتاً ـ زوجة ـ أماً / الدكتوره ليلى حسن سعدالدين، (ط : عام / ١٩٨٤ م) ،(الناشر : دار الفكر ـ عمان) ، (ص : ١١) .

(٢) (أ) أخرجه ابوداود فى سننه فى (كتاب السنه ، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه) ،(رقم : ٤٦٨٢) ،(٤/ ٢٢٠) .
(ب) وأخرجه الترمذى فى سننه فى (كتاب الرضاع ، باب ماجاء فى حق المرأة على زوجها) ، (رقم : ١١٦٢) ،(٣ / ٤٤٦)،واللفظ له ، قال ابوعيسى : حسن صحيح .

من نصوص الكتاب والسنة بالإحسان إلى الوالدين،وقرنه بعبادته،والنهى عن الشرك به،وخص الأم بالذكر فى الوصايا ليذكر بزيادة حقها على حق الأب فمن هذه النصوص قوله جلّ شناؤه : ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾

(سورة لقمان ، الآية "١٤")

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : جاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى اللَّه عليه وسلمّ ، فَقَالَ يارَسُولَ اللَّهِ : مَنْ أَحَقُّ بِحُسْنِ صَحَابَتِي ؟ قَالَ :"أُمُّكَ"، قَالَ : ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ : " أُمُّكَ " ، قَالَ : ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ : " أُمُّكَ " ، قَالَ : ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ : " ثُمَّ أَبُوكَ(١) " .

فالدين الإسلامى اهتم بالمرأة فى جميع مراحل حياتها لذلك نراه يحث على حبّ الأنثى والابتهاج بها ليقتلع الكره،وليغرس بدلاً عنه الحبّ والموده والرحمة بها والشفقة عليها ، فمن ذلك نتبين أن الإسلام حفظ للمرأة كرامتها التى كانت مهدرة واوجد لها كيانها وشخصيتها وأعطاها قدراً كبيراً من القيمة لعلمه أنها سلاح ذو حدين ، فإن اوليت عناية خاصة وتربية إسلامية صحيحة فإنه سيكون لها دور رائع فى بناء الصرح الإسلامى فتنتفع(٢) الأمة بهذا الحدّ النافع من سلاح المرأة ، وإن اهينت واهملت فانها ستجرح(٣) بالحد المهلك من سلاحها .

---

(١) (أ) أخرجه البخارى فى صحيحه فى (كتاب الأدب ، باب من أحق الناس بحسن الصحبة) ، (رقم : ٥٩٧١) ،(٣/٨/٣)،واللفظ له .

(ب) وأخرجه مسلم فى صحيحه فى (كتاب البر والصلة والآدب ،باب برّ الوالدين وانهما احق به) ،(رقم : ٢٥٤٨) ،(١٩٧٤/٤).

(٢) وقد كان لنساء السلف الصالح دور رائع سوف نتحدث عنه فى النماذج التطبيقية من الباب الثالث إن شاء اللّه .

(٣) وهذا مارأيناه فعلاً فى العصور القديمة كالحضارة اليونانية .

(ب) تقرير الإسلام لإنسانيتها واعتبار مسؤوليتها :

أشرق نور الإسلام على أرجاء العالم وشمل نوره الساطع المرأة فقرر لها حقوق واعتبارات ليزيل عنها ذلك الهوان الذي لاقته في حقبة من الزمن وأبطل كل مايترتب عليه اضرار بها ففي ظل الإسلام تقف بين يدى عادل أمين جعلها قسيمة الرجل في الإنسانية لها حقوق وعليها واجبات تلائم فطرتها التي فطرها الله عليها ، لذلك نجد أن من حاولت بعد ذلك أن تطالب بغير حقوقها الشرعية تخرج عن فطرتها الأصلية ، فيعود عليها ذلك بالويل والثبور لأن المشرع هو أعلم بما يصلح لعباده من ذكور واناث .

فاعتبر مسؤوليتها فوجه الخطاب لها في التكليف كالرجل سواءً بسواء

فقال جل جلاله : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ ﴾

(سورة المدثر ، الآية "٣٨")

وقال تعالى ذكره : ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ ﴾

(سورة النجم ، الآية "٣٩")

والنفس هذه التي وجه إليها الخطاب تشمل الذكر والأنثى ، فالمرأة مرهونة بكل تصرفاتها والرجل كذلك مرهون بتصرفاته ، فلا يحمل أحدهما تبعة الآخر . أي لاتفاضل بينهما من الجانب الإنساني إنما التفاضل يكون بالقدر الذي يكتسبه الإنسان من صفات ترقى به الى المستوى الفاضل السامي لذلك قال جل ثناؤه : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ (سورة الحجرات ، الآية "١٣")

قال الشيخ محمود شلتوت ماملخصه :

(ولانعرف بينها وبين الرجل فارقاً دينياً في التكليف وأهليته ، سوى أن التكليف يلحقها قبل أن يلحق الرجل ، وذلك لوصولها بطبيعتها الى مناط التكليف وهو البلوغ قبل أن يصل الرجل إليه .

نعم رفع الإسلام عنها الإلزام ببعض التكاليف ، لا لأنها غير أهل لها ولو فعلتها لم تقبل منها ولم تثب عليها ، ولكن أبيح لها تركها تخفيفاً عنها ، وترخيصاً لها ٠

فالمرأة طالما إنها تتصف بالعقل والإدراك والفهم فهى إذن منفصلة ومستقلة استقلالاً تاماً عن الرجل فى مسؤوليتها ، فإن قامت بهذه المسؤولية على أكمل وجه ، فإنها ستنال الأجر والمثوبة من الله تعالى ، وإن اهملت فى مسؤوليتها فإنها تستحق العقاب(١) ٠

فالمثوبة والعقوبة عند المولى سبحانه معقودة بما يكون منها من طاعة أو معصية لهذا نجد الرسول صلى الله عليه وسلم وهو خير خلق الله يحذر أقرب الناس إليه ٠ فيقول فى الحديث الذى رواه أَبُوهُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم حِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ : (وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ(٢)) قَالَ : يَامَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا : اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً ، يَابَنِي عَبْدِ مَنَافٍ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً ، يَاعَبَّاسُ ابْنَ عَبْدِالْمُطَّلِبِ ، لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَيَاصَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً ، وَيَافَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم ، سَلِينِي مَاشِئْتِ مِنْ مَالِي لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً(٣) " ٠

---

(١) الإسلام عقيدة وشريعة / للامام محمود شلتوت ، (ط : ٢) ، (الناشر: دار القلم ــ بالقاهرة) ، (ص : ٢٤٩) ٠

(٢) سورة الشعراء ، الآية (٢١٤) ٠

(٣) (أ) أخرجه البخارى فى صحيحه فى (كتاب التفسير ــ تفسير سورة الشعراء ــ باب قوله تعالى : " وانذر عشيرتك الأقربين) ، (رقم : ٤٧٧١) ،(٩٣/٦/٢) ، بهذا اللفظ ٠

وفى (كتاب الوصايا ، باب هل يدخل النساء والأولاد فى الأقارب) ، (رقم : ٢٧٥٣) ، (٦/٤/٢) ٠

وفى (كتاب المناقب ، باب من انتسب الى آبائه فى الإسلام والجاهلية) ،(رقم : ٣٥٢٥ ــ ٣٥٢٦ ــ ٣٥٢٧) ، (١٤٧/٤/٢ ــ ١٤٨) ٠

(ب) وأخرجه مسلم فى صحيحه فى (كتاب الإيمان ،باب قوله تعالى : " وانذر عشيرتك الأقربين ") ،(رقم : ٢٠٦) ،(١٩٢/١) =

فهذا نبى الهدى والرحمة يحذر وينذر أقرب الناس إليه ويدعوهم للدين ويبين لهم أنه لن يغنى عنهم من اللّٰه شيئاً ، ومما له مغزاه فى هذا المقام أن جميع الأواصر والروابط والعلاقات تنقطع بحبائل الشرك والكفر والعداوة للّٰه ورسوله ، فموالاة المؤمنين أو قاعدة الولاء والبراء فى الإسلام إنما تتّبع الدين ولاتتبع شيئاً آخر .

فالدين الإسلامى قرر أهليتها للتدين وتلقى التكاليف الشرعية كالرجل تماما . فهى على هذا مستقلة عنه كل الاستقلال حيث إن لكل منهما مسئوليته الخاصة عن نفسه عند اللّٰه .

= (جـ) وأخرجه الترمذى فى سننه فى (كتاب التفسير ، باب ومن سورة الشعراء) ،(رقم : ٣١٨٤ – ٣١٨٥ – ٣١٨٦) ، (٥/٣٣٨– ٣٣٩)، قال أبوعيسى حديث حسن صحيح .

(د) وأخرجه النسائى فى سننه فى (كتاب الوصايا ، باب إذا أوصى لعشيرته الأقربين) ، (رقم : ٣٦٤٤ – ٣٦٤٥ – ٣٦٤٦ – ٣٦٤٧ – ٣٦٤٨) ، (٦/٢٤٨ – ٢٤٩ – ٢٥٠) .

(جـ) أهليتها الاجتماعيـــــة :

حث الإسلام على الزواج ورغب فيه ولما كانت المرأة أحد عمـــــودى الحياة الإنسانيه احترم رأيها فى شريك حياتها فأعطاها هذا الحق ولـــم يسمح بأى نوع من الإكراه أو الضغوط عليها كما كانت تلاقى ذلك من قبـــل ، ويستوى فى هذا البكر والثيب .

(فالزواج حياة مشتركة وعلاقة فيها قصد الدوام والاستمرار ، وليـــس لقاءً عابراً ولانزوة طارئة . فأوجب الإسلام استئذان المرأة قبل تزويجها[(١)]).

ومما يدل على أن النكاح لايصح بدون رضى المرأة الحديث الــــذى رواه أَبُوهُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللّٰهِ صلى اللّٰه عليّه وسلمَ : " لَاتُنْكَحُ الْأَيِّمُ حَتَّىٰ تُسْتَأْمَرَ ، وَلَاتُنْكَحُ الْبِكْرُ حَتَّى تُسْتَأْذَنَ " ، قَالُوا يَارَسُولَ اللّٰهِ : وَكَيْفَ إِذْنُهَا ؟ قَالَ : " أَنْ تَسْكُتَ[(٢)] " .

---

(١) أضواء على نظام الأسرة فى الإسلام /د: سعاد ابراهيم صالح،(ط : ٢ / ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م) ، (الناشر : تهامة - جدة) ،(ص : ٣٢) .

(٢) (أ) أخرجه البخارى فى صحيحه فى (كتاب النكاح ، باب لاينكـــح الأب وغيره البكر والثيب الا برضاها) ،(رقم : ٥١٣٦)،(٣ / ١٦/٧) .

وفـــــى (كتـــاب الحيــــل ، بـــاب فـــى النكـــاح) ، (رقم : ٦٩٦٨) ،(٢٢/٨/٣) .

(ب) وأخرجه مسلم فى صحيحه فى (كتاب النكاح ، باب استئـــذان الثيب فى النكاح بالنطق والبكر بالسكوت) ،(رقم : ١٤١٩) ، (١٠٣٦/٢) ، واللفظ له .

(جـ) وأخرجه أبوداود فى سننه فى (كتاب النكاح ، باب فى الثيب)، (رقم : ٢٠٩٨) ، (٢٣٢/٢) .

وفــــى (كتـــاب النكـــاح ، بـــاب فـــى الاستئمـــار)، (رقم : ٢٠٩٢) ، (٢٣١/٢) .

(د) وأخرجه ابن ماجه فى سننه فى (كتاب النكاح ،باب فى استئمار البكر والثيب) ،(رقم : ١٨٧٠) ،(٦٠١/١) .

(هـ) وأخرجه الترمذى فى سننه فى (كتاب النكاح ،باب ماجاء فـــى استئمار البكر والثيب) ،(رقم : ١١٠٧ - ١١٠٨)،(٤١٥/٣ - ٤١٦).

(و) وأخرجه النسائى فى سننه فى (كتاب النكاح،باب استئمار الثيـــب نفسها) ،(رقم : ٣٢٦٤) ،(٨٥/٦) .

(ويؤخذ من قوله " تستأمر " أنه لا يعقد إلا بعد أن تأمر بذلك ، وليس فيه دلالة على عدم اشتراط الولي في حقها ، بل فيه إشعار باشتراطه . "ولا تنكح البكر حتى تستأذن " كذا وقع في هذه الرواية ، التفرقة بين الثيب والبكر ، فعبر للثيب بالاستئمار وللبكر بالاستئذان ، فيؤخذ منه فرق بينهما من جهة أن الاستئمار يدل على تأكيد المشاورة وجعل الأمر إلى المستأمر ، ولهذا يحتاج الولي إلى صريح إذنها في العقد[1].

فالمرأة لها حرية كاملة في رفض من لاتريده ولاحق لأبيها أو وليها أن يجبرها على زوج معين لأنه إن حصل ذلك بدون أخذ إذنها فنكاحها مردود بدليل هذا الحديث عَنْ خَنْسَاءَ[2] بِنْتِ خِذَامٍ الْأَنْصَارِيَّةِ ، أَنَّ أَبَاهَا زَوَّجَهَا وَهِيَ ثَيِّبٌ فَكَرِهَتْ ذَلِكَ ، فَأَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ صلى اللَّه عليه وسلم فَرَدَّ نِكَاحَهَا[3].

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري ، (١٩٢/٩) .

(٢) خنساء بنت خذام الأنصاريه الأوسيه زوجة ابى لبابة بن عبد المنذر وهى التى انكحها أبوها وهى كارهه فرد النبى صلى اللّٰه عليه وسلم نكاحها .
ينظر : (الطبقات الكبرى /لابن سعد :٤٦٤/٣) ، (تهذيب التهذيب / لابن حجر العسقلانى : ٤١٣/١٢ - ٤١٤) .

(٣) (أ) أخرجه الإمام مالك فى الموطأ فى (كتاب النكاح ، باب مالايجوز من النكاح) ، (رقم : ٢٥) ، (٥٣٥/٢) .
(ب) وأخرجه الإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيبانى ، أبوعبد اللّٰه ، (١٦٤ - ٢٤١ هـ) فى مسنده ، وبهامشه منتخب كنز العمال / للمتقى الهندى ، (ط : ١٤٠٥/٥ هـ - ١٩٨٥ م) ، (الناشر : المكتب الاسلامى - بيروت) فى (١٣٦/٦) .
(جـ) وأخرجه البخارى فى صحيحه فى (كتاب النكاح ، باب لاينكح الأب وغيره البكر والثيب الا برضاهما) ، (رقم : ٥١٣٨) ، (٣ / ١٦/٧ - ١٧) .
وفى (كتاب الاكراه ، باب لايجوز نكاح المكره) ، (رقم : ٦٩٤٥) ، (١٨/٩/٣) ، بهذا اللفظ .
وفى (كتاب الحيل ، باب فى النكاح) ، (رقم : ٦٩٦٩) ، (٢٢/٩/٣) .
(د) وأخرجه أبوداود فى سننه فى (كتاب النكاح ، باب الثيب) ، (رقم : ٢١٠١) ، (٢٣٣/٢) .
(هـ) وأخرجه ابن ماجه فى سننه فى (كتاب النكاح ، باب من زوج ابنته وهى كارهه) ، (رقم : ١٨٧٣) ، (٦٠٢/١) .
(و) وأخرجه النسائى فى سننه فى (كتاب النكاح ، باب البكر يزوجها أبوها وهى كارهه) ، (رقم: ٣٢٦٨) ، (٨٧/٦) .

قال الإمام البغوى[1] :

اتفق أهل العلم على أن تزويج الثيب البالغة العاقلة لايجوز دون إذنها ، فإن زوجها وليها دون إذنها ، فالنكاح مردود[2].

فهذا يدل على سمو وعظمة هذا التشريع الذى جعل المرأة فى هذه المكانة العظيمة ذات قيمة معززة الجانب لها رأيها فيما يخصها كالرجل تماماً ، فالزواج فى الإسلام له أهداف نبيلة (تتمثل فى تكوين رابطة موحدة بين رجل وامرأة ، تقوم على الرضا الكامل والرغبة الصادقة لتحقق المحبة والمودة والتراحم[3]) .

ومما ينبغى التنبيه إليه فى هذا المقام أنه مع ثبوت حق المرأة واحترام رأيها فى اختيار الزوج الذى ترضاه ، إلا أن هذا الحق مقيد بإذن وليها ، فإن النكاح لايصح إلا بولى لهذا أوجب الله على أولياء النساء أن ينظروا فى مصالحهن لا فى اهوائهم ومصالحهم الشخصية ، فإن الذى يجبرها ويعضلها أهل الجاهلية والظلمة الذين يزوجون نساءهم لمن يختارونه لغرض ؛ لا لمصلحة المرأة ، ويكرهونها على ذلك . فالدين الإسلامى حفظ لها هذا الحق لعلمه أن هذا الموقف هو أدق المواقف فى حياتها ،

---

(١) هو الإمام الحافظ شيخ الإسلام محى السنه ، أبومحمد الحسين بن مسعود الفراء البغوى ، (٤٣٦ - ٥١٦ هـ) ، فقيه ، محدث ، مفسر ، كان بحراً فى العلوم ، احد العلماء الذين خدموا الكتاب والسنه ، بالعكوف على دراستهما ، والتأليف فيهما ، وكان يدعو إلى الاعتصام بهما والرجوع الى الطريقة التى جرى عليها السلف الصالح ، وكان ورعاً زاهداً .
ينظر : (وفيات الاعيان / لابن خلكان : ١٧٧/١) ، (المختصر فى أخبار البشر / لابى الفداء : ٢٢٩/٢) .

(٢) شرح السنه / للامام ابى محمد بن الحسين الفراء البغوى ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ومحمد زهير الشاويش ، (ط : ١٣٩٠/١ هـ - ١٩٧١ م) ، (الناشر : رئاسة إدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية - الرياض) ، (٣١/٩) .

(٣) الإسلام والأسرة والمجتمع / د: محمد سلام مدكور ، (ص : ٥٥) .

وأمسها بمستقبلها ويترتب عليه أشياء كثيره ، لهذا أوصى رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم الأولياء باحترام رأيها وأخذ إذنها ، وفى حالة الاجبار يرد نكاحها ، إنه منتهى العدل والتسامى الذى وصلت اليه المرأة فى ظل هذه الشريعة الغراء .

وهذا الشيخ ابن تيمية (١) رحمه اللّه يعتبر هذا من الأمانة والنصيحة فقال :(فان هذا من الأمانة التى أمر اللّه أن تؤدى الى أهلها فقال جل ذكره : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾

(سورة النساء ، الآية "٥٨")

وهذا من النصيحة الواجبة وقد قَالَ النَّبِيُّ صَلى اللّهُ عَليه وسلّم :" الدِّيـنُ النَّصِيحَةُ " قُلنَا : لِمَنْ ؟ قَالَ : " لِلّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئمَّةِ المُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ (٢)" واللّه أعلم (٣).

---

(١) هو أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام ،ولد بحران سنة (٦٦١هـ) ،وانتقل مع ابيه إلى دمشق صغيراً برع فى علوم النقل والعقل ،وكان مجاهداً ورعاً ،لايخاف ولايهاب ،جاهر بالحق ،وأوذى ،ومات بالسجن فى دمشق ، سنة (٧٢٨ هـ) ، له مصنفات كثيرة تبلغ مائتى مجلد ،وقد طبعت فتاويه فى الرياض بالمملكة العربية السعودية فى (٣٧) مجلد .
ينظر :(الدر الكامنه /للعسقلانى : ١٤٤/١ ، ١٦٠) ،(فوات الوفيات/ لابن شاكر الكتبى : ١ /٣٥ - ٤٥) .

(٢) (أ) أخرجه مسلم فى صحيحه فى (كتاب الإيمان ،باب بيان أن الدين النصيحه) ،(رقم : ٥٥) ،(٧٤/١) واللفظ له .
(ب) وأخرجه أبوداود فى سننه فى (كتاب الأدب ،باب فى النصيحة) ، (رقم : ٤٩٤٤) ،(٢٨٦/٤) .
(جـ) وأخرجه الترمذى فى سننه فى (كتاب البر والصلة ،باب ماجاء فى النصيحة) ،(رقم :١٩٢٦) ،(٢٨٦/٤) ،قال أبوعيسى : وهذا حديث حسن صحيح .
(د) وأخرجه النسائى فى سننه فى (كتاب البيعة ،باب النصيحة للامام) ،(رقم : ٤١٩٧، ٤١٩٨، ٤١٩٩، ٤٢٠٠) ،(١٥٦/٧ - ١٥٧).

(٣) مجموع الفتاوى /لشيخ الإسلام ابن تيمية /جمع الشيخ/عبدالرحمن بن قاسم وابنه محمد ،(ط : عام - ١٣٩٨ هـ) تصوير الطبعة الأولى ،(الناشر: دار الإفتاء - بالرياض) ،(٥٢/٣٢ - ٥٣).

(د) احتـــرام ملكيتهـــا :

مازال الإسلام يولى المرأة عناية فائقة ، فمن حسن رعايته واحترامه لها ، أعطاها حق التملك والتصرف فى أموالها ، (وما ذلك الا لما أهلت به من عقل ومواهب روحية جعلتها أهلا لتلقى شرف التكليف الالهى بعبادة الله ، وفعل الخير فمن باب أولى أن تكون أهلاً ، لما دون ذلك من القيم الاقتصادية على اختلاف انواعها(١)) .

وكما سبق أن بينا أن المرأة كانت فى الجاهلية وغيرها من المجتمعات تابعة للرجل فى كل شيئ مغلولة لايد لها ولاحيلة ، بل الأدهى من ذلك أنها كانت تُمتَلكُ وتورَث وحُرِمَتْ من أخص شئ لها وهو المهر .

ولما جاء الإسلام رفع عنها الإصر وفك أغلالها ، فنهى عن ذلك وقد صرحت بذلك النصوص فقال عز وجلّ :

﴿ وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗۚ فَإِن طِبۡنَ لَكُمۡ عَن شَيۡءٖ مِّنۡهُ نَفۡسٗا فَكُلُوهُ هَنِيٓـٔٗا مَّرِيٓـٔٗا ﴿٤﴾ ﴾ (سورة النساء ، الآية "٤")

ففى الآية الكريمة ، يأمر الأولياء باعطاء المهر كاملاً للمرأة بعد أخذه من الزوج ،لأنها هى صاحبة الحق فيه ، فإن أعطت هى من نفسها بطيب خاطر من غير إكراه ولاحيلة ولا أى نوع من الضغوط ، فخذوه فهو مباح لكم .

علماً بأن الشريعة لم تجعل حداً لقلة المهر ولا لكثرته وذلك راجع لاختلاف فى الغنى والفقر والناس يتفاوتون فى العادات والتقاليد .

إلا أن الإسلام كره التغالى فى المهر وحث على تيسيره وتقليله ، ومثلنا الأعلى فى هذا محمد صلى الله عليه وسلم وصحابته رضوان الله عليهم ، فقد تزوج وزوج بناته وكان المهر يتراوح مابين مائتى درهم الى خمسمائة درهم ،(فإن بدعة التغالى فى المهور لم تحدث إلا أخيراً ،حينما

---

(١) الإسلام والمرأة المعاصرة / للشيخ البهى الخولى ،(ص : ٢٤) .

كثر اليسار لدى الناس ، واستقروا ، وامتلأت جيوبهم ، وجاءت المدنيه الحديثة بأمور جديدة لم تكن معروفة من قبل[١]) .

كما أن المهر حق للمرأة فهى أيضاً لها كامل الحرية فى إنمائه بكل وسائل الإنماء المشروعة فهى تتصرف به كيفما تشاء .

ومازال الإسلام مستمراً فى عطائه ، فقرر لها نصيباً فى الميراث ، وأزال عنها ذلك الحيف وأبعد الظلم ، ونزل القرآن ليقرر حقها فى الميراث فقال جلّ ذكره :

﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾ ﴾

(سورة النساء ، الآية رقم "٧")

فالدين الإسلامى رفع المرأة الى مكانة لم تصل اليها أمة من قبل ولا من بعد. فأوجب على الرجل النفقة على المرأة وان كانت غنية ، وذهب الى أكثر من هذا فجعل لها الحرية (فى امتلاك الضياع والدور ، وسائر أصناف المال بكافة أسباب التملك ، ولها أن تمارس التجارة ، وسائر تصرفات الكسب المباح ، ولها أن تضمن غيرها وأن يضمنها غيرها ، وأن تهب الهبات ، وأن توصى لمن تشاء من غير ورثتها ، وأن تخاصم غيرها إلى القضاء .. لها أن تفعل ذلك ونحوه بنفسها أو بمن توكله عنها باختيارها[٢] ...) .

وقال الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن آلسند رحمه الله :

(إن المرأة المسلمة لاتدانيها امرأة فى العالم ، إذ قد أعطيت حقوقها

---

(١) الزواج .. والمهور / للشيخ : عبدالعزيز المسند ، (ط : ٤ /١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م) ، (الناشر : دار العمير للثقافة والنشر – جده) ، (ص : ٥٧) .

(٢) الإسلام والمرأة المعاصرة /للشيخ : البهى الخولى ، (ص : ٢٥) .

المالية كاملة ، فإن لها الحق فى عقد ماشاءت من العقود المالية كالبيع والشراء والإيجار والمقاولة والمضاربة ، فجميع تصرفاتها المالية جائزة لاحجر عليها فيها وكذا هبتها وصدقتها ووقفها وجميع ماتنفقه متقربة به إلى اللّٰه تبارك وتعالى[1]) .

---

(١) المرأة المسلمة والحجاب / للشيخ : عبداللّٰه بن عبدالرحمن آلسند ، (ط : ٢ / ١٣٩٦ - ١٩٧٦ م) ، (الناشر : مطبعة حكومة الكويت) ، (ص : ١١) .

(هـ) أمـان المـرأة للحربيـين :

من أبرز مظاهر التكريم والاهتمام بالمرأة أن الدين الإسلامي يحترم كلمتها في الحرب ومع الكفار ، كما سبق واحترمها في السلم ومع المسلمين، فأقر أمانها[١] الذي تعطيه لغير المسلمين وقبل إجارتها لمن أجارت[٢] من الحربيين ، وأعطى الأمان لمن آمنته ، فهي مثل الرجل في ذلك ، فمن أجارته لايتعرض أحد له بمكروه ، وقد صرحت نصوص السنة بذلك .

وقد أجمع العلماء على صحة وقبول أمان المرأة[٣].

---

(١) الأمن : ضد الخوف ، وأمنته ضد أخفته . والمأمن : موضع الأمن . والأمن : المستجير ليأمن على نفسه .
ينظر :(لسان العرب / لابن منظور) ،(٢١/١٣ - ٢٢) .

(٢) الجار والمجير : هو الذي يمنعك ويجيرك . وفي الحديث " يجير عليهم أدناهم " أي اذا أجار واحد من المسلمين حر أو عبد أو امرأة واحد أو جماعة من الكفار وأمّنهم جاز ذلك على جميع المسلمين لاينقض عليه جواره وأمانه .
ينظر :(لسان العرب /لابن منظور) ،(١٥٤/٤ - ١٥٥) .

(٣) ينظر :
(أ) المغني : للإمام أبي محمد عبدالله بن أحمد بن محمود بن قدامه ،(ت : ٦٣٠ هـ) ،على مختصر الإمام أبي القاسم عمر بن الحسين بن عبدالله بن أحمد الخرقي ،ويليه الشرح الكبير على متن المقنع / لشمس الدين ابي الفرج عبدالرحمن ابن قدامه المقدسي ،(ط: عام ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م) ،(الناشر : دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان) ،(٤٣٢/١٠) .
(ب) مغني المحتاج الى معرفة معاني الفاظ المنهاج ،شرح/محمد الخطيب الشربيني على متن منهاج الطالبين / للإمام أبي زكريا بن شرف النووي ،(ت : ٦٧٦ هـ) ،(ط : بدون) ،(الناشر: دار احياء التراث العربي - بيروت - لبنان) ،(٢٣٧/٤) .
(جـ) شرح فتح القدير/ لكمال الدين محمد بن عبدالواحد المعروف بابن الهمام الحنفي (ت : ٦٨١ هـ) ،على الهداية شرح بداية المبتدي / لبرهان الدين علي بن أبي بكر المرغيناني ، وبهامشه شرح العناية على الهداية /لاكمل الدين محمد بن محمود البابرتي . (ط : ١٣١٦/١ هـ) ،(الناشر : المطبعة الكبرى الاميريه - ببولاق - مصر) ،(٢٩٨/٤ - ٢٩٩) . =

والدليل من السنة على ذلك الحديث الذى روته أُمّ هَانِىءٍ(١) بِنْتُ أَبِى طَالِبٍ:

قَالَتْ ذَهَبْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلى اللّه عليه وسلم عَامَ الفَتْحِ فَوَجَدْتُهُ يَغْتَسِلُ وَفَاطِمَةُ ابْنَتُهُ تَسْتُرُهُ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : " مَنْ هٰذِهِ " ،فَقُلْتُ : أَنَا أُمُّ هَانِىءٍ بِنْتُ أَبِى طَالِبٍ، فَقَالَ : " مَرْحَباً بِأُمِّ هَانِىءٍ " ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ غُسْلِهِ قَامَ فَصَلَّى ثَمَانَ رَكَعَاتٍ مُلْتَحِفاً فى ثَوْبٍ وَاحِدٍ ، فَقُلْتُ يَارَسُولَ اللّهِ زَعَمَ ابْنُ أُمِّى عَلِىٌّ أَنَّهُ قَاتِلٌ رَجُلاً قَدْ أَجَرْتُهُ فُلاَنُ(٢) بْنُ هُبَيْرَةَ ،فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلى اللّهُ عَليه وسلم :" قَدْ أَجَرْنَا مَنْ أَجَرْتِ يَا أُمَّ هَانِىءٍ(٣)" قَالَتْ أُمّهَانِىءٍ:

= (د) بلغة السالك لأقرب المسالك /أحمد الصاوى ،على الشرح الصغير/ لأحمد الدردير ،(ت : ١٢٠١ هـ) وبهامشه شرح القطب الشهيد / للدردير المذكور ،(ط : بدون) ،(الناشر : دار الفكر) ، (٣٣٤/١) .

(١) هى أم هانىء بنت أبى طالب القرشيه الهاشمية . بنت عم النبى صلى الله عليه وسلم وأخت على بن أبى طالب ،أمها فاطمة بن أسد . واختلف فى اسمها ، فقيل : فاختة ،وقيل هند ،وقيل : فاطمه ، كانت تحت هبيرة بن أبى وهب بن عمرو . أسلمت عام الفتح ،روت عن النبى صلى اللّه عليه وسلم أحاديث ،عاشت بعد خلافة على .
ينظر:(نسب قريش /للزبيرى : ٣٩) ،(خلاصة تذهيب الكمال /للخزرجى:٤٣).

(٢) فلان بن هبيرة هو الحارث بن هشام المخزومى ،وقال آخرون هو : عبداللّه بن أبى ربيعة ، وروى أنها أجارتهما جميعاً .
ينظر :(شرح النووى على صحيح مسلم) ،(٢٣٢/٥) .

(٣) (أ) أخرجه الإمام مالك فى الموطأ فى (كتاب قصر الصلاة فى السفر ، باب صلاة الضحى) ، (رقم : ٢٨) ،(١٥٢/١) .
(ب) وأخرجه الإمام أحمد فى مسنده فى (٣٤٣/٦، ٤٢٣، ٤٢٥) .
(جـ) وأخرجه البخاري فى صحيحه فى (كتاب الغسل ،باب التستر فى الغسل عند الناس) ،(رقم : ٢٨٠) ،(٥٤/١/١) .
وفى (كتاب الجزيه ، باب أمان النساء وجوارهن) ،(رقم : ٣١٧١)،(٧٩/٤/٢)،بهذا اللفظ .
وفى (كتاب الأدب ، باب ماجاء فى زعموا)، (رقم : ٦١٥٨) ، (٣٢/٨/٣) .
(د) وأخرجه مسلم فى صحيحه فى (كتاب صلاة المسافرين ، باب أستحباب صلاة الضحى) ،(رقم : ٧٢٠) ،(٤٩٧/١ – ٤٩٨) . =

وَذٰلِكَ ضُحًى .

(وفيه جواز أمان المرأة وإن لم تكن تقاتل ، وبه قال الجمهور منهم الأئمة الأربعة [1]) .

وروى عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلى اللّٰهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ : " إِنْ زَيْنَبُ [2] بِنتُ رَسُولُ اللّٰهِ صَلى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْسَلَ إِلَيْهَا زَوجَهَا أَبُو العَاصِ [3] بِنْ

= وفى (كتاب الحيض ، باب تستر المغتسل بثوبه) ، (رقم : ٣٣٦) ، (٢٦٥/١ - ٢٦٦) .

(هـ) وأخرجه أبوداود فى سننه فى (كتاب الجهاد ،باب فى امان المرأة) ،(رقم : ٢٧٦٣) ،(٨٤/٣) .

(و) وأخرجه الترمذى فى سننه فى (كتاب السير ، باب ماجاء فى أمان المرأة والعبد) ،(رقم : ١٥٧٩) ،(١٤١/٤ - ١٤٢) .
وفى (كتاب الاستئذان ، باب ماجاء فى مرحباً) ، (رقم : ٢٧٣٤) ، (٧٨/٥) .

(ز) وأخرجه النسائى فى سننه فى (كتاب الطهارة ،باب ذكر الاستتار) ، (رقم : ٢٢٥) ،(١٢٦/١) .

(ح) وأخرجه أبوبكر أحمد بن الحسين بن على البيهقى ،(ت : ٤٥٨) وفى ذيله الجواهر النقى / لعلاء الدين بن على بن عثمان المارديني ،(ط : بدون) ،(الناشر : دار الفكر)فى (كتاب السير ،باب أمان المرأة) ،(٩٤/٩ - ٩٥) .

(١) شرح الزرقانى على الموطأ / للعلامة سيدى محمد الزرقانى ،(٣٠٦/١) .

(٢) زينب بنت رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم محمد بن عبد الله القرشية الهاشمية ،أكبر بناته ولدت ولرسول اللّٰه ثلاثون سنة ،تزوجت ابن خالتها أبا العاص بن الربيع ،ولدت له أمامة وعلى . هاجرت بعد بدر، توفيت بالمدينة سنة ثمان .
ينظر :(السمط الثمين : للمحب الطبرى : ١٥٧) ،(تاريخ الخميس / لحسين بكر : ٢٧٣/١) .

(٣) القاسم بن الربيع بن عبد العزى بن عبدشمس بن عبدمناف ،أبو العاص ، صحابى من أصهار النبى صلى اللّٰه عليه وسلم وهو زوج زينب كبرى بنات النبى صلى اللّٰه عليه وسلم تزوجها فى الجاهلية ، بمكة وتأخر إسلامه حيث كان إسلامه فى المحرم سنة سبع وتوفى سنة اثنتى عشرة .
ينظر : (نسب قريش /للزبيرى : ٢٣٠) ،(الاصابة /لابن حجر:٤/ ١٢١ - ١٢٣) .

الرَّبِيعْ أَنْ خُذِي لِي أَمَاناً مِنْ أَبِيكَ فَخَرجَتْ فَأَطْلَعَتْ رَأْسَهَا مِنْ بَابْ حُجْرتِهَا والنَّبِيُّ صَلى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ فِي صَلَاةْ الصُّبْحِ يُصَلِي بِالنَّاسِ فَقَالتْ : أَيُّهَا النَّاسْ أَنَا زَيْنَبُ بِنْتُ رَسُولُ اللَّهِ صَلى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ وإِنِي قَدْ أَجَرْتُ أَبَا العَاصْ فَلَمَا فَرِغَ النَّبِيُّ صَلى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ مِنَ الصَلَاةِ قَالَ : أَيُّهَا النَّاسْ إِنِي لَمْ أَعْلَمْ بِهَذَا حَتَّىٰ سَمِعْتُمُوه الآ وَإِنَهُ يُجِيرُ عَلَىٰ المُسْلِمِينَ أَدْنَاهُمْ (١) " .

وروى عَلِيّ (٢) بنْ أَبِي طَالِبٍ عَنْ النَّبِيُّ صَلى اللَّه عَليه وسلَّمَ : قَالَ : .... ذِمَّةُ المُسْلِمِينَ وَاحِدَةٌ يَسْعَىٰ بِهَا أَدْنَاهُمْ ... (٣) "

---

(١) (أ) أخرجه الامام أحمد فى مسنده بروايات متعدده فى (١٩٥/١) ، (٢١٥/٢ ، ٣٦٥) ، (١٩٧/٤) ، (٢٥٠/٥) .

(ب) وأخرجه الحاكم فى المستدرك ، (٤٥/٤) ، وسكت عنه الحاكم وكذلك الذهبى ، واللفظ له .

(جـ) وأخرجه البيهقى فى سننه فى (كتاب السير ، باب أمان المرأة) ، (٩٥/٩) .

(٢) هو على بن أبى طالب ابن عم رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ، وزوج ابنته فاطمه ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة ، ورابع الخلفاء الراشدين ، ومن أكابر الخطباء والعلماء بالقضاء ، توفى شهيداً سنة (٤٠ هـ) .

ينظر : (مروج الذهب / للمسعودى : ٢/٢ ــ ٣٩) ، (مقاتل الطالبيين لابى الفرج الاصبهانى : ١٤) ، (شرح نهج البلاغه /لابن ابى الحديد: ٥٧٩/٢) ، (الاسلام والحضارة العربية / محمد كردي : ١٤١/٢) .

(٣) جزء من حديث هذا نصه : عَنْ عَلِيّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : مَاكَتَبْنَا عَنِ النَّبِيُّ صَلىٰ اللَّهُ عَليه وسلَّم إِلَّا القُرْآنَ وَمَافِي هَذِه الصَّحِيفَةِ ، قَالَ : النَّبِيُّ صَلى اللَّهُ عَليه وسلَّم المَدِينَةُ حَرَامٌ مَابَيْنَ عَائِرٍ إِلَى كَذَا ، فَمَنْ أَحْدَثَ حَدَثاً أَوْ آوَى مُحْدِثاً ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ، لَايُقْبَلُ مِنْهُ عَدْلٌ وَلَاصَرْفٌ ، وَذِمَّةُ المُسْلِمِينَ وَاحِدَةٌ يَسْعَىٰ بِهَا أَدْنَاهُمْ ، فَمَنْ أَخْفَرَ مُسْلِماً ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ، لَايُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلَاعَدْلٌ .

(أ) أخرجه البخارى فى صحيحه فى (كتاب الجزيه ، باب اثم من عاهد ثم غدر) ، (رقم : ٣١٧٩) ، (٨١/٤/٢) ، بهذا اللفظ .

وفى (كتاب الجزيه ، باب ذمة المسلمين وجوارهم واحدة) ، (رقم : ٣١٧٢) ، (٧٩/٤/٢ ــ ٨٠) ==

ويدخل فى قوله " أدناهم " المرأة[١].

إذاكان أدنى المسلمين يسعى فى ذمتهم،فإن المرأة تدخل من باب أولى.

وقال الترمذى[٢] : ومعنى هذا عند أهل العلم أن من أعطى الأمان من المسلمين فهو جائز على كلهم[٣] .

وجاء فى عون المعبود :" الذمة " الأمان . والمعنى ان واحداً من المسلمين إذا أمّن كافراً حرم على عامة المسلمين دمه ، وان كان هذا المجير أدناهم مثل أن يكون عبداً أو امرأةً[٤].

== وفى (كتاب الفرائض ، باب إثم من تبرأ من مواليه) ، (رقم : ٦٧٥٥) ، (١٢٩/٨/٣) .
وفى (كتاب الاعتصام ، باب مايكره من التعمق والتنازع فى العلم والغلو فى الدين والبدع) ، (رقم : ٧٣٠٠) ، (٧٩/٩/٣) .

(ب) وأخرجه مسلم فى صحيحه فى (كتاب الحج ،باب فضل المدينة) ، (رقم : ١٣٧٠) ،(٩٩٤/٢ – ٩٩٨) .

(ج) وأخرجه أبوداود فى سننه فى (كتاب المناسك ،باب فى تحريم المدينه) ،(رقم : ٢٠٣٤ ،٢٠٣٥) ،(٢١٦/٢ – ٢١٧) .

(د) وأخرجه الترمذى فى سننه فى (كتاب الولاء والهبة ،باب ماجاء فيمن تولى غير مواليه أو ادعى الى غير ابيه) ،(رقم:٢١٢٧) ، (٤٣٨/٤ -- ٤٣٩) .

(هـ) وأخرجه النسائى فى سننه فى (كتاب القسامة ،باب سقوط القود من المسلم للكافر) ،(رقم : ٤٧٤٥ – ٤٧٤٦) ،(٢٣/٨ – ٢٤).

(١) ينظر : فتح البارى شرح صحيح البخارى لأحمد بن على بن حجرالعسقلانى، (ت : ٨٥٢) ،(ط : بدون) ،(الناشر : دار المعرفة – بيروت) ، (٢٧٤/٦) .

(٢) هو محمد بن عيسى الترمذى ،نسبة إلى (ترمذ) على نهر جيجون ،من أئمة علماء الحديث ،وكتابه ،(السنن) أحد الكتب المعتمده فى الحديث ،ولد فى (ترمذ) سنة (٢٠٩ هـ) وبها توفى سنة (٢٧٩ هـ). ينظر: (اللباب فى تهذيب الانساب /لابن الاثير : ١٧٤/١) ،(تهذيب التهذيب / لابن حجر : ٣٨٧/٩) .

(٣) سنن الترمذى ،(١٤٢/٤) .

(٤) عون المعبود شرح سنن أبى داود/أبوالطيب محمد شمس الحق العظيم آبادى ، مع شرح الحافظ ابن قيم الجوزيه ،ضبط وتحقيق/عبدالرحمن محمد عثمان . (ط: ٣)،(الناشر : دار الفكر – بيروت) ،(٢٦١/١٢) .

(و) مسؤوليتها العامة فيما يختص بالدعوة إلى الخير :

مما سبق اتضحت لنا بعض مقتضيات الوصف العام للمرأة المسلمة ومن خلالها تبين لنا أن الإيمان هو الوصف الذاتى الذى تتحدد به شخصية كل فرد ـ رجلا كان أم امرأة ـ وأن الولاء الذى بين المؤمنين والمؤمنات هو الولاء لقيم ذلك الايمان .

فمن الطبيعى للمجتمع الذى ينعقد على الولاء لقيم الايمان أن يتقرر لأهله قاطبة منهاج عام له صفة الحق والواجب ، ينظمهم فرادى وجماعة .

فمن الواضح أن الإسلام يضع صلاح المجتمع أمانة بين يدى كل مؤمن مستنير ، وكل مؤمنة مستنيرة ، ويجعل كلاً منهما مسؤولاً عن ذلك ، لايعفى المرأة ، ولايستثنى الرجل ، لأنه ينظر الى وصف " الإنسانية " لا الى ذكورة أو أنوثة .. وهو دور بالغ الخطورة يتكافأ مع خطورة ماأهلت به من مواهب ومزايا وما أُعِدّت له .

ومراعاة للمقام وتقيداً ببيان دور المرأة نكتفى بأن نبرز مسؤوليتها العامة فيما يختص بالدعوة الى الخير والأمر بالمعروف والإرشاد إلى الفضائل والتحذير من الرذائل ، وهذا من معنى الولاية التى تمت بمقتضى عقد الإيمان الذى يحتم النصرة والتآزر والتعاون والتناصح[1] .

ويقول الشيخ محمود شلتوت رحمه اللّٰه تعالىٰ :
(وقد صرح القرآن بمسؤولية المرأة فى ذلك الجانب ، وقرن بينها وبين الرجل فى تلك المسؤولية كما قرن بينها وبينه فى مسؤولية الانحراف عن

---

(١) ينظر:
(أ) الإسلام والمرأة المعاصرة/للشيخ : البهى الخولى ، (ص :٣٠،٣٢).
(ب) الإسلام وبناء المجتمع / د : أحمد العسال ،(ص : ١٥٧).

الإيمان والإخلاص لله وللمسلمين . يقول تعالى فى محكم التنزيل :

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ
أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ
وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾

﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ
بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ
عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ
إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ اللَّهُ
الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ
فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾

(سورة التوبة الآيات ٧١ ، ٦٧ ، ٦٨)

إن مسؤولية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هى أكبر مسؤولية فى نظر الإسلام ، وقد سوى الإسلام فيها بصريح هذه الآيات بين الرجل والمرأة .

وإذن فليس من الإسلام أن تكف المرأة عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، اعتماداً على ظن أووهم أنه شأن خاص بالرجال دون النساء .

وليس من الإسلام أن تلقى المرأة حظها من تلك المسؤولية على الرجل وحده بحجة أنه أقدر منها عليه ، أو أنها ذات طابع لايسمح لها أن تقوم بهذا الواجب ، فللرجل دائرته ، وللمرأة دائرتها ، والحياة لاتستقيم إلاّ بتكاتف النوعين فيما ينهض بأمتهما ، فإن تخاذلا أو تخاذل أحدهما انحرفت الحياة الجادة عن سبيلها المستقيم . فليعلم ذلك نساؤنا وليفقهن حكم الله فيهن[1]) .

---

(١) الإسلام عقيدة وشريعة /للشيخ :محمود شلتوت ، (ص : ٢٤٦ - ٢٤٧) .

ففى قوله " يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ " أمتداد لمسؤولية الأفراد إلى كل مقومات المجتمع فعلى المرأة واجب الدعوة فى ذلك ما استطاعت وفى نطاق تعاليم وأنظمة شريعتها السمحة ففى المجالات النسوية ميدان واسع يمكن أن تؤدى فيها دورها العام فى رعاية المجتمع والنهوض بمقوماته المختلفه ، وليس من قصدنا بيان منهاج المرأة ، أو مفردات عملها ، فذلك يختلف باختلاف البيئات ، واختلاف العصور ، انما نقرر " طبيعة " دورها ، وتعدد الوان النشاط التى يمكن أن تحققه فيها (١) .

---

(١) ينظر : الإسلام والمرأة المعاصرة / للشيخ : البهى الخولى ، (ص :٣٢ - ٣٣) .

الباب الثاني

المرأة مكلفة بالدعوة إلى الله .

ويشتمل على :

تمهيد

وفصلين

الأول : وجوب الدعوة إلى الله عز وجل .

الثاني : بيان أن دور المرأة في الدعوة يختلف عن دور الرجل باختلاف طبيعة كل منهما: الجسمية والنفسية والاجتماعية وهدف كل منهما.

التمهيد

ويشتمل على :

أ - ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب .

ب - ضرورة الدعوة إلى الله .

ج - علاقة الحسبة والدعوة

في

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

" تمهيـــــــد "

لقد عنى القرآن الكريم بأمر الدعوة عناية فائقة،وأوجب على الأمة أن تنتدب منها جماعة لتقوم بمهمة الدعوة إلى اللّٰه.ودعوة الناس إلى الإسلام،وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر،وأجب إسلامى على المسلمين أن ينهضوا به ويولوه حقه من جهدهم وتفكيرهم ووقتهم بل إن هذا الواجب بالذات هو المهمة الأصلية الأساسية لكل داعية.والقرآن الكريم حض على القيام بهذا الواجب فى العديد من آياته .

واقتضت حكمة اللّٰه تبارك وتعالى أن يختلف الحق والباطل،وأن يكون للحق أنصاره وأهله ، وأن يكون للباطل أنصاره وأهله ، وأن يتصارع أهل الحق ، وأهل الباطل ، وأن يقوى أهل الباطل أحياناً ، وأن يضعف أهل الحق أحياناً ، ولكن أهل الحق سواء فى ضعفهم أو قوتهم ، يتصفون بصفة لاتفارقهم، ويقومون بوظيفتهم مهما أدلهمت الخطوب،واحلولكت الليالى،يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر،حيث قال تعالى فى وصفهم :

﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾

(سورة التوبة ،الآية "٧١")

ولقد جاءت هذه الآية الكريمة بعد الحديث عن المنافقين والمنافقات وكيف يتمالؤون على الفساد فقد سبقها قوله تعالى :

﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾

(سورة التوبة ، الآية "٦٧")

وكأن الآية تقول لنا : إذا كان المنافقون من الرجال، والمنافقات من النساء تتظافر جهودهم جميعاً لإفساد الناس، بأمرهم بالمنكر ونهيهم عن المعروف فأولى بالمؤمنين والمؤمنات أن يوالى بعضهم بعضاً فيما بينهم ويضاعفوا جهودهم من أجل القيام بوظيفتهم الإصلاحية (١).

ولقد وصف الله سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم الأمة الإسلامية بأنها خير أمم الأرض لانها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فقال تعالى :

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَٰسِقُونَ ۝١١٠ ﴾

(سورة آل عمران ، الآية "١١٠")

وقال صلى الله عَلَيْهِ وَسَلّم فى تفسيره للآية السابقة : " قَالَ إِنَّكُمْ تَتِمُّونَ سَبْعِين أُمَّةً أَنْتُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ "(٢)

---

(١) ينظر : كيف ندعو الى الاسلام ؟ / فتحى يكن ، (ط : ٤ /عام ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م) ، (الناشر : موسسة الرسالة) ، (ص : ١٤) .

(٢) (أ) أخرجه أحمد فى المسند فى (٦١/٣) ، جزء من حديث طويل .
(ب) وأخرجه ابن ماجه فى سننه فى (كتاب الزهد ، باب صفة أمة محمد صلى الله عليه وسلم) ، (رقم : ٤٢٨٨) ، (١٤٣٣/٢) .
(جـ) وأخرجه الترمذى فى سننه فى (كتاب تفسير القرآن ، باب سورة آل عمران) ، (رقم : ٣٠٠١) ، (٢٢٦/٥) واللفظ له قال ابوعيسى : حسن صحيح .
(د) وأخرجه الحاكم فى المستدرك فى (كتاب معرفة الاصحاب ، باب ذكر فضل هذه الأمة على سائر الامم) ، (٨٤/٤) قال : هذا صحيح الاسناد ولم يخرجاه وأقره الذهبى .

فهذا تأكيد من الرسول صلى اللّٰه عليه وسلم لهذه الخيرية المذكوره فى القرآن الكريم . لقد جاء قوله تعالى " كنتم " خطابا للصحابة رضوان اللّٰه عليهم، ولكن لايعنى هذا أن الخيريه قد انحصرت فى جيل الصحابة فقط بل الخيريه تبقى فى الأمة مابقيت آمرة بالمعروف ناهية عن المنكر، ويدخل فى الخطاب كل مسلم قام بهذه الوظيفه .

فدعاة الإسلام ذكوراً كانوا أم اناثاً مطالبون ببذل قصارى جهدهم للقيام بتكاليف الدعوة وتبليغها إلى الناس وتبسيطها لهم بحسب مستوياتهم من الفهم والادراك ... وهذه هى الامانة التى ائتمنوا عليها ليكونوا ورثة الانبياء،(١).. ثم ليسمعوا قَوْلَ الرسول صلى اللّٰه عليه وسلم: فى الحديث الذى رواه عَبْدِاللّٰهِ بْنِ مَسْعُودٍ عَنْ الرسول صلى اللّٰهُ عليه وسلم قال : قَالَ رَسُولُ اللّٰهِ صلى اللّٰه عليه وسلم : " مَامِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللّٰهُ فِى أُمَّةٍ قَبْلِى ، إِلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ(٢) وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ . ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ(٣)مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ . يَقُولُونَ مَالَايَفْعَلُونَ . وَيَفْعَلُونَ مَالَايُؤْمَرُونَ . فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ . وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ . وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ . وَلَيْسَ وَرَاءَ ذٰلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ"(٤).

---

(١) ينظر : كيف ندعو الناس / فتحى يكن (ص : ١٦ – ١٧) .

(٢) الحواريون : خلصان الأنبياء وتأويله الذين اخلصوا ونقوا من كل عيب ،ينظر : (النهاية فى غريب الحديث والأثر / لابن الأثير)، (١ / ٤٥٨) .

(٣) " ثم انها تخلف " الضمير فى إنها هو الذى يسميه النحويون ضمير القصة والشأن . ومعنى تخلف تحدث . وأما الخلوف فهو جمع خلف وهو الخالف بشرّ . وأما بفتح اللام فهو الخالف بخير . هذا هو الأشهر . ينظر : تعليق : محمد فؤاد عبدالباقى على صحيح مسلم ،(١/ ٧٠) .

(٤) أخرجه مسلم فى صحيحه ،(كتاب الإيمان ،باب بيان كون النهى عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص وأن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واجبان) ،(رقم : ٨٠) ،(١/ ٧٠) .

وقوله صلى الله عليه وسلم : " الا كان له من أمته " أمة النبي أتباعه ويطلق على عموم[١] أهل دعوته .

وفي قوله صلى الله عليه وسلم : " خلوف " هو جمع خلف والخلف الآتي بعد غيره. وفي لامه الفتح والسكون، فهو بالسكون الخالف بشر ومنه قوله تعالى : ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ٥٩ ﴾

(سورة مريم ، الآية "٥٩")

وبالفتح الخالف بخير ومنه " يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله "[٢]

---

(١) شرح صحيح مسلم المسمى " مكمل اكمال الاكمال " للامام ابي عبدالله محمد بن محمد بن يوسف السنوسي الحسني ، (ط : بدون) ، (الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت) ، (١٥٥/١) .

(٢) ينظر :

(أ) أبوزرعه الرازي وجهوده في السنة النبوية ، دراسة وتحقيق / د. سعدي الهاشمي) ، (ط : ١ / المجلس العلمي في الجامعة الاسلامية في المدينة المنوره) ، (٢١٦/١) .

(ب) شرح صحيح مسلم المسمى " اكمل اكمال المعلم " لابي عبدالله محمد بن خلفه الوشتاني الابي المالكي ، (ط : بدون) ، (الناشر: دار الكتب العلمية / بيروت) ، (١٥٦/١) .

(أ) مالايتم الواجب الا به فهو واجب :

هذه القاعدة[(١)] توجب علينا فريضة الدعوة وواجب التبليغ . ثم إن دعوة الناس إلى الإسلام وإقناعهم به وتهيئتهم للنزول عند أصوله وأحكامه، من الوسائل التى يتحقق بها اقامة المجتمع الإسلامى واستئناف الحياة الإسلاميه . فإذا كان تحقق المجتمع المسلم واجباً بذاته فتصبح – بالتالى – كل وسيلة لإقامته وإيجاده واجبة هى الأخرى .. بل إن الأمر أبعد من هذا – كذلك – إذ إن الإسلام اليوم ليس له دولة تحتكم إليه فى شؤونها،وتصدر عنه فى جميع تصرفاتها... فاحكام الإسلام معطله .. فإذا كان الاحتكام إلى شريعة اللّه فريضة إسلامية ، وكان تحقق هذه الفريضة مرهوناً بوجود دولة ، يصبح بالتالى العمل لإقامة الدولة الإسلامية – ومن اهم وسائله الدعوة إلى اللّه – فريضة عين على كل مسلم ومسلمة حتى يتحقق وجود هذه، الدولة كما يصبح المتخلفون عن ذلك " آثمين " شرعاً ولايرفع الإثم عنهم سوى نهوضهم بتبعات الدعوة إلى الإسلام وإسهامهم الفعلى فى حدود طاقاتهم وإمكانياتهم، بتهيئة كل الأسباب والوسائل لإقامة دولة الإسلام .

ولقد فرض على دعاة الإسلام أن يحملوا مواريث النبوة وأن يضطلعوا بأعبائها . ولقد كان من أهم مواريث النبوة مواجهة الجاهلية فى شتى صورها وأشكالها ومجاهدة المنكر مهما كانت صولته وجولته (٢)، مصداقاً

---

(١) لمعرفة المزيد عن هذه القاعدة واشتقاقها : ينظر كتب الأصول التى منها :
(أ) روضة الناظر وجنة المناظر فى أصول الفقه على مذهب الامام أحمد بن حنبل / للامام موفق الدين عبدالله بن أحمد بن قدامه المقدسى ،(ت: ٥٤٩ – ٦٢٠) ،(ط : ٤ عام ١٣٩٧هـ – السلفيه – (الناشر : قصى محب الدين الخطيب)،(ص : ١٩).
(ب) قواعد الأصول ومعاقد الفصول /لصفى الدين عبدالمؤمن بن كمال الدين عبدالحق البغدادى الحنبلى ، (ت: ٦٥٨ – ٧٣٩)، تحقيق د:على عباس الحكمى ،(الناشر : معهد البحوث العلمية بمكة (ط/عام ١٤٠٩هـ/١٩٨٨ م) ، (ص : ٢٥) .
(٢) ينظر : كيف ندعو الى الاسلام/فتحى يكن (ص: ١٥ – ١٦) باختصار .

لقوله تعالى :

﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ ﴾

(سورة الكهف ، الآية "٢٩")

والدعوة إلى الله عز وجل التى نعنيها والتى يجب على المسلمين القيام بها هى الشاملة لما يأتى :

(١) تأسيس مجتمع إسلامى : كدعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام التى كانت تبدأ - فى المجتمع الجاهلى - من دعوة الناس إلى دين الله وتبليغهم وحيه وتحذيرهم من الإشراك به .

(٢) دعوة الإصلاح فى المجتمعات المسلمة التى أصيبت بشىء من الانحراف وظهر فيها بعض المنكرات ، وضيع فيها بعض الواجبات .

(٣) استمرار الدعوة فى المجتمعات القائمة بالحق ، للحفاظ على سلامتها بالموعظة الدائمة ،والتذكير والتزكية والتعليم .

وإذا كان معنى الدعوة إلى الله جلّ وعلا يشمل كل هذه الأحوال الثلاثة فهل نطالب اليوم بالقيام بجميعها ؟ وهل الحكمة والمصلحة يقتضيان ذلك ؟ ثم هل فى وسع المسلمين - على حالهم اليوم - أن يقوموا بكل ذلك ؟ .

الجواب : أما الصنف الأول فيأتى فى مرحلة تالية بعد البدء بما هو أهم منه ،وإن كان هناك من المسلمين من يتحمس له بل يبذل جهوداً فى محاولة القيام به لكنا نقول : إن المسلمين حين يقومون بهذا الواجب ، ينبغى أن يقوموا به بعد أن يقيموا الإسلام فى واقع حياتهم ،حتى يرى الناس فيهم القدوة الصالحة ،والمسلمون اليوم -وللاسف الشديد- قد فقدوا فى أنفسهم القدوة الصالحة لغيرهم .وأما الدعوة للحفاظ على سلامة المجتمع من تطرق الخلل إليه فهذا يحصل عند وجود المجتمع الذى لاتوجد فيه ظواهر الفساد والانحراف وأين نحن من هذا اليوم ؟ .

ولم يبق معنا سوى التوجه بالدعوة الى :

(أ) إصلاح مافسد من أخلاق الناس وسلوكهم ، وردهم عن الانحراف الذى وقعوا فيه ، وتبليغ دين الله سبحانه الذى أصبحت الغالبية العظمى من الناس تجهل اكثره .

(ب) وحماية المسلمين من مكائد الأعداء التى تصل المسلمين عبر كثير من الوسائل المستحدثه .

(ج) ومحاربة المنكرات الظاهرة ، هذه هى البداية الصحيحة التى يتم بها إيجاد القاعدة السليمة للانطلاق، والتى يتمثل فيها الإسلام واقعاً ، وحينئذ تتم الدعوة بالقول والعمل، بالحجة والسلوك السوى والقدوة الحسنة .

وموضوعنا الذى نتحدث عنه ذو شقين :

الشق الأول : ضرورة الدعوة إلى الله عز وجل .

الشق الثانى : وجوب الدعوة ويشتمل على :

(١) أصول الدعوة .

(٢) مراتب الدعوة .

(٣) حكم الدعوة .

(٤) الأدلة على وجوب الدعوة من نصوص :

(أ) الكتاب العزيز .

(ب) والسنة الشريفة .

ونريد أن نتناول كلاً منهما على حده :(١)

---

(١) ينظر : معالم الدعوة فى قصص القرآن الكريم/ لعبد الوهاب بن لطف الديلمى ، (ط : ١ ، عام ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م)، (الناشر : دار المجتمع) ، (٣٣/١ – ٣٤) باختصار وتصرف .

(ب) ضرورة الدعوة إلى اللّه :

أما كونها ضرورة فللأمور الآتية :

(١) إنه يتم بالدعوة إلى اللّه عز وجل إقامة الحجة على الناس ، وذلك من المهمات التى بعث اللّه عز وجل لأجلها رسله ، وأنزل كتبه وبها يستجيب من يستجيب ويعرض من يعرض بعد البيان ؛ لأن اللّه عز وجل لايعذب من علم أزلاً شقاءهم حتى يقيم عليهم الحجة كما يقول تعالى :

﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ﴾

(سورة الاسراء ، الآية "١٥").

وقد أخبر اللّه عز وجل فى كتابه الحكيم ، أنه خلق الناس ليبتليهم فى هذه الحياة أيهم أحسن عملاً ، كما قال عز وجلّ :

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾

(سورة الملك ، الآية "٢")

ويتحقق الإبتلاء فى أن يعرف الناس ماخلقوا لأجله ،ويعرفوا كيفية القيام به .

﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾

(سورة الذاريات ، الآية "٥٦")

﴿ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾

(سورة النحل ، الآية "٤٤")

وكل هذا لايتم إلا بهداية الناس وإرشادهم إلى الحق وبذل

الجهد فى الدعوة إلى اللّٰه عز وجلّ ، ولذلك كان من رحمة اللّٰه تعالى وكمال حكمته ، أن أرسل إلى عباده رسلاً وأنزل إليهم كتباً .

(٢) لاتخلو الدنيا من وجود نوازع الشر والمطامع والأهواء،وأرباب هذه النوازع لايصلون إلى مايريدون إلا عن طريق الفساد والإفساد ، ولذلك يودّون شيوع الفاحشة فى المجتمعات ، حتى يتمكنوا عن طريقه من الوصول إلى مايريدون ، وقد أنذر سبحانه أمثال هؤلاء فى قوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ ﴾

(سورة النور ، الآية "١٩")

(٣) إذا لم تقم الأمة بواجب الدعوة إلى اللّٰه،من الجهاد فى سبيل اللّٰه ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فذاك دليل نهايتها وهوانها وذلها ، جاءت بذلك الأدلة فى السنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم.من ذلك الحديث الذى رواه عَبْدُاللّٰهِ بْنِ عَمْرِوْ بْنِ الْعَاصِ رَضِىَ اللّٰهُ عَنْهُمَا قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللّٰهِ صَلّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يقُولَ : " إِذا رَأَيْتُمْ أُمَّتِى تَهابُ الظَّالِمَ أَنْ تَقولَ لَهُ أَنَّكَ أَنْتَ ظَالِمٌ فَقَدْ تَوَدْعَ مِنْهُم وقَالَ رَسُولَ اللّٰهِ صَلّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يكون فى أمتى خَسْفٌ(١) ومَسْخٌ(٢) وقَذْفٌ(٣) "(٤)

---

(١) " خسف " النقصان والهوان . ينظر : النهاية فى غريب الحديث لابن الاثير)،(٣١/٢) .

(٢) " مسخ " وهو قلب الخلقه من شئ الى شئ . ينظر : (النهاية/ لابن الأثير)، (٣٢٩/٤) .

(٣) " قذف " الرمى بقوة ، ينظر : (النهاية فى غريب الحديث لابن ==

(٤) ومن الكوارث التى تحل بالأمة ، بسبب تركها الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، تسلط الأشرار عليهم وعدم استجابة دعائهم نتيجة ضياع هذه الفريضه وكل ذلك مما توعد به رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم حيث قال فى الحديث الذى رواه حُذَيْفَةَ (١) ابْنُ الْيَمَانِ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَاباً مِنْهُ ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلاَ يُسْتَجَابُ لَكُمْ "(٢)،(٣)

وقبل الانتقال إلى الشق الآخر وهو وجوب الدعوة إلى اللّٰه عز وجل فى الفصل الأول من الباب الأول ، لابد من الإيجاز الشديد للآتى :

== الأثير) ، (٢٩/٤) .

(٤) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده فى (١٦٣/٢) ، قال الحافظ نورالدين على بن ابى بكر الهيثمى ،(ت : ٨٠٧ هـ) فى مجمع الزوائد ومنبع الفوائد بتحرير الحافظين الجليلين : العراقى وابن حجر ، (ط : ٣/ ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م) ،(الناشر : دار الكتاب العربى - بيروت - لبنان) : رواه أحمد والبزار باسنادين ورجال أحمد إسنادى البزار رجال الصحيح ، وكذلك رجال أحمد ،(٢٦٢/٧ ، ٢٧٠) .

(١) حذيفه بن جسل بن جابر العبسى ابوعبداللّٰه ، واليمان لقب حسل : صحابى ، من الولاة الشجعان الفاتحين كان صاحب سر النبى صلى اللّٰه عليه وسلم فى المنافقين ، وولاه عمر على المدائن بفارس ، فأصلح بلادهم واستقدمه عمر إلى المدينة فلما قرب وصوله اعترضه عمر فى ظاهرها ، فرآه على الحال التى خرج بها فعانقه وسرّ بعفته ثم أعاده الى المدائن ، فتوفى فيها سنة (٣٦ هـ) وله فى كتب الحديث " ٢٢٥ حديثا " .
ينظر : (حلية الاولياء / لابن نعيم : ٢٧٠/١) ،(تهذيب التهذيب / لابن حجر : ٢١٩/٢).

(٢) أخرجه الترمذى فى سننه ،(كتاب الفتن ،باب ماجاء فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر) ،(رقم :٢١٦٩) ،(٢٦٨/٤) . قال أبوعيسى : هذا حديث حسن .

(٣) ينظر : معالم الدعوة/للديلمى ،(٣٧/١ - ٤٣)باختصار وتصرف .

(جـ) علاقة الحسبة والدعوة فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر :

(١) علاقة الحسبه بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر :

الحسبة فى الحقيقة إنما هى جزء من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . وهى كما عرفها العلماء (أمر بالمعروف إذا ظهر تركه ، ونهى عن المنكر إذا ظهر فعله)[(١)].

(وهى وظيفة دينية من باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر)[(٢)]

والحسبه تقوم على أساس الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر [(٣)]

وهى عنوان إصلاح الأمة من داخلها . أما الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فهو يعم الدعوة والتبليغ والجهاد والسياسة مع إصلاح الأمة [(٤)].

(٢) علاقة الدعوة بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر :

(أ) (إن مضمون تبليغ الدعوة ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واحد وإن كان هناك اختلاف فى اللفظ .

---

(١) ينظر :
(أ) الأحكام السلطانيه / لعلى بن محمد بن حبيب (الماوردى) ، (ط : ١٣٩٨ هـ – ١٩٧٨ م) ،(دار الكتب العلمية – بيروت) ، (ص : ٢٤٠) .
(ب) الأحكام السلطانيه / لمحمد بن الحسين بن محمد بن خلف الفراء أبويعلى الحنبلى ، (تصحيح وتعليق / محمد حامد الفقى) ، (ط : ١ / القاهرة ١٩٣٨ م) ، (ص : ٤١٣) .

(٢) مقدمة ابن خلدون / عبدالرحمن بن محمد ، (ط / القاهرة ، المكتبة التجارية الكبرى) ، (ص : ٢٢٥) .

(٣) ينظر : نظام القضاء فى الشريعة الإسلامية / د : عبد الكريم زيدان ، (ط : ١/١٤٠٤ هـ مطبعة العانى – بغداد) ، (ص : ٢١٣) .

(٤) ينظر : الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر / لجلال الدين العمرى / تعريب محمد الإصلاحى ، (ص : ١٣٥) الحاشيه .

(ب) الارشاد ، والإصلاح ، والهداية .. قاسم مشترك بين الدعاة والآمرين بالمعروف)[١].

وللحسبة شروط عند العلماء وآداب يطول بحثها اكتفى بالاحالة اليها[٢]. فلننتقل الآن إلى الشق الآخر من عنوان الموضوع وهو : وجوب الدعوة إلى الله عز وجل .

---

(١) وجوب تبليغ الدعوة والداعية / للشيخ عبدالله ناصح علوان ، (ط : ١٤٠٥/١ هـ - ١٩٨٥ م) ، (الناشر : دار السلام للطباعة والنشر والترجمه ، (سلسلة مدرسة الدعاة ، فصول هادفه فى فقه الدعوة والداعيه) ، (٢٢/٣) .

(٢) ينظر :

(أ) الحسبه فى الإسلام / لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية / تحقيق محمد زهرى النجار ، (ط : بدون) ، (الناشر : المؤسسة السعديه بالرياض) .

(ب) الإحتساب فى دعوة الإمام / لبدر عبدالرزاق الماص ، (ط : ١/ ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م) ، (الناشر : مكتبة المنار الإسلامية - الكويت) ، (ص : ٢١ - ٢٢) .

(ج) إحياء علوم الدين / للإمام أبوحامد الغزالى ، (ط : بدون) ، (الناشر : دار المعرفه - بيروت) ، (٣١٩/٢) .

(د) شرح النووى على صحيح مسلم (٢٢/٢ - ٢٥) .

الفصل الأول

وجوب الدعوة إلى الله عز وجل .

ويشتمل على اربعة مباحث :

الأول : أصول الدعوة ومراتبها .

أ - أصول الدعوة الإسلامية .

ب - مراتب الدعوة الإسلامية .

الثاني : حكم تبليغ الدعوة .

الثالث : الأدلة على وجوب الدعوة .

من نصوص :

- الكتاب الكريم

الرابع : الأدلة على وجوب الدعوة

من نصوص :

- السنة الشريفة

المبحث الأول

أصول الدعوة ومراتبها.

أ - أصول الدعوة الإسلامية:

١- موضوع الدعوة:

أ - تعريفه.

ب - أركانه.

ج - خصائص الإسلام.

د - أنظمة الإسلام.

هـ - مقاصد الإسلام.

٢ - الداعي:

أ - تعريفه.

ب - عدة الداعي

ج - أخلاق الداعي.

٣ - المدعو:

أ - تعريف المدعو.

ب - أصناف المدعوين.

ج - أساليب الدعوة ووسائلها.

(الأول) أصول الدعوه ومراتبها :

(أ) أصول الدعوة الإسلامية :

نقصد بالدعوة : الدعوة إلى الله؛لقوله تعالى فى محكم كتابه المنزل : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ (سورة يوسف ،الآية "١٠٨")

والمقصود بالدعوة إلى الله : الدعوة إلى دينه وهو الإسلام كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾ ﴾ (سورة آل عمران ، الآية "١٩")

فالإسلام هو : موضوع الدعوة وحقيقتها ، وهذا هو الأصل الأول للدعوة . وقد بلغ الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم هذا الإسلام العظيم أحسن تبليغ وأكمله،وظل يدعو إلى الله منذ أن أكرمه الله بالرسالة إلى حين انتقاله إلى جوار ربه الكريم،ولهذا أرسله الله تعالى فقال عز من قائل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾ (سورة الاحزاب ،الآية "٤٥"،"٤٦")

فهو صلى الله عليه وسلم الداعى الأول إلى الإسلام ، فالداعي إذاً هو الأصل الثانى للدعوة. والذين دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام وبلغهم رسالته هم العرب وغيرهم؛لان رسالته عامة إلى جميع البشر غير مقصورة على العرب قال تعالى :

﴿ قُلْ
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى
لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ
فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ
وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾

(سورة الاعراف ، الآية "١٥٨")

فالمدعو إلى الإسلام إذاً هو الأصل الثالث للدعوة . وقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدعوة إلى الإسلام بالوسائل والأساليب والمناهج التى أوحى بها الله إليه، والثابتة فى القرآن والسنة النبوية الكريمة ، وهذه الوسائل والأساليب ومايتعلق بها هى الأصل الرابع للدعوة .

فأصول الدعوة إذاً أربعة هي :

(١) موضوعها .

(٢) الداعي .

(٣) المدعو .

(٤) الوسائل .

(١) موضوع الدعوة :

قلنا إن موضوع الدعوة هو الإسلام الذى أوحى اللّٰه تعالى به إلى رسوله محمد صلى اللّٰه عليه وسلم فى القرآن والسنة المطهرة، ولهذا لابد من بيان :

(أ) تعريفه .

(ب) أركانه .

(ج) خصائصه .

(د) أنظمته .

(هـ) مقاصده بإيجاز شديد[١].

(أ) تعريف الاسلام :

والتعريف المختار الذى نجعله أساساً لبيان أركان الإسلام هو التعريف الذى ورد عن النبى صلى اللّٰه عليه وسلم فى حديث جبريل حيث جاء بهيئة أعرابى يسأل رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم ، ليسمع الحاضرون ويتعلموا أمور دينهم ، جاء فى الحديث الذى رواه أَبُوهُرَيْرَةَ رَضِىَ اللّٰهُ عَنْهُ قَالَ : كَانَ ٱلنَّبِىُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَارِزاً يَوْماً لِلنَّاسِ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ : مَا الإِيمَانُ ؟ قَالَ : الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَبِلِقَائِهِ وَرُسُلِهِ وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ ، قَالَ : مَا الإِسْلَامُ ؟ قَالَ : الإِسْلَامُ أَنْ تَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَاتُشْرِكَ بِهِ ، وَتُقِيمَ ٱلصَّلَاةَ ، وَتُؤَدِّىَ ٱلزَّكَاةَ ٱلْمَفْرُوضَةَ ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ ، قَالَ : مَا الإِحْسَانُ؟ قَالَ : أَنْ تَعْبُدَ ٱللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ ، قَالَ مَتَى ٱلسَّاعَةُ ؟ قَالَ مَا ٱلْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ ٱلسَّائِلِ ، وَسَأُخْبِرُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا : إِذَا وَلَدَتِ ٱلْأَمَةُ رَبَّهَا ، وَإِذَا تَطَاوَلَ رُعَاةُ ٱلإِبِلِ ٱلْبُهْمُ فِى ٱلْبُنْيَانِ ، فِى خَمْسٍ لَايَعْلَمُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ، ثُمَّ تَلَا ٱلنَّبِىُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِنَّ ٱللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ[٢]) الآيَةَ ، ثُمَّ أَدْبَرَ فَقَالَ : رُدُّوهُ ، فَلَمْ يَرَوْا شَيْئاً ،

---

(١) ينظر : أصول الدعوه / د: عبدالكريم زيدان ، (ص : ٥ ، ٧) .

(٢) سورة لقمان " الآية ٣٤ " .

فَقَالَ : هٰذَا جِبْرِيلُ جَاءَ يُعَلِّمُ ٱلنَّاسَ دِينَهُمْ "(١)

(ب) أركان الإسلام :

ذكرنا حديث جبريل وفيه جواب النبى صلى اللّٰه عليه وسلم عن الإسلام بأن : الإسلام له أركان خمسة :

(١) شهادة أن لا إلٰه إلا اللّٰه وأن محمداً رسول اللّٰه ٠

(٢) وإقام الصلاة ٠

(٣) وإيتاء الزكاة ٠

(٤) وصوم رمضان ٠

(٥) وحج بيت اللّٰه الحرام ٠

فمعنى شهادة " لا إله إلا اللّٰه " – أى لامعبود بحق الا الله (٢)

---

(١) (آ) أخرجه البخارى فى (كتاب الإيمان ، باب سؤال جبريل النبى صلى اللّٰه عليه وسلم عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعه وبيان النبى صلى اللّٰه عليه وسلم له) ،(رقم : ٥٠) ،(١/١ ١٥ – ١٦) بهذا اللفظ ٠
وفى (كتاب التفسير ، باب قوله : ان الله عنده علم الساعه) ،(رقم:٤٧٧٧) ٠(٩٥/٦/٢) ٠

(ب) وأخرجه مسلم فى صحيحه ،فى (كتاب الإيمان ،باب بيان الإيمان والاحسان ووجوب الإيمان باثبات قدر الله سبحانه وتعالى) ، (رقم : ٨ – ٩) ،(٣٦/١ – ٣٧ – ٣٨ – ٣٩) ٠

(ج) وأخرجه أبوداود فى سننه ،فى (كتاب السنه ،باب فى القدر) ، (رقم : ٤٦٩٥) ،(٢٢٣/٤ – ٢٢٤) ٠

(د) وأخرجه الترمذى فى سننه ،فى (كتاب الإيمان ،باب ماجاء فى وصف جبريل للنبى صلى اللّٰه عليه وسلم للإيمان والإسلام) ،(رقم: ٢٦١٠) ،(٦/٥) ٠

(هـ) وأخرجه النسائى فى سننه ،فى (كتاب الإيمان وشرائعه – باب صفة الإيمان والإسلام) ، (رقم : ٤٩٩١) ، (١٠١/٨، ١٠٢) ٠

(٢) ينظر:

(آ) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد /للشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ ،راجع حواشيه وصححها وعلق عليها – الشيخ عبدالعزيز بن باز (الناشر : دار الفكر) ،(ص : ٤٢) ٠

ومعنى شهادة " أن محمداً رسول اللّٰه " أي طاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر ، واجتناب مانهى عنه وزجر ، وألاّ يعبد اللّٰه إلاّ بما شرع .(١)

(جـ) خصائص الإسلام :

(١) للإسلام خصائصه الخاصة به التى تميزه عن غيره تمييزاً واضحاً بارزاً من حيث:مصدره من عند اللّٰه . وهذه هى خصيصته الأولى . " إنه من عند اللّٰه " .

(٢) وهو من حيث مدى نوع العلاقات التى ينظمها والأفعال التى يحكمها شامل . وهذه هى خصيصته الثانيه " الشمول " .

(٣) وهو من حيث الأشخاص الذين يحكمهم عام لجميع البشر باق لايزول وهذه هى خصيصته الثالثه " العموم " لكل زمان ومكان.

(٤) وهو من حيث نوع الجزاء الذى يصيب مخالفه أومتبعه ذو جزاء أخروى بالإضافة إلى جزائه الدنيوى . وهذه خصيصته الرابعة " الجزاء فى الإسلام " .

(٥) وهو من حيث نزوعه إلى المثاليه دون إغفال للواقع مثالى وواقعى . وهذه هى خصيصته الخامسه " المثاليه والواقعيه "(٢)

(د) انظمة الإسلام :

سأعدد أهم أنظمة الإسلام وهى على النحو الآتى :

(١) نظام الأخلاق .

(٢) نظام المجتمع .

(٣) نظام الإفتاء .

(٤) نظام الحسبة .

(٥) نظام الحكم .

---

(١) ينظر: فتح المجيد شرح كتاب التوحيد/للشيخ عبدالرحمن آل الشيخ(ص : ٤٥)

(٢) ينظر: أصول الدعوة الإسلاميه / د. عبدالكريم زيدان ،(ص : ٤٣) باختصار وتصرف .

(٦) نظام المال أو نظام الاقتصاد .

(٧) نظام الجهاد .

(٨) نظام الجريمة[١].

(د) مقاصـــد الإســـلام :

إن مقاصد الإسلام التى دلّ استقراء نصوص الشريعة عليها هـى تحقيق مصالح العباد ودرء المفاسد والاضرار عنهم فى العاجل والآجل ،وبهذا كله تتحقق لهم السعادة الحقة فى حياتهم هنا وحياتهم هناك .

وبهذا صرح المحققون من علماء الإسلام :

فقال الشيخ ابن تيميه : (إن الشريعة الإسلامية جاءت بتحصيل المصالـح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها بحسب الإمكان)[٢]

وقال الشاطبى[٣] فى موافقاته : (إنها ـ أى الشريعة ـ وضعـت لمصالح العباد فى العاجل والآجل معا)[٤].

---

(١) أصول الدعوة الإسلامية / د. عبدالكريم زيدان ، (ص : ٧٤) باختصار وتصرف .

(٢) منهاج السنة النبوية فى نقض كلام الشيعه والقدريه / أحمد بن عبدالحليم ابن تيميه الحرانى الحنبلى / وبهامش كتابه المسمى بيان موافقه صريح المعقول لصحيح المنقول ، (ط : بدون) ،(الناشر: دار الباز ـ المروه بمكة المكرمة) ، (١٤٧/١) ،(٢٤٠/٢) .

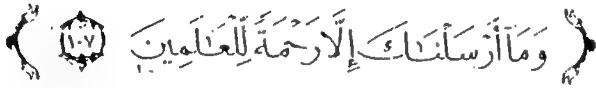
(٣) هو ابراهيم بن موسى بن محمد اللخمى الغرناطى ، أصولى حافظ من أئمة المالكية ، له كتاب ، (الموافقات) وكتاب (الإعتصام) توفى سنة (٧٩٠ هـ) .
ينظر : (معجم المؤلفين/لعمر كحاله : ١٢٨/١) ،(الإعلام للزركلى: ٧٥/١) .

(٤) الموافقات فى أصول الشريعه/لابواسحاق ابراهيم بن موسى بن محمد الشاطبى ، (ط : بدون) ، (الناشر : دار المعرفه : بيروت) ، (٦/٢) .

وقال العز[١] بن عبد السلام : " إن الشريعه كلها مصالح إمـــا درء مفاسد أو جلب مصالح "[٢].

وقال الإمام ابن قيم الجوزيه[٣] : " الشريعة مبناؤها وأساسها على الحكم ومصالح العباد فى المعاش والمعاد، وهى عدل كلها، ورحمة ومصالـــح كلها، وحكمة كلها "[٤]

والواقع أن ماذكره هؤلاء الأئمة الأعلام حق ووصف ثابت للإسلام، تـــدل عليه نصوصه ويكفى هنا أن نذكر نصاً فى تعليل رسالة محمد صلى الله عليه وسلم يتضمن ماقالوه قال جلّ جلاله :



(سورة الانبياء ، الآية "١٠٧")

---

(١) هو عبدالعزيز بن عبدالسلام السُلَمى ، فقيه شافعى بلغ رتبة الاجتهاد ولد بدمشق عام (٥٧٧ هـ) ،وتولى الخطابه بالجامع الأموى ، لـــه (قواعد الاحكام فى مصالح الانام) ، توفى فى سنة (٦٦٠هـ).
ينظر : (العبر فى اخبار من عبر / للذهبى:٢٦٠/٥) ، (شـــذرات الذهب / لابن العماد ٣٠١/٥) .

(٢) قواعد الاحكام فى مصالح الانام / للإمام أبى محمد عزالدين عبدالعزيز بن عبدالسلام السلمى " العز " الملقب بسلطان العلماء ، (ط:بدون)، (الناشر : مطبعة الاستقامه فى القاهره) ، (٩/١) .

(٣) هو محمد بن أبى بكر بن أيوب الذرعى الدمشقى ، عالم فقيه أديـــب مجاهد مصلح ، تتلمذ على ابن تيميه ، وانتصر له ، وسجن معه بدمشق، من مصنفاته – وهى كثيرة جداً منها : (اعلام الموقعين) و (مدارج السالكين) ، ولد فى سنة (٦٩١ هـ) وتوفى فى سنة (٧٥١ هـ) .
ينظر : (الدر الكامنه /للعسقلانى ٤٠٠/٣) ، (النجوم الزاهـــره لابن تغري بردى ٢٤٩/١٠) ، (بغية الوعاة/للسيوطى ص ٢٥) .

(٤) اعلام الموقعين / شمس الدين محمد بن ابى بكر بن ايوب بن سعـــد الدمشقى (ابن القيم) ، (راجعه وعلق عليه طه عبدالرءوف سعد) ، (ط : بدون) ، (الناشر : دار الجيل / بيروت ١٩٧٣ م) ، (٣/٣).

(٢) الداعـــــى :

هو المكلف شرعاً بالدعوة إلى اللّه فلابد من بيان تعريفه والعـــدة التى تعينه على أداء ماكلف به ، كما يحتاج إلى نوع معين من الأخـــلاق الإسلامية اكثر مما يحتاجه غيره .

(أ) تعريف الداعى :

إن المكلف بالدعوة إلى اللّه هو كل مسلم أو مسلمة لأن الأمة الإسلامية تتكون منهما ، فكل بالغ عاقل من الأمة الإسلامية - وهى المكلفة بالدعوة إلى اللّه - مكلف بهذا الواجب ، ذكراً كان أو أنثى ، فلا يختص العلمـــاء أو كما يسميهم البعض رجال الدين بأصل هذا الواجب ، لأنه واجب على الجميـع وإنما يختصون بتبليغ تفاصيله وأحكامه ومعانيه،نظراً لسعة علمهم بــه ومعرفتهم بجزئياته . ويزيد الأمر وضوحاً . فى أن المكلف بالدعوة إلى اللّه تعالى هو كل مسلم ومسلمة قوله جل جلالـــه :

﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾

(سورة يوسف ، الآية "١٠٨")

فأتباع الرسول صلى اللّه عليه وسلم المؤمنون به يدعون إلى اللّـــه على بصيرة أى علم ويقين ، كما كان رسولهم صلى اللّه عليه وسلم يدعو إلى اللّه ، فإذا تخلف عن الدعوة دل تخلفه هذا على وجود نقص أو خلل فـــى إيمانه . والمؤمنون به عليه الصلاة والسلام هم الذكور والإناث على السواء.

لذلك قال صلى اللّه عليه وسلم : فى الحديث الذى رواه أَبُو سَعِيدٍ(١)

---

(١) هو سعد بن مالك بن سنان الخدرى الانصارى الخزرجى ،(١٠ ق هـ - ٧٤)هـ ، ابوسعيد ،صحابى جليل ،كان من ملازمى النبى صلى اللّه عليه وسلم ،وروى حنظله بن أبى سفيان ،عن أشياخه :انه لم يكن أحد من أحداث أصحاب ==

الْخُدْرِيّ ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : " مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَراً فَلْيُغَيِّرْهُ بِيدِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ "(١).

وفى الحديث الذى رواه تَمِيمٍ(٢) الدَّارِيّ عَنْ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " الدِّينُ النَّصِيحَةُ " قُلْنَا : لِمَنْ ؟ قَالَ : " لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ "(٣)

= رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم من أبى سعيد الخدرى . وروى عن الرسول أحاديث كثيرة ، وغزا اثنتى عشرة غزوة ، وله ١١٧٠ حديثاً ، توفى فى المدينه .
ينظر : (جمهرة انساب العرب / لابن حزم : ٣٦٢) ، (تهذيب ابن عساكر / لابن بدران : ١١٠/٦) .

(١) (أ) أخرجه مسلم فى صحيحه فى (كتاب الإيمان ،باب بيان كون النهى عن المنكر من الإيمان ، وان الإيمان يزيد وينقص وان الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واجبان) ،(رقم : ٤٩) ،(٦٩/١)، واللفظ له .
(ب) وأخرجه أبوداود فى سننه فى (كتاب الصلاة ،باب صلاة العيدين)، (رقم : ١١٤٠) ، (٢٩٦/١ – ٢٩٧) .
وفى (كتاب الملاحم ، باب الأمر والنهى) ، (رقم : ٤٣٤٠) ، (١٢٣/٤) .
(جـ) وأخرجه ابن ماجه فى سننه فى (كتاب الفتن ،باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر) ،(رقم : ٤٠١٣) ،(١٣٣٠/٢).
(د) وأخرجه الترمذى فى سننه فى (كتاب الفتن ،باب ماجاء فى تغيير المنكر باليد أو باللسان أوبالقلب)،(رقم : ٢١٧٢)،(٤/ ٤٦٩ – ٤٧٠) ، قال أبوعيسى : هذا حديث حسن صحيح .
(هـ) وأخرجه النسائى فى سننه فى كتاب الإيمان وشرائعه ، باب تفاضل اهل الإيمان) ،(رقم : ٥٠٠٨ – ٥٠٠٩) ،(١١١/٨،١١٢).

(٢) تميم بن اوس بن خارجة الدارى ،ابورقيه ،صحابى ،أسلم ،(سنة ٩ هـ)، وكان يسكن المدينه ،ثم انتقل الى الشام بعد مقتل عثمان ،فنزل بيت المقدس ، وهو أول من اسرج السرج بالمسجد ، وكان عابداً زاهداً روى له البخارى ومسلم ، مات رضى الله عنه بفلسطين (٤٠ هـ) .
ينظر : (التاريخ / ليحى بن معين : ٦٦) ،(تاريخ خليفه / لابن خياط العصفرى : ٣٤١) .

(٣) سبق تخريجه : (ص : ٩٧) .

(ب) عـدة الداعـى :

يحتاج الداعى إلى اللّٰه فى أداء مهمته ووظيفته -التى هى فى الأصل وظيفة رسل اللّٰه- إلى عدة قوية هى :

(١) الفهم الدقيق .

(٢) الإيمان العميق .

(٣) الاتصال الوثيق بالله تعالى .

(٤) الامتثال والتطبيق لما يدعو اليه .

هذه هى مقدمات عدة الداعى وأركانها وإذا فقدها لم يغن عنها شىء آخر، وإذا ضعفت معانيها فى نفسه فعليه أن يقومها .

(جـ) أخـلاق الداعـى :

اخلاق الداعى المسلم هى أخلاق الإسلام التى بينها اللّٰه تعالى فى كتابه وفصلها رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم فى سنته ، وتخلق بها صحابته الكرام فى سلوكهم ، وهى لازمة لكل مسلم ، وما عليه الا أن يعرض نفسه عليها ليزن نفسه فى ميزانها ليعلم ماعنده منها ومالم يصل إليه بعد منها وهناك بعض الأخلاق الإسلامية التى لها صلة وثيقة بعمل الداعى ويحتاج إليها حاجة ملحة تبلغ الضرورة، إذا أراد النجاح فى عمله الطيب المبرور ، ومن هذه الأخلاق التى لايسع المقام لتعدادها :

(١) الصدق .

(٢) الصبر .

(٣) الرحمة .

(٤) التواضع .

(٥) المخالطة والعزلة .

(٣) المَدْعُـــــو :

يستلزم التعريف بالمدعو وبيان ماله وماعليه وأصناف المدعوين :

(أ) الإ نســان أى إنسان كان هو المدعو إلى اللّٰه تعالى لأن الإسلام رسالة اللّٰه الخالدة بعث اللّٰه بها محمدا صلى اللّٰه عليه وسلم إلى الناس أجمعين.والمدعو من حقه أن يوتى ويدعى وأن لايستهان به ولايستصغر شأنه . هذا بيان ماله . أماما عليه فعليه أن يستجيب إذامادعى إلى اللّٰه؛لانه يدعى إلى الخير والحق،ويستجيب لنداء ربه جلّ جلاله ، وعليه بعد أن يهديه اللّٰه للإسلام-أن يقوم بحق الإسلام فيقيم أمور حياته وسلوكه على مناهج الإسلام ويعبد اللّٰه على النحو الذى أمر به وبينه فى قرآنه وعلى لسان رسوله .

(ب) أصناف المدعوين :

(١) فى كل مجتمع يوجد سادة وأشراف لهم نفوذ فيه وقد يكون بأيديهم السلطان وهؤلاء هم الذين يسميهم القرآن " الملأ " .

(٢) وإزاء هؤلاء يوجد جمهور الناس وعامتهم وهؤلاء هم الصنف الثانى .

(٣) فاذا مااستجاب الناس إلى الدعوة إلى اللّٰه ودخل الإيمان فى قلوبهم وصارت الغلبه للمؤمنين وصار المجتمع إسلامياً أمكن عند ذلك ظهور صنف آخر يظهر الإسلام رياء ونفاقاً ويبطن الكفر ، هؤلاء هم المنافقون وهم الصنف الثالث .

(٤) كما أن من دخل الإسلام قد يكون إسلامه ضعيفاً وإيمانه رقيقاً مما يجعل أنزلاقه إلى المعاصى سهلاً وهؤلاء هم العصاة ويكونون الصنف الرابع من أصناف المدعوين .

(ج) أساليب الدعوة ووسائلها :

الدعوة إلى اللّه تحتاج إلى علم وكفاءة معينة على التبليغ، والتأثير، والاستفادة، والظروف، والاحوال، ومعرفة أحوال النفوس المدعوة . أما العلم فقد ذكرناه فيما يتصل بموضوع الدعوة إلى الإسلام . وهنا نتكلم عن العلم الذى يتصل بكيفية مباشرة التبليغ وازالة العوائق عنه .

وهذه هى أساليب الدعوة ، كما سنذكر مايستعين به الداعى لتبليغ الدعوة من أشياء، وأمور، وهذه هى وسائل الدعوة. فإذا فقه الداعى ذلك كله أمكنه أن يكون على قدر من الكفاءة لتبليغ معانى الدعوة إلى اللّه ، فكل ميسر لما خلق له ، والأمور بيد اللّه يصرفها كيف يشاء سبحانه ، وعلى هذا سينقسم الموضوع الى ثلاثة أقسام هى :

(١) مصادر أساليب الدعوة ووسائلها ومدى الحاجة اليها وهذه المصادر هى :

(أ) القرآن الكريم .

(ب) السنة النبوية .

(ج) سيرة السلف الصالح .

(د) استنباطات الفقهاء .

(هـ) التجارب .

(٢) أساليب الدعوة : تقوم أساليب الدعوة الناجحة على مايلى :

(أ) تشخيص الداء فى المدعوين، ومعرفة الدواء والتأكيد على ذلك .

(ب) إزاحة الشبهات التى تمنع المدعوين من رؤية الداء والإحساس به .

(ج) ترغيبهم فى استعمال الدواء وترهيبهم من تركه .

(د) تعهد المستجيبين منهم بالتربية والتعليم، لتحصل لهم المناعة ضد دائهم القديم .

(٣) وسائل الدعوة : نريد بالوسائل مايستعين به الداعى على تبليغ الدعوة إلى الله على نحو نافع مثمر وهى نوعان :

(أ) وسائل تتعلق باتخاذ الاساليب لتهيئة المجال الجيد المساعد لتبليغ الدعوة إلى الله ونسميها الوسائل الخارجية للدعوة وهذه الوسائل كثيره نذكر منها :

(١) الحذر .

(٢) الاستعانة بالغير من أهل الخير والكفاءة .

(٣) النظام .

(ب) وسائل يتم بها تبليغ الدعوة : تبليغ الدعوة إلى الله تكون بالآتى :

(١) التبليغ بالقول .

(٢) التبليغ بالعمل .

(٣) التبليغ بالسيرة الحسنة .[1]

---

(١) ينظر : أصول الدعوة / د: عبدالكريم زيدان ، (ص : ٣٢٣ – ٤٥٢) باختصار وتصرف .

(ب) مراتب الدعوة إلى الله :

للدعوة إلى الله مرتبتان هما :

المرتبة الأولى :

هى دعوة هذه الأمة سائر الأمم إلى التوحيد والإسلام، وأن يشاركوهم فيما هم عليه من النور والهدى . وهذا مطلوب منا بحكم جعلنا أمة وسطاً وشهداء على الناس ، وبحكم كوننا خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وبحكم قوله تعالى فى وصف المؤمنين :

﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾

(سورة الحج ، الآية "٤١")

فالواجب دعوة الناس أولاً إلى اعتناق الدين ، فإن أجابوا، وجب أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر .

لهذا أصبح من الواجب على هذه الأمة أن تقوم بهذه الدعوة وأن تبلغها إلى سائر أمم الأرض وصورة ذلك :

* إما بالكتابة إليهم، داعياً لهم إلى الإسلام شارحاً لهم مبادئه ومحاسنه .
* وإما بإرسال الرسل والبعثات التبشيرية من العلماء القادرين على بيان الإسلام أصلاً وفرعاً .
* وإما بإيصال كتب مترجمة إلى لغات الأقوام المبعوث إليهم وذلك سيراً على طريقة الداعية الأول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم [1]

---

(١) ينظر : مرشد الدعاة للشيخ محمد نمر الخطيب ، (ط : ١٤٠١/١ هـ - ١٩٨١ م) ، (الناشر :دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت) ، (ص : ٦٢ - ٦٤) .

المرتبة الثانية :

هى دعوة المسلمين بعضهم بعضاً إلى الخير وتامرهم فيما بينهم بالمعروف ، وتناهيهم عن المنكر ، ولهذه المرتبه صورتان هما :

(أ) الدعوة العامة الكلية ، وانما يقوم بها خواص الأمة ، والعارفون بأسرار الاحكام وحكمة الدين وفقهه ، وهم المشار اليهم بقوله تعالى :

﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾

(سورة التوبه ، الآية "١٢٢")

(ب) الدعوة الخاصة الجزئية: وهى مايكون بين الأفراد بعضهم مع بعض وهو مايكون بين المتعارفين ، من الدلالة على الخير والحث عليه عند عروضه، والنهى عن الشر والتحذير منه ، وكل ذلك من التواصى بالحق والصبر، وكل واحد يأخذ من الفريضه العامه بقدر(١) . عندها يتم بناء الأمة ويتحقق قوله تعالى فيهم :

﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾

(سورة العصر)

---

(١) ينظر : مؤتمر تفسير سورة يوسف عليه السلام ، وفيه طبائع الصهيونيين/ بقلم كاتب سر المؤتمر الاستاذ العلامه الشيخ عبدالله العلمى الغزى الدمشقى ، (قدم له فضيلة الاستاذ / محمد بهجة البيطار) ، (ط : ١٣٨١/١ هـ - ١٩٦١ م) ، (الناشر : دار الفكر بدمشق) ، (١٤٣٥/٢- ١٤٣٦) باختصار .

المبحث الثاني

حكم تبليغ الدعوة إلى الله .

(الثانى) حكم تبليغ الدعوة :

يدور حكم تبليغ الدعوة بين الواجب العينى والواجب الكفائى،وبكل قال جماعة من العلماء ولابد قبل أن نعرف حكم تبليغ الدعوة أن نعرف الفرق بين فرض العين وفرض الكفاية : قيل فى الفرق بينهما (١) :

المقصود من الإيجاب قد يكون إتعاب المكلف بالاشتغال به كما فى الأركان الأربعة وقد يكون المقصود شيئاً آخر يجب لأجله مايحصل المقصود بحصوله ، فإذا حصل المقصود لايبقى الواجب واجباً،كالجهاد فإنه إنما وجب لإعلاء كلمة اللّٰه تعالى ، فإذا أتى به البعض حصل الإعلاء ، وسقط الواجب .

وقيل فى إيضاح هذا الفرق أيضاً .

إن فرض الكفاية وفرض العين مشتركان فى التعبد والمصلحة ، والفرق بينهما أن المقصود فى فرض الكفايه تحصيل المصلحة التى تضمنها فمن أى شخص حصلت كان هو المطلوب وفى فرض العين تعبد الأعيان بفضله (٢).

بعد أن وضحنا الفرق بين فرض العين وفرض الكفايه :

بقى أن نبين حكم تبليغ الدعوة . وهو كما سبق أن قلنا إنه يدور بين هذين الواجبين وسوف أعرض آراء العلماء القائلين بأن تبليغ الدعوة فرض كفاية ، وأدلتهم،ورأى الفريق الآخر المقابل من العلماء القائلين بأن تبليغ الدعوة فرض عين ، ومايؤيد رأيهم من الأدلة :

---

(١) ينظر:فواتح الرحموت شرح مسلم الشبوت / عبدالعلى محمد بن نظام الدين الانصارى ، (ط : ١٤٠٣/٢ هـ - ١٩٨٣ م) ، (الناشر:دار الكتب العلميه / بيروت) ، (٦٣/١) .

(٢) ينظر : المدخل الى مذهب الامام أحمد بن حنبل / ابن بدران عبدالقادر احمد بن مصطفى الدمشقى ، (ط: بدون) ،(الناشر : ادارة الطباعة المنيريه بمصر) ، (ص: ١٠٣ - ١٠٤) .

(١) الفريق الأول من العلماء:

هم القائلون بأن حكم تبليغ الدعوة فرض كفاية إذا قام به البعض سقط التكليف " الطلب " عن الآخرين وهو رأى أغلبية الجمهور ،وقد استدلوا على ذلك بما يلى :

(أ) قوله تعالى ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾

(سورة آل عمران ، الآية "١٠٤")

ويرى معظم المفسرين أن " من " فى قوله " منكم " للتبعيض،أى لتكن منكم طائفة منتصبة للدعوة إلى الله بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

ويقول ابن العربى(١) المالكى : (إن هذه الآية دليل على أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فرض كفاية)(٢).

وذكر ابن كثير فى تفسيره هذه الآية قوله :(ولتكن منكم امة منتصبة للقيام بأمر الدعوة إلى الخير ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واولئك هم المفلحون)(٣)

---

(١) محمد بن عبدالله بن محمد المعافرى الاندلسى الاشبيلى ، المالكى ، المعروف بابن العربى (٤٦٨ - ٥٤٣ هـ) عالم مشارك فى الحديث والفقه والأصول وعلوم القرآن والأدب والنحو التاريخ وغيرها من تصانيفه الكثيرة (احكام القرآن)، (المحصول فى الاصول)، (غوامض النحويين) .
ينظر : (وفيات الاعيان / لابن خلكان : ٦١٩/١) ، (تذكرة الحفاظ / للذهبى : ٨٦/٤ ، ٨٩) .

(٢) احكام القرآن لمحمد بن عبدالله بن العربى / تحقيق محمد على البجاوى ، (ط : بدون) ، (الناشر : دار المعرفة / بيروت) ، (٢٩٢/١).

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٩٠/١) .

وفصل القول فى ذلك الامام الغزالى[1] وأوضحه بقوله : (فيهــا ـ أى الآيه ـ بيان أنه فرض كفاية ،لا فرض عين،وإنه إذا قام به أمة أسقط الفرض عن الآخرين؛إذ لم يقل كونوا كلكم آمرين بالمعروف بل قال :"ولتكن منكم أمة " فإذاً مهما قام به واحد أو جماعة سقط الحرج عن الآخرين)"[2]

وأيد صاحب الكشاف هذا القول : (حيث بين أن الأمر بالمعروف ،والنهى عن المنكر ، من فروض الكفايات،وأنه لايصلح للآمر إلا من علم المعرفــه والمنكر ، وعلم كيف يرتب الأمر فى إقامته ، وكيف يباشر ، فإن الجاهــل ربما أمر بمنكر ونهى عن معروف،وربما عرف الحكم فى مذهبه وجهله فى مذهب صاحبه)[3].

وكذلك الإمام الرازى[4] يؤيد هذا الرأى فيقول فى تفسيره لقولــه تعالى : (ولتكن منكم أمة ... " إن بعضهم يرى الأمر بالمعروف والنهى عن

---

(١) محمد بن محمد الغزالى الطوسى ، أبوحامد . اشتهر بالتصوف والفلسفه (٤٥١ ـ ٥٠٥ هـ) نبغ فى علوم عده وألف فى فنون كثيرة وأشهــر مصنفاته (احياء علوم الدين ، (المستصفى) .
ينظر : (المنتظم فى تاريخ الملوك والامم / لابن الجوزى ١٦٨/٩) ، (معجم المؤلفين / عمر كحالة ٢٦٦/١) .

(٢) احياء علوم الدين / للإمام أبوحامد الغزالى ، (٣٠٧/٢) .

(٣) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل /لابــى القاسم جارالله محمود بن عمر الزمخشرى الخوارزمى ، (ط : بدون)، (الناشر : دار الفكر ـ بيروت) ،(٤٥٢/١) .

(٤) محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين بن على التيمى ، البكــرى ، الطبرستانى ، الرازى (٥٤٣ وفى رواية ٥٤٤ ـ ٦٠٦ هـ) ، مفســر ، متكلم ، فقيه ، أصولى حكيم ، أديب وشاعر ، طبيب مشارك فى كثيــر من العلوم ... ولد بالري من أعمال فارس ، وتوفى بهراة وخلف تركــة ضخمة . من تصانيفه الكثيرة : (مفاتيح الغيب) ، (شرح الوجيــز للغزالى) ، (السرّ المكتوم فى مخاطبة النجوم) .
ينظر :(وفيات الاعيان / لابن خلكان : ٦٠٠/١ ـ ٦٠٢) ، (طبقــات الشافعية / للسبكى : ٣٥/٥) .

المنكر مختصاً بالعلماء ويدل عليه وجهان :

* أولهما : أنه يحتاج إلى العلم .

* والثاني : بلفظه .

وإنا أجمعنا على أن ذلك واجب على سبيل الكفاية بمعنى أنه متى قام به البعض سقط عن الباقين، وإذا كان كذلك كان المعنى ليقم بذلك بعضكم فكان فى الحقيقة هذا إيجاباً على البعض لا على الكل)[(١)]

(ب) ﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾

(سورة التوبة ، الآية "١٢٢")

قال البيضاوى فى تفسيره لهذه الآية : (وفيه دليل على أن التفقه والتذكير من فروض الكفاية)[(٢)].

وقال الشيخ محمد رشيد رضا : (والآية تدل على وجوب تعميم العلم والتفقه فى الدين، والإستعداد لتعليمه فى مواطن الإقامة، وتفقيه الناس فيه على الوجه الذى يصلح به حالهم ويكونون به هداة لغيرهم)[(٣)].

(ج) وقال تعالى : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾

(سورة النحل ، الآية "١٢٥")

---

(١) مفاتيح الغيب فى تفسير القرآن الكريم/ لمحمد الرازى ، (ط: عام ١٣٠٨ هـ) ،(الناشر : المطبعة العامره الشرقيه بمصر)،(٢٠/٣) باختصار.

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، (ص : ٢٧٠) .

(٣) تفسير القرآن الحكيم ، الشهير بتفسير المنار / للشيخ محمد رشيد رضا ،(ط : عام ١٣٦٥ هـ) ،(الناشر : دار المنار بمصر) ،(٧٨/١١).

فالله سبحانه وتعالى فى هذه الآية الكريمة يأمر نبيه،ومن تبعه بالدعوة إليه ، وأوضح لهم أيضاً الأساليب لهذه الدعوة التى يجب أن يتبعوها فى أثناء الدعوة إلى سبيل الله،ألا وهي الحكمة ، والموعظة الحسنة ، والمجادلة بالتى هى أحسن ، ومعلوم أن هذه الأساليب لايتقنها كل إنسان فلابد للداعيه إلى الله من العلم والمعرفة اللذين يحققان نجاح دعوته،وأيضاً لابد من الحكمة لوضع الأمور فى نصابها .

(٢) الفريق الثانى من العلماء :

والذين ذهبوا إلى أن الدعوة إلى الله واجب عينى على كل مكلف حسب طاقته . استدلوا على ذلك بما يلى :

(أ) قوله تعالىٰ:

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾

(سورة آل عمران ، الآية "١٠٤")

فدليلهم على ذلك الآية التى استدل بها الفريق الأول أيضاً على أن " من " بيانية ، وليست تبعيضة . فالمسلم مكلف بالدعوة إلى الله حسب إمكانياته . واستدلوا على ذلك بالحديث الذى رواه أَبُوسَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :" مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَراً فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ . فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ . وَذلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ "(١).

ففى نظرهم أن هذا الحديث الشريف يؤيد رأيهم فى أن " من " بيانية ، وأن المسلم مكلف بالدعوة إلى الله ، وأنها واجب عينى على حسب الطاقة ،

---

(١) سبق تخريجه : (ص : ١٣٣) .

والجهد ومما يؤيد هذا القول ماقاله العلامة عبدالقادر عوده :

(إن وضع واجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر على عاتق الجاهل لن يؤدى إلى الأضرار التى يتوقعونها . لأن الجاهل بطبيعة الحال لايأمر ولا ينهى إلا ماهو ظاهر لا خلاف عليه كأداء الصلاة والنهى عن السرقة والزنا) (١).

ويرى الشيخ محمد عبده : (أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فرض عين فيقول فى تفسيره للآية الكريمة : " ولتكن منكم أمة ... " .

إن المفروض الذى ينبغى أن يحمل عليه خطاب التنزيل ، هو أن المسلم لايجهل مايجب عليه ، وهو مأمور بالعلم والتفرقة بين المعروف والمنكر على أن المعروف عند إطلاقه يراد به ماعرفته العقول والطباع السليمة ، والمنكر ضده ، وهو ماأنكرته العقول والطباع السليمة ، ولايلزم لمعرفة هذا قراءة " حاشية ابن عابدين على الدر " ، ولافتح القدير ، ولا المبسوط وانما المرشد إليه – مع سلامة الفطرة – كتاب الله وسنة رسوله المنقولة بالتواتر والعمل . وهو مالايسع أحداً جهله ،ولايكون المسلم مسلماً إلا به . فالذين منعوا عموم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، جوزوا أن يكون المسلم جاهلاً لايعرف الخير من الشر ولايميز بين المعروف والمنكر وهو لايجوز ديناً) (٢)

(ب) وقوله تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾

(سورة آل عمران ، الآية "١١٠")

---

(١) التشريع الجنائى مقارناً بالقانون الوضعى /عبدالقادر عودة ،(ط:مطبعة المدنى) ،(الناشر:مكتبة دار التراث – القاهرة) ،(٤٩٥/١) .

(٢) تفسير القرآن الحكيم ،الشهير بتفسير المنار/ للشيخ/محمد رشيد رضا، (ط: ٢) ،(الناشر:دارالمعرفة – بيروت) ،(٢٧/٢) .

فهذه الآية الكريمة تدل على أن الأمة الإسلامية أمة دعوة ومن الواضح انها نالت هذه الخيريه التى اختصت بها من بين جميع الأمم بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والإيمان بالله تعالى ، والخطاب فى الآية عام لكل الأمة ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الذى رواه عَبْدِاللّه بن عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :" بَلِّغُوا عَنِّيْ وَلَوْ آيَةً ، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلاحَرَجَ ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ "(١)

فهذا خطاب من الهادى البشير محمد صلى الله عليه وسلم الى أمته بالتبليغ عنه ولو آية واحدة . والخطاب فى هذا عام لكل إنسان سواءً كان رجلاً أو امرأة ، حسب طاقته ومقدرته واستطاعته .

وبعد هذا العرض الوجيز لآراء الفريقين ، وأدلة كل فريق . فإنى أرجح القول القائل : " بأن الدعوة إلى الله تعالى لابد لها من علم ومعرفة حتى تتحقق أهدافها المرجوة ، وتجنى ثمارها ، وتصل إلى المدعوين سالمة نقية من الشوائب والأخطاء .

(لأن الدعوة لاتعنى البته ان تنفخ بضع كلمات فى أذن شخص ما ، ولا أن تنتقد أسلوب حياته المنحرف ، فان الدعوة عمل يتطلب غاية التضحية ولاتظهر إلى الوجود إلا حين يضحي الداعى بوقته وعواطفه وماله وكل مايملكه)(٢).

---

(١) (أ) أخرجه البخارى فى صحيحه فى (كتاب الانبياء ، باب ماذكر عن بنى إسرائيل) ، (رقم : ٣٤٦١) ، (١٣٦/٤/٢) .

(ب) وأخرجه الترمذى فى سننه فى (كتاب العلم ، باب ماجاء فى الحديث عن بنى إسرائيل) ،(رقم : ٢٦٦٩) ،(٤٠/٥) .

(٢) مسؤليات الدعوه / وحيد الدين خان ، ترجمة : ظفرالإسلام خان ، (ط : ١٣٩٧/١ هـ - ١٩٧٧ م) ، (نشر بالتعاون مع المركز الإسلامى للبحوث ، دلهى ، الهند) ، (ص : ١٠) .

وقد ذكر الدكتور عبدالحليم محمود مايسند هذا الرأى الذى رجحته فى قوله تعالى " ولتكن منكم امة يدعون الى الخير " فقال :(إن كلمة " من " فى قوله تعالى " منكم " إنما هى للتبعيض آخرجت من لايستطيعون الدعوة إلى الخير ولايستطيعون الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لعجزهم أو جهلهم أو ضعفهم)(١).

ومما يؤيد هذا القول ماقاله ابن تيميه فى الفتاوى :
فقد قال : (وقد تبين بهذا أن الدعوة إلى اللّه تجب على كل مسلم ،لكنها فرض على الكفاية وإنما يجب على الرجل المعين من ذلك مايقدر عليه إذا لم يقم به غيره ، وقال : قد تبين أنهما واجبان على كل فرد من أفراد المسلمين وجوب فرض الكفاية لا وجوب فرض الاعيان كالصلوات الخمس بل كوجوب الجهاد)(٢).

و من ترجيحنا لهذا القول والتسليم به يستلزم منّا ذلك أن نذكر بعض أمور يجب توافرها فى المجتمع ،ليتحقق الواجب الكفائى ، وتقوم الدعوة إلى اللّه ، وتنجح وتؤتى ثمارها ، وتزدهر فى جميع أرجاء المعمورة .

من هذه الأمور التى يجب توافرها فى المجتمع لكى يتحقق الواجب الكفائى هي أنه :

(١) لابد من وجود التناصح العام بين المسلمين جميعاً :

(وهذا يعني التناصح والتواصى بالحق والصبر عن طريق التفاهم، دون أن يتغير قلب الناصح والمنصوح على أخيه ، وأن يتقبل كل منهم نصح أخيه بصدر رحب)(٣). حيث إن مثل التقدم بالنصيحة قبولها .

---

(١) مجلة البحوث الاسلاميه ،(المجلد : ١ ،العدد : ٢ ، ص : ١٤٥ - ١٤٦)، " من زوايا الدعوه إلى اللّه " .

(٢) الفتاوى الكبرى لابن تيمية ، (١٦٦/١٥) .

(٣) الطريق الى جماعة المسلمين/حسين بن محسن بن على جابر،(ط: ١٤٠٥/١هـ - ١٩٨٤ م) ،(الناشر: دار الدعوة -الكويت) ،(ص : ٣٨١) .

فالصادق يفرح بها ، والمداهن يضجر منها،وقد وصف اللّه تعالى الكاذبين ببغضهم للناصحين ، وقال جلّ ذكره :

﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ۝٧٩ ﴾ (سورة الاعراف ،الآية "٧٩")

وكان الحسن البصري[١] رحمه اللّه ملحاحاً فى الحث على هذا الخلق لهاّجاً فى تزيينه ، حتى جعله ثلث العيش ، فقال : (لم يبق من العيش إلا ثلاث : آخ لك تصيب من عشرته خيراً ، فإن زغت عن الطريق قوّمك ، وكفاك من عيش ليس لأحد عليك فيه تبعة ،وصلاة فى جمع تكفى سهوها وتستوجب أجرها)[٢]. وقال ذو النون[٣] : (لاتصحب مع اللّه إلا الموافقة،ولامع الخلق الا بالمناصحة،ولامع النفس إلا بالمخالفة ولا مع الشيطان إلا بالعداوة)[٤].

لهذا نرى اللّه سبحانه وتعالى وصف المؤمنين بالتواص بالحق والصبر،عن طريق التفاهم دون أن يتغير قلب الناصح والمنصوح على

---

(١) هو الحسن بن يسار ، امام البصرة وعالمها ، أحد الفقهاء العلماء الشجعان ، تابعى ناسك ، له مواقف مشهورة مع الحكام والولاة ، حياته من (٢١ هـ – ١١٠ هـ) .
ينظر : (تاريخ البخارى : ٢٨٩/٢) ، (الزهد / لأحمد : ٢٥٨) ، (طبقات المفسرين / للشيرازى : ١ / ١٤٧) .

(٢) الأخوة / جاسم محمد مهلهل ، (ط : ٢ / ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م) ،(ص : ٢٥٨) ، (الناشر : دار الدعوه – الكويت) ، (ص : ٥٠) .

(٣) هو معين الدين بن جرجس ، أبومحمد ذو النون الموصلى ، (ت نحو ١٢٣٥ هـ) ، فقيه حنفى ، من فضلاء الموصل ، له كتب منها : (تحية الإسلام) ، (ومعدن السلامه) ، (ارجوزه فى تجويد القرآن) .
ينظر :(الاعلام / للذركلى) ، (٢٧٤/٧) .

(٤) المستلخص فى تزكية الانفس / سعيد حوى ، (ط : ١ / ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣م)، (الناشر : دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع) ، (ص : ٤٤٦) .

آخيه وأن يتقبل كل منهم نصح الآخر ، فقال تعالى فى شأنهم :

﴿ وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾

(سورة العصر)

وقال سيد قطب فى تفسيره لسورة العصر :

(اما التواصى بالحق والتواصى بالصبر فتبرز من خلالهما صورة الأمة المسلمة - أو الجماعة المسلمة - ذات الكيان الخاص والرابطة المميزه والواجهة الموحده ، فمن خلال لفظ التواصى ، ومعناه ، وطبيعته ، وحقيقته ، تبرز صورة الأمة أو الجماعة ، المتضامنه ، الأمة الخيرة الواعية ، هكذا يريد الإسلام أمة الإسلام أن تكون أمة خير قوية - واعية قائمة على حراسة الحق والخير متواصية بالحق والصبر والتواصى تذكير وتشجيع وإشعار بالقربى فى الهدف والغاية) (١)

لهذا قرر الرسول صلى الله عليه وسلم أن النصيحة ملاك الدين وجامعة لمقوماته وفى هذا يقول صلى الله عليه وسلم فى الحديث الذى رواه تَمِيمٍ الدَّارِيِّ قَالَ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " الدِّينُ النَّصِيحَةُ " قُلْنَا : لِمَنْ ؟ قَالَ : " لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ "(٢)

(٢) لابد أن يعلم المسلمون أن من معانى الفرض الكفائى أنه متوجه إلى المسلمين جميعاً لكى يعملوا على تحقيق هذا الفرض .

فقد قال الشيخ عبدالله دراز بصدد شرحه (لقوله تعالى :

---

(١) فى ظلال القرآن لسيد قطب ، (ط : ١٠ / ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م) ، (الناشر: دار الشروق) ، (٣٩٦٧/٣٠/٦ - ٣٩٦٨) بتصرف .

(٢) سبق تخريجه : (ص : ٩٧) .

" ولتكن منكم أمة ... " ومعنى توجه الطلب على الجميع أن ينهضوهم لذلك،ويعدوهم له،ويعاونوهم بكل الوسائل ليتحقق هذا المهم من المصلحة،فإن لم يحصل هذا المهم من المصلحة أثم جميع المكلفين المتأهل وغيره)[١].

قال الدكتور عبدالكريم زيدان : (وحتى لو قلنا إن الدعوة تجب على البعض الآخر باعتبار أنها من فروض الكفاية،فإن الشرط للخروج من عهدة الفرض الكفائى حصول الكفاية بمن يقوم به ، ولما كانت الكفاية غير حاصلة ، الآن فيجب أن يقوم بهذا الواجب كل مسلم حسب قدرته ، لاسيما فى زماننا؛ حيث لايزال الشر والشرك والجاهلية والوثنيه تغشى مجتمعات البشرية ، فإن نشر الدعوة إلى الله فى هذه المجتمعات يحتاج إلى جهود جبارة يشترك فيها جميع المسلمين كل حسب استطاعته بماله أو تعليمه ، أو بفكره أو بسلطانه)[٢]

(وقد تكون الدعوة إلى الله فرض عين على الشخص إذا كان يقيم فى بلد أو كان لايوجد به أحد يقوم بهذا الواجب سواه فإذا وجد من يقوم بالدعوة صار التبليغ فى حقه فرضاً كفائياً)[٣].

ولكى تنجح الداعية في أداء مهمتها على أكمل الوجوه وأتمها ، لابد لها من الإلمام بكل ماذكرنا فى طى هذا المبحث لتكون ركائزها متينة، تبنى عليها عملها ، وتكرس جهدها فتتحقق الثمرة المرجوه ، ألا وهي كثرة الصالحات ، وقلة الشرور والآفات ، وقيام المجتمع الإسلامى السليم . والله الهادى إلى الصراط المستقيم .

---

(١) الموافقات / للشاطبى ، (١٧٦/١) .
(٢) أصول الدعوه ، (ص : ٣٠٤) .
(٣) خصائص الدعوة الإسلامية / محمد امين حسن ، (ط : ١٤٠٣/١ هـ - ١٩٨٣م)، الناشر : مكتبة المنار - الاردن) ، (ص : ٢١) .

المبحث الثالث

الأدلة على وجوب الدعوة إلى الله .

من نصوص :

الكتاب الكريم .

وفيه مسألتان :

الأولى : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لبّ

الدعوة الإسلامية .

الثانية : أنواع الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر .

الثالث: الأدلة على وجوب الدعوة إلى الله من نصوص :

الكتاب :

الادلة على وجوب الدعوة كثيرة جداً نذكر منها ما يلى:
فالمؤمنه الداعيه تتلقى الأمر من ربها وخالقها من الله سبحانه وتعالى وهو يخاطب رسوله صلى الله عليه وسلم ومن تبعه من أمته .

(١) فيقول تبارك وتعالى :

﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾

(سورة الحجر ، الآية "٩٤")

قال سيد قطب رحمه الله وهو بصدد تفسيره لهذه الآية الكريمة :
(إن الصدع بحقيقة هذه العقيدة، والجهر بكل مقوماتها وكل مقتضياتها ضرورة فى الحركة بهذه الدعوة فالصدع القوى الناقد ، هو الذى يهز الفطرة الغافيه ، ويوقظ المشاعر المتبلده ، ويقيم الحجة على الناس)[١] .

(والمراد بالصدع الذى أمر به النبى صلى الله عليه وسلم هنا هو أن يكشف عما أوحى إليه من ربه، وأن يظهره للناس ويبلغه إياهم والتعبير هنا يشير إلى أمرين :

الأول :إن هذه المهمه التى يقوم بها النبى صلى الله عليه وسلم مهمة شاقة وعسيرة، من شأنها أن يتصدع لها كيان الإنسان كما تتصدع الأرض حين تنشق عن النبات المخبوء فى صدرها، كما يقول جلّ شأنه :

﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴿١٢﴾ ﴾

(سورة الطارق ، الآية "١١"، "١٢")

---

(١) فى ظلال القرآن / للسيد قطب ، (٢١٥٥/١٤/٤) .

وإلى ثقل هذه المهمة يشير قوله تعالىٰ :

﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ ﴾

(سورة المزمل ، الآية "٥")

الثاني: إن هذا الذى يصدع به النبى صلى اللّٰه عليه وسلم ويخرجه من صدره هو مما تتزوّد به ألنفوس وتحيا عليه القلوب،كما تتزود الأجساد بما تخرج الأرض من حب وثمر يمسك وجودها بحفظ حياتها)[١]

(أمر رسول اللّٰه بتبليغ الرسالة للجميع والجهر بها فقد مضت مرحلة الإسرار فى الدعوة،فأصدع بالذى تؤمر به،وفرق به جمعهم،واجهر بدعوتك فسينشق بها حائطهم،وسيصدع جدارهم،وأعرض عن المشركين،ولاتبال بهم فاللّٰه عاصمك منهم،ومؤيدك بروح من عنده)[٢].

("فأصدع بما تؤمر به ..." فاجهر به من صدع بالحجة إذا تكلم بها جهاراً أو افرق بين الحق والباطل وأصله الإبانة والتمييز و "ما" مصدرية أو موصولة والعائد محذوف أي ماتؤمر به من الشرائع المودعة فى تضاعيف ما أوتيته من المثانى السبع والقرآن العظيم)[٣].

فهذا يدل على عظم هذه المهمة التي كلف اللّٰه بها محمد صلى اللّٰه عليه وسلم حيث أمر بالجهر بالدعوة بعد أن كانت سراً ، وأن لايبالى بالمشركين

---

(١) التفسير القرآنى للقرآن / عبدالكريم الخطيب ، (ط : بدون) ، (الناشر : دار الفكر العربى) ، (٢٦٤/١٤/٤) .

(٢) التفسير الواضح /د. محمد محمود حجازى ، (ط : ١٣٨٨/٤ هـ – ١٩٦٨م) ، (الناشر : دار الجيل) ، (٢٦/١٤/٢) .

(٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم /لابى السعود محمد العمادى ، (٩٢/٥/٣) .

الذين يشكلون العقبة فى طريق مضيه فى دعوته ، فلا يبالى بهم بالإعراض عنهم ، فهذا ليس خاص بالنبى صلى اللّٰه عليه وسلم بل هو عام لاتباعه السائرين على هديه ، فالعبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب فإنه يشمل جميع الدعاة ذكوراً وإناثاً،بأن يجهروا بالحق ولايخشوا فى اللّٰه لومة لائم ليسمع له صدى فى كل مكان وزمان .

(٢) قوله تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾

(سورة النحل ، الآية "١٢٥")

قال الشوكاني :

(ثم امر الله سبحانه رسوله أن يدعو أمته إلى الإسلام فقال : " ادع الى سبيل ربك " وحذف المفعول للتعميم، لكونه بعث إلى الناس كافة. وسبيل الله هو الإسلام " الحكمة " أي بالمقالة المحكمة الصحيحة . قيل وهى الحجج القطعية المفيدة لليقين " والموعظه الحسنه " وهى المقالة المشتملة على الموعظة الحسنة التى يستحسنها السامع، وتكون فى نفسها حسنة باعتبار انتفاع السامع بها . قيل وهى الحجج الظنية الاقناعية الموجبة للتصديق بمقدمات مقبولة ، قيل وليس للدعوة إلا هاتان الطريقتان ولكن الداعى قد يحتاج مع الخصم الألد إلى استعمال المعارضه والمناقضة ونحو ذلك من الجدل . ولهذا قال سبحانه " وجادلهم بالتى هى أحسن " اى بالطريقة التى هى أحسن طرق المجادلة ، وإنما أمر سبحانه بالمجادلة الحسنه لكون الداعى محقاً، وغرضه صحيحاً ، وكان خصمه مبطلاً، وغرضه فاسد. " إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله " لما حث سبحانه على الدعوة بالطرق المذكورة بين أن الرشد والهداية ليس إلى النبى صلى الله عليه وسلم وإنما ذلك إليه تعالى فقال " إن ربك هو أعلم " أي هو العالم بمن يضل ومن يهتدى " وهو أعلم بالمهتدين " أى بمن يبصر الحق فيقصده غير متعنت ، وإنما شرع تلك الدعوة وأمرك بها قطعاً للمعذرة وتتميماً للحجة وازاحة للشبهة ، وليس عليك غير ذلك)(١)

---

(١) فتح القدير ، (٢٠٣/٣) .

وقال القاضي أبو السعود في قوله تعالى :" بالحكمة والموعظة الحسنة ": (" بالحكمة " أي بالمقالة المحكمة الصحيحة وهو الدليل الموضح للحق المزيح للشبهة . " والموعظة الحسنة " أي الخطابيات المقنعة والعبر النافعة على وجه لايخفى عليهم أنك تناصحهم وتقصد ماينفعهم ، فالأولى لدعوة خواص الأمة الطالبين للحقائق، والثانيه لدعوة عوامهم. ويجوز أن يكون المراد بها القرآن المجيد فإنه جامع لكلا الوصفين)[(١)].

(وأخرج ابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد رضي اللّٰه عنه في قوله " وجادلهم بالتي هي أحسن " قال : أعرض عن أذاهم إياك)[(٢)].

قال صاحب الزاد في " الحكمة " ثلاثة أقوال :

(١) إنها القرآن. رواه ابوصالح عن ابن عباس .

(٢) الفقه. قاله الضحاك عن ابن عباس .

(٣) النبوة. ذكره الزجاج .

وفي الموعظة الحسنة " قولان :

(١) مواعظ القرآن. قاله أبوصالح عن ابن عباس .

(٢) الأدب الجميل الذي يعرفونه. قاله الضحاك عن ابن عباس .

وفي قوله " بالتي هي أحسن " ثلاثة أقوال :

(١) جادلهم بالقرآن .

(٢) بـ " لا إله إلا اللّٰه " روى القولان عن ابن عباس .

(٣) وجادلهم غير فظ ولاغليظ، وألن لهم جانبك. قاله الزجاج وقال :

---

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، (١٥١/٥/٣) .

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور/للامام عبد الرحمن جلال الدين السيوطي ، (ط : ١٤٠٣/١ هـ - ١٩٨٣ م) ، (الناشر : دار الفكر) ، (١٧٨/٥) .

بعض علماء التفسير وهذا منسوخ بآية السيف)[١]

وقال صاحب مجمع البيان فى تفسير القرآن :

(ثم أمر سبحانه نبيه بالدعاء إلى الحق فقال " ادع إلى سبيل ربك " أى ادع إلى دينه لأنه الطريق الى مرضاته " بالحكمة " أي بالقرآن وسمى القرآن حكمة لأنه يتضمن الأمر بالحسن والنهى عن القبيح، وأصل الحكمة : المنع، ومنه حكمة اللجام، وإنما قيل لها حكمة لأنها بمنزلة المانع من الفساد ومالاينبغى أن يختار. وقيل إن الحكمة هى المعرفة بمراتب الأفعال فى الحسن والقبح والصلاح والفساد، لأن بمعرفة ذلك يقع المنع من الفساد والاستعمال للصدق والصواب فى الافعال والأقوال. " والموعظة الحسنه " معناه الوعظ الحسن، وهو الصرف عن القبح على وجه الترغيب فى تركه والترهيب فى فعله، وفى ذلك تليين القلوب بما يوجب الخشوع . وقيل الحكمة : هى ، النبوة ، والموعظة الحسنه : مواعظ القرآن . من ابن عباس " وجادلهم بالتى هى أحسن " أى ناظرهم بالقرآن وبأحسن ماعندك من الحجج، وتقديره بالكلمة التى هى أحسن، والمعنى اقتل المشركين واصرفهم عما هم عليه من الشرك بالرفق والسكينه ولين الجانب فى النصيحة، ليكونوا أقرب إلى الإجابة فإن الجدل هو قتل الخصم عن مذهبه بطريق الحجاج ، وقيل هو أن يجادلهم على قدر مايحتملونه)[٢].

وقال سيد قطب رحمه اللّه :

(على هذه الأسس يرسي القرآن الكريم قواعد الدعوة ومبادئها، ويعين وسائلها وطرائقها، ويرسم المنهج للرسول الكريم وللدعاة من بعده بدينه القويم، فلننظر فى دستور الدعوة الذى شرعه اللّه فى هذا القرآن. إن الدعوة

---

(١) زاد المسير فى علم التفسير / لابن الجوزى ، (٥٠٦/٤) .

(٢) مجمع البيان فى تفسير القرآن / للشيخ ابوعلى الفضل بن الحسن الطبرسى ، (ط : عام / ١٣٨٠ هـ - ١٩٦١ م) ، (الناشر : دار مكتبة الحياة - بيروت) ، (١٣٨/١٤/٤) .

دعوة إلى سبيل الله لا للشخص الداعي ولا لقومه فليس للداعي من دعوته إلا أنه يؤدي واجبه لله لافضل له يتحدث به لا على الدعوة ولا على من يهتدون به وأجره بعد ذلك على الله والدعوة بالحكمة والنظر في احوال المخاطبين وظروفهم، والقدر الذي يبينه لهم في كل مرة حتى لايثقل عليهم، ولايشق بالتكليف قبل استعداد النفوس لها، والطريقة التي يخاطبهم بها، والتنويع في هذه الطريقة حسب مقتضياتها، فلا تستبد به الحماسة والاندفاع والغيره فيتجاوز الحكمة في هذاكله وفي سواه. وبالموعظة الحسنة التي تدخل إلى القلوب برفق وتتعمق المشاعر بلطف، لا بالزجر والتأنيب في غير موجب، ولايفضح الأخطاء التي قد تقع عن جهل، أو حسن نية، فإن الرفق في الموعظة كثيراً مايهدي القلوب الشاردة، ويؤلف القلوب النافرة، ويأتي بخير من الزجر والتأنيب والتوبيخ، وبالجدل بالتي هي أحسن بلا تحامل على المخالف، ولاترذيل له وتقبيح حتى يطمئن إلى الحق فالنفس البشرية لها كبرياؤها وعنادها، ولاتنزل عن الرأي الذي تدافع عنه إلا بالرفق، حتى لاتشعر بالهزيمة، وسرعان ماتختلط على النفس قيمة الرأي وقيمتها هي عند الناس فتعتبر التنازل عن الرأي تنازلاً عن هيبتها واحترامها وكيانها، والجدل بالحسنى هو الذي يطامن(١) هذه الكبرياء الحساسة ويشعر المجادل أن ذاته مصونة، وقيمته كريمة، وأن الداعي لايقصد إلا كشف الحقيقة في ذاتها والاهتداء اليها في سبيل الله لا في سبيل ذاته ونصرة رأيه وهزيمة الرأي الآخر، ولكي يطامن الداعية من حماسته واندفاعه يشير النص القرآني إلى أن الله هو الأعلم بمن ضل عن سبيله، وهو الأعلم بالمهتدين فلا ضرورة للجاجة في الجدل، إنما هو البيان، والأمر بعد ذلك لله)(٢).

---

(١) يطامن: بغير همز ينخفض كطامن ظهره اذا حنى ظهره اى يسكن، ينظر: لسان العرب/لابن منصور، (٢٦٨/١٣)، مادة " طمن ".

(٢) في ظلال القرآن، (٢٢٠١/١٤/٤ - ٢٢٠٢) باختصار.

تعتبر هذه الآية القاعدة والأساس الذى تقام عليه الدعوة، فهى ترسم المنهج للداعيات، وترسى القواعد، وتعين على إيجاد الوسائل والطرق والخطط فى الدعوة حسب مقتضيات الأحوال والمخاطبين ، حيث يراعى فى كل الأحوال الرفق فى الموعظة وهذا من كمال الشريعة الإسلامية ، التى تعتنى فى نفوس البشر جميعاً على حسب نوعياتها وأمراضها ، فإن المشرع الحكيم هو العالم بهذه النفوس ومايصلحها ، لذلك نجده يحث على الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنه ، لتصل الداعية للهدف الذى من أجله قامت بهذه المهمة السامية، فإن أعرضت عن هذا الأسلوب الحكيم المنزل من عند اللّه ، فإن دعوتها لن تنضج وتؤتى ثمارها فى يوم من الأيام ، أما إن التزمت فى دعوتها بأسلوب الحكمة والموعظة الحسنة، فلا شك أنها بعون اللّه تعالى ستنجح فى دعوتها وتثمر وتؤتى أكلها كل حين ، ويااله من أسلوب حكيم لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فإنه من لدن عليم بالخفايا سبحانه، فإنه يقول " وجادلهم بالتى هى أحسن " أي إن من تلك النفوس من جبلت على حبّ الجدال، فحين تضطر الداعيه للمجادلة فى يوم من الأيام فليكن جدالها أيضاً بالتى هى أحسن لتثبت أن ماتدعوا اليه هو الحق .

(٣) قال سبحانه وتعالى : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾

(سورة يوسف ، الآية "١٠٨")

قال القرطبى[1] : (" قل هذه سبيلى " ابتداء وخبر ؛ أي قل يامحمد هذه طريقتى وسنتى ومنهاجى ، الذى أنا عليه وأدعو إليه يؤدى إلى الجنة " على بصيره " أي على يقين وحق)[2].

وقال ابن كثير : (وكل من اتبعه يدعو إلى مادعا إليه رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم على بصيرة ويقين وبرهان عقلى وشرعى)[3]

وقال الرازى : (وهذا يدل على أن الدعاء إلى اللّه تعالى إنما يحسن ويجوز مع هذا الشرط،وهو أن يكون على بصيرة مما يقول وعلى هدى ويقين)[4].

وقال الشوكانى : (أي قل يامحمد للمشركين هذه الدعوة التى أدعو إليها ، والطريقة التى أنا عليها ، سبيلى أي طريقتى وسنتي،فاسم الإشارة مبتدأ وخبره سبيلى،وفسر ذلك بقوله: " أدعو إلى اللّه على بصيرة " أي على حجة واضحة،والبصيرة والمعرفة التى يتميز بها الحق عن الباطل،والجملة فى محل نصب على الحال " أنا ومن اتبعنى " أي ويدعو إليها من اتبعنى

---

(١) هو محمد بن أحمد بن أبى بكر الأنصارى ، الخزرجى ، الأندلسى أبوعبداللّه القرطبى ، (ت : ٦٧١ هـ) من كبار المفسرين ، له مؤلفات عديدة أهمها : (الجامع لاحكام القرآن) .
ينظر : (طبقات المفسرين / للسيوطى : ٢٨ - ٢٩) ،(شذرات الذهب لابن العماد : ٣٣٥/٥) ، (كشف الظنون / حاجى خليفه / ٣٨٣ ، ٥٣٤).

(٢) الجامع لاحكام القرآن / لمحمد بن أحمد القرطبى ، (ط : بدون)، (الناشر : دار الشعب ،القاهرة) ،(٣٥٠٣/٤) .

(٣) تفسير القرآن العظيم ،(٤٩٦/٢) .

(٤) مفاتيح الغيب ، (٢٢٥/١٨) .

واهتدى بهديي)(١).

(ثم أمر سبحانه نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم أن يبين للمشركين مايدعو إليه فقال " قل " يامحمد لهم " هذه سبيلى " أي طريقتى وسنتى ومنهاجى ... عن ابن زيد . وقيل:معناه هذه الدعوه التى أدعوا إليها دينى وطريقتى . عن مقاتل والجبائى ثم فسر ذلك بقوله " أدعو إلى الله على بصيرة " أي أدعو إلى توحيد الله وعدله ودينه على يقين ومعرفة وحجة قاطعة لا على وجه التقليد." انا ومن اتبعنى " أي أدعوكم أنا ويدعوكم أيضاً إليه من آمن بى ويذكر بالقرآن والموعظة وينهى عن معاصى الله.قال ابن الأنبارى:ويجوز أن يتم الكلام عند قوله ادعو إلى الله ثم ابتدأ وقال على بصيرة أنا ومن اتبعنى وهذا معنى قول ابن عباس ، انه يعنى أصحاب محمد كانوا على أحسن طريقة)(٢).

(والنبى صلى الله عليه وسلم كان يدعو إلى الله على بصيرة،وهكذا خلفاؤه وعلماء السلف،والأئمة المجتهدون،وسائر العلماء الصالحين ، ولكن من المؤسف ، أن أكثر دعاة أهل اليوم ، هم على غير بصيرة ، لأنهم مزجوا الدخائل بعقائد الدين ، وأدخلوا البدع والأخلاق الرديئة فى العوائد الاسلامية ، وعلّموا الجهال تعاليم خادعة ، لتّبست الغيّ بالرشاد ، كما علموهم التأويلات الباطلة ، التى شبهت الحق بالباطل ، حتى صار الجبر " توحيداً "،وإنكار الأسباب " إيماناً "،وترك الأعمال المفيدة " توكيلاً "، ومعرفة الحقائق " كفراً وإلحاداً "،وإيذاء المخالف فى المذهب " ديناً "، والجهل بالفنون والتسليم بالخرافات " صلاحاً " واختبال العقل وسفاهة

---

(١) فتح القدير ، (٥٩/٣) .

(١) مجمع البيان فى تفسير القرآن / للشيخ أبوعلى الفضل بن الحسن الطبرسى ، (١٢٧/١٣/٤ - ١٢٩) .

الرأى " ولاية " وعرفاناً "،والذلة والمهانة " تواضعاً "،والخنوع وقبول الضيم " رضى وتسليماً "،والتقليد الأعمى لكل متقدم " علماً وايقاناً ")(١)

نعم هذا هو الفرق بين دعوة النبى صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح من بعده التى كانت على بصيرة وحق وثقة تامة بالحق الذى يدعون الناس إليه . وبين دعوة أكثر الدعاة اليوم الذين هم سائرون على غير بصيرة وهدى ، إلا من رحم ربى .

---

(١) مؤتمر تفسير سورة يوسف / للشيخ عبدالله العلمى الدمشقى ، (٢ / ١٤٢٩) .

(٤) وقال عز وجل : ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ ﴾

(سورة الكهف ، الآية "٢٩")

(معنى الآية : قل يامحمد لهؤلاء الذين اغفلنا قلوبهم عن ذكرنا : أيها الناس! من ربكم الحق فإليه التوفيق والخذلان ، وبيده الهدى والضلال يهدى من يشاء فيؤمن ، ويضل من يشاء فيكفر ؛ ليس إلىّ من ذلك شيء ، فالله يؤتى الحق من يشاء وإن كان ضعيفاً ، ويحرمه من يشاء وإن كان قوياً غنياً ، ولست بطارد المؤمنين لهواكم ؛ فإن شئتم فآمنوا ، وإن شئتم فاكفروا . وليس هذا بترخيص وتخيير بين الإيمان والكفر ، وانما هو وعيد وتهديد . أي إن كفرتم فقد أعدّ لكم النار ، وإن آمنتم فلكم الجنة)(١) .

وقال الإمام السيوطى(٢) فى تفسيره لهذه الآيه :

(أخرج ابن أبى حاتم عن قتادة فى قوله " وقل الحق من ربكم " قال : الحق هو القرآن.وأخرج حنيش فى الاستقامه وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه والبيهقى فى الأسماء والصفات عن ابن عباس فى

---

(١) الجامع لاحكام القرآن / لابى عبدالله محمد بن احمد القرطبى ، (٤٠١٠/٥) .

(٢) جلال الدين : عبدالرحمن بن أبى بكر بن محمد بن سابق الدين ،إمام حافظ مؤرخ أديب له نحو " ٦٠٠ " مصنف نشأ فى القاهرة يتيماً ، وتوفى بها (٨٤٩ - ٩١١ هـ) ، من مصنفاته (الدر المنثور فى التفسير بالمأثور) ، (تاريخ الخلفاء) ، (الجامع الصغير) . ينظر : (الضوء اللامع /للسخاوى : ٦٥/٤) ، (شذرات الذهب /للعمادى: ٥١/٨) .

قوله " فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر " يقول : من شاء الله له الإيمان آمن ومن شاء الله له الكفر كفر وهو قوله :

﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾

(سورة التكوير ، الآية "٢٩")

وأخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس فى قوله " فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر " قال : هذا تهديد ووعيد .

وأخرج ابن أبى حاتم عن رباح بن زيد قال : سألت عمر بن ضبيب عن قوله " فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر " قال : حدثنى داود بن رافع أن مجاهدا كان يقول : فليس بمعجزى وعيد من الله)(١)

قال الشهيد سيد قطب :

(بهذه العزة ، وبهذه الصراحة ، وبهذه الصرامة ، فالحق لاينثنى ،ولاينحنى، إنما يسير فى طريقه قيماً لاعوج فيه،قوياً لاضعف فيه،صريحاً لامداراة فيه . فمن شاء فليؤمن ، ومن شاء فليكفر ، ومن لم يعجبه فليذهب ، ومن لم يجعل هواه تبعاً لما جاء من عند الله . فلا مجاملة على حساب العقيدة ، ومن لم يحن هامته ويطامن من كبريائه أمام جلال الله فلا حاجة بالعقيدة إليه ، إن العقيدة ليست ملكاً لأحد حتى يجامل فيها ، إنما هي ملك لله،والله غنى عن العالمين . والعقيدة لاتعتز ولاتنتصر بمن لايريدونها لذاتها خالصة ، ولا يأخذونها كما هي بلا تحوير ، والذي يترفع عن المؤمنين الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه لايرجى منه خير للإسلام ولا المسلمين)(٢).

---

(١) الدر المنثور فى التفسير بالمأثور : عبدالرحمن بن أبى بكر السيوطى ، (ط : بدون) ، (الناشر : دار المعرفة - بيروت)، (٣٨٤/٥) .

(٢) فى ظلال القرآن ، (٢٢٦٩/١٥/٤) .

ففى الآية يأمر اللّه سبحانه وتعالى نبيه محمد صلى اللّه عليه وسلم ، أن يخاطب الذين غفلت قلوبهم عن ذكر اللّه ، واتبعوا أهوائهم فيقول لهم : إن الذي أوحى إلي هو الحق الخالص الذى لاتشوبه شائبة ،فما عليكم إلا اتباعه والعمل به ثم بعد ذلك يتهددهم ويتوعدهم فيقول :" من شاء أن يؤمن " أى يدخل فى الإيمان مع المؤمنين ويسير على مسارهم فليفعل ذلك ، أما من شاء الطريق الآخر وهو الكفر فيترك الحق ولايتبعه بل ينبذه وراء ظهره فهذا يعتبر ظالم لنفسه وقد رصد اللّه له عذاباً نتيجة إعراضه وكفره .

(٥) قال عز من قائل :

﴿ وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ الْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِۦٓ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾ ﴾

(سورة الرعد ، الآية "٣٦")

قال الآلوسي[١] :

(" إليه " أي إلى الله تعالى خاصة على النهج المذكور من التوحيد ، أو إلى ما أمرت به من التوحيد " أدعو " الناس لا إلى غيره ولا إلى شيء آخر مما لايطبق عليه الكتب الإلهية والأنبياء عليهم السلام ،فما وجه إنكاركم ؟ قاله في الإرشاد أيضاً ، والأولى عود الضمير على الله تعالى كنظيره السابق وكذا اللاحق في قوله سبحانه " وإليه " أي الله تعالى وحده " مآب " أي مرجعي للجزاء ،إن المعنى قل في مقابلة إنكارهم إني إنما أمرني الله تعالى بما أمرني به وإليه أدعو وإليه مرجعي فيما يعرض لي في أمر الدعوة وغيره فلا أبالي بإنكاركم فإنه سبحانه كاف من رجع إليه)[٢]

وقال أحمد مصطفى المراغي في تفسيره للآية :

(" اليه أدعو " أي إلى طاعته وإخلاص العبادة له وحده أدعو الناس " وإليه مآب " أي وإليه وحده مرجي ومصيري ومصيركم للجزاء ولا خلاف بيننا

---

(١) هو محمود بن عبدالله الحسيني ، الآلوسي شهاب الدين، (١٢١٧ - ١٢٧٠)هـ مفسر ، ومحدث ، فقيه ، أديب ، لغوي ، نحوي ، مشارك في بعض العلوم ، من مصنفاته الكثيرة : (روح المعاني) ، (حاشية على شرح القطر في النحو) ، (نشوة الشمول في السفر إلى إسلامبول) . ينظر : (المسك الأذفر / محمود شكري الآلوسي ٥/١ /٢٥) ، (اعلام العراق /لمحمد الأثري : ٤٣/٢١) .

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، (ط:بدون) ، (الناشر : دار احياء التراث العربي - بيروت) ، (١٦٦/١٣- ١٦٧)

فى هذا ،فالعجب لكم أن تنكروا المتفق عليه،وتختلفوا فيما لامحل للخلاف فيه . وهذه الآية جامعة لشئون النشأة الأولى والآخرة فقوله :" قل إنما أمرت أن أعبد اللّه ولا أشرك به " توحى إلى ماجاء به التكليف وقوله :" إليه أدعو " تشير إلىٰ مهامّ الرسالة وقوله : " وإليه مآب " تشير إلىٰ البعث والجزاء للحساب يوم القيامه)(١)

وقال أبوالسعود فى صدر تفسيره لهذه الآيه :

(وحيث كانت هذه الحجة الباهرة لازمة لهم لايجدون عنها محيصاً أُمر عليه الصلاة والسلام بأن يخاطبهم بذلك إلزاماً وتبكيتاً لهم)(٢).

وقال سيد قطب :

(فله وحده العبادة ، وإليه وحده الدعوة ، وله وحده المآب . وقد أمر الرسول صلى اللّه عليه وسلم - أن يعلن منهجه فى مواجهة من ينكر بعض الكتاب،وهو استمساكه الكامل بكل الكتاب الذى أنزل إليه من ربه،سواءً فرح به أهل الكتاب كله أم أنكر فريق منهم بعضه،ذلك أن ما أنزل إليه هو الحكم الأخير نزل بلغته العربية وهو مفهوم له تماماً وإليه يرجع مادام هو حكم اللّه الأخير فى العقيدة)(٣)

ويقول الدكتور محمد محمود حجازى فى تفسير الآية :

(قل يامحمد إنما أمرت أن أعبد اللّه ولا أشرك به شيئاً،إليه وحده أدعو وإليه وحده مآبى ومرجى فهذا هو التوحيد الخالص الكامل وتلك الرسالة بإيجاز دعوى إلى اللّه فقط وطاعة وإخلاص وعبادة واستعانة باللّه وحده، وأما المرجع والمآب والحساب والحزاء فإليه وحده أيضاً)(٤)

---

(١) تفسير المراغى/أحمد مصطفى المراغى ،(ط:بدون) ،(الناشر:دار التراث العربى - بيروت) ،(١١٢/١٣/٥).

(٢) إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا القرآن الكريم ،(٢٦/٥/٣).

(٣) فى ظلال القرآن ،(٢٠٦٤/١٣/٤).

(٤) التفسير الواضح ،(٥٣/١٣/٢-٥٤).

ويقول الشيخ عبدالرحمن حبنكه الميدانى :

(قل يامحمد لأهل الكتاب : ليست مهمتى استرضاءكم ، وليس الغرض مما أنزل على مما فيه تصديق لما معكم استجداء معونتكم ومساعدتكم ضد المشركين ، ولكننى رسول من عند اللّٰه مأمور بأن أعبداللّٰه ، ولاأشرك به ، واذا كنت أحارب الشرك الذى عليه قومى فلأن اللّٰه أمرنى بذلك،لا لاسترضيكم واستجدى مساعدتكم فإذا كنتم تتصورون أو تزعمون أنى أدعو إلى عبادة اللّٰه وحده وعدم الإشراك به وأهاجم ماعليه قومى من وثنية وشرك موافقة لكم فى بعض أصولكم لأجد عندكم عوناً ضد قومى ، فهو تصور خاطئ وزعم باطل وذلك،لأننى ماأمرت من قبل اللّٰه الذى أرسلنى إلا بأن أعبده وحده ولاأشرك به ، لذلك فأنا إليه وحده أدعو لا الى غيره وإليه وحده مآبى ومرجعى فى كل أمر من أمورى كما أن إليه مرجى يوم الدين) (١)

---

(١) سورة الرعد دراسه أدبيه ولغويه وفكريه ،(ط : ١٣٩١/١ هـ - ١٩٧١م)، (الناشر : دار القلم) ،(ص : ٢٣٨ - ٢٣٩) .

(٦) قال تعالى :

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَاءِي إِلَّا
فِرَارًا ۝٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا أَصَٰبِعَهُمْ
فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا
۝٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ
لَهُمْ إِسْرَارًا ۝٩ ﴾

(سورة نوح، الآيات من "٥" الى "٩")

قال الشوكاني :

("قال رب إني دعوت قومي ليلاً ونهاراً " أى قال نوح : منادياً ربه وحاكياً له ماجرى بينه وبين قومه،وهو أعلم به منه، إني دعوت قومي إلى ماأمرتني بأن أدعوهم إليه من الإيمان دعاء دائماً فى الليل والنهار من غير تقصير. " فلم يزدهم دعائي إلا فراراً " عما دعوتهم إليه وبعداً عنه. قال مقاتل: يعني تباعداً من الإيمان،وإسناد الزيادة إلى الدعاء لكونه سببها " وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم " أي كلما دعوتهم إلى سبب المغفرة وهو الإيمان بك والطاعة لك)(١)

قال أحمد مصطفى المراغى فى تفسيره :

(إنه عليه الصلاة والسلام لم يترك سبيلاً للدعوة إلا فعلها فاستعمل طرقاً ثلاثة :

(١) بدأهم بالمناصحة فى السر ، فعاملوه بما ذكر فى الآية من سدّ الآذان ، والاستغشاء بالثياب،والإصرار على الكفر، والإستعظام عن سماع الدعوة .

(٢) جاهرهم بالدعوة وأعلنهم على وجه ظاهر لا خفاء فيه .

(٣) جمع بين الإعلان والإسرار فى دعوته لهم)(٢)

---

(١) فتح القدير ، (٢٩٧/٥) .

(٢) تفسير المراغى ، (٨٢/٢٩/١٠ - ٨٣).

فالواجب على كل داعية ذكراً كان أو انثى أن يتخذ سيدنا نوح عليه السلام قدوة له وذلك بأن لايألوا جهداً فى استخدام عدد من الوسائل ولايترك سبيلاً للدعوة إلا فعله لإيصال الدعوة للناس جميعاً حسب مستوياتهم وبيئاتهم ٠

وقال صاحب التفسير القرآنى للقرآن :

(تلك هى حالة القوم مع هذا النذير الذى جاء يدعوهم الى النجاة من هذا البلاء المطل عليهم،وتلك قصته معهم يعرضها على ربه شاكياً عنادهم طالباً من اللّٰه أخذهم بالعذاب الذى هم أهل له ٠

ثم قوله :" ثم إنى دعوتهم جهاراً ثم إنى أعلنت لهم وأسررت لهم إسراراً " هو بيان للأساليب المختلفه التى اتخذها نوح لينفذ بدعوته من هذه الحجب الصفيقه التى أقامها القوم على أسماعهم وأبصارهم ٠٠ فهو تارة يدعوهم جهاراً صارخاً صراخ من يتحدث إلى أصم لايسمع ، حتى يخترق بصراخه العاصف هذا السد الذى أقاموه على آذانهم،فلما لم تنفع هذه الوسيلة معهم أمسك لسانه وزمّ شفتيه حتى إذا اطمأن القوم إلى أنه قد كف عن الحديث إليهم همس اليهم همساً خافتاً لايكاد يسُمع لعل كلمة عابرة تصل إلى أسماعهم من هذه النذر التى ينذرهم بها ٠٠ فهذا إعلان فى إسرار ٠٠ وفى العطف بثم فى قوله تعالى:" ثم إنى دعوتهم جهاراً ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسراراً " ٠٠ فى هذا مايشير إلىٰ أن كل حال من تلك الأحوال كانت تستغرق وقتاً طويلاً يقف فيه نوح حتى يملء الوقوف، وحتى يستيئس من أن أحداً يسمعه ٠٠ إنه ينادى أمواتاً ويهتف بعوالم من الجماد)(١)

قال صاحب إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم :

(" قال " أي نوح عليه الصلاة والسلام مناجياً ربه وحاكياً له تعالى وهو

---

(١) عبدالكريم الخطيب ، (٨/٢٩/١١٩٥ – ١١٩٧) ٠

أعلم بحاله،ماجرى بينه وبين قومه من القيل والقال فى تلك المدد الطوال بعد مابذل في الدعوة غاية المجهود،وجاوز فى الإنذار كل حد معهود،وضاقت عليه الحيل،وعيت به العلل " رب إني دعوت قومى " إلى الإيمان والطاعة " ليلاً ونهاراً " أي دائماً من غير فتور ولاتوان." فلم يزدهم دعائى إلا فراراً " مما دعوتهم إليه وإسناد الزيادة إلى الدعاء لسببيته،كما فى قوله تعالى " زادتهم إيماناً "." وإنى كلما دعوتهم " إلى الإيمان " لتغفر لهم " بسببه " جعلوا أصابعهم فى آذانهم " أى سدوا مسامعهم من استماع الدعوة " واستغشوا ثيابهم " أى بالغوا فى التغطى بها كأنهم طلبوا أن تغشاهم ثيابهم أو تغشيهم،لئلا يبصروا كراهية النظر اليه،أو لئلا يعرفهم فيدعوهم " وأصروا " أي أكبوا على الكفر والمعاصى، مستعار من أصر الحمار على العانة إذا أصر أذنيه وأقبل عليها واستكبروا " عن اتباعى وطاعتى " استكباراً " شديداً " ثم إنى دعوتهم جهاراً " " ثم إنى اعلنت لهم وأسررت لهم إسراراً " أى دعوتهم تارة بعد تارة،ومرة بعد مرة على وجوه متخالفه،وأساليب متفاوته " ثم " لتفاوت الوجوه فإن الجهار أشد من الاسرار،والجمع بينهما أغلظ من الإسرار أو التراخى بعضها عن بعض.وجهاراً منصوب بدعوتهم على المصدر،لأنه أحد نوعى الدعاء أو أريد بدعوتهم جهرتهم أو هو صفة لمصدر أي دعوتهم دعاء جهاراً أى مجاهراً به،أو مصدر فى موقع الحال اى مجاهراً)[1].

فالداعيه لابد أن يكون ذا نفس طويل ويتحمل مايأتيه من أذى واضطهاد فى سبيل الدعوة إلى اللّه (وهذا ماصنع نوح وهذا ماقال ، عاد يعرضه على ربه وهو يقدم حسابه الأخير فى نهاية الأمد الطويل،وهو مصدر الجهد الدائب الذى لاينقطع " إني دعوت قومى ليلاً ونهاراً " ولايمل ولايفتر ولاييأس أمام الإعراض والإصرار " فلم يزدهم دعائى إلا فراراً " .. فراراً من الداعي إلى

---

(١) أبى السعود محمد بن محمد العمادي ،(٣٧/٩/٤ – ٣٨) .

اللّٰه مصدر الوجود والحياة ومصدر النعم والآلاء،ومصدر الهدى والنور وهو لايطلب آجراً على السماع ولاضريبة على الاهتداء ممن يدعوهم إلى اللّٰه ليغفر لهم ويخلصهم من جريرة الإثم والمعصية والضلال ! .

فإذا لم يستطيعوا الفرار،لأن الداعى واجههم مواجهة وتحين الفرص ليصل إلى إسماعهم بدعوته وكرهوا أن يصل صوته إلى أسماعهم وكرهوا أن تقع عليه أنظارهم، وأصروا على الضلال،واستكبروا عن الاستجابة لصوت الحق والهدى : " وإنى كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم فى آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكباراً " وهى صورة لإصرار الداعية على الدعوة وتحين كل الفرص ليبلغهم إياها،وإصرارهم هم على الضلال،تبرز من ثناياها ملامح الطفولة البشرية العنيدة،تبرز فى وضع الأصابع في الآذان وستر الرؤوس والوجوه بالثياب.والتعبير يرسم بكلماته صورة العناد الطفولى الكامل وهو يقول : إنهم " جعلوا أصابعهم فى آذانهم ، وآذانهم لاتسع أصابعهم كاملة ، انما هم يسدونها بأطراف الاصابع،ولكنهم يسدونها فى عنف بالغ كأنما يحاولون أن يجعلوا أصابعهم كلها فى آذانهم ضماناً لعدم تسرب الصوت إليها بتاتاً ! وهى صورة غليظة للإصرار والعناد،كما أنها صورة بدائيه لأطفال البشر الكبار ! ومع الدأب فجهر بالدعوة تارة ، ثم زاوج بين الإعلان والإسرار تارة : " ثم إنى دعوتهم جهاراً ثم إنى أعلنت لهم وأسررت لهم اسراراً ")(١).

أين الدعاة اليوم من هذا المثل الأعلى فى الدعوة إلى اللّٰه ، انهم وللأسف الشديد يريدون في مدة بسيطة رؤية نتائج وثمار دعوتهم فيتعجلون الأمر . لهذا نجدهم ييأسون فيتركون الدعوة بحجة عدم الاستجابة لهم من قبل المدعويين ، إن نوحاًعليه السلام مكث مدة طويلةً ومع ذلك صبر .

---

(١) فى ظلال القرآن / لسيد قطب ، (٢٩/٦ / ٣٧١١ – ٣٧١٢) .

(الف سنة إلا خمسين عاماً قضاها نوح عليه السلام فى الدعوة إلى الله دون كلل ولا ملل،وكلما أعرض قومه غير وبدل فى أسلوبه،وهذا يعنى أنه كان يحاسب نفسه،فإذا أعرض قومه من الدعوة العلنيه عاد يبلغهم الدعوة بصورة سرية،وفى جميع الحالات كان رحيماً بهم خائفاً عليهم عذاب يوم أليم .. لقد كان نوح قمة في الصبر وآية من آيات الله فى الحلم والأناة وسعة الصدر،وأمة فى الجد والمثابرة،وطوداً شامخاً في التواضع وإنكار الذات .. وفوق ذلك كله ماكان يرجو منهم أجراً أو مكافأة،ولا كان يتخذ من الدعوة وسيلة لجمع المال وإحراز المكاسب.فهل يتعظ بذلك الدعاة الذين سرعان مايستولى اليأس على نفوسهم ويسيئون الظن بأقوامهم فيتسرعون في إصدار الاحكام الظالمه عليهم وينهزمون أمام أية صدمة يتعرضون لها ؟! هل يتعظ بذلك الدعاة الذين يقدسون ذواتهم ولايقبلون من إخوانهم نقداً أو نصحاً ولايدعون إلى الله الا بأجر ؟ !)(١)

---

(١) منهج الأنبياء فى الدعوة إلى الله / محمد سرور بن نايف زين العابدين ، (ط : ١٤٠٤/١ هـ – ١٩٨٤ م) ، (الناشر : دار الارقم للنشر والتوزيع – الكويت) ،(٥٧/١ – ٥٨) .

(٧) قال تبارك وتعالى : ﴿ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ (سورة القصص ، الآية ٨٧)

يقول الدكتور محمد محمود حجازى :

(فى تفسيره للآيات الاخيرة من سورة القصص فهاهي ذى تكاليف خمسة يجب عليك أن تحرص عليها ؛ إذ هي دعائم الفلاح والفوز فى الدنيا والآخرة .

(١) فلا تكونن ظهيراً ومعيناً للكفار بحال من الاحوال ؛ بل كن ظهراً للمسلمين ومعيناً لهم والله معك وعاصمك من الناس جميعاً وحافظك .

(٢) ولايمنعك عن تبليغ آيات الله كلها بعد إذ أنزلت عليك مانع أبداً مهما كان .

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾

(سورة المائدة ، الآية "٦٧")

(٣) وادع إلى ربك وإلى دينه بكافة الطرق ، متشدداً فى ذلك أو متساهلاً تبعاً للظروف ولايهمك أمرهم .

(٤) ولاتكونن من المشركين ؛ لأن من رضى عن طريقهم أو مال إليها كان منهم .

(٥) ولاتدع مع الله إلٰهاً آخر فى أي عمل من الأعمال ، ومعلوم أن النبى صلى الله عليه وسلم لايمكن أن يفعل شيئاً من ذلك حتى ينهى عنه ، والجواب أن هذا من باب " إياك اعنى واسمعى ياجارة " فالكلام مع النبى والمراد غيره وإنما كان ذلك

كذلك تعظيماً لأمر هذه الأشياء) (١)

قال عبدالكريم الخطيب :

(هو تثبيت لقلب النبى،وترسيخ لقدمه فى القيام على دعوته وألا يلفته شيء عنها ...فلتذهب الدنيا كلها ، ولتبق راية الحق قائمة فى يده) (٢).

وقال صاحب تفسير المراغى :

(أى ولاتبال بهم، ولاتهتم بمخالفتهم لك ، وصدهم الناس عن طريقتك ، فإن اللّه معك ومؤيدك ، ومظهر ما أرسلك به على سائر الأديان ، ثم أمره أن يصدع بالدعوة ، ولا يألو جهداً فى تبليغ الرسالة فقال : " ادع إلى ربك " أي بلغ رسالة ربك إلى من أرسلك إليهم واعبده وحده لاشريك له) (٣).

وقال العلامة الآلوسى :

(" ولايصدنك " أي الكافرون " من آيات اللّه " أي قراءتها والعمل بها " بعد إذ أنزلت إليك " أى بعد وقت إنزالها وإيحائها إليك المقتضى لنبوتك ومزيد شرفك" وأدع " الناس " إلى ربك " إلى عبادته جلّ وعلا ، وتوحيده سبحانه) (٤).

(والأمر فى قوله " أدع إلى ربك " مستعمل فى الأمر بالدوام على الدعوة إلى اللّه لا إلى إيجاد الدعوة،لأن ذلك حاصل ، أي لايصرفك إعراض المشركين عن إعادة دعوتهم إعذاراً لهم . ويجوز أن يكون الدعاء مستعملاً فى الأكمل من أنواعه ، أي أنك بعد الخروج من مكة أشد تمكناً فى الدعوة إلى اللّه مما كنت من قبل،لأن تشغيب المشركين عليه كان يرنّق صفاء تفرغه للدعوة) (٥)

---

(١) التفسير الواضح للقرآن ، (٥٩/٢٠/٢) .

(٢) التفسير القرآنى للقرآن ، (٣٩٧/٢٠/٥) .

(٣) أحمد مصطفى المراغى ،(١٠٥/٢٠/٧) ،ينظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٠٣/٣) .

(٤) روح المعانى ، (١٣٠/٢٠/١٠) .

(٥) تفسير التحرير والتنوير/للشيخ محمد الطاهر ابن عاشور ،(ط:عام١٩٨٤م)، (الناشر:الدار التونسية للنشر والتوزيع)،(١٩٦/٢٠/١١).

وقال سيد قطب :

(" ولايصدنك عن آيات الله بعد إذ أنزلت اليك " .. فطريق الكفار دائماً أن يصدوا أصحاب الدعوة عن دعوتهم بشتى الطرق والوسائل ، وطريق المؤمنين أن يمضوا فى طريقهم لايلويهم عنها المعوقون ، ولايصدهم عنها أعداؤهم وبين أيديهم آيات الله وهم عليها مؤتمنون " وأدع إلى ربك " ... دعوة خالصة واضحة لا لبس فيها ولاغموض . دعوة إلى الله لا لقومية ،ولا لعصبية، ولا لأرض،ولا لراية ،ولا لمصلحة ،ولا لمغنم،ولا لتمليق هوى ، ولا لتحقيق شهوة . ومن شاء أن يتبع هذه الدعوة على تجردها فليتبعها ومن أراد غيرها معها فليس هذا هو الطريق)(١)

---

(١) فى ظلال القرآن ، (٥/٢٠/٢٧١٦) .

(٨) قال جلّ جلاله :

﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ ﴾

(سورة الشورى ، الآية "١٥")

(بعد أن أمرهم سبحانه فيما سلف بالوحدة فى الدين ، وعدم التفرق فيه ، وذكر أنهم قد تفرقوا من بعد ماجاءهم العلم ، بغياً وحداً وعناداً واستكباراً - أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بالدعوة إلى الاتفاق على الملة الحنيفية ، والثبات عليها ، والدعوة إليها وألا يتبع أهواءهم الباطلة ، ثم أمره بالإيمان بجميع الكتب السماوية ، وبالعدل بين الناس والمساواة بينهم وبين نفسه ، فلا يأمرهم بما لايعمله أو يخالفهم فيما نهاهم عنه)(١).

قال القرطبى فى تفسيره :

(" فلذلك فادع " أي فتبينّت شكهم فادع إلى الله أي إلى ذلك الدين الذى شرعه الله للأنبياء ووصاهم به " واستقم " خطاب له عليه الصلاة والسلام. قال قتاده : أي استقم على أمر الله . وقال سفيان : أي استقم على القرآن . وقال الضحاك : استقم على تبليغ الرسالة)(٢).

وقال ابن كثير :

(" فلذلك فادع " أى : فللذى أوحينا إليك من الدين الذى وصّينا به جميع

---

(١) تفسير المراغى / أحمد مصطفى المراغى ، (٢٧/٢٥/٩ - ٢٨) .

(٢) (أ) الجامع لأحكام القرآن ، (٥٨٣٣/٧) .

(ب) وفتح القدير / للشوكانى ، (٥٣٠/٤ - ٥٣١) .

المرسلين قبلك أصحاب الشرائع الكبار المتّبعه كأولى العزم وغيرهم،فادع الناس إليه قال : وقوله عز وجل : " واستقم كما امرت " أي : واستقم أنت ومن اتّبعك على عبادة اللّه تعالى كماأمركم اللّه عز وجل)[١]

وقال أبوالسعود :

(" فادع " أي الناس كافة إلى اقامة ذلك الدين ، والعمل بموجبه،فإن كلا من تفرقهم فى شك مريب،ومن شرع ذلك الدين لهم على لسان رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم سبب للدعوة إليه،والأمر بها وليس المشار إليه ما ذكر من التوصية والأمر بالإقامة ، والنهى عن التفرق حتى يتوهم شائبة التكرار . وقيل المشار إليه نفس الدين المشروع واللام : بمعنى إلى كما فى قوله تعالى : بأن ربك أوحى لها أي ، فإلى ذلك الدين فادع " واستقم" عليه وعلى الدعوة إليه)[٢].

ويقول الزمخشرى[٣].

(" فادع " إلى الاتفاق والائتلاف على الملة الحنيفية القديمة " واستقم " عليها وعلى الدعوة إليها كما أمرك اللّه)[٤].

---

(١) (أ) تفسير القرآن العظيم ، (١٠٩/٤) .
(ب) وزاد المسير فى علم التفسير / لابن الجوزى ،(٢٧٨/٧) .
(٢) إرشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم ،(٢٧/٨/٤/٢) .
(٣) محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمى الزمخشرى ، جار اللّه ، ابوالقاسم ، (٤٦٧ - ٥٣٨ هـ) من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والآداب . ولد فى زمخشر (من قرى خوارزم) وسافر الى مكة فجاور بها زمناً فلقب بجاراللّه ، وتنقل فى البلدان ثم عاد الى الجرجانيه (من قرى خوارزم) فتوفى بها ، له كتب كثيره منها: (الكشاف) ، (أساس البلاغه) ،(المفصل) ، (المقامات). ينظر : (وفيات الاعيان / لابن خلكان ٨١/٢) ، (لسان الميزان/ لابن حجر ٤/٦) .
(٤) الكشاف / للزمخشرى ، (٤٦٤/٣) .

ويقول صاحب تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان :

(هذا إستفهام بمعنى النفى المتقرر،أى لا أحد أحسن قولاً أي كلاماً وطريقةً وحالةً " ممن دعا إلى الله " بتعليم الجاهليه ، ووعظ الغافلين،والمعرضين، ومجادلة المبطلين بالأمر بعبادة الله بجميع أنواعها ، والحث عليها ، وتحسينها مهما أمكن ، والزجر عما نهى الله عنه وتقبيحه بكل طريق يوجب تركه خصوصاً من هذه الدعوة إلى أصل دين الإسلام وتحسينه ومجادلة أعدائه بالتى هى أحسن ، والنهى عما يضاده من الكفر والشرك ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.ومن الدعوة إلى الله تحبيبه إلى عباده بذكر تفاصيل نعمه ، وسعة جوده ، وكمال رحمته ، وذكر أوصاف كماله ، ونعوت جلاله. ومن الدعوة إلى الله الترغيب فى اقتباس العلم والهدى من كتاب الله وسنة رسوله ، والحث على ذلك بكل طريق موصل إليه .ومن ذلك الحث على مكارم الأخلاق والإحسان إلى عموم الخلق ، ومقابلة المسيئ بالإحسان ،والأمر بصلة الأرحام ، وبرّ الوالدين . ومن ذلك الوعظ لعموم الناس فى أوقات المواسم والعوارض والمصائب بما يناسب ذلك الحال الى غير ذلك مما لاتنحصر افراده بما تشمله الدعوة إلى الخير كله ، والترهيب من جميع الشرّ) (١)

---

(١) تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان / للشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدى،تحقيق / محمد زهرى النجار ، (ط : عام ١٤٠٤هـ) ،(الناشر: دار الافتاء السعوديه – الرياض) ،(٨٤/٧ – ٨٥) .

(٩) قال تعالىٰ فى محكم التنزيل :

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾

(سورة فصلت ، الآية "٣٣")

قال الزمخشري فى تفسيره لهذه الآية الكريمة :

(وعن عائشة رضى اللّٰه عنها : ماكنا نشك أن هذه الآية نزلت فى المؤذنيين وهى عامة فى كل من جمع بين هذه الثلاث أن يكون : موحداً معتقداً لدين الإسلام عاملاً بالخير داعياً إليه وماهم إلا طبقة العاملين من أهل العدل والتوحيد الدعاة إلى دين اللّٰه)(١)

ويقول عبدالكريم الخطيب ماملخصه :

وفى قوله تعالى :(" وقال إننى من المسلمين " إشارة إلى أن ثمرة الإيمان باللّٰه والعمل الصالح إنما تظهر آثارها فى المجتمع الإنسانى ، وفى العطاء والأخذ بين الناس .. فالإيمان،والعمل الصالح إذا أمسك بهما إنسان ثم عاش بها فى نفسه منعزلاً عن الناس منقطعاً عن الحياة فذلك إنسان قد عطل الخير الكثير الذى معه ، وأمسك به عن أن ينمو ويزدهر فى مزرعة الحياة ، وخير منه ذلك الإنسان الذى يعيش بإيمانه وبعمله مع الناس فيتبادل معهم الخير ، الذى يخصب وينمو بهذا التبادل ! وهذا ماتشير اليه الآية التالية :

﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾

(سورة فصلت ، الآية "٣٤")

---

(١) الكشاف ، (٤٥٣/٣) .

فهذه الآية تشير إلى التطبيق العملى للإيمان،والعمل الصالح ، حيث يحتسب الإنسان نفسه واحداً من جماعة المسلمين ، فيعيش معهم ، ويلقاهم بإيمانه وبعمله الصالح فلا يجزى السيئة بالسيئة بل يلقى السيئة بالحسنة ..

والخطاب للنبى صلى اللّٰه عليه وسلم،وهو كذلك خطاب لكل مؤمن باللّٰه ورسوله . وقد كان النبى صلوات اللّٰه وسلامه عليه المثل الكامل فى امتثال هذا الأمر الإلهى وتطبيقه على أكمل صورة وأتمها،فعلى كل خطوة من خطواته الشريفة على طريق دعوته يقوم شاهد يحدث بإحسان الرسول الكريم إلى من يسيئون إليه وحسبنا هنا أن نذكر موقفه فى أُحد وقد أثخنه المشركون جراحاً ، فما زاد صلوات اللّٰه وسلامه عليه على أن قال : " اللهم اهد قومى فإنهم لايعلمون " ثم حسبنا أن نذكر موقفه يوم الفتح وقد أصبح المشركون فى قبضته،وفيهم كثيرون ممن آذوه بالقول وبالعمل بل إن فيهم " وحشياً " قاتل حمزة وقد لقى الرسول الكريم هؤلاء المشركين جميعاً بالصفح الجميل ،وقال لهم قولته الخالدة " اذهبوا فأنتم الطلقاء "(١)

(وفى الآية إشارة إلى أنه ينبغى للداعى إلى اللّٰه تعالى أن يكون عاملاً عملاً صالحاً ليكون الناس إلى قبول دعائه أقرب وإليه أسكن "(٢).

وقد لخصت ماقال الشهيد سيد قطب فى تفسيره لهذه الآية الكريمة بنقاط ثلاث هى :

(١) إن النهوض بواجب الدعوة إلى اللّٰه فى مواجهة التواءات النفس البشرية ، وجهلها ، واعتزازها بما ألفت ، واستكبارها أن يقال إنها كانت على ضلالة ، وحرصها على شهواتها وعلى مصالحها ، وعلى مركزها الذى قد تهدده الدعوة إلى إله واحد كل البشر أمامه سواء .

---

(١) التفسير القرآنى للقرآن (١٣١٥/٢٤/٦ – ١٣١٨).

(٢) روح المعانى / محمود الآلوسى ، (١٢٣/٢٤/١٢) .

(٢) إن النهوض بواجب الدعوة فى مواجهة هذه الظروف أمر شاق . ولكنه شأن عظيم .

(٣) إن الدعوة حينئذ هى أحسن كلمة تقال فى الأرض ، وتصعد فى مقدمة الكلم الطيب إلى السماء ، ولكن مع العمل الصالح الذى يصدق الكلمة ومع الاستسلام لله (الذى تتوارى[1] معه الذات) فتصبح الدعوة خالصة لله ليس للداعية فيها شأن إلا التبليغ)[2].

(فالخلاصة أن الدعوة إلى الله أحسن الاعمال وأفضلها . ولابد أن يكون الداعيه ممن حسن قوله وعمله ، وطهر باطنه وظاهره ، وكان مؤمناً بفكرته إيماناً عميقاً " إننى من المسلمين " ولابد أن يكون واسع الصدر حليماً يقابل السيئة بالحسنة حتى ينقلب أعداؤه وأعداء دعوته أصدقاء له ولدعوته ، وهذه مرتبة لايحظى بها إلا أولو العزم من الرجال وأصحاب النفوس العاليه)[3].

---

(١) كان الانسب ان يقول : " الذى تفنى أمامه الذات " .
(٢) فى ظلال القرآن ، (٥/٢٤/٣١٢١ - ٣١٢٢) .
(٣) التفسير الواضح / لمحمد محمود حجازى ، (٣/٢٤/٦٥ - ٦٧) .

(١٠) قال تبارك اسمه :

﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ (سورة الانعام : الآية "١٥٣")

قال أحمد مصطفى المراعى رحمه اللّٰه :

(أي وإن هذا القرآن الذى أدعوكم إليه وأدعوكم به إلى مايحييكم، هو صراطى ومنهاجى الذى أسلكه إلى مرضاة اللّٰه ونيل سعادة الدنيا والآخرة. حال كونه مستقيماً لايضل سالكه ، ولايهتدى تاركه فاتبعوه وحده ، ولاتتبعوا السبل الأخرى التى تخالفه، وهي كثيرة فتفرق بكم عن سبيله بحيث يذهب كل منهم فى سبيل ضلالة ينتهى بها إلى الهلكة إذ ليس بعد الحق إلا الضلال .

وجعل الصراط المستقيم واحداً والسبل المخالفه متعدده، لأن الحق واحد والباطل - وهو ماخالفه - كثير فيشمل الأديان الباطلة سواء أكانت وضعية أو سماوية محرفه أو منسوخة)(1)

(نعم الحق واحد ، والنور واحد ، والإله واحد ، والباطل متعدد الالوان والأشكال والظلمات كثيرة الأنواع " إن الدين عند اللّٰه الإسلام " " قل هذه سبيلى أدعو إلى اللّٰه على البصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان اللّٰه وما أنا من المشركين "، ولاتتبعوا الطرق المختلفة فى الدين أو غيره فتفرقكم أيدى سبأ ، وتصبحوا نهباً للخلافات والاحزاب التى تمزقكم شر ممزق : " ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون " اللّٰه وتخشونه بفعل أوامره، ونبذ النواهى وتركها ، ولقد كرر التوجيه على سبيل التوكيد ولما كان الصراط

---

(1) تفسير المرافى ، (٧٢/٨/٣ - ٧٣) .

المستقيم هو الجامع لنواحى الدين فى تكاليفه ختم ذلك بالتقوى التى هى السبيل الأقوى)[١].

(وإنما قال ذلك،لأن بعض هؤلاء يكفر بعضاً،من حيث لم يكن من السنه المأثورة عن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم وحرموا الكلم تعصباً وهوى، فحذر اللّه تعالى من ذلك ، ودعا إلى الاجتماع والألفه)[٢]

(وفى التعبير عن سبيل اللّه " بالصراط " والتعبير عن الطريق الخارجية عنه بالسبل - إشارة إلى أن طريق اللّه " صراط " أى طريق مُعَدّ، ومهيأ للسالكين،تقوم عليه منارات هدى وإشارات هداية ، أما هذه السبل التى لاتستقيم على هذا الصراط فهى ، طرق لامَعْلَمَ فيها ، ولا شارة عليها يركبها الراكب فيتخبط ويتعثر،ويضلّ.. ولهذا جاء التعبير عن صراط اللّه بلفظ المفرد،لأنه واحد لاغير إذالحقّ حقّ .. وجهه واحد ، وطريقة واحده ، وأما الباطل فهو أباطيل .. متعددة الوجوه مختلف السبل)[٣].

وقال الألوسى فى تفسيره لهذه الآية الكريمه :

(" وإن هذا صراطى " إشارة إلى شرعه عليه الصلاة والسلام على ماورد عن ابن عباس رضى اللّه تعالى عنهما،ويلائمه النهى الآتى ، وعن مقاتل : أنه إشارة إلى مافى الآيتين فى الأمر والنهى ، وقيل : إلى ماذكر فى السورة فإن أكثرها فى إثبات التوحيد والنبوة ، وبيان الشريعة وقرأ حمزة والكسائى " إن " بالكسر ، وابن عامر . ويعقوب بالفتح والتخفيف والباقون به مشددة وقرأ ابن عامر " صراطى " بفتح الياء وقرئ " وهذا صراطى وهذا ربكم - وهذا صراط ربك " .

---

(١) التفسير الواضح / محمد محمود حجازى ، (٣١/٨/١) .

(٢) احكام القرآن /للامام عمادالدين بن محمد الطبرى ،المعروف بإلكيا الهراس/ تحقيق ،موسى محمد على ،د. عزت على عيد عطيه ،(ط: بدون) ،(الناشر: دار الكتب الحديثه) ،(٣٤٨/٣) .

(٣) التفسير القرآنى للقرآن/لعبدالكريم الخطيب ،(٣٤٨/٨/٢) .

وإضافة الصراط إلى الرب سبحانه من حيث الوضع ، وإليه عليه الصلاة والسلام ، من حيث السلوك والدعوة ،أي هذا الصراط الذى أسلكه وأدعو إليه ثم فسّر الآية إلى أن وصل إلى قوله " عن سبيله " فقال : أى سبيل اللّه تعالى الذى لا اعوجاج فيه ولاحرج لما هو دين الإسلام.وقيل هو اتباع الوحى واقتفاء البرهان ،وفيه تنبيه على أن صراطه عليه السلام عين سبيل اللّه تعالى)[1]

فاللّه سبحانه وتعالى جعلنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها كل شئ فيها واضح،وصراطها مستقيم،وطريقها معتدل،هو طريق الهدى والرشاد، فمن سار عليه فقد نجى،ومن خالفه وسار فى الطرق الأخرى المعوجه طرق الضلال والغى فقد هلك ، هذا هو برهان اللّه وهذه هى وصية اللّه ما أعظم شأنها ، ولمزيد التأكيد كرر سبحانه الوصية بأن يجعل المؤمن بينه وبين النار وقاية .

---

(١) روح المعانى /للآلوسى ،(٥٦/٨/٤ - ٥٧) .
ويـنظر : ارشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم /لابى السعود ، (٢٠٠/٣/٢) .

مسألة "١" الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لبّ الدعوة الإسلامية "

(ويتخذ هذا الأمر الربانى صوراً أخرى في كتاب اللّٰه العزيز وفى سنة رسوله المطهرة،حين تصبح الدعوة أمر بالمعروف ونهياً عن المنكر .

ونود أن نشير إلى أن " الأمر بالمعروف " " والنهى عن المنكر " يردان فى كتاب اللّٰه وسنة نبيه ليجمعا أمور الدعوة وأوجه نشاطها فى ظلال كريمة ندية ، فهما لايعنيان حصر العمل فى كلمة أمر أو لفظة نهى، ولكنهما يرسمان من ظلال الدعوة فى مختلف مجالاتها) (١)

(ويعتبر الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لبّ الدعوة الإسلامية لكن عجز الكثير عن إدراك مدلولهما اللذين هما غاية الدعوة فضلاً عما يقتضيانه من تنفيذ الشريعة بحذافيرها ، كما اعتبروا النص القرآنى الذى تضمن الأمر بالمعروف إلى الخير واستباق الخيرات ولايخرج عن كونه أداء نوافل العبادات والانفاق ... فقط .

لذلك لابد من التنبيه إلى أنّ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هما عنوان المهمة الانقلابيه التى ألقاها اللّٰه عز وجل على عواتق الأمة الإسلامية فلابد لنا أن نعرف ماهو المعروف وماهو المنكر ؟ ومايراد بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ؟ .

فلن نستطيع بدون ذلك أن نقوم بهذه المهمة حق القيام.فكلمة المعروف فى احاديثنا اليومية تطلق على الفضائل الخلقية التى تعيّن

---

(١) دور المنهاج الربانى فى الدعوة الإسلامية /لعدنان النحوى ، (ط: بدون) ، (الناشر : دار الإصلاح للطبع والنشر والتوزيع - السعودية/ الدمام) ، (ص : ٨٢ - ٨٤) .

حسنها عند كل أحد،كما يراد بالمنكر الرذائل الخلقية التى يستنكرها العقل العام.والحق أن هذا المفهوم غير مادل عليه القرآن الكريم ، انما هو وليد اساليبنا الكلامية الشائعة ومعنى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى القرآن واسع جدا فهو يشمل كافة الجهود التى تبذل لبعث الدين وإقامته ، فالحق أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من أوسع المصطلحات القرآنيه وأشملها ، فإن المعروف والمنكر يحويان دين الله تعالى بحذافيره ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ينطويان على كل عمل يخدم به الدين صغيراً كان أو كبيراً) (١).

وما أجمل ماقاله الغزالى رحمه الله فى هذا الشأن :

(إن الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر من القطب الاعظم فى الدين،وهو المهم الذى ابتعث الله له النبيين أجمعين ، ولو طوى بساطه وأهمل علمه وعمله لتعطلت النبوة،واضمحلت الديانة،وعمّت الفترة،وفشت الضلاله،وشاعت الجهالة،واستشرى الفساد،واتسع الخرق،وخربت البلاد،وهلك العباد،ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد) (٢).

---

(١) الامر بالمعروف والنهى عن المنكر / لجلال الدين العمرى / تعريب محمد الاصلاحى ،(ص : ٥١) بتصرف يسير .

(٢) احياء علوم الدين ،(٣٠٦/٢) .

مسألة " ٢ " أنواع الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر :

الأول : (أرباب القلوب والعزائم أخذاً بقوله تعالى :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ
وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا
قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾

(سورة آل عمران ، الآية "١٧٨")

وهم المقصودون بقوله جلّ وعلا :

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ
وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ
أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ
وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾

(سورة آل عمران ، الآية "١١٠")

وهم الصابرون أخذا بقوله سبحانه وتعالى :

﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ
رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟
وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾

(سورة آل عمران ، الآية "١٤٦")

الثانى: قوم من أهل العلم والعمل ، متلبسون بكريم الخلق ، تاركون لما كره اللّه ، لاتأخذهم فى اللّه لومة لائم ، لكن فيهم حدة وصلابة فى التعبير ، ففاتهم الرفق الواجب فى الأمر والنهى ، فكانوا دون من قبلهم .

الثالث : علماء بما يأمرون ،وينهون،لكنهم غافلون عن الآفات المفسدة للأمر والنهى ،فيغلب عليهم سوء الظن بالمسلمين .

الرابع: قوم صلحاء أخيار ، ولكنهم لايعرفون قواعد الأمر والنهى ، ومنهم من يكون رفيقاً صبوراً على الأذى سراً وجهراً ،ومنهم من يأمر وينهى بمقتضى الغيرة ولكنهم لايصبرون .

الخامس: العامة الذين رزقوا حظاً من القبول من الناس يخطبون فى الأمر والنهى على غير علم ، فيفسدون أكثر مما يصلحون .

السادس: وهم فى الجهل كسابقيهم إلا أنهم غافلون عن كل ما يأمرون وينهون ، مقارفون للمعاصي .

السابع : دون الذين قبلهم وأخس ، لأنهم نصبوا أنفسهم للأمر والنهى رياء وسمعة ، واكتساباً للمحامد والرفعة ، وتزيوا بزى الصالحين وأخذوا سمتهم وسيلة لنيل مآربهم .

الثامن : ليس لهم نية ثابتة صحيحة ، فهم يأمرون الضعفاء،ويضعفون من الاقوياء مع قدرتهم ، ويحابى بعضهم الأصحاب وذوى الهيئات لغرض شيطانى مذموم)[1]

هؤلاء هم خلق الله ورسله في الأرض ومن الواضح فى هذه الأنواع أن النوع الأول هو أحسن الأنواع وأفضلها،وهو وللاسف الشديد ماتفتقد الأمة الإسلامية فى واقعنا المعاصر ، أما باقى الأنواع فهى التى عليها معظم المسلمين – إلا من عصم الله .

---

(١) الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر /لابى بكر أحمد بن محمدبن هارون الخلال (ت : ٣١١ هـ) ، دراسة وتحقيق : عبدالقادر احمد عطا ، (ط : بدون) ، (الناشر : دار الاعتصام) ، (ص : ٤٨) .

والنصوص من كتاب الله عز وجل وسنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم التى توجب القيام بمهمة الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وتنص على أنها فرض كثيرة منها :

قوله تعالى :

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾

(سورة آل عمران ، الآية "١٠٤")

قال القرطبى فى تفسيره للآية الكريمة :

(قوله : " ولتكن " قرأه الجمهور بإسكان اللام، وقرىء بكسر اللام على الأصل ومن فى قوله " منكم " للتبعيض ومعناه أن الآمرين يجب أن يكونوا علماء وليس كل الناس علماء ، وقيل " لبيان الجنس " والمعنى لتكونوا كلكم كذلك .

قال القرطبى : والأول أصح فإنه يدل على أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فرض على الكفاية وقد عينهم الله تعالى بقوله :

﴿ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾

(سورة الحج ، الآية "٤١")

وليس كل الناس مُكِّنوا . وقرأ ابن الزبير " ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويستعينون بالله على ما أصابهم " .

قال أبوبكر الانبارى: وهذه الزيادة تفسير من ابن الزبير وكلام من كلامه غلط فيه بعض الناقلين فألحقه بألفاظ القرآن .

ويدل على صحة ما أصف الحديث الذى حدثنيه أبى حدثنا ابن عرفة حدثنا وكيع عن أبى عاصم عن ابن عون عن صبيح قال : سمعت عثمان بن عفان يقرأ " يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويستعينون بالله على ما أصابهم " فما يشك عاقل فى أن عثمان لايعتقد أن هذه الزيادة من القرآن؛ إذ لم يكتبها فى مصحفه الذى هو إمام المسلمين،وإنما ذكرها واعظاً بها ومؤكداً ماتقدمها من كلام رب العالمين جلّ وعلا) (١) .

وقال الشوكانى :

(فى الآية دليل على وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ووجوبه ثابت بالكتاب والسنة . وهو من أعظم واجبات الشريعة المطهرة وأصل عظيم من أصولها وركن مشيد من أركانها وبه يكمل نظامها ويرتفع سنامها) (٢)

وقال القاضى أبوالسعود العمادي :

(" ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير " أمرهم الله سبحانه بتكميل الغير، وإرشاده إثر أمرهم بتكميل النفس ، وتهذيبها بما قبله من الأوامر والنواهى تثبيتاً للكل على مراعاة مافيها من الأحكام بأن يقوم بعضهم بواجبها ، ويحافظ على حقوقها وحدودها ، ويذكرها الناس كافة ، ويردعهم عن الإخلال بها . والجمهور على إسكان لام الأمر . وقرىء بكسرها على الأصل وهو من كان التامة ،ومن تبعيضية متعلقة بالأمر أو بمحذوف وقع حالاً من الفاعل وهو أمة . ويدعون : صفتها . أى : لتوجد منكم أمة داعية إلى الخير. والأمة هى الجماعة التى يؤمها فرق الناس أى يقصدونها ويقتدون بها .أو من الناقصة . وأمة : اسمها ، ويدعون : خبرها . أى : لتكن منكم أمة داعين إلى الخير وأياً ماكان،فتوجيه الخطاب إلى الكل مع إسناد الدعوة إلى البعض لتحقيق معنى فرضيتها على الكفاية وأنها واجبة على الكل لكن بحيث إن أقامها البعض سقطت عن الباقين،ولو أخل بها الكل

---

(١) الجامع لاحكام القرآن ،(١٤٠٧/٢ - ١٤٠٨) .

(٢) فتح القدير ،(٣٦٩/١) .

أثموا جميعاً لا بحيث يتحتم على الكل إقامتها على ماينبنى، عنه قوله عز وجل : ﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ (١٢٢) ﴾

(سورة التوبة ، الآية "١٢٢")

ولأنها من عظائم الأمور وعزائمها التى لايتولاها إلا العلماء بأحكامه تعالى ومراتب الاحتساب وكيفية إقامتها فإن من لايعلمها يوشك أن يأمر بمنكر ، وينهى عن معروف ، ويغلظ فى مقام اللين ، ويلين فى مقام الغلظه ، وينكر على من لايزيده الإنكار إلا التمادى والاصرار ، وقيل : من : بيانية كما فى قوله تعالىٰ : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا (٢٩) ﴾

(سورة الفتح ، الآية "٢٩")

والأمر من كان الناقصة والمعنى " كونوا أمة يدعون " الآيه كقوله تعالىٰ " كنتم خير امة أخرجت للناس " الآيه . ولايقتضى ذلك كون الدعوة فرض عين فإن الجهاد من فروض الكفاية مع ثبوته بالخطابات العامة . والدعاء إلى الخير عباره عن الدعاء إلى مافيه صلاح دينى أو دنيوى ، فعطف الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر عليه بقوله تعالى " ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر " مع اندراجهما فيه من باب عطف الخاصة على العام لإظهار فضلهما وإنافتهما على سائر الخيرات كعطف جبريل وميكال على الملائكة عليهم السلام)(١).

ويقول عبدالكريم الخطيب :

(علماء أهل الكتاب هم الذين أفسدوا على الناس دينهم ، فغيروا وبدلوا،

---

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، (٦٧/٢/١).

وحرفوا .. وهذه خيانة لله ، وخيانة للعلم ، إذ كان العلماء هم ورثة الأنبياء ، وهم المؤتمنون على دعوة السماء بعد الرسل ، يعلمون الجاهلين، ويهدون الضالين ، ويقيمون المنحرفين ، فإذا تحول العلماء أنفسهم إلى أدوات هدم وتدمير فى المجتمع ، كانت المصيبة قاصمة مهلكة ! من أجل هذا ، كانت دعوة الله سبحانه وتعالى إلى الأمة الإسلامية ، أن تندب منها أمة ، أي جماعةً ، يتولون قيادة الناس ، وهدايتهم إلى سبل الرشاد ... فيأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر .. وبهذا يقومون فى المجتمع مقام الاطباء ، الذين يرصدون الآفات والأمراض التى تعرض للناس ، فيعملون على دفعها ، والقضاء عليها)[1].

(والمخاطب بهذا هم المؤمنون كافة، فهم مكلفون بأن ينتخبوا منهم أمة تقوم بهذه الفريضة ، وذلك بأن يكون لكل فرد منهم إرادة وعمل فى إيجادها ، ومراقبة سيرها بحسب الاستطاعة ، حتى إذا رأوا منها خطأً أو انحرافاً أرجعوها إلى الصواب)[2].

---

(١) التفسير القرآنى للقرآن (٥٤٢/٤/١) .
(٢) تفسير المراغى /لأحمد مصطفى المراغى ،(٢٢/٤/٢) .

٢) يقول الحق عزّ وجلّ :

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ (١١٠) ﴾

(سورة آل عمران ، الآية "١١٠")

قال العلامة الآلوسى فى تفسيره لهذه الآية ماملخصه :

(" كنتم خير أمة " كلام مستأنف سيق لتثبيت المؤمنين على ماهم عليه من الاتفاق على الحق ، والدعوة إلى الخير " أخرجت للناس " أي ظهرت . والخطاب قيل : لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة واليه ذهب الضحاك ، وقيل : للمهاجرين من بينهم ، وهو أحد خبرين عن ابن عباس ، وفى آخر أنه عام لأمة محمد صلى الله عليه وسلم .ويؤيده ماأخرجه الإمام أحمد(١) بسند حسن عن أبى الحسن كرم الله تعالى وجهه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أُعطِيتُ مَالَمْ يُعطَ أَحدٌ مِنَ الأَنبِيَاءِ فَقُلْنَا : يَارَسُولَ اللَّهِ مَاهُوَ ؟ قَالَ : نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ وَأُعطِيتُ مَفَاتِيح الأَرْضِ وَسُمِّيتُ أَحْمَدُ وَجُعِلَ التُّرَابُ لِى طَهُوراً وَجُعِلَتْ أُمَّتِى خَيْرَ الأُمَمْ (٢).

---

(١) هو أحمد بن محمد بن حنبل الشيبانى أبوعبدالله ، امام المذهب الحنبلى ، وأحد الأئمة الأربعة ، له موقف مشهور فى التصدى للذين قالوا بخلق القرآن ، أصله من (مرو) ، وولد ببغداد سنة (١٦٤هـ) ، ورحل فى طلب العلم ، وألف ، وصنف ، من كتبه " المسند " ، توفى فى بغداد سنة (٢٤١ هـ) .
ينظر : (الكاشف / للذهبى : ٦٨/١) ، (طبقات الحفاظ / للسيوطى : ١٨٦) ، (خلاصة تذهيب الكمال / للخزرجى : ٤٤٧/٢) .

(٢) اخرجه الامام أحمد فى مسنده فى (٩٨/١) ، وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد : الحديث حسن ، (٢٦٠/١) .

والظاهر أن الخطاب وإن كان خاصاً بمن شاهد الوحى من المؤمنين أو ببعضهم لكن حكمه يصلح أن يكون عاماً للكل)[١].

وفسر الآية عبدالكريم الخطيب :

(بقوله " كنتم خير أمة اخرجت للناس " وفى التعبير بلفظ الماضى " كنتم " مايشير إلى أن هذا الحكم الذى حكم به الله على هذه الأمة بأنها خير أمة أخرجت للناس ليس محدوداً بزمن من أزمانها ولامخصوصاً ،بحال من أحوالها ، وانما هو حكم عام مطلق يشمل الأمة الإسلامية كلها،فى كل أزمانها،وفى جميع أحوالها،من عهد النبوة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . إنه حكم للأمة الإسلامية فى ماضيها وحاضرها ومستقبلها،وإن تلقته فى أول وجودها وفى ساعة مولدها " كنتم خير أمة أخرجت للناس " هذا هو حكم الله فيما أحاط به علمه وفيما قدّره لكل أمة من أجل ومن رزق .وقوله تعالى " تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله " بيان للصفات التى استحق بها المسلمون أن يكونوا " خير امة أخرجت للناس " فمن رسالة هذه الامة : ألا تحتجز الخير لنفسها،ولاتستأثر به حين يقع ليدها بل تجعل منه نصيباً تبرّ به الإنسانية كلها،وتشرك الناس جميعاً معها فيه . ذلك شأنها فى كل خير تصيبه ... فإذا أصاب المسلم مالاً جعل فيه للفقراء، والمساكين نصيباً،وآتى منه ذوى القربى واليتامى،وأنفق منه فى سبيل الله وفى إعلاء كلمة الحق،وإذا أصاب هدى من الله وعرف طريقاً إلى الحق لم يجد لذلك مساغاً إلا إذا وجّه الناس إليه ودلهم عليه،ولو احتمل فى سبيل ذلك الضرّ والأذى وعرض نفسه للتلف والهلاك . هكذا هو موقف الأمة الإسلامية من الخير الذى ساقه الله اليها على يد الرسول الكريم)[٢]

---

(١) روح المعانى / للآلوسى ، (٢٧/٤/٢ - ٢٨) .
(٢) التفسير القرآنى للقرآن ، (٥٤٧/٤/١ - ٥٥٠) .

يقول صاحب تفسير التحرير والتنوير :

(وإما أن يكون الخطاب بضمير " كنتم " للمسلمين كلهم فى كلّ جيل ظهروا فيه ، ومعنى تفضيلهم بالأمر بالمعروف مع كونه من فروض الكفايات،لاتقوم به جميع أفراد الأمة أنه لايخلو مسلم من القيام بما يستطيع القيام به من هذا الأمر على حسب مبلغ العلم ومنتهى القدرة ، فمن التغيير على الأهل والولد ، إلى التغيير على جميع أهل البلد ، أو لأن وجود طوائف القائمين بهذا الأمر فى مجموع الأمة أوجب فضيلة لجميع الأمة ، لكون هذه الطوائف منها كما كانت القبيلة تفتخر بمحامد طوائفها ، وفى هذا ضمان من الله تعالى بأن ذلك لاينقطع من المسلمين إن شاء الله تعالىٰ .

وانما قدّم " تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر " على قوله " وتؤمنون بالله "؛لأنهما الأهم فى هذا المقام المسوق للتنويه بفضيلة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر الحاصلة من قوله تعالىٰ :

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾

(سورة آل عمران ، الآية "١٠٤")

والإهتمام الذّي هو سبب التقديم يختلف باختلاف مقامات الكلام ولاينظر فيه الى مافى نفس الأمر،لأنّ إيمانهم ثابت محقّق من قبل) (١)

---

(١) سماحة الأستاذ العلامة الشيخ / محمد الطاهر ابن عاشور ، (٣/٤/٥٠) .

وقال المولى عز وجل : ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧ ﴾ (سورة لقمان ، الآية "١٧")

قال الطبرى :

(يقول تعالى ذكره مخبراً عن قول لقمان لابنه: يابنى أقم الصلاة بحدودها ، وأمر بالمعروف يقول : وأمر الناس بطاعة اللّٰه واتباع أمره، وانه عن المنكر يقول : وانه الناس عن معاصى اللّٰه ، ومواقعة محارمه ، واصبر على ما أصابك يقول : واصبر على ما أصابك من الناس فى ذات اللّٰه إذا أنت أمرتهم بالمعروف ونهيتهم عن المنكر، ولايصدنّك عن ذلك ماناالك منهم إن ذلك من عزم الأمر يقول : إن ذلك مما أمر الله به من الأمور عزماً منه . وبنحو ماقلنا فى ذلك قال أهل التأويل وذكر من قال ذلك حدثنى حجاج ابن جريج فى قوله : يابنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك من الأذى فى ذلك ،إن ذلك من عزم الأمور . قال : إن ذلك مما عزم اللّٰه عليه من الأمور يقول : مما أمر اللّٰه به من الأمور)(١)

قال الامام الرازى :

(ثم قال تعالىٰ : " وأمر بالمعروف وانه عن المنكر " أي إذا اكملت أنت فى نفسك بعبادة اللّٰه فكمل غيرك ، فإن شغل الأنبياء وورثتهم من العلماء هو أن يكملوا فى أنفسهم ويكملوا غيرهم ، فإن قال : قائل:كيف قدم فى وصيته لابنه الأمر بالمعروف على النهى عن المنكر ؟ وقبل قدم النهى عن المنكر على الأمر بالمعروف فإنه أول ماقال : " يابنى لاتشرك " ثم قال " يابنى أقم الصلاة " ؟)(٢)

---

(١) جامع البيان فى تفسير القرآن ،(٤٧/٢١) .

(٢) مفاتيح الغيب ، (١٤٨/٢٥ - ١٤٩) .

(وقوله تعالى : " واصبر على ما أصابك " .. إلفات إلى هذا الزاد الطيب الذى يتزود به الإنسان فى الحياة ، ويستعين به على الائتمار بالمعروف والانتهاء عن المنكر ، وذلك الزاد ، هو الصبر .. فإنه إذا قل حظ الإنسان من الصبر فلن يجد العزم الذى يمضى به التكاليف ويقضى به الحقوق . ولهذا كانت دعوة الإسلام إلى الصبر دعوة مؤكدة ، حيث يستدعى الصبر عند كل عظيمة ، ويهتف به عند كل أمر ذى شأن)[1].

(ووجه تعقيب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بملازمة الصبر، أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر قد يجران للقائم بهما معاداة من بعض الناس أو أذى من بعض فإذا لم يصبر على مايصيبه من جراء الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أوشك أن يتركهما)[2]

قال عماد الدين محمد الطبرى[3]:

والمعنى : اصبر على ما أصابك من المحن والبلايا أو فيما أمرت به من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، لأن الداعى إلى الحق معرض لايصال الاذى اليه [4].

يالها من وصية حكيمة من مرب فاضل ومرشد حكيم يجب أن يأخذ بها جميع الدعاة إلى اللّٰه .

(وهذا هو طريق العقيدة المرسوم، توحيد اللّٰه ، وشعور برقابته،

---

(١) التفسير القرآنى للقرآن /لعبدالكريم الخطيب ، (٥٧٠/٢١/٦) .
(٢) تفسير التحرير والتنوير / الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، (١٦٥/٢١/١٠)
(٣) هو على بن محمد بن على ، أبو الحسن الطبرى ، الملقب بعماد الدين المعروف بالكيا الهراس (٤٥٠ - ٥٠٤ هـ) ، فقيه شافعى ، مفسر ولد فى طبرستان ، وسكن بغداد .. من كتبه (احكام القرآن) . ينظر : (وفيات الاعيان /لابن خلكان : ٣٢٧/١) ، (الإعلام /للزركلى: ٣٢٩/٤) .
(٤) احكام القرآن /للإمام عماد الدين بن محمد الطبرى ، المعروف بالكيا الهراس ، (٣٣٦/٤) .

وتطلع الى ماعنده، وثقة فى عدله، وخشية من عقابه ، ثم انتقال الى دعوة الناس ، وإصلاح حالهم ، وأمرهم بالمعروف ، ونهيهم عن المنكر ، والتزود قبل ذلك كله للمعركة مع الشر ، بالزاد الأصيل : زاد العباد للّٰه ، والتوجه إليه بالصلاة ، ثم الصبر على مايصيب الداعية إلى اللّٰه من التواء النفوس وعنادها، وانحراف القلوب وإعراضها ، ومن الأذى تمتد به الألسنة وتمتد به الأيدى ، ومن الابتلاء فى المال والابتلاء فى النفس عند الاقتضاء .. " إن ذلك من عزم الأمور " وعزم الأمور : قطع الطريق على التردد فيها بعد العزم والتصميم .)(1)

---

(١) فى ظلال القرآن / لسيد قطب ، (٢٧٩٠/٢١/٥) .

ويقول جلّ ثناؤه : ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾

(سورة الحج ، الآية "٤١")

(فى هذه الآية عرض للصورة الكريمة التى سيكون عليها هؤلاء المؤمنون الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق ، وذلك حين ينصرهم اللّه ويمكن لهم فى الأرض وتكون لهم القوة والغلبة وسيكونون مصابيح هدى ، وينابيع رحمة للإنسانية كلها فإنهم يقيمون الصلاة ليستمدوا منها أمداد الهدى من اللّه .. ويؤتون الزكاة فيكشفون بها الضرّ عن عباد اللّه .. ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر .. فيصلحون بهذا من سلوك الناس ، ويقيمون لهم طرقهم مستقيمة ، فلا تتصادم منازعهم ولاتفسد مشاربهم . وكانوا كما وصفهم سبحانه بقوله)[1] :

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾

(سورة آل عمران ، الآية "١١٠")

وقال أحمد مصطفى المراغى فى تفسيره للآية :

(إنهم هم الذين كمّلوا أنفسهم باستحضار المعبود ، والتوجه إليه فى الصلاة على قدر الطاقه ، وكانوا عوناً لاممهم بإعانة فقرائهم ، وذوي

---

(١) التفسير القرآنى للقرآن / لعبد الكريم الخطيب (٥ / ١٧ / ١٠٤٧ - ١٠٤٨) ، باختصار .

الحاجة منهم ، وكملوا غيرهم فأفاضوا عليهم من علومهم وآدابهم ، ومنعوا المفاسد التى تعوق غيرهم عن الوصول إلى الرقى الخلقى والأدب السامي)(١)

قال محمد محمود حجازى :

(من ينصره الله هم الذين إن مكناهم فى الأرض وأعطيناهم السلطان على الناس أتوا بأربعة أمور عليها ينبنى الملك ، وبها توّسس الدولة الصالحة وهى :

(أ) إقامة الصلاة كاملة .

(ب) إيتاء الزكاة .

(جـ،د) الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر : وجعلهما أساساً فى كيان الدولة، وإباحتهما للجميع وهما أساس النقد الحر ، دليل على أن الإسلام يريد لأبنائه الحرية المطلقة ولكنها حرية مشوبة بروح الدين ، ومطبوعة بالطابع الإسلامى الخاص .. الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر إذا توافرا فى مجتمع كبح جماح العصاة الخارجين وحدّ من ثورة الحكام الفاسدين، والزم كل إنسان طريق الحق ، وماقيدت الحريات ولاضعف الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى أمة من الأمم إلا باءت بالخسران، وانهدم كيانهم ، انمحت من الوجود .. ألم يذكر الله من أسباب اللعن لبنى إسرائيل وضياع ملكهم أنهم)(٢) :

﴿ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾

(سورة المائدة ، الآية "٧٩")

---

(١) تفسير المراغى ، (١٢٠/١٧/٦) .

(٢) التفسير الواضح ، (٦٢/١٧/٢) .

وقد اثنى اللّه تعالى على القائمين بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فقال تعالى :

﴿ التَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾

(سورة التوبة ، الآية "١١٢")

يقول سيد قطب :

(هؤلاء هم الذين باعوا هذه البيعة ،وعقدوا هذه الصفقه هم صفوة مختاره ، ذات صفات مميزة .. منها مايختص بذوات أنفسهم فى تعاملهم المباشر مع اللّه فى الشعور والشعائر، ومنها مايختص بتكاليف هذه البيعة فى أعناقهم، من العمل خارج ذواتهم لتحقيق دين اللّه فى الأرض من الأمر بالمعروف ،والنهى عن المنكر والقيام على حدود اللّه فى أنفسهم وفى سواهم)(١)

وقد جعل اللّه تعالى الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر وظيفة رسله الكرام عليهم الصلاة والسلام فقال فى صفة نبينا محمد صلى اللّه عليه وسلم :

﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾

(سورة الاعراف ، الآية "١٥٧")

---

(١) فى ظلال القرآن ،(١٧١٤/١١/٣) .

يقول ابن تيمية :

(هو الذى أمر اللّه على لسانه بكل معروف ، ونهى عن كل منكر ، وأحل كل طيب ، وحرم كل خبيث .. فيه كمل دين اللّه المتضمن للأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، وإحلال كل طيب وتحريم كل خبيث ، وتحريم الخبائث يندرج فى النهى عن المنكر ، كما أن إحلال الطيبات يندرج فى الأمر بالمعروف لأن تحريم الطيبات مما نهى اللّه عنه وكذلك الأمر بجميع المعروف والنهى عن كل منكر مما لايتم إلا للرسول الذى تمم اللّه به مكارم الأخلاق المندرجة فى المعروف)(١)

قال الحافظ ابن كثير :

(" يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر " هذه صفة الرسول صلى اللّه عليه وسلم فى الكتب المتقدمة وهكذا كانت حاله عليه الصلاة والسلام لايأمر الا بخير ، ولاينهى إلا عن شر)(٢).

ويقول ابن جرير الطبرى :

(ويأمر هذا النبى الأمى أتباعه بالمعروف ، وهو الإيمان باللّه ولزوم طاعته فيما أمر ونهى ، فذلك المعروف الذى يأمرهم . وينهاهم عن المنكر، وهو الشرك باللّه والانتهاء مما نهاهم اللّه عنه)(٣).

ويقول الشيخ إسماعيل الحقى :

(" يأمرهم بالمعروف " أى بالتوحيد وشرائع الإسلام ،" وينهاهم عن المنكر " أى عن كل مالايعرف فى شريعة ولا سنة)(٤).

---

(١) الحسبه في الإسلام ضمن " مجموع رسائل " ، المطبعه الحسنيه بمصر عام ١٣٢٣ هـ ، (ص : ٦٤) .

(٢) تفسير القرآن العظيم ، (٢٥٣/٢ - ٢٥٤) .

(٣) جامع البيان ، (٥٣/٩) .

(٤) روح المعانى ، (٧٨٠/١/١) .

ويفسر البغوى ذلك بقوله :

(" يأمرهم بالمعروف " أي بالإيمان و " ينهاهم عن المنكر " يعني عن الشرك .

قيل المعروف : الشريعة والسنة ، والمنكر : مالايعرف فى شريعة ولاسنة .

وقال عطاء : يأمرهم بالمعروف : بخلع الأنداد ، ومكارم الأخلاق ، وصلة الارحام

وينهاهم عن المنكر : عن عبادة الأوثان وقطع الأرحام) [١]

ومن الملاحظ أن بعض الآيات تقتصر على ذكر الأمر بالمعروف دون النهى عن المنكر ، وكما أن بعض الآيات الأخرى والأحاديث ، اقتصرت على ذكر النهى عن المنكر دون الأمر بالمعروف . والبعض الثالث يذكر الأمر بالمعروف بجانب النهى عن المنكر . وهذا الاختلاف لايعدو اللفظ فإن الأمر بالمعروف نفسه يتضمن النهى عن المنكر ، وبالعكس .

والدليل على أن ذكر أحدهما يتضمن الآخر قول العلقمى[٢] :

(الأمر بالشىء نهى عن ضده) [٣].

وقول محمد[٤] ملا على القارىء معللاً أمر النبى صلى اللّه عليه وسلم

(١) لباب التأويل فى معالم التنزيل ، (٢٤٥/٢) .

(٢) هو محمد بن عبدالرحمن بن على بن أبى بكر العلقمى ، (٨٩٧ - ٩٦٩هـ) فقيه ، شافعى ، عارف بالحديث ، كان من تلاميذ جلال السيوطى ، ومن المدرسين بالازهر ، له مؤلفات منها : (الكوكب المنير بشرح الجامع الصغير). ينظر : (شذرات الذهب /لابن العماد : ٣٣٨/٨) .

(٣) الاكليل على مدارك التنزيل / محمد عبدالحق المهاجر الهندى المكى عبدالحق ، (ط : بدون) ، (الناشر : إكليل المطابع بمدينة بهرائج " الهند ") ، (١٨٩/٤) .

(٤) على بن سلطان محمد ، نورالدين الملاّ الهروي القاري ، (ت : ١٠١٤هـ) ، فقيه حنفى ، من صدور العلم فى عصره ، له مؤلفات منها : (المبين المعين لفهم الاربعين) .
ينظر : (البدر الطالع /للشوكونى : ٤٤٥/١) ، (خلاصة الأثر / للمحبى : ١٨٥/٣) .

فى بعض أحاديثه : بتغيير المنكر . ولم يشر إلى إقامة المعروف فقال :
(لأن النهى عن المنكر شامل له ، إذ النهى عن الشئ أمر بضده)(١)

ففى الآية السابقه من سورة الاعراف ورد كلا الأمرين معاً . وأيضاً فى سورة الأعراف نفسها ورد ذكر الأمر بالمعروف واقتصر على ذلك دون ذكر النهى عن المنكر :

فقال تعالى : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾

(سورة الاعراف ، الآية "١٩٩")

يقول الإمام ابن جرير الطبرى :
(إن اللّٰه أمر نبيه صلى اللّٰه عليه وسلم أن يأمر الناس بالعرف ، وهو المعروف فى كلام العرب .. فمن المعروف صلة الرحم من قطع ، وإعطاء من حرم ، والعفو عمن ظلم . وكل ما أمر به من الأعمال أو ندب إليه فهو من العرف ، ولم يخصص اللّٰه من ذلك معنى ، فالحق فيه أن يقال قد أمر اللّٰه نبيه صلى اللّٰه عليه وسلم أن يأمر عباده بالمعروف كله لابعض معانيه دون بعض)(٢).

وقد فسر الخازن ذلك بقوله :
(" وأمر بالمعروف " يعنى وأمر بكل ماأمرك اللّٰه به ، وهو ماعرفته بالوحى من اللّٰه عز وجل وكل مايعرفه الشارع)(٣).

وقال البغوى :
("وأمر بالعرف " أى بالمعروف وهو كل مايعرفه الشرع)(٤)

---

(١) المبين المعين لفهم الاربعين /ملا على بن سلطان القارى ،(ط: بدون) ، (المطبعة الجماليه بمصر عام :١٢٨٦ هـ) ، (ص : ١٨٩) .
(٢) جامع البيان فى تفسير القرآن ،(٩٨/٩) .
(٣) لباب التأويل فى معانى التنزيل ،(١٧٤/٢) .
(٤) لباب التأويل فى معالم التنزيل على هامش الخازن ،(٢٧٠/٢) .

والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر عمل دعوى بما يتم بين المؤمنين من أهل الكتاب وقد نوه القرآن الكريم بهذا العمل الدعوى والاصلاحي الذى كانت تقوم به.

فقال تعالىٰ : ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ (١١٣) يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ (١١٤) ﴾

(سورة آل عمران ، الآيات "١١٣"، "١١٤")

يقول الجصاص[1] فى احكام القرآن :

(صفة لهؤلاء الذين آمنوا من أهل الكتاب ، لأنهم آمنوا بالله ورسوله ، ودعو الناس إلى تصديق النبى صلى الله عليه وسلم والإنكار على من خالفه ، فكانوا ممن قال الله تعالىٰ)[2] :

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ (١١٠) ﴾

(سورة آل عمران ، الآية "١١٠")

---

(١) هو أحمد بن على الرازى الجصاص من أهل الريّ ، سكن ومات فى بغداد، انتهت إليه رياسة الحنفيه ، له كتاب " أحكام القرآن " ، والفصول فى أصول الفقه ، (٣٠٥ – ٣٧٠ هـ) .
ينظر : شذرات الذهب / لابن العماد :٣/ ٧١) ، (الإعلام/للزركلى : ١/ ١٧١) .

(٢) احكام القرآن /لأحمد بن على الجصاص ، المطبعة البهية بمصر ، عام ١٣٤٧ هـ . (٢/ ٤٢) .

وقد ذكر الإمام الغزالى هذه الآية وعقب عليها بقوله :

(فلم يشهد لهم بالصلاح بمجرد الإيمان بالله واليوم الآخر حتى أضاف إليه الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ...)(١).

وقد نزلت هذه الآية .. كما ذكر ابن كثير فى تفسيره :

(فيمن آمن من أحبار اهل الكتاب : كعبدالله بن سلام ، وأسد بن عبيد، وثعلبه بن شعبة ، وغيرهم ، وأصبح معنى الآيه " ليسوا سواء " أى لايستوى من سبق ذكرهم من أهل الكتاب بالذم والإجرام ، وبين من أسلم منهم وأقروا بالايمان بل هؤلاء هم الذين أسلموا وكانوا أمة قائمة على الاستقامة : يتلون كتاب الله ، ويقيمون الصلاة ، ويؤمنون بالله ، ويؤمنون باليوم الآخر ، ويأمرون بالمعروف ، ينهون عن المنكر ، ويسارعون فى الخيرات ، وأولئك من الصالحين)(٢).

هذه هى أوصافهم كما ذكرتها الآية الكريمة .

(ومما نستفيده من هذا النص : أن من انتظم فى أمة الإسلام عليه أن يعمل على مقتضى المنهج الذى رسمه الله لابناء هذه الأمة وأن من مفردات هذا المنهج ، تبليغ دعوة الله المتمثلة بالأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، وان من قصّر فى هذا الحق يكون آثماً)(٣)

---

(١) احياء علوم الدين ، (٣٠٧/٢) .

(٢) تفسير القرآن العظيم ، (٣٩٧/١) .

(٣) وجوب تبليغ الدعوه /لعبدالله علوان ، (١٢/٣) .

ويقول جلّ ذكره : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٧٩) ﴾

(سورة المائده ، الآية "٧٨"،"٧٩")

(ففى هاتين الآيتين يبين سبحانه وتعالى انه لعن الكافرين من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم وذلك بسبب عصيانهم وتعديهم الحدود واستمرارهم على ذلك فقال " كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه " أى كان من دأبهم ألاّ ينهى أحد منهم أحداً عن منكر يقترفه مهما قبح وعظم ضرره . والنهى عن المنكر كما هو معروف حفاظ الدين ، وسياج الفضائل والآداب ، فإذا تجرأ المستهترون على إظهار فسقهم وفجورهم ورآهم الغوغاء من الناس قلدوهم فيه وزال قبحه من نفوسهم وصار عادة لهم ، وزال سلطان الدين من قلوبهم وتركت احكامه وراءهم ظهرياً .

وفى الآية إيماء إلى فشوّ المنكرات فيهم وانتشار مفاسدهم بينهم إذ لولا ذلك ماكان ترك التناهى شأناً من شئونهم وعادة من عاداتهم . " ولبئس ماكانوا يفعلون " هذا تقبيح لسوء فعلهم ، وتعجب منه ، وذم لهم على اقتراف بعضهم للمنكرات ، وإصرارهم عليها ، وسكوت آخرين ورضاهم بها وفى سَوْق الآية إرشاد للمؤمنين وعبرة لهم حتى لايفعلوا فعلهم فيكونوا مثلهم ويحل بهم من غضب اللّه ولعنه مثل ماحل ببنى إسرائيل)(١)

يقول فاروق السامرائى :

(هذا النص القرآنى يدل على أن الأمة الإسلامية إذا لم تقم بهذه الوظيفه

---

(١) تفسير المراغى /لأحمد مصطفى المراغى ،(١٧١/٦/٢) .

خير قيام ولم تؤدّ الحق الواجب بين المسلمين وهو التناصح إلى ما فيه خيرهم ولم تبلغ دعوة اللّه عز وجل وذلك بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، فإنه - والعياذ باللّه - سوف يصيبهم ما أصاب الذين قبلهم من بنى إسرائيل فيضرب قلوب بعضهم ببعض ويلعنهم كما لعنوا، بسبب إهمالهم الواجب الذي عليهم، وبسبب تساهلهم فى حق اللّه تعالى وعدم قيامهم بالدعوة وحق المسلم وهو حراسة الرأى العام . وقد نعت اللّه المؤمنين بأنهم قائمون على تكميل أنفسهم، ومن ثم تكميل غيرهم بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ولنا فى قوله تعالى خير توجيه :

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾

(سورة التوبة ، الآية "٧١")

ووصف سبحانه وتعالى آخرين بقوله :

﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ ﴾

(سورة الاعراف ، الآية " ١٦٥")

هنا جعل اللّه النجاة مترتّبة على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فبين تعالى أنهم بسبب نهيهم عن السوء فازوا بالنجاة والآخرون كانت لهم نتيجة عكسية .

وقد ذكر القرآن الكريم فى الآيتين السابقتين لهذه الآية الكريمة حال أهل القرية الذين انقسموا إلى ثلاث فرق :

الأولى : تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر .

الثانيه : سكتت مع عدم ارتكابها للمنكر .

الثالثـة : ارتكبت ماحرم اللّه عليها من الصيد فى يوم السبت ٠

وهنا فى هذه الآية يصرح القرآن الكريم بنجاة فرقة واحدة من هذه الفرق وهى الآمرة بالمعروف والناهية عن المنكر، ولم يذكر حال الفرقة الساكته فإما أنهم أدرجوا مع الذين ظلموا ، أو ان القرآن سكت عنهم تهويناً لشأنهم)[1]

---

(١) مناهج العلماء فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر / لفاروق عبدالمجيد حمود السامرائى، (ط : عام /١٤٠٧ هـ) ، (الناشر : مكتبة دار الوفاء للنشر والتوزيع) ، (ص : ٥٠) ٠

المبحث الرابع

الأدلة على وجوب الدعوة إلى الله

من نصوص :

السنة الشريفة .

وفيه ثلاث مسائل :

الأولى : الفضائل التي خص الله بها هذه الدعوة .

الثانية : الفضائل التي خص الله بها الدعاة .

الثالثة : ما يحتاج إليه القائم بالدعوة .

الرابع :الأدلة من السنة على وجوب الدعوة :

كما وردت بالتكليف بالدعوة نصوص قرآنيه ، فقد وردت أيضاً أحاديث داعية إلى التبليغ ، بأن تبلغ ما أمر به النبى صلى الله عليه وسلم وما أعلمه من حقائق إسلامية ، ومنها :

أنه صلى الله عليه وسلم أمر من شهده من المؤمنين أن يبلغ من غاب عنه سواءً أكان من أهل جيله أم ممن يجيئون بعده من الأجيال ، لافرق بين قريب منه وبعيد عنه ، فلقد جاء فى خطبته فى حجة الوداع وهو ينادى الأجيال فى عرفات ببيان موجز للاحكام الإسلامية : فقد روى أَبُوبَكْرَةَ (١) عَنْ النَّبِىِّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إِنّهُ قَالَ : " لِيُبَلِّغ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ فَإِنَّ الشَّاهِدَ عَسَى أَنْ يُبَلِّغَ مَنْ هُوَ أَوْعَى لَهُ مِنْهُ (٢) " .

---

(١) هو نفيع بن الحارث ، وقيل نفيع بن مسروح ، تدلى فى حصار الطائف ببكرة ، وفر إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، واسلم على يده ، وأعلمه انه عبد ، فأعتقه ، روى جملة أحاديث ، قيل : مات سنة احدى وخمسين . وقيل : مات سنة اثنتين وخمسين .
ينظر : (فتوح البلدان / للبلاذرى : ٣٥٩) ، (الجمع بين رجال الصحيحين / لابن القيسرانى : ٥٣٣/٢) .

(٢) جزء من حديث هذا نصه : قَالَ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ : أَيُّ يَوْمٍ هَٰذَا فَسَكَتْنَا حَتّى ظَنَنّا أَنّهُ سَيُسَمّيهِ سِوَى أسمه ، قَالَ : أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْر قُلْنَا بَلَى ، قَالَ : فَأَيُّ شَهْرٍ هَذَا فَسَكَتْنَا حَتّى ظَنَنّا أَنّهُ سَيُسَمّيهِ بِغَيْرِ أسمه ، فَقَالَ : أَلَيْسَ بِذِي الْحِجّةِ ؟ قُلْنَا بَلَى قَالَ : فَإِنّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ بَيْنَكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِى شَهْرِكُمْ هَٰذَا فِى بَلَدِكُمْ هَذَا لِيُبَلِّغ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ فَإِنّ الشَّاهِدَ عَسَى أَنْ يُبَلِّغَ مَنْ هُوَ أَوْعَى لَهُ مِنْهُ " .

(أ) أخرجه البخارى فى صحيحه فى (كتاب العلم ، باب قوله صلى الله عليه وسلم : " رب مبلغ اوعى من سامع ") ، (رقم: ٦٧) ،(٢٠/١/١) ، بهذا اللفظ .
وفى (كتاب المغازى ، باب حجة الوداع) ، (رقم : ٤٤٠٢) ،(١٤٥/٥/٢) .
==

(فتلك دعوة عامة لمن شهد من المؤمنين أن يعلم من غاب من الناس ، والمشاهدة هى التى توجب الإعلام تمثل من حضر النبى صلى اللّٰه عليه وسلم ، وأشرقت عليه أنواره بلقائه بالحِسّ ، ومن علم علم القرآن ويعلمه قد صارت النبوة بين جنبيه فإنه قد شاهد الرسول صلى اللّٰه عليه وسلم بقلبه وان لم يشاهده بعينه فكان التبليغ لأنه تلقى التكليف عنه وعن اللّٰه فيجب أن يبلغ)(١)

== وفى (كتاب الحج ، باب الخطبة آيام منى) ، (رقم : ١٧٣٩ ، ١٧٤٠ ، ١٧٤١ ، ١٧٤٢) ، (١٤٦/٢/١ – ١٤٧) .
وفى (كتاب الأدب ، باب قول الله تعالى : " يا أيها الذين آمنوا لايسخر قوم من قوم عسى ...) ، (رقم : ٦٠٤٣) ، (١٣/٨/٣) .
وفى (كتاب الحدود ، باب ظهر المؤمن خمس الا فى حد أو حق)، (رقم : ٦٧٨٥) ، (١٣٣/٨/٣ – ١٣٤) .
وفى (كتاب الفتن ، باب قوله صلى الله عليه وسلم : لاترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض) ،(رقم : ٧٠٧٨) ، (٤٢/٩/٣) .

(ب) وأخرجه مسلم فى صحيحه فى (كتاب الإيمان ، باب قوله صلى اللّٰه عليه وسلم : لاترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض) ، (رقم : ٦٥– ٦٦) ، (٨١/١) .

(ج) وأخرجه مسلم فى صحيحه فى (كتاب القسامه ،باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال) ،(رقم : ١٦٧٩) (١٣٠٥/٣) .

(د) وأخرجه أبوداود فى سننه فى (كتاب السنة ،باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه) ، (رقم : ٤٦٨٦) ، (٢٢١/٤) .
وفى (كتاب الحج ، باب الأشهر الحرم) ، (رقم : ١٩٤٧) ، (١٩٥/٢)

(١) الدعوة الإسلامية / للإمام محمد أبوزهرة ، (ط : بدون) ،(الناشر: دار الفكر العربى) ، (ص : ٣٠)

فالأحاديث النبوية فى بيان أهمية هذا الواجب الخطير كثيرة وكلها تدل على مدى اهتمام الرسول صلى الله عليه وسلم بالأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، وتأكيده على وجوب القيام بأى صورة ممكنة . وقد حدد لنا ثلاث درجات لتغييره حيث جاء فى الحديث الذى رواه أَبُوسَعِيدٍ الْخُدْرِيّ قولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَراً فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ "(١)

ويؤكد هذا الحديث حديث آخر فيقول فيه رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَامِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللَّهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي ، إِلاَّ كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ . ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ . يَقُولُونَ مَالاَيَفْعَلُونَ . وَيَفْعَلُونَ مَالاَيُؤْمَرُونَ . فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ . وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ . وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ . وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ "(٢)

قال الدكتور محمد بن لطفى الصباغ :

(لكل نبى أصحاب من أمته ، صنعهم الله على عينه ، وأعدّهم لمتابعة حمل رسالة رسله وتبليغ أحكامه للناس بعد انتقالهم من عالم النّاس ، ولذلك فانهم يحيون وفق ماتقتضى به أديان أنبيائهم ، يأخذ كلّ فريق بسنّة نبيهم ويقتدون بأمره ويصبحون امتداداً له ولتعاليمه . وهذا من فضل الله على الأجيال المقبلة ، التى تأتى بعد انتقال النبى إلى الرفيق الأعلى ...تلك الأجيال التى لاتستطيع أن تقف على المستوى الرفيع الذى كان يحيا فيه النبى إلا من خلال هؤلاء الحواريين والاتباع الكرام . ولكن من سنة الله فى هؤلاء الأصحاب أنهم جيل مثالى لايتكرر على مرّ الأيام فتأتى من بعدهم خلوف يضيعون المثل العليا ويتبعون الشهوات ويقولون مالايفعلون ويقترفون

---

(١) سبق تخريجه : (ص :١٣٣) .
(٢) سبق تخريجه : (ص :١١٣) .

المنكرات والمعاصي ، يأمرون بالمعروف ولايأتونه ، ينهون عن المنكر و يفعلونه ... إزدواجية بغيضة تزهد الناس في الخير وتشككهم في الحق . انهم قوم مفسدون ... ولابدّ من الوقوف في وجوههم ومجاهدتهم بكل وسيلة كل حسب طاقته ، فمن استطاع أن يجاهدهم بيده ففعل كان مؤمناً فإن لم يستطع فبلسانه كان مؤمناً ، فإن لم يستطع فبقلبه كان مؤمناً ... وذلك أضعف الإيمان ... بل ليس وراء ذلك من الإيمان شيء ... لا حبّة خردل ولا أكثر من ذلك . إن المجاهدة القلبيه تهيئ النفس للمجاهدة الفعليه ... إن الانهزام الحقيقي هو في القلب ، أما اللسان واليدان فإن الأمر فيهما عائد إلى عوامل خارجية لا دخل للإنسان فيها . ولذلك فهو معذور إن لم يستطع .. ويبقى مؤمناً ، وقد شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه مؤمن . أما القلب فلا يطلع عليه أحد إلا الله علاّم الغيوب فلا يعذر إنسان لايجاهد بقلبه أولئك الظلمة الدجالين ، والطغاة الجائرين . إن القلب الذي يشعره صاحبه معنى الجهاد يعصم اللسان واليد من أن تتورطا فتعينا على باطل ، ويهيئهما للحظة الحاسمة التي تستطيعان فيها تحقيق ماكان مخبوءاً في الجوانح ، والصورة صورة خلوّ القلب من أقل كمية من الإيمان حتى لاتجد فيه حبّة خردل من إيمان وفي الحديث صورة وصفية موجزة لأولئك الخلوف المنحرفين) (١).

قال النووي بخصوص حديث تغيير المنكر : (وأما قوله صلى الله عليه وسلم " فليغيره " فهو أمر إيجاب بإجماع الأمة ، وقد تطابق على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الكتاب والسنه واجماع الأمة وهو أيضاً من النصيحة التي هي الدين ولم يخالف في ذلك إلا بعض الرافضه ولايعتد بخلافهم) (٢)

---

(١) التصوير الفني في الحديث النبوي /د. محمد بن لطفي الصباغ ، (ط : ١٤٠٣/٢ هـ – ١٩٨٣ م) ، (الناشر : المكتب الاسلامي – بيروت) ، (ص : ٤٢٤ – ٤٢٥) .

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ، (٢٢/٢) .

مما تقدم يتضح لنا ان تغيير المنكر أمر واجب بأى حالة من هذه الحالات وفى حالة عدم تغيير المنكر والتقاعس عنه بأى حالة من هذه الحالات المذكورة فى الحديثين السابقين ، فإن الإثم واقع لامحاله ،والخروج عن دائرة الإيمان متحقق بدليل قوله صلى اللّه عليه وسلم : " وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ " .

بهذا تكون مراتب إنكار المنكر ثلاثة هى اليد ، ثم اللسان ، ثم القلب ، حسب ماذكر فى الحديث .

ولكن واللّه أعلم لعل الترتيب الوارد فى الحديث يراد به القوة فقط،لا المنهج والأسلوب فمن المعروف أن إنكار المنكر وبيان حكمه لابد فيه من استخدام اللسان للبيان والإيضاح،فإنه ربما يكون فاعل المنكر جاهلاً لحكمه عند ذلك ، لابد من النصيحة والتوجيه والإرشاد ، وفى حالة ما إذا كان عالماً بالحكم وأصر بعد التوجيه والإرشاد على الاستمرار فى فعل المنكر ، عند ذلك لابد من استخدام الأسلوب الأقوى وهو انكار المنكر باليد . وإذا كان هذا المنكر للمنكر لايستطيع الإنكار لا باللسان ،ولاباليد فإنه عند ذلك لامحاله ينتقل إلى أضعف المراتب وهى الإنكار بالقلب .

فالمقصود بإنكار المنكر بالقلب هو مقاطعة أصحاب المنكر وهذه المقاطعة بالطبع تكون بعد النصح منه،وعدم الاستجابة من أهل المنكر فمقاطعتهم تكون بعدم المواكلة والمشاربة والمجالسة ، والتعامل بشتى انواعه؛فإن هذه المقاطعة تسمى فى العصر الحديث بالعصيان المدنى . حيث إن هذا يكون فيه زجر وردع لهم ولأمثالهم لأننا إذا أنكرنا المنكر فقط فإن هذا لاشك لايفى بالغرض المنشود من الإنكار،فإننا-والعياذ باللّه-لو لم نقاطعهم سنكون مستحقين للعنة اللّه،كما استحقها بنو إسرائيل حيث تركوا المقاطعة ، فقد قال صلى اللّه عليه وسلم فى شأنهم فيما رواه عبد اللّه بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِنَّ أَوَّلَ مَادَخَلَ النَّقْصُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَ الرَّجُلُ يَلْقَى الرَّجُلَ فَيَقُولُ:

ياهذا اتّقِ اللّه وَدَعْ ماتصنعُ فإنّه لايَحلُّ لك ، ثم يلْقاهُ من الغَدِ فلَا يمنعُهُ ذلك أن يكونَ أَكِيلَهُ (١) وَشَرِيبَهُ (٢) وقعيدَهُ (٣) فلما فعلُوا ذلك ضَرَبَ اللّهُ قلُوبَ بعضِهِم بِبَعْضٍ" ثُمَّ قالَ ﴿ لُعِنَ الّذينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَآئِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَم (٤) ... ﴾ إلَى قَوْلِه : ﴿ فَاسِقُونَ ﴾ ثُمّ قالَ : " كَلاَّ واللّه لَتَأْمُرُنَّ بالمعْرُوف ولتَنْهَوُنَّ عن المُنْكر ولَتَأْخُذُنّ عَلَى يَدَي الظّالِم ولتَأطُرُنّهُ (٥) عَلَى الحَقِّ أطْراً ولَتَقصُرُنّهُ على الحقِّ قَصْراً "(٦)

(فهذه القصة المشوقة الممتعة الحية بالحوار والتحليل تنبئ عن ضرورة وجود صفة لابد من توافرها فى الدعاة الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر ، هذه الصفة هى : المفاصله .. مفاصلة القوم ، ومقاطعتهم فى حالة اليأس من الإستجابة؛لأن إستمرار مخالطتهم مع إصرارهم على المعصية

---

(١) الاكيل : الذى يصاحبك فى الأكل . فعيل بمعنى مفاعل .
ينظر : (النهاية /لابن الأثير) ، (٥٨/١) .

(٢) الشريب : الذى يصاحبك فى الشرب . فعيل بمعنى مفاعل .
ينظر : النهاية /لابن الأثير) ،(٥٨/١) .

(٣) القعيد : الذى يصاحبك فى قعودك . فعيل بمعنى مفاعل .
ينظر : (النهاية / لابن الأثير) ،(١٨٦/٤) .

(٤) سورة المائدة ، الآيات رقم (٧٨ -- ٨١) .

(٥) أى تعطفوه عليه .
ينظر :(النهاية فى غريب الحديث والأثر/لابن الأثير) ،(٥٣/١) .

(٦) (أ) أخرجه الامام أحمد فى مسنده ،(٣٩١/١) .
(ب) وأخرجه ابوداود فى سننه فى (كتاب الملاحم ،باب الأمر والنهى) ،(رقم : ٤٣٣٦) ،(١٢١/٤ -١٢٢) .
(جـ) وأخرجه ابن ماجه فى سننه فى (كتاب الفتن ، باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر) ،(رقم : ٤٠٠٦) ، (١٣٢٧/٢ - ١٣٢٨) .
(د) وأخرجه الترمذى فى سننه فى (كتاب التفسير ، باب تفسير سورة المائدة) ، (رقم : ٣٠٤٧) ، (٢٥٢/٥) ، قال أبو عيسى : حسن غريب . وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد : رجاله رجال الصحيح ، (٢٦٩/٧) .

يؤدى إلى أمرين :

(١) الإساءة إلى هؤلاء الدعاة حيث يمارس أمامهم وتحت أبصارهم ومسامعهم ماكانوا ينكرون ، وفى ذلك إساءة لهم بالغة وإهانة شديدة لاينبغى أن يقبلوها .

(٢) الدلالة على أنهم غير جادين فيما كانوا يدعون الناس إليه او غير مقتنعين بصحته ، وإلا فكيف يفسر رضاهم عن أولئك المخالفين ومعايشتهم)(١)

ولايزال نبى الهدى والرحمه عليه الصلاة والسلام يحذر أمته من الشرّ الذى يقترب منهم ، وأنه سيؤدى إلى هلاكهم ، وتدميرهم ،وعذابهم ، بالرغم من وجود الصالحين فيهم ، فتسأله زوجه-رضى اللّه عنها-متعجبة كيف يحصل الهلاك والعذاب الشديد مع وجود الصالحين ؟ فرد عليها صلى اللّه عليه وسلم بقوله : نعم إذا كثر الخبث . أي كثر الفسوق والفجور ،فالسبب واللّه أعلم فى تزايد الخبث هو تقاعس هؤلاء الصالحين عن القيام بمهمة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ؛ لهذا عم اللّه الجميع الصالح وغير الصالح ، وهذا ماجاء فى الحديث الذى روته أم المؤمنين رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا : زَيْنَبَ(٢) بِنْتُ جَحْشٍ حيث قَالَتَ : أَنَّ النَّبِيَّ صَلّىَ اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ

---

(١) التصوير الفنى فى الحديث النبوى / د. محمد بن لطفى الصباغ ، (ص : ٤٢٦) .

(٢) زينب بنت جحش بن رئاب الأسدية ، من أسد خزيمه : أم المؤمنين ، (٣٣ هـ ق – ٢٠ هـ) وإحدى شهيرات النساء فى صدر الإسلام ، كانت زوجة زيد بن حارثه ، واسمها " بَرَّة " وطلقها زيد ، فتزوج بها النبى صلى اللّه عليه وسلم وسماها " زينب " ، روت عدد من الاحاديث ينظر : (الطبقات الكبرى / لابن سعد : ٧١/٨) ، (حلية الاولياء/ لابى نعيم : ٥١/٢) ، (صفة الصفوة / لابن الجوزى : ٢٤/٢) .

عَلَيْهَا فَزِعاً(١) يَقُولُ : لَا إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ وَيْلٌ(٢) لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ ، فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ(٣) يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هٰذِا ، وَحَلَّقَ بِإِصْبَعِهِ وَبِالَّتِى تَلِيهَا فَقَالَتْ زَيْنَبُ : يَارَسُولَ اللّٰهِ ، أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ ؟ قَالَ : نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ(٤) "(٥) .

فحين لم يحاول الصالحون تغيير المنكر ودعوة الناس إلى الخير ، والبعد بهم عن الشرّ صار مصيرهم واحداً وهو الهلاك والعذاب نتيجة تفريطهم بهذا الواجب وتقاعسهم عن القيام به .

---

(١) الفزع : الخوف . ينظر : (النهاية فى غريب الحديث والأثر /لابن الاثير) ، (٤٤٣/٣) .

(٢) الويل : حلول الشرّ : ينظر : (لسان العرب /لابن منظور) ، (١١/ ٧٣٧) .

(٣) الرَّدْمُ : اكثر من السّدّ لان الردم ماجعل بعضه على بعض . ينظر: (لسان العرب / لابن منظور) ، (٢٣٦/١٢) .

(٤) الخبث : الفسق والفجور . ينظر : (النهايه فى غريب الحديث والاثر / لابن الأثير) ، (٦/٢) .

(٥) (أ) أخرجه البخارى فى صحيحه فى (كتاب الفتن ، باب قول النبى صلى اللّٰه عليه وسلم ويل للعرب من شر قد اقترب) ، (رقم : ٧٠٥٩) ، (٤٠/٩/٣) .
وفى (كتاب الفتن ، باب يأجوج ومأجوج) ، (رقم : ٧١٣٥) ، (٥١/٩/٣) .
وفى (كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قصة يأجوج ومأجوج) ، (رقم : ٣٣٤٦) ، (١١٠/٤/٢) ، بهذا اللفظ .
وفى (كتاب المناقب ، باب علامات النبوة فى الإسلام) ، (رقم : ٣٥٩٨) ، (١٥٨/٤/٢) .

(ب) وأخرجه مسلم فى (كتاب الفتن ، باب اقتراب الفتن وفتح ردم يأجوه ومأجوج) ، (رقم ٢٨٨٠) ، (٢٢٠٧/٥) .

(ج) وأخرجه الترمذى فى (كتاب الفتن ، باب ماجاء فى خروج يأجوج ومأجوج) ، رقم : ٢١٨٧) ، (٤٨٠/٤) .

(قيل: المراد بالخبث: الفسوق والفجور وقيل: المراد: الزنا خاصة وقيل: أولاد الزنا والظاهر أنه المعاصى مطلقاً)(١).

(وفيه البيان بأن الخيّر يهلك بهلاك الشرّير إذا لم يغير عليه خبثه . وكذلك إذا غير عليه لكن حيث لايجدى ذلك ، ويصرّ الشرير على عمله السيء ، ويفشو ذلك ويكثر حتى يعم الفساد فيهلك حينئذ القليل والكثير ثم يحشر كل أحد على نيته)(٢). والرسول صلى اللّه عليه وسلم يضرب لنا مثلاً فى منتهى الروعة والجمال للفريقين معاً: أحدهما الذى أخطأ فى فهم الحرية الشخصية فضلّ الطريق وتنكبّ عن سبيل الهدى، والآخر للذى رأى المنكر فسكت عنه وكأن الأمر لايعنيه واهتم بنفسه وصلاحها . فهو يمثل حال المجتمع البشرى بصورة حيّة ، ويبين لنا أن حق الجماعة أولى من حق الفرد الذى يسيىء استخدام حقه ، ولايدرك أبعاد الخطر المحدق به وبغيره . فلابد من منعه من حقه هذا ، والأخذ بيده لكى ينجو الجميع ، أما فى حالة تركه وشأنه ، فإنه سيتسع الخَرق(٣) وتكبر الفجوه وينتشر الشر والفسق والمعاصى عندها يقع المحذور على الجميع ويستحقون العقوبه بتركهم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

وهذا مثل رائع من روائع الحِكم النبوية ، التى ضربها رسول الله صلى الله عليه وسلم مهذب البشريه .

عَنْ النُّعْمَان بْنَ بَشِيرٍ رَضِىَ اللّٰهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِىِّ صَلّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

---

(١) عمدة القارى شرح صحيح البخارى / للشيخ : بدر الدين ابى محمد محمود بن احمد العينى ، (ط : بدون) ، (الناشر : دار احياء التراث العربى - بيروت) ، (٢٣٨/١٥/٨) .

(٢) فتح البارى شرح صحيح البخارى / لابن حجر العسقلانى ، (١٠٩/١٣) .

(٣) الخرق : بالضم الجهل والحمق ، الخَرق : الشق .
ينظر : (لسان العرب / لابن منظور) ، (٧٣/١٠ - ٧٨) .

قَالَ : مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللّٰهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا ، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا(١) عَلَى سَفِينَةٍ فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا ، فَكَانَ الَّذِينَ فِى أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ فَقَالُوا لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِى نَصِيبِنَا خَرْقاً وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا ، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعاً ، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعاً "(٢)

عَنْ أَبِى بَكْرٍ الصِّدِّيقِ أَنهُ قَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّكُمْ تَقْرَؤُونَ هٰذِهِ الآيَةَ : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَايَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ(٣) ﴾ وَإِنِّى سَمِعْتُ رَسُولَ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : " إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوُا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللّٰهُ بِعِقَابٍ مِنْهُ "(٤).

---

(١) استهموا : اى اقترعوا . ينظر : (النهاية فى غريب الحديث والآثر/ لابن الأثير) ، (٢/٤٢٩) .

(٢) (أ) أخرجه البخارى فى (كتاب الشركة ، باب هل يقرع القسمة والاستهام فيه) ، (رقم : ٢٤٩٣) ، (١/٣/١٢١ – ١٢٢) ، بهذا اللفظ .

(ب) وأخرجه البخارى فى صحيحه فى (كتاب الشهادات ، باب القرعة فى المشكلات) ، (رقم : ٢٦٨٦) ، (١/٣/١٥٨) .

(ج) وأخرجه الترمذى فى سننه فى (كتاب الفتن ، باب ماجاء فى تغيير المنكر) ، (رقم : ٢١٧٣) ، (٤/٤٧٠) ، قال أبوعيسى : هذا حديث حسن صحيح .

(٣) سورة المائدة ، الآية (١٠٥) .

(٤) (أ) أخرجه الامام أحمد فى مسنده ، (١/٢ ، ٥ ، ٩) .
ينظر : الفتح الربانى لترتيب مسند الامام احمد بن حنبل الشيبانى ، مع مختصر شرحه ، بلوغ الامانى من اسرار الفتح الربانى / أحمد عبدالرحمن البنا ، الشهير بالساعاتى ، (ط : بدون) ، (الناشر : دار احياء التراث العربى – بيروت) ، (رقم : ٢٦٦) ، (١٨ / ١٣٤) .

(ب) وأخرجه أبوداود فى سننه فى (كتاب الملاحم ، باب الأمر والنهى) ، (رقم : ٤٣٣٨) ، (٤/١٢٢) .

(ج) وأخرجه ابن ماجه فى سننه فى (كتاب الفتن ، باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر) ، (رقم : ٤٠٠٥) ، (٢/١٣٢٧) .

(د) وأخرجه الترمذى فى سننه فى (كتاب الفتن ، باب ماجاء فى نزول العذاب إذا لم يغير المنكر) ، (رقم : ٢١٦٨) ، (٤ / ٤٦٧ – ٤٦٨) بهذا اللفظ .
وفى (كتاب تفسير القرآن ، باب تفسير سورة المائدة) ، (رقم : ٣٠٥٧) ، (٥/٢٥٦ – ٢٥٧) ، وقال ابوعيسى : حديث حسن صحيح .

كى يستقيم أمر المجتمع وتنظيم حياة الأفراد والجماعات ، وترسو السفينه على شاطىء الأمان ، لابد من القيام بمهمة الإصلاح المتمثلة فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، فإنها مهمة عظيمة ولها دور إيجابى يؤدى إلى فلاح المجتمع ، فينحسر الشرّ ويحل محله الخير فتغرس بذوره فتنمو وتترعرع إلى أن تثمر وينعم بثمارها الطيبه الجميع فيسود الأمن والرخاء والمحبه والإخاء وينجو الجميع من الهلاك والعقاب والعذاب الذى يعم الصالح والطالح بسبب التقاعد والتكاسل عن القيام بمهمة هداية الناس والأخذ بأيديهم وانقاذهم من الغرق فى المعاصي ، وإبعادهم عن الشرّ بالدعوة إلى الخير بحجة صلاحهم ، وهدايتهم ، أو نهيهم أحياناً وتركهم على حالهم السيىء حيناً آخر . ولاتزال نصوص السنة النبوية الشريفة تؤكد وجوب الدعوة إلى الله ، وأن الهالك الظالم يهلك غيره إن لم يؤخذ على يديه .

فقد روى عُدى[1] وقَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ صَلّىَ اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَقُولُ : إِنّ اللّهَ عَزّ وَجَلَ لايُعذّبَ الّعَامّةَ بِعَمَلَ الّخَاصّةَ حَتّى يَرَوا الّمُنكَرِ بَيْنَ ظَهْرَانِيهُم وَهُمْ قَادِرُونَ عَلَى أَنّ يُنْكِرُوهَ فَلاَ يُنْكِرُوهَ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكِ عَذّبَ اللّهُ الّخَاصّةَ والّعَامّةَ "[2]

---

(١) عدى بن عميرة بن فروة الكندى ، أبوزرارة : صحابى سكن الكوفة وانتقل إلى حران ، ثم توفى بالكوفة ، (٤٠ هـ) ، روى عن النبى صلى الله عليه وسلم عشرة احاديث .
ينظر : (اسد الغابه / لابن الأثير : ٣٩٥/٣) ، (الاصابه / لابن حجر : ٤٧٠/٢) ، (الإعلام / للزركلى : ٢٢١/٤) .

(٢) (أ) أخرجه عبدالله بن المبارك المروزى (١١٨ – ١٨١هـ) ، فى الزهد والرقائق ، (ط : عام/١٣٨٥ هـ) ، (الناشر : علمى بريس – الهند) ، (ص : ١٣٥٢) .

(ب) وأخرجه أحمد بن حنبل فى مسنده فى (١٩٢/٤) وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد : رواه الطبرانى ورجاله ثقات (٢٦٧/٧/٤) .

(ج) وأخرجه احمد بن محمد بن سلامه الطحاوى (٢٢٩ – ٣٢١هـ) فى مشكل الآثار ، (ط: عام/١٣٣٢هـ) ، (الناشر: دائرة المعارف – حيدر آباد) ، (٦٦/٢) .

يقول عمر بن عبدالعزيز[١] : (كان يقال : إن اللّٰه تبارك وتعالى لايعذب العامة بذنب الخاصة . ولكن إذا عُمِلَ المنكر جهاراً استحقوا العقوبة كلهم)[٢] .

والآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر هم من خير الناس حيث روت دُرَّةَ بِنْتُ[٣] أَبِي لَهَبْ حديث رَسُولَ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ : قَامَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهوَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ يارَسُولَ اللّٰه أَيِ النَّاسِ خَيْرٌ فَقَالَ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " خَيْرُ النَّاسِ أَقْرَؤُهُم وَأَتْقَاهُم وَآمَرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَاهُمْ عَنْ الْمُنْكَرِ وَأَوْصَلُهم لِلرَّحِمِ "[٤] .

وهذا نبى الهدى والرحمه ومعلم الناس الخير ينكر على من لم يأمر بالمعروف ، وينه عن المنكر ففى الحديث الذى رواه ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : قَالَ رَسُولَ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

---

(١) عمر بن عبدالعزيز بن مروان بن الحكم القرشى الاموى ، (٦١هـ - ١٠١هـ) هو الامام المجتهد ، والخليفه الراشد ، أمير المؤمنين ، بويع بالخلافة بعد ابن عمه سليمان بن عبدالملك ، فردها إلى كتاب اللّٰه وسنة رسوله ، بعد أن اعتراها الميلان عن الحق ، مع قلة المعين ، وكثرة الأمراء الظلمة الذين كرهوه وملّوه ، قيل دُسَّ له السم ، وتوفى بدير سمعان من أرض المعرة .
ينظر : (تاريخ خليفه / لابن خياط : ٣٢١ - ٣٢٢) ، (المحبر / لابن حبيب : ص ٢٧) ، (مروج الذهب / للمسعودى : ٢ / ١٣١ - ١٣٧) ، (وسيرة عمر بن عبدالعزيز - لابن الجوزى) .

(٢) أخرجه الإمام مالك فى الموطأ فى (كتاب الكلام ، باب ماجاء فى عذاب العامه بعمل الخاصة) ، (رقم : ٢٣) ، (٩٩١/٢) .

(٣) درة بنت أبى لهب عبدالعزى بن عبدالمطلب بن هاشم : شاعرة ، لها ابيات فى يوم الفجار . وهى ابنة عم النبى صلى الله عليه وسلم اسلمت بمكة وهاجرت إلى المدينه ، توفيت (نحو ٢٠ هـ) .
ينظر : (طبقات ابن سعد : ٣٤/٨) ، (الاصابه /لابن حجر : ٢٩٧/٤) .

(٤) اخرجه احمد فى مسنده فى (٤٣٢/٦) وقال الهيثمى : رواه الطبرانى ، ورجالهما ثقات وفى بعضهم كلام لايضر . ينظر : مجمع الزوائد (٢٦٣/٧/٤) .

" لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا ، وَيُوَقِّرْ كَبِيرَنَا ، وَيَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ "(١) ويقول ايضا فى الحديث الذى رواه أبى سعيد ، قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لَايَحْقِرْ أَحَدُكُمْ نَفْسَهُ " قَالُوا : يَارَسُولَ اللَّهِ ! كَيْفَ يَحْقِرُ أَحَدُنَا نَفْسَهُ ؟قال " يَرَى أَمْرًا ، لِلَّهِ عَلَيْهِ فِيهِ مَقَالٌ ، ثُمَّ لَايَقُولُ فِيهِ . فَيَقُولُ فيه . فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : مَامَنَعَكَ أَنْ تَقُولَ فِي كَذَا وَكَذَا ؟ فَيَقُولُ : خَشْيَةُ النَّاسِ . فَيَقُولُ : فَإِيَّاىَ ، كُنْتَ أَحَقَّ أَنْ تَخْشَى "(٢).

ومما يدل على أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من سمات النصر والفتح الحديث الذى رواه ابن مَسْعُودٍ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : " إِنَّكُمْ مَنْصُورُونَ وَمُصِيبُونَ وَمَفْتُوحٌ لَكُمْ فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَلْيَتَّقِ اللَّهَ وَلْيَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَلْيَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ(٣) مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ "(٤)

---

(١) (أ) أخرجه احمد فى مسنده فى (٥٧/١) .
(ب) وأخرجه الترمذى فى سننه فى (كتاب البر والصلة ، باب ماجاء فى رحمة الصبيان) ،(رقم : ١٩٢١) ،(٣٢١/٤)،قال أبوعيسى : هذا حديث حسن غريب ، واللفظ له .

(٢) اخرجه ابن ماجه فى سننه فى (كتاب الفتن ، باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر) ،(رقم : ٤٠٠٨) ،(١٣٢٨/٢) ، وقال فى الزوائد : أسناده صحيح ورجاله ثقات ، (رقم : ١٤٠٩) ، (٢٩٨/٢).

(٣) تبوأ : نزل منزلاً من النار . (النهاية فى غريب الحديث والأثر) ، (١٥٩/١) .

(٤) (أ) أخرجه الامام أحمد فى مسنده فى (٣٨٩/١) .
(ب) وأخرجه الترمذى فى سننه فى (كتاب الفتن ، باب ماجاء فى النهى عن سب الرياح) ،(باب رقم : ٧٠) ، (رقم :٢٢٥٧)، (٥٢٤/٤) ،،وقال أبوعيسى : اسناده حسن صحيح ، واللفظ له .

ولأهمية الأمر ، والنهى نجد أن الرسول صلى الله عليه وسلم عدهما من ضمن أركان الإسلام ففى الحديث الذى رواه ابوهريرة رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِىِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم إِنَّهُ قَالَ : " الإِسْلَامُ أَنْ تَعْبُدْ اللَّهَ لَاتُشْرِكْ بِهِ شَيْئاً وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِى الزَّكَاةَ وَتَصُومُ رَمَضَانَ ، وَتَحُجُ الْبَيْتَ ،والأَمْرَ بِالْمَعَروفِ ، وَالنَّهِىَ عَنْ الْمُنْكَرِ ، وَتَسْلِيمُكَ عَلَى أَهْلُكَ ، فَمَنْ انْتَقَصَ مِنْهُنْ فَهُوَ سَهْمٌ مَنْ الإِسْلَامْ يِدَعُهُ وَمَنْ تَرَكَهُنْ كُلَهِنْ فَقَدْ وَلَّى الإِسْلَامَ ظَهْرَهُ "(١).

ولكلمة الحق والصدع بها أهمية كبرى حيث عدّها الرسول صلى الله عليه وسلم من أفضل الجهاد واعظمه وخاصة عند السلطان الجائر بحيث لايخشى المتكلم بها فى الله لومة لائم . عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ أَنَّ النَّبِىَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْجِهَادِ كَلِمَةُ عَدْلٍ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ "(٢)

---

(١) أخرجه الحاكم فى المستدرك (٢١/١) ،وقال : هذا الحديث مثل الأول فى الاستقامه ، وكان قد قال عن الأول : هذا حديث صحيح على شرط البخارى . وسكت عنه الذهبى .

(٢) (أ) أخرجه الإمام أحمد فى المسند فى (٣١٤/٤ ، ٣١٥) ،(٢٥١/٥)، وينظر الفتح الربانى (١٧١/١٩) .

(ب) وأخرجه أبوداود فى سننه فى (كتاب الملاحم ،باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر) ،(رقم : ٤٣٤٤) ،(٤ / ١٢٤)، وروايته " افضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر وأمير جائر " .

(ج) وأخرجه ابن ماجه فى سننه فى (كتاب الفتن ،باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر) ، (رقم : ٤٠١١) ،(١٣٢٩/٢) .

(د) وأخرجه الترمذى فى سننه فى (كتاب الفتن ، باب ماجاء افضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر) ،(رقم: ٢١٧٤) ، (٤٧١/٤) ، قال أبوعيسى : وهذا حديث حسن غريب من هذا الوجه . واللفظ له .

(هـ) وأخرجه النسائى فى سننه فى (كتاب البيعة ،باب فضل من تكلم بالحق عند امام جائر) ،(رقم : ٤٢٠٩) ،(١٦١/٧) .

(و) ينظر : فيض القدير شرح الجامع الصغير / لمحمد عبدالرؤوف المناوى ،(ط:بدون)، (الناشر:دارالمعرفة ـ بيروت ،توزيع / دار الباز مكة المكرمة) ،(٣٠/٢) .

وتأتى أهمية الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر من تنصيص النبى صلى اللّٰه عليه وسلم فى بنود بيعة العقبة الكبرى واستيثاقه فى إقامته بينهم ، فبايعه الصحابة جميعاً ذكوراً وإناثاً على تنفيذ بنود هذه البيعه ، التى منها قول الحق فى أي مكان وعند أي إنسان بحيث لايخافون فى اللّٰه لومة لائم .

ففى الحديث الذى رواه عُبَادَةَ(١) بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ قَالَ : بَايَعْنَا رَسُولَ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فى الْمَنْشَطِ(٢) وَالْمَكْرَهِ(٣) ، وَأَنْ لَانُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ ، وَأَنْ نَقُومَ أَوْ نَقُولَ بِالْحَقِّ حَيْثُمَا كُنَّا ، لَانَخَافُ فى اللّٰهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ "(٤).

---

(١) هو عبادة بن الصامت الأنصارى الخزرجى صحابى ، موصوف بالورع شهد العقبة ، وكان أحد النقباء ، مات بالرملة بفلسطين (٣٤ هـ) .
ينظر : (الكاشف / للذهبى : ٦٤/٢) ، (تهذيب التهذيب / لابن حجر: ١١٠/٥) ، (خلاصة تذهيب الكمال للخزرجى : ٣٢/٢) .

(٢) المنشط : مَفْعَل من النشاط ، وهو الأمر الذى تنشط له وتخف اليه ، وتُؤثِرُ فِعْلَهَ ، وهو مصدر بمعنى النشاط .
ينظر : (النهاية فى غريب الحديث والأثر) ،(٥٧/٥) .

(٣) المكره : الأمر الذى تكرهه وتتثاقل عنه ، وهى مصدر بمعنى المكروه .
ينظر : (النهاية فى غريب الحديث والآثر / لابن الأثير)،(١٦٩/٤) .

(٤) (أ) أخرجه الامام مالك فى الموطأ فى (كتاب الجهاد ،باب الترغيب فى الجهاد) ،(رقم : ٥) ،(٤٤٥/٢ - ٤٤٦) .
(ب) وأخرجه البخارى فى صحيحه فى (كتاب الاحكام ، باب كيف يبايع الامام الناس) ، (رقم : ٧٢٠٠) بهذا اللفظ ،و (رقم: ٧٢٠٢ - ٧٢٠٣ - ٧٢٠٤) ، (٦٤/٩/٣) .
وفى (كتاب الجهاد ، باب بيعة النساء) ، (رقم : ٧٢١٣) ؛ (٦٥/٩/٣) .
وفى (الايمان ، باب البواليمان قال : آخبرنا شعيب عن الزهرى) ، (رقم : ٨) ، (٩/١/١) .
وفى (كتاب الحدود ، باب الحدود كفارة) ، (رقم : ٦٧٨٤) ، (١٣٣/٨/٣) .
==

فالصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ منذ قدومهم يثرب بعد البيعة ، وقبل مقدم النبى صلى الله عليه وسلم أخذوا ينفذون بنود البيعة فيما بينهم ، فنجدهم أخذوا يدعون إلى الله تعالى، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر بين أهليهم وقومهم ، واستمروا على الوفاء بالعهد ، فكانوا يقفون الى جانب النبى صلى الله عليه وسلم فى وجه المنافقين من القبائل ، ولم يقتصر الوفاء بهذا العهد فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم فحسب بل تعداه الى حياة كل واحد منهم .

= وفى (كتاب الحدود ، باب توبة السارق)، (رقم : ٦٨٠١) ، (١٣٥/٨/٣) .
وفى (كتاب الديات ، باب قول الله تعالى : " ومن أحياها ")، (رقم : ٦٨٦٧) ، (٣/٩/٣) .
وفى (كتاب الفتن ، باب قول النبى صلى الله عليه وسلم : سترون بعدى أمور تنكرونها) ، (رقم : ٧٠٥٥) ، (٣٩/٩/٣) .
وفى (كتاب التفسير ، باب اذا جاءك المؤمنات يبايعنك)، (رقم : ٤٨٩٢) ، (١٢٤/٦/٢) .
وفى (كتاب فضائل اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، باب وفود الأنصار الى النبى صلى الله عليه وسلم بمكة وبيعة العقبة) ، (رقم / ٣٨٩٢) ، (٤٧/٥/٢) .
وفى (كتاب المغازى ، باب حدثنى خليفة حدثنا محمد بن عبدالله الأنصارى) ، (رقم: ٣٩٩٩) ، (٦٩/٥/٢) .

(جـ) وأخرجه مسلم فى صحيحه فى (كتاب الامارة ،باب الحدود كفارات لأهلها) ،(رقم :١٧٠٩)،(١٣٣٣/٣) .

(د) وأخرجه ابن ماجه فى سننه فى (كتاب الجهاد ،باب البيعة)، (رقم : ٢٨٦٦) ،(٩٥٧/٢) .

(هـ) وأخرجه النسائى فى سننه فى (كتاب البيعه ،باب البيعه على السمع والطاعه) ،(رقم : ٤١٤٩ – ٤١٥٠) ،(١٣٧/٧ – ١٣٨).

هذه بعض النصوص القرآنية والأحاديث النبوية المستفيضه التى تدل على وجوب تبليغ الدعوة فى أرض الله تعالى ، فنلاحظ أن الأصل فى هذه الوظيفة الدعويه العامة قوله تبارك وتعالى :

﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾

(سورة التوبة ، الآية "٧١")

وأنه تعالى ميز بين هؤلاء المؤمنين عن الصنف الآخر المضاد لهم فى مسألة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر حيث إنه جعله محط التفرقه بينهما - وهذا ما أوضحته آية المنافقين التى قبلها حيث جعل الله تعالى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فرقاً بين المؤمنين والمنافقين فدلّ على أن أخص أوصاف المؤمنين : الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وعلى رأسها : الدعوة إلى الإسلام ٠

وعلى عكسهم تماماً أولئك المنافقون الذين وصفهم بالأمر بالمنكر والنهى عن المعروف ، وأنهم بذلك يدعون إلى الكفر !! بناء على هذه الصفة الملازمة لهم ٠

كما أتضح لنا من خلال قطف تلك الباقة من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفه أنها دليل قاطع على أن تبليغ الدعوة على سبيل الوجوب وذلك لسمة هذه الأمة الإيمان والخيريه والتبليغ فإذا تخلت عن سمتها وخصيصتها، فانها لاشك سوف تتسم بصفات الصنف الآخر، وتنحدر إلى اخلاقهم اعاذ الله هذه الأمة منهم.فالمقياس الحقيقى هنا هو قيامها بهذه المهمة التى كلفت بها ، وكأن الله تعالى يقول للمؤمنين : إن شرط الإيمان القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ومن يلتزم بالإيمان يلتزم بهذا الواجب بل

على من يريد الدخول في الإسلام أن يؤهل نفسه لأن يأمر وينهى،يستوى فى ذلك الرجل والمرأة،فالكل مطالب بهذا الواجب،ليعم الخير،وينحسر الشرّ وينهزم الباطل أمام قوة الحق الدامغة ، فالأمر فيها يشمل المكلفين من الرجال والنساء إذ لاقرينة ولادلالة على تخصيصها بالرجال فقط ، لدرجة أن السلف الصالح كانوا يعتبرون من يقصر فى هذا الواجب من أموات الأحياء، (فقد قيل لابن مسعود من ميت الأحياء ؟ فقال : الذى لايعرف معروفاً ولاينكر منكراً)(١).

إن المرأة المسلمة فى صدر الإسلام أدركت مسؤوليتها فى هذا السبيل منذ أن اعتنقت الإسلام،فراحت ترشد إلى الخير،وتنهى عن الشر،وتتعلم وتعلم ولم تسكت حين ترى مخالفة للكتاب والسنة ، فإنها عرفت المسؤولية الملقاة على عاتقها،وأن عليها أن تبصّر النساء،وتأمرهن وتنهاهن،حيث إن عالم المرأة فيه من الأمور الخفية مالايطلع عليه إلا النساء ، ولايقف على حقيقة المرأة وعيوبها إلا المرأة . لهذا كان حتماً على الآباء أن يعدوا بناتهم للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فتتعلم المرأة من خلال التربية السليمة على نصوص الشريعة صفات الداعيه والأسلوب الأمثل فى إرساء الفضيلة وتقويم الرذيله (٢).

(ولكى ندرك أهمية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، أستعرضنا نماذج من النصوص التى وردت فى الكتاب والسنه آمرة به ، لأن هذه النصوص

---

(١) (أ) الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر / لشيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيميه ،تحقيق / صلاح الدين المنجد ،(ط: ١٣٩٦/١ هـ - ١٩٧٦ م)،(الناشر: دارالكتاب العربى/بيروت)،(ص : ١٨) .

(ب) الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر/لشيخ الإسلام تقى الدين ابوالعباس أحمد بن تيميه ،تحقيق/د.محمد السيد الجليند،(ط: ٢/ ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م)،(الناشر:دارالمجتمع للنشروالتوزيع)،(ص : ٣٠).

(٢) ينظر : اعداد المرأة المسلمة / د. السيد محمد على نمر ، (ط :٢/ ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣ م) ، (الناشر : الدار السعودية للنشر والتوزيع)، (ص : ١٤١ - ١٤٤) .

لاترد إلا مقارنة لعلة الحكم الذى تقرره ، وتعليل الحكم يعطينا الدلالة الواضحة على مدى الأهمية المرادة من تشريع ما من التشريعات)(١).

هذا بالإضافة إلى أن هذه النصوص التى تأمر بالقيام بواجب الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر نجدها لاتفرق فى ذلك الأمر بين الرجال والنساء ، وهى وإن لم تصرح فى أكثرها بمخاطبة المرأة صراحةً ، الا أن القاعدة الأصوليه : أن النساء يدخلن فى الخطاب الموجه للذكور من باب التغليب الا ماخرج بدليل . وقد ذكر المؤمنات صراحة فى قوله تعالى :

﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ
أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ
وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ
وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٧١ ﴾

(سورة التوبة ، الآية "٧١")

(فالأمر والنهى لايكونان إلا حيث يكون إيمان ، وليس الإيمان إلا عقيدة وسلوكاً فى بضع وسبعين شعبة من أخلاق الإسلام ، كلها تعمل فى سبيل إرساء قواعد أمة الإسلام على أسس من الأصالة والثبات والحياة السعيدة ، لأن هذه الشعب الإيمانية تشمل كل النشاطات الإنسانية من وجهة العقيدة ، ومن وجهة الذات ، ومن وجهة ارتباط الإنسان بالإنسان والتزامه نحوه .

والأمة التى تسودها شعب الإيمان تهب إلى الأمر بها ، والنهى عما يضادها حرصاً على مميزات أخلاق الإيمان وأثرها فى سعادة الإنسان ، وفى قوة الأمة كلها ، ومن هنا لايوجد إيمان إلا كان الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لازماً له ، وخاصةً من خواصه لاتنفك عنه)(٢).

---

(١) الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر /لابى بكر أحمد بن محمد بن هارون الخلال ،دراسة وتحقيق ،عبدالقادر أحمد عطا ،(ص : ٤٢) .

(٢) المصدر السابق نفسه .

وقوله أيضاً : ﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾

(سورة الاحزاب ، الآية "٣٤")

قال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور :

(لما ضمن اللّه لهن العظمة أمرهن بالتحلى بأسبابها ، والتملّى من آثارها، والتزود من علم الشريعة بدراسة القرآن ليجمع ذلك اهتداءهن فى أنفسهن ازدياداً فى الكمال والعلم ، وإرشادهن الأمة إلى مافيه صلاح لها من علم النبى صلى اللّه عليه وسلم. وفعل " أذكرن " يجوز أن يكون من الذكر بضم الذال وهو التذكر ، وهذه كلمة جامعة تشمل المعنى الصريح منه ، وهو أن لاينسين ماجاء فى القرآن ولايغفلن عن العمل به ويشمل المعنى الكنائى وهو أن يراد مراعاة العمل بما يتلى فى بيوتهن مما ينزل فيها ، وما يقرأه النبى صلى اللّه عليه وسلم فيها ، ومابين فيها من الدين ، ويشمل معنى كنائياً ثانياً وهو تذكر تلك النعمة العظيمة أن كانت بيوتهن موقع تلاوة القرآن .

ويجوز أن يكون من " الذِكر " بكسر الذال ، وهو إجراء الكلام على اللسان ، أى بلّغْنَهَ للناس ، بأن يقرأن القرآن ، ويبلغن أقوال النبى صلى اللّه عليه وسلم وسيرته وفيه كناية عن العمل به . والتلاوة : القراءة، أي إعادة كلام مكتوب أو محفوظ أي مايتلوه الرسول صلى اللّه عليه وسلم . و " من آيات اللّه والحكمة " بيان لما يتلى فكل ذلك متلوّ ، وذلك القرآن ، وقد بين المتلو بشيئين : هما آيات اللّه ، والحكمة ، فآيات اللّه يعم القرآن كلّه ، لأنه معجز عن معارضته فكان آية على أنه من عند اللّه)(١)

---

(١) تفسير التحرير والتنوير / للشيخ محمد الطاهر بن عاشور، (١١/٢٢/١٨).

ولقد فهم ذلك أزواجه صلى اللّٰه عليه وسلم الطاهرات وصواحبه رضى اللّٰه عنهن جميعاً،فقمن بواجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ونشر الدين على أحسن وجه وأتمه • والمتتبع لكتب السيرة والتاريخ والأدب الإسلامى يجد الكثير من فضليات النساء العالمات العاملات فى مجال الدعوة ، الآمرات بالمعروف ، والناهيات عن المنكر •

وعندما تكلم يحى[(١)] بن معاذ الرازى يوماً فى الجهاد وفى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر قالت له امرأة : هذا واجب وضع عنّا ، فقال : هبي أنه قد وضع عنكن سلاح اليد واللسان فلم يوضع عنكن سلاح القلب ، فقالت له : صدقت جزاك اللّٰه خيراً)[(٢)].

فعليك أختى الداعية أن تجاهدي فى هذا الميدان ولو كان ذلك بأدنى المراتب وهى مرتبة تغيير المنكر بالقلب •

ولقد كانت القدوة المثلى والنموذج الرائع للنساء الداعيات :
أم المؤمنين عائشة بنت أبى بكر رضى اللّٰه عنها ، فقد كانت تقوم بواجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر •

وسوف نتحدث من ذلك بالتفصيل[(٣)] إن شاء اللّٰه تعالى ، ولايسعنى فى هذا المقام إلا أن أذكر أنه نقلت عنها روايات تدل على أمرها بالمعروف ، ونهيها عن المنكر من ذلك :

---

(١) هو يحيى بن معاذ بن جعفر الرازى ،واعظ زاهد لم يكن له نظير فى وقته من أهل زمانه ، له كلام جيد ومواعظ مشهوره ، أقام ببلخ ، ومات فى نيسابور سنة (٢٥٨ هـ) •
ينظر : (طبقات الصوفيه / للسلمى : ص ١٠٧ - ١١٤) ، (الكامل/ لابن الأثير : ٢٥٨/٧) •

(٢) مناهج العلماء فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر /أ:فارق السامرائى (ص : ٦٨) نقلاً عن أعلام الموقعين لابن الجوزية •

(٣) ينظر : (ص : ٨١٤-٨٢٨) • من البحث •

(١) أنها رأت امرأة بين الصفا والمروة عليها خميصة من صلب . أى ثوب عليه خطوط متصالبه ، فَقَالَتْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : أنزعى هذا من ثوبك فَإِنّ رَسُولَ اللَّهِ صَلّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلّم ، إِذَا رَآهُ فِى ثَوْبٍ قَضْبَهُ "(١)

(٢) ورأت أخاها عبدالرحمن يسرع فى الوضوء ليدرك صلاة الجنازه على سعد بن أبى وقاص ، فقالت : ياعبدالرحمن أسبغ (٢) الوضوء فإِنّى سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَقُولُ : " وَيْلٌ لِلأَعْقَابِ(٣) مِنَ النَّارِ "(٤)

---

(١) اخرجه الامام أحمد فى مسنده ، (٢٢٥/٦) .

(٢) الإسباغ : الاتمام والمبالغة فيه . ينظر : (غريب الحديث /للإمام أبى إسحاق إبراهيم بن إسحاق الحربى) ،تحقيق ودراسة /د.سليمان بن ابراهيم العايد ،المجلدة الخامسة ،(٤٠٧/٢) .

(٣) عَقِبٌ : بكسر القاف مؤخرة القدم ،وجمعه " أعقاب " وهى مؤنثه . ينظر : (مختار الصحاح / للرازى) ،(ص : ٤٤٣) .

(٤) (أ) أخرجه مالك فى الموطأ فى (كتاب الطهاره ، باب العمل فى الوضوء) ،(رقم : ٥) ،(١٩/١ - ٢٠) .

(ب) وأخرجه البخارى فى صحيحه فى (كتاب العلم ،باب من رفع صوته بالعلم) ،(رقم : ٦٠) ،(١٨/١/١) .
وفى (كتاب العلم ، باب من اعاد الحديث ثلاثا ليفهم عنه)، (رقم : ٨٦) ، (٢٥/١/١ - ٢٦) .
وفى (كتاب الوضوء ، باب غسل الرجلين ولايمسح على القدمين) ، (رقم : ١٦٣) ، (٣٧/١/١) .
وفى (كتاب الوضوء ، باب غسل الأعقاب)، (رقم : ١٦٥) ، (٣٧/١/١) .

(ج) وأخرجه مسلم فى صحيحه فى (كتاب الطهاره ،باب وجوب غسل الرجلين بكمالهما) ،(رقم : ٢٤٠ - ٢٤١) ،(٢١٣/١ - ٢١٤). واللفظ له .

(د) وأخرجه أبوداود فى سننه فى (كتاب الطهاره ،باب فى اسباغ الوضوء) ،(رقم : ٩٧) ،(٢٤/١) . ==

(٣) وأيضاً أوصت النساء بقولها : " مُرْنَ أَزْوَاجَكُنَّ أَنْ يَسْتَطِيبُوا[1] بِالْمَاءِ فَإِنِّي أَسْتَحْيِيهِمْ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَفْعَلُهُ "[2].

مما تقدم يتبين لنا سعة دائرة الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر، حتى لاتحتقر المرأة المسلمة أي معروف تأمر به أو منكر تنهى عنه .

ويؤكد ذلك الأستاذ عبدالقادر عوده فيقول فى اتساع دائرة المعروف والمنكر :

(الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر يدخل فيهما الأمر بكل ما أوجبت الشريعة عمله ، أوجبت للناس فعله من صلاة وصيام وحج وتوحيد وغير ذلك ، والنهى عن كل ماخالف الشريعة من أفعال وعقائد فيدخل فيه النهى عن التثليث وعن القول بصلب المسيح وقتله ، ويدخل فيه النهى عن الترهب ، وعن شرب الخمر ، وعن أكل لحم الخنزير ، وغير ذلك مما تخالف فيه الشريعة الأديان

== (هـ) وأخرجه ابن ماجه فى سننه فى (كتاب الطهارة وسننها ،باب ماجاء فى اسباغ الوضوء) ،(رقم: ٤٢٦)،(١/١٤٧ — ١٤٨)،وقال فى الزوائد : اسناد رجاله ثقات واصله فى الصحيحين .

(و) وأخرجه الترمذى فى سننه فى (ابواب الطهارة ،باب ويل للاعقاب من النار) ،(رقم: ٤١)،(١/٥٨ — ٥٩)،وقال أبوعيسى:حديث حسن صحيح .

(ز) وأخرجه النسائى فى سننه فى (كتاب الطهارة،باب ايجاب غسل الرجلين)،(رقم:١١١) ،(١/٧٧ — ٧٨) .

(١) يستطيبوا : يستنجوا ،والمستطيب : المستنجى ،مشتق من الطيب ، سمى استطابه ،لأنه يَطيبُ جسده بذلك مما عليه من الخبث . ينظر: (لسان العرب / لابن منظور) ،(١/٥٦٧) .

(٢) (أ) أخرجه الترمذى فى سننه فى (أبواب الطهاره ،باب ماجاء فى الاستنجاء بالماء) ،(رقم: ١٩) ،(١/٣٠)،وقال أبوعيسى حسن صحيح.

(ب) وأخرجه النسائى فى سننه فى (كتاب الطهاره ،باب الاستنجاء بالماء) (رقم : ٤٦) ،(١/٤٢ـ٤٣) .

الأخرى)(١).

بعد أن علمت اختى الداعية أن فى الشريعة الإسلامية نصوصاً قطعية توجب عليك حتمية الدعوة ، وفرضية التبليغ فما أراك الا منفذة لما أوجبه الله عليك ، وما أسمع عنك الا منطلقةً بحرارة الإيمان لتبليغ دعوة الله فى الأرض،وما أجدك إلا قد شمرت عن ساعد الجد والعمل لإنقاذ أفراد أسرتك، وبنات جنسك ومجتمعك . ولاشك أنك إذا انطلقت فى مجال الدعوة إلى الله كما أمر الشرع وبلّغت رسالة الإسلام كما أراد الله ، فالله سبحانه ينزلك منازل الأبرار ، ويرفعك مقام الأخيار ، ويثيبك فى الدنيا خيراً ويعظم لك فى الآخرة أجراً ويحشرك فى مجمع من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً ، إن شاء الله تعالى .

ولايسعنى فى هذا المقام إلا أن اضع بين يديك ماجاء فى كتاب الله عز وجل وما ثبت من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من الفضائل التى خص الله بها هذه الدعوة والداعية بإيجاز لتعرفى المنزلة الكبيرة التى شرف الله بها الدعاة على غيرهم من البشر،ولتعلمى الدرجة الرفيعة التى ميزّ الله بها دعوة الإسلام على غيرها من الدعْوات،وذلك انك إذا علمت هذا فسيكون انطلاقك فى الجهاد الدعوى أبلغ،وحركتك فى هداية البشرية أكبر بل تترسخ حساسية الدعوة فى بوّرة شعورك ، وتتعمق حرارة التبليغ فى أعماق نفسك ، فما تجدين نفسك إلا وقد انطلقت فى الحياة مخلصة صادقة أمينة تبلغين دعوة الله لاتخشين أحداً إلا إياه بل لاترقأ لك عين ولايهدأ لك بال حتى ترى أمة الإسلام قد عادت إلى الله وترين الإنسانية قد نعمت بهداية الإسلام (٢).

وذلك بفضل الله تعالى ثم بفضل مساعيك الحميده أيتها الأم ، والأخت، والزوجة ، والابنة ، أيتها العضو الفعال بطبيعتها منذ خلق الله البشرية .

---

(١) التشريع الجنائى فى الإسلام ،(١/٤٩٧) ،وينظر : الإسلام بين جهل ابنائه وعجز علمائه / لعبدالقادر عوده ،(ط: بدون)،(الناشر: الإتحاد الإسلامى ١٣٩٧ هـ) ،(ص : ٤٦) .

(٢) ينظر : وجوب الدعوة والداعية / لعبدالله ناصح علوان ،(٣/ ٤٧ – ٤٨) ، بتصرف وتحويل الخطاب إلى المرأة .

الفضائل التي خص الله بها هذه الدعوة :

(الفضائل التى خص الله بها هذه الدعوة على سائر الدعوات هى :

(١) أنها خاتمه .

(٢) أنها عالمية .

(٣) أنها ذات خصائص فهى تختص بالمزايا التالية :

(أ) الربانية .

(ب) الشمولية .

(جـ) التجدد .

(د) التوازن .

(هـ) اليسر .

(و) البساطة .

(ز) الخلود .

(ح) صلاحيتها لكل زمان ومكان .

فهذه الخصائص التى ميزت دعوة الإسلام على غيرها من الدعوات الأخرى سواء أكانت هذه الدعوات ربانية من تنزيل الله عز وجل ، أو كانت أرضية من صنع البشر .

﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ (سورة البقرة ، الآية "١٣٨")

ومما يؤكد عظمة الدعوة الإسلامية ، ويظهر فضلها على غيرها من الدعوات الشهادات التالية :

(١) شهادة الواقع العالمى .

(٢) شهادة المؤتمرات الدولية .

(٣) شهادة المنصفين من غير المسلمين فى العالم)[1]

---

(١) فضل الدعوة والداعيه / عبدالله ناصح علوان ، (ط: ١٤٠٥/١هـ - ١٩٨٥م) ، (الناشر: دار السلام للطباعه والنشر والتوزيع والترجمه) ، (سلسلة مدرسة الدعاة ، فصول هادفه فى فقه الدعوة والداعية) ، (٤٩/٤-٥٢) باختصار .

الفضائل التى خص الله بها الدعاة :

لو استعرضنا نصوص القرآن والسنه فى تكريمها للدعاة ذكوراً كانوا أو اناثاً في الرفع من منزلتهم وفى الإشادة بفضلهم لوجدناها اكثر من أن تحصى ، وهانحن نقتطف باقة من آيات الذكر الحكيم ومن أحاديث المصطفى صلوات الله وسلامه عليه .

(١) الدعاة هم خير الناس :

لقوله تعالىٰ :

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ (١١٠) ﴾

(سورة آل عمران ، الآية "١١٠")

(٢) الدعاة هم الشهداء على الناس .

لقوله تعالىٰ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١٤٣) ﴾

(سورة البقرة ، الآية "١٤٣")

(٣) الدعاة هم المفلحون فى الدنيا والآخرة .

لقوله جلّ جلاله ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾

(سورة آل عمران ، الآية "١٠٤")

(٤) الدعاة أحسن الناس حديثاً .

لقوله تعالت قدرته :

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾

(سورة فصلت ، الآية "٣٣")

(٥) المعروف يبشر صاحبه يوم القيامه كما أن المنكر يلزم صاحبه ويقيم عليه الحجة :

(أ) فعَنْ أَبِي مُوسَى[(١)] الأشعري رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولَ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم " وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدْهِ أَنَّ الْمَعْرُوفَ وَالْمُنْكَر خَلِيقَتَانْ يُنْصَبَانْ لِلنَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَمَّا الْمَعْرُوفَ فَيُبَشِر أَصْحَابَهُ وَيُوعِدُهُمْ الْخَيرِ وَأَمَّا الْمُنْكَر فَيقُولُ : إِلَيْكُمْ إِلَيْكُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُ إِلاّ لُزُومَاً[(٢)] "[(٣)]

---

(١) هو عبدالله بن قيس بن سليمان من بنى الأشعر من قحطان ،صحابى من الشجعان الولاة الفاتحين ،وأحد الحكمين بين على ومعاويه ولد باليمن سنة (٢١) قبل الهجرة ،وأسلم وهاجر الهجرتين ،توفى بالكوفة سنة (٤٤ هـ) .
ينظر:(الكاشف / للذهبى :١١٩/٢) ،(طبقات القراء /لابن الجزرى : ٤٤٢/١) ،(خلاصة تذهيب الكمال / للخزرجى :ص ٧) .

(٢) لزوماً : مصدر لزم أي لزمه فلا يفارقه .(لسان العرب /لابن منظور) ، (٥٤١/١٢ – ٥٤٢) .

(٣) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده فى (٣٩١/٤) ،قال الهيثمى :رواه احمد والبزار ورجالهما رجال الصحيح ،(٢٦٢/٧).

(ب) ولحديث أُمّ حَبِيبَةَ (١) أُمّ المُؤْمِنِين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ قَالَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " كُلُّ كَلاَم ابْنِ آدَمَ عَلَيْهِ لاَ لَهُ إلاّ أَمْرٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ نَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ أَوْ ذِكْرُ اللَّهِ "(٢)

(٦) كل معروف يقوم به الإنسان وإن كان صغيراً فهو صدقة لذلك؛ يجب على كل مسلم أن لايحتقر شيئاً من المعروف أو يتهاون به ففي حديث جابر(٣) بْنِ عَبْدِاللَّهِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم " كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ وَإِنَّ مِنَ المَعْرُوفِ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ(٤) وَأَنْ تُفْرِغَ(٥) مِنْ دَلْوِكَ(٦) فى إِنَاءِ أَخِيكَ "(٧).

---

(١) هى رملة بنت أبى سفيان صخر بن حرب ابن أمية ، صحابية من ازواج النبى صلى اللّٰه عليه وسلم ،(٢٥ ق هـ - ٤٤ هـ) اخت معاويه ،كانت من فصيحات قريش ، ومن ذوات الرأى والحصافة ،تزوجها اولاً عبيداللّٰه بن جحش وهاجرت معه إلى أرض الحبشه ثم تنصر ومات هناك ، لها فى كتب الحديث " ٦٥ " حديثاً .
ينظر : (طبقات ابن سعد : ٩٦/٨ - ١٠٠) ،(الاصابه/لابن حجر : ٣٠٥/٤) ،(اسد الغابه/لابن الأثير : ٤٥٨/٥) .

(٢) (أ) أخرجه ابن ماجه فى سننه فى (كتاب الفتن ،باب كف اللسان فى الفتنه) ،(رقم : ٣٩٧٤) ،(١٣١٥/٢) .
(ب) وأخرجه الترمذى فى سننه فى (كتاب الزهد ،باب ماجاء فى حفظ اللسان) ،(رقم :٢٤١٢) ،(٦٠٨/٤) ،قال ابوعيسى : هذا حديث حسن غريب ، واللفظ له .

(٣) هو جابر بن عبداللّٰه الخزرجي الأنصارى ،(١٦ ق هـ - ٧٨ هـ) هو وأبوه صحابيان ،له فى الصحيحين (١٥٤٠) حديثاً .
ينظر : (الجمع بين رجال الصحيحين / ابن القيسرانى :٧٢/١) ،(تهذيب التهذيب /لابن حجر : ٤٢/٢) .

(٤) طلق : سمح ضاحك ،مشرق ،مستبشر منبسط الوجه متهللّه . ينظر:(لسان العرب /لابن منظور) ،(٢٢٥/١٠ - ٢٣١) .

(٥) تفرغ : تصب ،ينظر :(لسان العرب /لابن منظور) ،(٤٤٤/٨ - ٤٤٦) .

(٦) الدَلْوُ: واحدة الدلاء التى يستقى بها ،ينظر:(الصحاح/للجوهري) ،(٢٣٣٨/٦-٢٣٣٩)

(٧) (أ) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده فى (٣٦٠/٣) ،بهذا اللفظ ==

(٧) وهذا حديث آخر يدل على ذلك رواه أَبُوذَرٍّ ، أَنَّ نَاساً مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالُوا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَارَسُولَ اللَّهِ ! ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالْأُجُورِ . يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ . وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ. قَالَ " أَوَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ مَاتَصَّدَّقُونَ ؟ إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً . وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ . وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ . وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ " قَالُوا : يَارَسُولَ اللَّهِ ! أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ ؟ قَالَ : " أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْراً "(١)

قال النووي تعليقاً على هذا الحديث :

(فيه إشارة إلى ثبوت حكم الصدقة فى كل فرد من أفراد الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ولهذا نكره ، والثواب فى الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر أكثر من التسبيح والتحميد

== (ب) وأخرجه البخارى فى صحيحه فى (كتاب الأدب ،باب كل معروف صدقه) ،(رقم : ٦٠٢١) ،(١٠/٨/٣) .

(ج) وأخرجه مسلم فى صحيحه فى (كتاب الزكاة ،باب بيان أن اسم الصدقه يقع على كل نوع من المعروف) ،(رقم : ١٠٠٥) ،(٢ / ٦٩٧) .

(د) وأخرجه أبوداود فى سننه فى (كتاب الأدب ،باب فى المعونه للمسلم) ،(رقم : ٤٩٤٧) ،(٢٨٧/٤) .

(هـ) وأخرجه الترمذى فى سننه فى (كتاب البر والصلة ،باب ماجاء فى طلاقة الوجه وحسن البشر) ،(رقم: ١٩٧٠) ،(٣٤٧/٤) ،وقال أبوعيسى : حديث حسن .

(١) (أ) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده فى (٣٢٩/٢) ،(١٦٧/٥ـ ١٦٨،١٧٨) .

(ب) وأخرجه مسلم فى صحيحه فى (كتاب الزكاة ،باب بيان ان اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف) ،(رقم:١٠٠٦) ،(٦٩٨/٢) ،واللفظ له .

(ج) وأخرجه الترمذى فى سننه فى(كتاب البروالصله ،باب ماجاءفى صنائع المعروف) ،(رقم:١٩٥٦) ،(٣٣٩/٤ـ ٣٤٠) ،وقال أبوعيسى:هذا حديث حسن غريب .

والتهليل؛لأن الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر فرض كفاية ، وقد يتعين ولايتصور وقوعه نفلاً ، والتسبيح والتحميد والتهليل نوافل ، ومعلوم أن أجر الفرض أكثر من أجر النفل)(١)

(٨) وبالأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر تكفير عن المسلم خطيئته كما في حديث حُذَيْفَةَ ابْنُ الْيَمَانْ ، عِنْدَمَا سَأَلَ عُمَرُ عَنْ الْفِتْنَةِ فأجابه : " فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِى أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَوَلَدِهِ وَجَارِهِ تُكَفِّرُهَا الصَّلاَةُ وَالصَّوْمُ وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْىُ عَنِ الْمُنْكَرِ "(٢)

(٩) الدعاة ورثة الأنبياء :

لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " .. الْعُلَمَاءُ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ .. "(٣)

---

(١) شرح النووى على صحيح مسلم ، (٩٢/٧) .

(٢) (أ) أخرجه البخارى فى صحيحه فى (كتاب مواقيت الصلاة ، باب الصلاة كفارة) ،(رقم : ٥٢٥) ،(٩٣/١/١)،واللفظ مختصر.

وفى (كتاب الزكاة ، باب الصدقة تكفر الخطيئة) ،(رقم : ١٤٣٥) ، (٩٧/٢/١) .

وفى (كتاب الصوم ، باب الصوم كفارة) ، (رقم : ١٨٩٥)، (٢٢/٣/١) .

وفى (كتاب الفتن ، باب الفتنه تموج كما يموج البحر) ، (رقم : ٧٠٩٦) ،(٤٦/٩/٣) .

(ب) وأخرجه مسلم فى صحيحه فى (كتاب الفتن واشراط الساعة ، باب فى الفتنه التى تموج كموج البحر) ،(رقم : ١٤٤)،(٤ / ٢٢١٨) .

(جـ) وأخرجه الترمذى فى سننه فى (كتاب الفتن ،باب رقم : ٧١)، (رقم : ٢٢٥٨) ،(٥٢٤/٤ - ٥٢٥) . وقال أبوعيس : هذا حديث صحيح .

(٣) جزء من حديث هذا نصه : عَنْ قَيسِ بْنِ كَثِيرٍ قَالَ : قَدِمَ رَجُلٌ مِنَ الْمَدِينَةِ عَلَى أَبِى الدَّرْدَاءِ وَهُوَ بِدِمِشْقِ فَقَالَ : مَا أَقْدَمَكَ يَا أَخِى ؟ فَقَالَ : حَدِيثٌ بَلَغَنِى أَنَّكَ تُحَدِّثُهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ وقَالَ : أَمَا ==

(١٠) أهل السماء والأرض يستغفرون للدعاة .

لقوله صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فى الحديث الذى رواه عنه أَبُوأُمَامَةَ (١) الْبَاهِلِيّ قَالَ : ذُكِرَ لِرَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ رَجُلاَنِ أَحَدُهُمَا عَابِدٌ وَالآخَرُ عَالِمٌ ، فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صلى اللّهُ عليْهِ وَسَلمَ : " فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِى عَلَى أَدْنَاكُمْ ، ثُمّ قَالَ رَسُولَ اللّهِ صلى اللّهُ عليْهِ وَسلم : إِنّ اللّهَ وَمَلاَئِكَتَهُ وَأَهْلَ السّمٰوَاتِ وَالأَرَضِينَ حَتّى النّمْلَةَ فى جُحْرِهَا وَحَتّى

== جِئْتَ لِحَاجَةٍ ؟ قَالَ : لاَ ، قَالَ : امَا قَدِمْتَ لِتِجَارَةٍ ؟ قَالَ : لاَ ، قَالَ : مَاجِئْتَ إِلاّ فى طَلَبِ هٰذَا الْحَدِيثِ ؟ قَالَ : فَإِنّى سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَقُولُ : " مَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَبْتَغِى فِيهِ عِلْماً سَلَكَ اللّهُ لَهُ طَرِيقاً إِلى الْجَنّةِ ، وَإِنّ الْمَلاَئِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضاً لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فى السّمٰوَاتِ وَمَنْ فى الأَرْضِ حَتّى الْحِيتَانُ فى الْمَاءِ ، وَفَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ ، كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِب . إِنّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ ، إِنّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرّثُوا دِينَاراً وَلاَ دِرْهَماً إِنّمَا وَرّثُوا الْعِلْمَ ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحَظٍ وَافِرٍ ".

(أ) أخرجه الدارمى فى سننه فى (باب فى فضل العلم والعالم)، (١/٩٨) .

(ب) وأخرجه أبوداود فى سننه فى (كتاب العلم ، باب الحث على طلب العلم) ، (رقم : ٣٦٤١ ، ٣٦٤٢) ، (٣/٣١٧) .

(جـ) وأخرجه ابن ماجه فى سننه فى (المقدمه ، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم) ، (رقم : ٢٢٣) ،(١/٨١) .

(د) وأخرجه الترمذى فى سننه فى (كتاب العلم ، باب ماجاء فى فضل الفقه على العباده) ،(رقم : ٢٦٨٢) ، (٥/٤٨ – ٤٩)، واللفظ له .

(١) هو صدى بن عجلان بن وهب الباهلى ، أبوأمامة : صحابى ، كان مع على فى صفين " وسكن الشام ، فتوفى فى أرض حمص (٨١ هـ) وهو آخر من مات من الصحابه بالشام روى عدد من الاحاديث له فى الصحيحين " ٢٥٠ " حديثاً .

ينظر : (جمهرة انساب العرب / لابن حزم : ٢٤٧) ، (مرآة الجنان/ لليافعى : ١/١٧٧) .

الْحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرَ "(١)

(١١) طاعة الدعاة فى المرتبة الثالثة :

لقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾

(سورة النساء ،الآية "٥٩")

وأولو الأمر هم العلماء حيث وردت اقوال كثيره (٢) بذلك .

يقول ابن القيم رحمه اللّٰه فى تبيان منزلة العلماء والدعاة :

(هم فى الأرض بمنزلة النجوم فى السماء بهم يهتدي الحيران فى الظلماء،وحاجة الناس إليهم اعظم من حاجتهم إلى الطعام والشراب) (٣).

---

(١) (أ) أخرجه الترمذى فى سننه فى (كتاب العلم ،باب ماجاء فى فضل الفقه على العباده) ،(رقم : ٢٦٨٥) ،(٥/٥٠) ،واللفظ له ، وقال الترمذى : حديث حسن صحيح .

(ب) ورواه البزار من حديث عائشة مختصراً قال : " معلم الخير يستغفر له كل شئ ، حتى الحيتان فى البحر " ، ينظر: صحيح الترغيب والترهيب / للامام الحافظ زكى الدين عبدالعظيم بن عبدالقوى المنذرى ، اختيار وتحقيق / محمد ناصر الدين الألبانى ، (ط : ١٤٠٦/٢ هـ – ١٩٨٦ م) ، (الناشر : المكتب الاسلامى) ،(رقم : ٧٨ – ٧٩) ،(٣٧/١) .

(٢) قيل : " أولو الأمر " أهل القرآن والعلم ،يعنى الفقهاء والعلماء فى الدين . لهذا أمر تعالى بردّ المتنازع فيه إلى كتاب اللّٰه وسنة نبيه صلى اللّٰه عليه وسلم ، وليس لغير العلماء معرفة كيفية الردّ إلى الكتاب والسنه .ويدل هذا على صحة كون سؤال العلماء واجبه ، وامتثال فتواهم لازماً .

ينظر : الجامع لاحكام القرآن /للقرطبى ،(١٨٢٩/٢ – ١٨٣٠) .

(٣) إعلام الموقعين / لمحمد بن ابى بكر ابن قيم الجوزيه ،(٩/١) .

يقول أبو الأسود(1) الدوّلى :

(ليس شىء أعز من العلم ، الملوك حكام على الناس ،والعلماء حكام على الملوك)(2).

(١٢) الدعاة لاتنقطع أجورهم :

لقوله صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فى الحديث الذى رواه أَبُوهُرَيْرَةَ رَضِىَ اللّهُ عَنْهُ قَالَ : أَنَّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَ: " مَنْ دَعَا إِلَىٰ هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ ، ولَايَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً . وَمَنْ دَعَا إِلَىٰ ضَلَالَةٍ ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ لَايَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئاً "(3)

---

(١) هو ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل الدوّلى الكنانى ، (١ ق هـ - ٦٩ هـ) ، واضع علم النحو . كان معدوداً من الفقهاء والأعيان والأمراء والشعراء والفرسان والحاضري الجواب من التابعين ، سكن البصرة فى خلافة عمر ، وولى إمارتها فى أيام على ، ومات بالبصرة . ينظر : (الكنى / للدولابى : ١٠٧) ، (مراتب النحويين / اللغوى: ١١) ، (اخبار النحويين البصريين / للسيرافى : ١٣) .

(٢) الدعوة إلى الإسلام واركانها / الاستاذ / أحمد عزالدين البيانونى، (ط : ٢ / ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م) ، (الناشر : دار السلام ، للطباعة والنشر والتوزيع والترجمه) ، (ص : ٧٥ - ٧٦) .

(٣) (أ) أخرجه مالك فى الموطأ فى (كتاب القرآن - باب العمل فى الدعاء) ، (رقم : ٤١) ، (٢١٨/١) .

(ب) وأخرجه مسلم فى صحيحه فى (كتاب العلم ،باب من سن سنه حسنه أو سيئة ومن دعا الى هدى أو ضلالة) ،(رقم : ٢٦٧٤)، (٢٠٦/٤) ، واللفظ له .

(ج) وأخرجه أبوداود فى سننه فى (كتاب السنه ،باب لزوم السنه)، (رقم : ٤٦٠٩) ،(٢٠١/٤) .

(د) وأخرجه الترمذى فى سننه فى (كتاب العلم ، باب ماجاء فيمن دعا إلى هدى فاتبع أو إلى ضلالة) ،(رقم : ٢٦٧٤) ، (٤٣/٥) ، وقال ابوعيسى : هذا حديث حسن صحيح .

(١٣) الدعاة فى هديهم خير لهم من الدنيا ومافيها :
لِقَوْلِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لِعَلِيٍّ كَرّمَ اللّهُ وَجْهَهُ : " فَوَاللّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللّهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِداً خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ (١) النَّعَمِ "(٢)

(١٤) الدعاة نجوم السماء فى الظلماء :
لِقَوْلِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فى الحديث الذى رواه أَنَسِ بْنِ مَالِك يَقُولُ قَالَ النَّبِيُّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ " إِنَّ مَثَلَ الْعُلَمَاءِ فى الأَرْضِ كَمَثَلِ النُّجُومِ فى السَّمَاءِ يُهْتَدَى بِهَا فى ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ فَإِذَا انْطَمَسَتِ النُّجُومَ أَوْشَكَ أَنْ تَضِلَّ الْهُدَاةَ "(٣).

ما أعظم تشبيه رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم حين شبه العلماء والدعاة بالنجوم المضيئة فى الظلماء !! وما أدق تعبيره حين جسد شقاء الأمة وانحرافها بغياب دعاتها وفقد علمائها !! .

---

(١) حمر النعم : هي الإبل الحمر ، وهى أنفس أموال العرب ، يضربون بها المثل فى نفاسة الشىء وإنه ليس هناك أعظم منه .
ينظر : (تعليق الأستاذ: محمد فؤاد عبدالباقى على صحيح مسلم)، (١٨٧٢/٤) .

(٢) (أ) أخرجه البخارى فى صحيحه فى (كتاب فضائل اصحاب النبى صلى اللّه عليه وسلم ،باب مناقب على بن ابى طالب) ،(رقم : ٣٧٠١) ، (١٦/٥/٢) واللفظ مختصر .
وفى (كتاب الجهاد ، باب دعاء النبى الى الاسلام والنبوة وان لايتخذ بعضهم بعضا اربابا من دون اللـه) ، (رقم : ٢٩٤٢) ،(٣٨/٤/٢) .
وفى (كتاب المغازى ، باب غزوة خيبر)، (رقم: ٤٢١٠) ،(١١١/٥/٢) .
(ب) وأخرجه مسلم فى صحيحه فى (كتاب فضائل الصحابه ،باب فضائل على بن ابى طالب) ،(رقم : ٢٤٠٦) ،(١٨٧٢/٤) .

(٣) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده فى (١٥٧/٣) .

فياليت المرأة المسلمة تعلم ذلك وتعيه وتدركه تماماً، ويا ليتها فى طريق الدعوة إلى اللّه تسير ، ويا ليتها تحس مسؤوليتها لتعرف كيف تندفع وتنطلق ؟ ويا ليتها تنفذ أمر اللّه سبحانه وتعالى القائل :

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ
وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ
فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٠٥) ﴾

(سورة التوبه ، الآية "١٠٥")

ولايفوتنى فى هذا المقام أن أنوّه إلى أن هناك أموراً أخرى يحتاج القائم بهذا الأمر إلى مراعاتها ، منها :

(١) مراعاة حال المدعو ، وعليه حمل قول الله تبارك أسماؤه ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾

(سورة النحل ، الآية "١٢٥")

قال الإمام ابن القيم :

(جعل الله سبحانه مراتب الدعوة بحسب مراتب الخلق :

(أ) فالمستجيب القابل الذكى الذى لايعاند الحق ولايأباه : يُدْعَى بطريق الحكمة .

(ب) والقابل الذى عنده نوع غفلة وتأخر : يدعى بالموعظة الحسنة ، وهى الأمر بالمعروف والنهى المقرون بالرغبة والرهبة .

(ج) والمعاند الجاحد : يجادل بالتى هى أحسن)[1].

(٢) الحلم والرفق ، وتجنب العنف والشدة والغلظه التى تنفر عن استجابة الناس لقوله تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾

(سورة آل عمران ، الآية "١٥٩")

---

(١) مفتاح دار السعادة/لأبى عبدالله محمد بن أبى بكر ابن قيم الجوزية ، (تصوير ، دار الفكر ، بدمشق عام ١٤٠٢ هـ) ، (الناشر : دار نجد للنشر والتوزيع) ، (١/١٩٤ - ١٩٥) .

ويقول سبحانه : ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾

(سورة طه ، الآية "٤٤")

(٣) التزام الداعية بما يدعو إليه ، بحيث يكون قدوة صالحة للناس يدعوهم بعمله وسلوكه قبل أن يدعوهم بلسانه ،ويسارع إلى القيام بما يأمر الناس به ، واجتناب ماينهاهم عنه)[١]

يقول تعالى :

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾

(سورة فصلت ،الآية "٣٣")

وقال عزّ وجلّ فى ذم أهل الكتاب ، وتعييرهم بسوء صنيعهم :

﴿ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾

(سورة البقرة ،الآية "٤٤")

وقال سبحانه :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ ﴾

(سورة الصف ، الآية "٢ ، ٣")

وفى الصحيحين عن أُسَامَةَ[٢] بن زيد رَضِىَ اللّهُ عَنْهُمَا ، أنــه

---

(١) معالم الدعوه فى قصص القرآن الكريم / د:عبدالوهاب بن لطف الديلمى ، (ط:١/١٤٠٦هـ – ١٩٨٦ م) ،(الناشر : دار المجتمع للنشر والتوزيع – جده) ، (٥٣/١ – ٥٤) بتصرف .

(٢) هو أسامة بن زيد بن حارثة صحابى جليل ،ولد بمكة فى (٧ ق هـ) ،كان حبيباً لرسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم اثيراً عنده ،أمّره الرسول صلى اللّه عليه وسلم ،فى آخر حياته ،وأسامه دون العشرين ،توفى بالمدينة (٥٤هـ) .

ينظر: (تهذيب تاريخ ابن عساكر/لابن بدران :٣٩١/٢ – ٣٩٩) ، (خلاصة تذهيب الكمال/للخزرجى : ٦٦/١) .

سَمِعْ رَسُولِ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : " يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فى النَّارِ فَتَنْدَلِقُ[1] أَقْتَابُه[2] فى النَّارِ، فَيَدُورُ كما يَدُورُ الْحِمَارُ بِرَحَاهُ[3]، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ أَىْ فُلَانُ مَاشَأْنُكَ ؟ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ؟قَالَ كُنْتُ آمُرُكُمْ بِالمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ ، وَأَنْهَاكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ "[4]

(٤) (إخلاص العمل لوجه اللّٰه عز وجل ، فالدعوة إلى اللّٰه عز وجل من أعظم العبادات والقربات ، ولذلك لابد لصاحبها من كمال الإخلاص للّٰه تعالى ، بحيث لايريد بدعوته رياءً ، ولاسمعة ولا جاهاً ، وذلك أضمن لنجاحه ، وأدعى لقبول الناس لدعوته ، كما أن اللّٰه سبحانه لايقبل منه عمله إذا لم يكن خالصاً له تعالى .

---

(١) الإندلاق : خروج الشىء من مكانه . والمراد خروج امعائه من جوفه . (النهايه / لابن الأثير) ، (١٣٠/٢) .

(٢) الأقتاب : الأمعاء ، واحدها : قِتب بالكسر . (النهاية / لابن الاثير) ، (١١/٤) .

(٣) أى الطحانه التى يطحن بها . (النهاية /لابن الأثير) ، (٢١١/٢) .

(٤) (أ) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده فى (٢٠٥/٥ – ٢٠٦ – ٢٠٧، ٢٠٨)

(ب) وأخرجه البخارى فى صحيحه فى (كتاب بدء الخلق ، باب صفة النار وانها مخلوقه) ، (رقم : ٣٢٦٧) ، (٩٦/٤/٢)،بهذا اللفظ .

وفى (كتاب الفتن ، باب الفتنه تموج كما يموج البحر)، (رقم : ٧٠٩٨) ، (٤٦/٩/٣) .

(جـ) وأخرجه مسلم فى صحيحه فى (كتاب الزهد والرقائق ،باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولايفعله وينهى عن المنكر ويفعله) ، (رقم : ٢٩٨٩) ، (٢٢٩٠/٤ – ٢٢٩١) .

(٥) الصبر : والصبر هنا من أعظم ماينبغى أن يتسلح به الداعيه إلى اللّٰه تعالى ، فإنه مامن إنسان سار فى هذه الطريق ، إلا لقي من الناس آذى كثيراً،ولذلك أوصى اللّٰه عز وجل رسوله صلى اللّٰه عليه وسلم فى مواضع كثيرة من كتابه العزيز بالصبر، وذكر له مالقي إخوانه من الرسل من قبله من أقوامهم من الأذى ، وأنهم واجهوا ذلك بالصبر حتى آتاهم نصر اللّٰه عزّ وجلّ)[1] فقال سبحانه وتعالىٰ :

﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾

(سورة الاحقاف ، الآية "٣٥")

كما جاء فى وصية لقمان لابنه قوله :

﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾ ﴾

(سورة لقمان ، الآية "١٧")

---

(١) معالم الدعوة فى قصص القرآن الكريم / لعبدالوهاب بن لطف الديلمى، (١/٥٥ – ٥٦) .

الفصل الثاني

بيان أن دور المرأة في الدعوة إلى الله
يختلف عن دور الرجل
باختلاف طبيعة كل منهما
الجسمية والنفسية والاجتماعية

ويشتمل على :
ستة مباحث :

المبحث الأول

ويشتمل على :

١- مساواة المرأة بالرجل في أصل الخلقة والكرامة والإنسانية ووحدة المنشأ والمصير .

٢- مساواة المرأة بالرجل في التكاليف الشرعية والمسؤولية والجزاء .

مواطن المساواة :

جعلها الإسلام مساوية للرجل فى أصل الخلقة والكرامة الإنسانية وفى المسؤولية ،وأداء التكاليف الشرعية ،والجزاء على الاعمال بنصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وفيما يلى تفصيل ذلك :

أولا : مساواة المرأة بالرجل فى أصل الخلقه والكرامه الانسانيه " وحدة الأصل والمنشأ والمصير " :

يقول تعالىٰ فى ذلك : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ ﴾

(سورة الأعراف ، الآية "١٨٩")

ويقول جلّ ذكره :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾

(سورة النساء ، الآية "١")

وقال جلّ وعلا : ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾

(سورة النحل ، الآية "٧٢")

ويقول عزّ من قائل : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾

(سورة الروم ، الآية "٢١")

وقال عزّ وجلّ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾

(سورة الحجرات ، الآية "١٣")

وقال جلّ جلاله : ﴿ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾

(سورة النجم ، الآية "٤٥"،"٤٦")

وقال سبحانه : ﴿ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ ﴾

(سورة القيامه ، الآية "٣٩")

وقال العلى العظيم : ﴿ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾ ﴾

(سورة الأنبياء ، الآية "٨")

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣﴾ ﴾

(سورة الليل ، الآية "٣")

كما أكدّ الرسول الكريم صلى اللّٰه عليه وسلم أن المرأة عضو مساو للرجل فى بناء المجتمع،وأنها مثل الرجل ونظير له فى الأصل والمنشأ والمصير،لهذا نجده صلى اللّٰه عليه وسلم دائماً يوص بالنساء خيراً ويحث الرجال على رعايتهن والرحمة بهن وتحملهن فكان هو القدوة الحسنة لأمته فىتعامله مع المرأةورحمته،بها ورعايته لها.ومن يطالع كتب السنة والسيرة

يجد الأمثله على ذلك كثيره لاتعدّ ولاتحصى منها :

الحديث الذى روته السيده عَائِشَةَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهَا قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللّٰهِ صَلّىَ اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ " إِنَّمَا النِّسَاءُ شَقَائِقُ[1] الرِّجَالِ "[2]

هذه الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة من نصوص القرآن الكريم والسنة الشريفة جاءت لتؤكد أن المرأة والرجل من أصل واحد لا قوام للإنسانية إلاّ بهما معاً،سواءً بسواء.فالإسلام هو الوحيد الذى قرر أن المرأة شريكة الرجل وعضيدته وشقيقته فى كل شئوون الحياة ففى قوله تعالى " من نفس واحدة " اى من نفس جنس الرجل .

ويقول عبدالكريم الخطيب :

(وخلق منها زوجها " : أى وخلق من هذه النفس ومن مادتها وطبيعتها زوجا لهذه النفس مقابلاً ومكملاً لوجودها)[3]

---

(١) شقائق : أى نظائرهم وأمثالهم فى الخلق والطباع فكأنهن شققن من الرجال .
ينظر : معالم السنن/ لابى سليمان الخطابى / تحقيق محمد حامد الفقى، (ط/ مكتبة السنه المحمدية – القاهرة) ،(١/٧٩) .

(٢) جزء من حديث هذا نصه : عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ سُئِلَ رَسُولُ اللّٰهِ صَلّىَ اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَنْ الرَّجُلِ يَجِدُ الْبَلَلَ وَلَايَذْكُرُ احْتِلَاماً قَالَ :" يَغْتَسِلُ " وَعَنْ الرَّجُلِ يَرَى أَنَّهُ قدِ احْتَلَمَ وَلَايَرَىْ بَلَلاً قَالَ : " لَاغُسْلَ عَلَيْهِ " فَقَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ هَلْ عَلَىَ المرأَةِ تَرَى ذٰلِكَ شَىْءٌ قَالَ : " نَعَمْ إِنَّمَا النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرِّجَالِ " .

(أ) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده فى (٦/٢٥٦) ، واللفظ له .

(ب) وأخرجه أبوداود فى سننه فى (كتاب الطهارة ، باب فى الرجل يجد البلة فى منامه) ، (رقم : ٢٣٦) ، (١/٦١) .

(ج) وأخرجه الترمذى فى سننه فى (كتاب الطهارة ، باب فيمن يستيقظ فيرى بللاً ولايذكر احتلاماً) ، (رقم : ١١٣) ،(١/ ١٨٩ – ١٩٠) ، وهو حديث حسن بشواهه .

ينظر : جامع الاصول / لابن الأثير ، (٧/٢٧٤) .

ينظر : ماقاله الترمذى (١/١٩٠ – ١٩٢) .

(٣) التفسير القرآنى للقرآن ، (١/٤/٦٨٢) .

ويقول ابن كثير فى تفسيره لقوله تعالى " ياأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها " :

(يقول تعالىٰ آمراً خلقه بتقواه، وهى عبادته وحده لاشريك له، ومنبهاً لهم على قدرته التى خلقهم بها من نفس واحدة وهى آدم عليه السلام " خلق منها زوجها " وهى حواء عليها السلام خلقت من ضلعه الأيسر " الأقصر " من خلفه وهو نائم فاستيقظ فرآها فأعجبته فأنس اليها وأنست اليه)(١).

ومما يؤكد ذلك من السنه الحديث الذى رواه أَبُوهُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

قَالَ : " مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِي جَارَهُ وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْراً ، فَإِنَّهُنَّ خُلِقْنَ مِنْ ضِلَعٍ ، وَإِنَّ أَعْوَجَ ، شَيْءٍ فى الضِّلَعِ أَعْلاَهُ ، فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْراً "(٢).

---

(١) تفسير القرآن العظيم ، (١/٤٤٨) .

(٢) (أ) أخرجه البخارى فى صحيحه فى (كتاب النكاح ، باب الوصاة بالنساء) ، (رقم : ٥١٨٥ ، ٥١٨٦) ، (٣/٧/٢٣) ، بهذا اللفظ. وفى (كتاب النكاح ، باب المداراة مع النساء وقول النبى صلى الله عليه وسلم انما المرأة كالضلع) ، (رقم : ٥١٨٤) ، (٣/٧/٢٣) .
وفى (كتاب الأنبياء ، باب واذا قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفه) ، (رقم : ٣٣٣١) ، (٢/٤/١٠٦) .
وفى (كتاب الأدب ، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذى جاره) ، (رقم : ٦٠١٨) ، (٣/٧/١٠) و (باب اكرام الضيف وخدمته اياه بنفسه) ، (رقم : ٦١٣٦) ، (٣/٧/٢٧) .
وفى (كتاب الرقائق ، باب حفظ اللسان) ، (رقم : ٦٤٧٦) ، (٣/٧/٨٥) .
==

يقول صاحب عمدة القارى فى شرح الحديث :

(قوله " واستوصوا " قال البيضاوى : الاستيصاء قبول الوصية والمعنى أوصيكم بهن خيراً فاقبلوا وصيتى فيهن فإنهن خلقن من ضلع واستعير الضلع للعوج أي خلقن خلقاً فيه اعوجاج فكانهن خلقن من أصل معوج فلا يتهيأ الانتفاع بهن إلا بمداراتهن والصبر على اعوجاجهن . وقال الطيبى : الأظهر أن السين للطلب مبالغة أى اطلبوا الوصية من انفسكم فى حقهن بخير . وقال الزمخشرى السين للمبالغة أي يسألون أنفسهم الفتح عليهم كالسين فى استعجبت ويجوز أن يكون من الخطاب العام أي يستوصى بعضكم من بعض فى حقهن وفيه الحث على الرفق وأنه لامطمع فى استقامتهن . قوله " وإن اعوج شىء فى الضلع أعلاه ذكر هذا لتأكيد معنى الكسر، لأن الإقامة اظهر فى الجهة الاعلى، أو بيان أنها خلقت من أعوج أجزاء الضلع فكأنه قال خلقن من أعلى الضلع وهو اعوجاجه)(١).

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم فى الحديث الذى قبله " النساء شقائق الرجال " يدعم إنسانية المرأة ويؤكد مساواتها بالرجل فى وحدة الأصل والمنشأ حيث جاء فى شرح حديث " النساء شقائق الرجال " : (أى نظائرهم وأمثالهم وكأنهن شققن منهم لأن حواء خلقت من آدم عليه السلام ، وشقيق الرجل : أخوه لأبيه وأمه لأنه شق نسبه من نسبه)(٢)

== (ب) واخرجه مسلم فى صحيحه فى (كتاب الرضاع ، باب الوصية بالنساء) ، (رقم : ١٤٦٨) ، (٢/١٠٩٠ - ١٠٩١) .

(ج) وأخرجه الترمذى فى سننه فى (كتاب الطلاق ، باب ماجاء فى مداراة النساء) ، (رقم : ١١٨٨) ، (٣/٤٩٣ - ٤٩٤) ، قال ابوعيسى : حسن صحيح .

(١) عمدة القارى شرح صحيح البخارى / للإمام بدرالدين العينى ، (١٠ / ٢٠/١٦٦) .

(٢) تحفة الاحوذى بشرح جامع الترمذى / للإمام الحافظ أبى العلى محمد بن عبدالرحمن بن عبدالرحيم المباركفورى ، (ط : ٣/١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م)، (الناشر : دار الفكر ، بيروت - لبنان) ، (١/٣٦٩) .

(يعتبر الإسلام المرأة ذات شخصية مستقلة بنفسها استقلالاً كاملاً كالرجل تماماً مالكة لأمر نفسها ومسؤولة وحدها عن تصرفاتها بل وحرة فى هذه التصرفات فى حدود التشريع العام كالرجل تماماً . يدلنا على ذلك أن الخطاب العام فى القرآن قد جاء موجهاً بصفة عامة إلى الرجل والمرأة على حدّ سواء،سواءً كان من حيث التكليف العام أو التعرض للمسؤولية ،أو الحصول على الثواب،فآيات الإنذار والتحذير والترغيب والترهيب موجهة بصفة عامة إلى الرجل والمرأة على السواء فأكثر هذه الآيات تبدأ دائما بقوله تعالى : " يا ايها الناس " وكلمة الناس تعنى بلا جدال المرأة والرجل)(١) .

وهذا الأستاذ:عبدالكريم الخطيب فى كتابه " الإسلام فى مواجهة الماديين والملحدين " حيث أفرد موضوعاً فى هذا الكتاب بعنوان :" المرأة فى الإسلام ")

قال فيه : (إننا لو انصفنا الحقيقة - فى جانب الإسلام - لما جعلنا للمرأة مكاناً فى هذا البحث الذى ينتظم بعض قضايا الشريعة الإسلامية اذ لم يجعل الإسلام للمرأة وضعاً خاصاً تنعزل به عن الكيان الإنسانى ويكون لها بذلك وضع خاص وأحكام خاصة تصلح أن تكون قضية من القضايا ،والحق أن الإسلام لم ينظر إلى المرأة نظرة تفرق بينها وبين الرجل إلا فى أضيق الحدود وإلا فيما يتصل بها كأنثى وبالرجل كرجل ، فالمرأة فى الإسلام إنسان تحمل كل خصائص الإنسانية كالرجل سواء بسواء، وكما يخالفها الرجل فى بعض الصفات التى تجعل منه رجلاً تخالفه هى أيضاً فى بعض الصفات التى تجعل منها أنثى تماماً كما هو الحال فيما بين الذكر والانثى فى عالم الأحياء . إن الرجل والمرأة هما أصل شجرة الإنسانية وماتفرع منها من فروع فهذا

---

(١) ندوة المحاضرات / موسم حج : ١٣٨٥ هـ ، (هدية من مجلة رابطة العالم الإسلامي) ،الموضوع بعنوان : (حقوق المرأة فى الإسلام/ للشيخ محمد أحمد باشميل ، (ص : ١٣٦ - ١٣٧) .

المجتمع الإنسانى كله هو قسمة مشتركة بين الرجل والمرأة معاً :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ (سورة الحجرات ، الآية "١٣")

فكيف مع هذا ـ يمايز الإسلام بين هذين الأصلين على حين سوى بين كل ماتفرع منهما من شعوب وأمم ؟ .

إن حكمة الخالق قد جمعت بين الرجل والمرأة جمعاً لازماً يكاد يكون اضطرارياً يعلو فوق إرادة الإنسان،ليكون منهما النسل الذى فيه حفظ النوع الإنسانى وبقاؤه) (١).

أما توارد القول الكريم من اللّه ورسوله فى محاسنة الزوجات وموادعتهن ولبُسّهن على بعض مافيهن فمما يفيض رفقاً ورحمة ، ورعاية وعناية،وحسبك أن اللّه جعل المرأة من آيات اللّه ومنته على الرجل . وجعل المودة والزحمة والألفة عقدة الصلة بينهما حيث يقول جلّت آياته) (٢) :

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾
(سورة الروم ، الآية "٢١")

ومن مقومات الأصل المشترك بين الرجل والمرأة تسمية الرجل والداً

---

(١) الإسلام فى مواجهة الماديين والملحدين / لعبدالكريم الخطيب ، (ط : ١٣٩٩/٢ هـ ـ ١٩٧٩ م) ، (الناشر : دار الشروق) ، (ص : ١١١ ـ ١١٢) .

(٢) المرأة العربية فى ظلال الإسلام / لعبداللّه عفيفى ، (ط : بدون) ، (الناشر : دار الكتاب العربى) ، (ص : ٥٧) .

والمرأة والدة وصدق الله حيث قال :

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ ﴾

(سورة الاسراء ، الآية "٢٣")

ومنهما تناسلت الشعوب والقبائل وتكاثرت المجتمعات .

بهذا نرى مدى عناية الإسلام بالمرأة فهي في منزلة سواء مع الرجل تماماً ليست منحطة عنه ولا هي مختلفة عنه في عنصرها بل اكتملت شخصيتها بفضل الإسلام كما اكتملت شخصية الرجل سواءً بسواء .

ويقول الشيخ السيد سابق :

(أراد الإسلام أن يؤلف من المرأة والرجل عنصراً فعالاً في حياة الأمة فكلف النساء بما كلف به الرجال إلا في بعض أعمال خاصة اقتضتها طبيعة المرأة، وكان من آثر هذا التكليف أن برزت شخصية المرأة في المجتمع الإسلامي فلم يكن عمل إلا وللمرأة نصيب في الإسهام فيه . فقد شاركت المرأة الرجل ، في نشاطه الروحي ، ونشاطه الاجتماعي ، ونشاطه السياسي والحربي)[1].

ويقول الشيخ محمد الأباصيري خليفه تحت عنوان " حقائق الفطرة الإنسانية " ماملخصه :

للفطرة حقائق ثلاث هي :

(١) (إن المصدر الذي صدر عنه الناس هو الله تعالى،فهو الذي

---

(١) إسلامنا / للشيخ السيد سابق ،(ط : بدون) ،(الناشر :دار الكتاب العربي ،بيروت ـ لبنان) ،(ص : ٢١٤) .

منحهم وجودهم ومواهبهم واستعداداتهم ،وقدرتهم على التعامل مع الكون الذى اوجدهم فيه ، وهو وحده صاحب التدبير لأمرهم .

(٢) إن اللّه تعالى خلق النفس الأولى وهى – آدم – وخلق من فطرتها وطبيعتها المرأة لتكون زوجاً لها ، وليبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً فلا فارق بين الذكر والأنثى فى الأصل والفطرة وإنما الفارق بينهما فى الاستعداد والوظيفة فحسب . فهما ليسا فردين متماثلين وإنما زوجان متكاملان ، كل يتمم الآخر ومنهما تتكون القاعدة البشرية .

(٣) إن الناس ينتسبون إلى نسب واحد ويتصلون في رحم واحدة .. والعلم بهذه الحقيقة يوجب عدم السماح للفوارق فى المال أو الجاه أو الكثرة أو العلم أن تطغى على صلة الرحم وحقها فى الرعاية ، وصلة الربوبية وحقها فى التقوى)[1].

بهذا نجد أن الاسلام قضى على جميع الآراء الفاسدة والتشريعات المنحرفة التى جعلت من المرأة قذراً ودنساً وأنها رجس من عمل الشيطان وأنها من عنصر غير طاهر . فالمرأة فى الأمم والشعوب القديمة تعد أمة لاقيمة لها ، وكانت محرومة من أى حق إنسانى فكانت القوانين تجيز لرب الأسرة أن يتصرف فى زوجته كما يتصرف فى سلعة يملكها إلى حد البيع والتعذيب،بل قد يصل الأمر إلى القتل . وكان الأغريق يعدون النساء من المخلوقات المنحطة التى لاتنفع لغير دوام النسل ، وتدبير المنزل وجاء فى شرائع الهندوس عن المرأة ليس المصير المقدر والريح والموت والجحيم والسم والأفاعى والنار أسوأ من المرأة .

---

(١) المرأة والتربية الإسلامية / للشيخ محمد الأباصيرى خليفة ،(ط : ١ / ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤ م) ،(الناشر : مكتبة الفلاح – الكويت) ، (ص : ٣٥ – ٣٧) .

أما الهنــــود كما سـبق فإنهم يعتبرون المـــرأة قاصـــرة طوال حياتها كى تظل إزادتها مرتبطة بإرادة زوجها وإذا مات فليس لهــا حق الحياة بعده .

أما عند النصارى : فقد اجتمع مجمع " ماكون " للبحث فى المسألــة التالية :

هل المرأة مجرد جسم لا روح فيه ؟ أم لها روح ؟ وأخيراً قرروا أنها خلــو من الروح الناجية من عذاب جهنم ماعدا أم المسيح وفى سنة ٥٨٦ م أى فــى أيام شباب النبى عليه الصلاة والسلام ، عقد النصارى مؤتمرهم للبحـــث : هل تعد المرأة إنساناً أو غير إنسان ؟ ! . وأخيرا قرروا أنها إنســـان خلقت لخدمة الرجل فحسب .

هذا وليست الأمثال المتداولة عند مختلف الأمم أكثر اعتدالا :

فالمثل الصينى يقول : انصت لزوجتك ولاتصدقها .

ومثل آخر يقول : وسم الافاعى لايعد شيئاً بالنظر إلى قلب المرأة .

والمثل الأسبانى يقول : احذر المرأة الفاسده ولاتركن الى المرأةالفاضله .

والمثل الروسى يقول : المهماز للفرس الجواد والفرس الجموح ،والعصـــا للمرأة الصالحة والمرأة الطالحة .

والمثل الأثيوبى يقول : العصا للحمار وللنساء .

والمثل الفرنسى يقول : رجل من قش خير من أمرأة من ذهب .

والمثل الهندى يقول : قلب المرأة مصنع للأكاذيب .

والمثل الانجليزى يقول : إذا فقد الرجل امرأةً ودرهماً أسف على الدرهم [1].

---

(١) ينظر :

(أ) حضارة العرب / لغوستاف لوبون ،نقله إلى العربية/عادل زعيتر ، (ص : ٤٩٠ – ٤٩٢) .

(ب) المرأة بين الفقه والقانون / مصطفى السباعى ،(ص : ٢٠) .

(ج) روائع من اقوال الفلاسفة والعظماء فى المرأة / سيد صديـــق عبدالفتاح ،(ط : ٢/١٩٨٣ م) ،(الناشر : مكتبة مدبولـى – القاهرة) ،(ص : ٢٠٣ ، ٢٠٦ ، ٢٠٨ ، ٢١٠) .

كان لابد لى أن اسجل تلك الملامح بإيجاز شديد لآراء وأمثلة الأمم المتقدمة فى المدنية والرقى الحضارى الذى وللاسف الشديد يستشهد به شبابنا وفتياتنا المثقفون بحضارتهم، المولعون بزيف تقدمهم، السائرون فى ركاب تقليدهم؛ وذلك لأننا مازلنا نتحدث عن مساواة المرأة بالرجل فى أصل الخلقة والكرامة والإنسانية لنبين أن هذا الحق وغيره من الحقوق الكثيرة التى لاحصر لها لم تكن للمرأة إلا عند أمة الإسلام الحقة التى تدين بالإسلام الصحيح وتطبق تعاليمه بحذافيرها وتنفذها كما نزلت على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم .

(ففى الإسلام ليس هناك مجال كى يظلم الرجل المرأة؛ لأن الرجل لايحكم بهواه بل هو محكوم بشريعة الله، كما أن المرأة محكومة بشريعة الله، فالذى يعايش المسلمين ويعرف الإسلام يدرك أن المرأة المسلمة تتبوأ فى المجتمع الإسلامى مكانة عالية ، مكانة تحفظ لها كرامتها وتحفظ إنسانيتها وتصون عفافها)[1].

فقد دفع عنها اللعنة التى كان يلصقها بها رجال الديانات السابقة فلم يجعل عقوبة آدم بالخروج من الجنة ناشئاً منها وحدها بل منهما معاً .

يقول تعالىٰ فى قصة آدم : ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ (سورة الاعراف ، الآية "٢٠")

---

(١) المرأة بين دعاة الإسلام وأدعياء التقدم /د: عمر سليمان الأشقر، (ط : ٣ / ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م) ، (الناشر : مكتبة الفلاح - الكويت) ، (ص : ٣٨ - ٤٠) ، باختصار .

ويقول عن توبتهما : ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾

(سورة الاعراف ، الآية "٢٣")

بل إن القرآن فى بعض آياته قد نسب الذنب إلى آدم وحده فقال :

﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ﴾

(سورة طه ، الآية " ١٢١ ")

ثم قرر مبدأ آخر يعفى المرأة من مسؤولية أمها حواء ، وهو يشمل الرجل والمرأة على السواء . فقال تعالى :

﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾ ﴾

(سورة البقرة ، الآية رقم "١٣٤" ، "١٤١")

مما تقدم يتضح لنا أن الرجل والمرأة فى ميزان الإسلام جناحان لاتقوم الحياة الإنسانية ولاترقى إلا فى ظل عملية تنسيق ومواءمة بينهما فالله خلق المرأة للمهمة ذاتها التى خلق من أجلها الرجل فقال عزّ وجلّ :

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾

(سورة الذاريات ، الآية "٥٦")

فعليهما أن يعرفا مامفهوم العبادة التى من أجلها خُلقا ، فلابد لهما من التوجه إلى الكتاب والسنة للتعرف من خلالهما على مفهوم العباده ، فما أنزل الله الكتب ولا أرسل الرسل ، إلا ليعرّف الناس بالغاية التى خلقوا من أجلها ، والسبيل الذى يحققان به تلك الغاية ليكون لحياتهما هدف ينشدان تحقيقه .

ويعرف ابن تيميه العباده بقوله :

(إن العبادة : اسم جامع لكل مايحبه اللّه ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة ومن أنواع العبادات : الصلاة والزكاة والصيام والحجّ، وصدق الحديث وأداء الأمانة ، وبرّ الوالدين وصلة الأرحام والوفاء بالعهود، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والجهاد للكفار والمنافقين ، والإحسان للجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الآدميين والبهائم ، والدعاء والذكر والقراءة وأمثال ذلك من العبادة .

ومن العبادات أيضاً : حب اللّه ورسوله ، وخشية اللّه والإنابه إليه، وإخلاص الدّين له ، والصبر لحكمه ، والشكر لنعمه ، والرضى بقضائه ،والتوكل عليه ، والرجاء لرحمته ، والخوف من عذابه ، وأمثال ذلك)(1)

(إذاً نتبين من هذا أن عبادة اللّه ليست محصورة في الشعائر التعبدية فحسب كما يفهم ذلك بعض الناس ، فهؤلاء لم يفو العبادة حقها ولم يقوموا بواجبهم كاملاً فهى تشمل الشعائر الدينيه كما رأينا إلى جانب الأخلاق والآداب والنظم والقوانين والعادات والتقاليد)(2).

وأناط السعادة بتحقيق كل من الرجل والمرأة لهذه المهمة ،والتعاسة والشقاء بالإعراض عنها لهذا قال تعالىٰ : ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾ (سورة طه ،الآية "١٢٣"، "١٢٤")

---

(١) العبودية /لابن تيمية ،(ط:١٣٨٩/٢ هـ)،(الناشر : المكتب الاسلامى – دمشق)،(ص : ٣٨) .

(٢) ينظر : العبادة فى الإسلام/د: يوسف القرضاوى ،(ط: ١٣٩٣/٣هـ – ١٩٧٣م) (الناشر : مؤسسة الرسالة – بيروت) ،(ص : ٥٢) .

وكتب السنة والسيرة والتاريخ تذخر بالأمثلة التى لاحصر لها الدالة على تعاون السلف الصالح ذكوراً وإناثاً لتحقيق معنى العبودية ، فهذا مثال من السنة يدل على تعاون الرجل والمرأة لتحقيق نوع من أنواع العبودية . عَنْ أَبِى هُرَيْرة قَالَ : قَالَ رَسُولَ اللّٰهِ صَلّٰى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلّٰم : " رَحِمَ اللّٰهُ رَجُلاً قَامَ مِنَ اللّيْلِ فَصَلّى ، وأَيْقَظَ امْرَأتَهُ ، فَإِنْ أَبَتْ نَضَحَ(١) فى وَجْهِها المَاءَ ، رَحِمَ اللّٰهُ امرأةً قَامَتْ مِنَ اللّيْلِ فَصَلّتْ وأيقظتْ زوْجَها فَإِنْ أَبَى نَضَحَتْ فى وَجْهِهِ المَاءَ "(٢).

فمن قوله صلى اللّٰه عليه وسلم :" رَحِمَ اللّٰهُ رَجُلاً ... " و " رَحِمَ اللّٰهُ امْرأةً ... " يدل على انهما متساويان فى الإنسانية ووحدة المنشأ والمصير أمام محكمة العدل الإسلامية .

---

(١) نضح : النضح الرش بالماء ،ينظر : (الصحاح/للجوهرى)،(٤١١/١).

(٢) (أ) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده فى (٢٥٠/٢ ، ٤٣٦) .

(ب) وأخرجه أبوداود فى سننه فى (كتاب الصلاة ،باب قيام الليل)، (رقم : ١٣٠٨) ،(٣٣/٢) واللفظ له .

(ج) وأخرجه ابن ماجه فى سننه فى (كتاب اقامة الصلاة والسنه فيها ،باب ماجاء فيمن أيقظ أهله من الليل) ،(رقم:١٣٣٦)، (٤٢٤/١) .

(د) وأخرجه النسائى فى سننه فى (كتاب قيام الليل وتطوع النهار، باب الترغيب فى قيام الليل) ،(رقم :١٦١٠) ،(٢٠٥/٣) .

(هـ) وأخرجه الحاكم فى المستدرك ،وقال : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ،ووافقه الذهبى ،(٣٠٩/١) .

(و) وأخرجه أبى شجاع شيرويه بن شهرذار بن شيرويه الديلمى الهمزانى ،الملقب " إلكيا " (٤٤٥ – ٥٠٩ هـ) ،فى الفردوس بمأثور الخطاب / تحقيق : السعيد بن بسيونى زغلول ،(ط: ١ / ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م) ،(الناشر:دارالبازبمكة المكرمة) ،(رقم: ٣٢٠٨) ،(٢٦٠/٢) .

(ز) وأخرجه الإمام البغوى فى شرح السنة ،(٩٦/٤ – ٩٧) .

(ح) وينظر : الإحسان بترتيب ابن حبان فى (فصل فى قيام الليل ، ذكر استحباب ايقاظ المرء أهله لصلاة الليل ولو بالنضح ، (رقم : ٢٥٥٨) ،(١١٨/٤) .

(ط) وينظر : فيض القدير / للمناوى ،(رقم : ٤٤٣١) ،(٢٥/٤).

ثانيا : مساواة المرأة بالرجل فى التكاليف الشرعية والمسؤولية والجزاء :

قرر سبحانه وتعالى أهليتها الإنسانية فى وحدة الأصل والمنشأ، وشرع المساواة بين النوعين فيما هو من خصائص الإنسانية،من حيث الإيمان بالله وأداء التكاليف الشرعية ، وفى نيل الجزاء ثواباً أو عقاباً على حساب ماقدم كل منهما لنفسه من إحسان أو سوء .

(ومن الأعمال والواجبات التى لايمكن تجاهل أهميتها الكبرى هذه الواجبات الإسلاميه سواءً على مستوى الالتزام الفردى،أم على مستوى الواجب الاجتماعى العام ومن البديهى أن التكليف الأخروى المشترك دليل على المساواة فى الطاقه نحو واجبات الآخرة على الأقل . فالقاعدة أنه " لايكلف الله نفساً إلا وسعها " ولما رأى الشارع الحكيم عجزاً فطرياً فى المرأة يعتورها فى بعض الحالات فإنه قد رفع عنها التكليف فى هذه الحالة ففى حالة الحيض والنفاس سقط عنها تكليف الصلاة تماماً ، كما أرجئ أداؤها لفريضة الصيام . فالمطابقة واجبة وهى موجودة بين حجم التكليف وحجم الطاقة أو الاستطاعة،وبالتالى فإن لهذه التسوية بين الرجل والمرأة فى الواجبات الدينيه بل فى صحة رسالة الإسلام والدعوة إليه ثم فى الجزاء الآخروى المترتب على هذا وذاك كل هذا له دلالاته فيما يتعلق بدور المرأة وبجانب مهم من جوانب عملها وهو الجانب الخاص باشتراكها فى الواجبات الدينية فردية كانت أو اجتماعية)(١)

ويفصل هذا الجانب الشيخ محمد بن عبدالله عرفه فيقول :

---

(١) قضايا المرأة المسلمة فى الفقه الإسلامى /د: عبدالحليم عويس ، كتاب الشرق الاوسط ، (الناشر : الشركة السعودية للابحاث والتسويق، جده) ،(ص : ١٦٠) .

(لقد قرر الإسلام أهلية المرأة للتدّين ومجازاتها بما عملته من خير أو شر مثلها فى ذلك مثل الرجل من غير فرق . ومن المجمع عليه المعلوم من الدين بالضرورة أن على النساء ماعلى الرجل من أركان الإسلام إلا أن الصلاة تسقط عن المرأة زمن الحيض والنفاس تتركها ولاتعيدها لكثرتها خوف المشقة عليها ، والصيام يسقط عنها زمنهما وتقضى ماأفطرته من أيام رمضان لقلتها ويسر قضائها)[1] .

وتأكيداً لهذه المساواه للرجل فى تلك الأهليه جعلت مستقلة عنه فيها كل الإستقلال،لكل منهما مسئوليته الخاصة عن نفسه عند اللّه حيث لاتغنى نفس عن نفس شيئاً فقد قال تعالىٰ :

﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ كُلُّ ٱمْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ ﴾ (سورة الطور ،الآية "٢١")

ويقول جلّ وعلا :

﴿ ۞ يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾ ﴾

(سورة النحل ،الآية "١١١")

وقال عزّ وجلّ : ﴿ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ ﴾

(سورة المدثر ،الآية "٣٨")

وقال تعالىٰ : ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ﴾ (سورة الاسراء ، الآية "١٣")

---

(١) حقوق المرأة في الإسلام / أ : محمد بن عبداللّه بن سليمان عرفـه ، (ص : ٣٤ – ٣٥) .

وترتب على تلك المسؤولية المستقلة وضع المرأة مع الرجل في ميزان الثواب والعقاب الأخروى على درجة سواء على حسب ماقدم كل منهما لنفسه من خير أو شر ومن النصوص الدالة على ذلك :

قوله تعالىٰ : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ ﴾

(سورة النساء ، الآية "١٢٤")

وقال جلّ ذكره : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾

(سورة التوبه ، الآية "٧٢")

وقال عزّ من قائل ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾

(سورة التوبه ، الآية "٦٨")

ويقول تبارك وتعالىٰ : ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ ﴾

(سورة النساء ، الآية "١٢٣")

وقال سبحانه وتعالىٰ : ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ ﴾

(سورة آل عمران ، الآية "١٩٥")

يقول الشيخ : محمد الطاهر بن عاشور فى تفسيره للآيه الأخيرة ما ملخصه :

(وقوله " من ذكر أو أنثى " بيان لعامل ووجه الحاجة إلى هذا البيان هنا أنّ الأعمال التى أتوا بها أكبرها الإيمان ، ثم الهجرة ، ثم الجهاد ، ولمّا كان الجهاد أكثر تكرّراً خيف أن يتوهّم أنّ النساء لاحظّ لهنّ فى تحقيق الوعد الذى وعد اللّه على ألسنة رسله ، فدفع هذا بأنّ للنساء حظّهنّ فى ذلك فهن في الإيمان والهجرة يساوين الرجال ، وهنّ لهنّ حظّهنّ فى ثواب الجهاد لأنّهن يقمن على المرضى ويداوين الكلمىٰ ، ويسقين الجيش ، وذلك عمل عظيم به استبقاء نفوس المسلمين ، فهو لايقصر عن القتال الذى به إتلاف نفوس عدو المؤمنين .

وقوله " بعضكم من بعض " " من " فيه اتّصالية أي بعضُ المستجاب لهم متّصلٌ ببعض ، وهى كلمة تقولها العرب بمعنى أن شأنهم واحد وأمرهم سواء . وقد حملها جمهور المفسّرين على معنى أنّ نساءكم ورجالكم يجمعهم أصل واحد ، وعلى هذا فموقع هذه الجملة موقع التعليل للتعميم فى قوله " من ذكر أو أنثى " أي لأنّ شأنكم واحد ، وكلّ قائم بما لو لم يقم به لضاعت مصلحة الآخر ، فلا جرم أن كانوا سواء فى تحقيق وعد اللّه إيّاهم ، وإن اختلفت أعمالهم وهذا كقوله تعالى :

﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾ ﴾ (سورة النساء ، الآية "٣٢")

والأظهر عندى أن ليس هذا تعليلاً لمضمون قوله " من ذكر أو أنثى " بل هو بيان للتساوى فى الأخبار المتعلّقة بضمائر المخاطبين أي أنتم فى عنايتي بأعمالكم سواء ، وهو قضاء لحقّ مالهم من الأعمال الصالحة المتساويه فيها) (١)

---

(١) تفسير التحرير والتنوير ، (٣/٤/٢٠٣ – ٢٠٤) .

ويقول ابن كثير فى تفسيره لهذه الآيه :

(أى قال لهم مخبراً أنه لايضيع عمل عامل منكم لديه ، بل يوفى كل عامل بقسط عمله من ذكراً أو أنثى فجميعكم فى ثوابى سواء)[(١)].

(" بعضكم من بعض " إشارة صريحة إلى أن المرأة والرجل سواء عند اللّه فى الجزاء ، ثواباً وعقاباً وأنها ليست فى منزلة دون منزلة الرجل ، بل هما درجة واحدة بين الأهلية واحتمال التبعية ، وحمل الأمانه .. وكيف لايكون هذا وهما – المرأة والرجل – من خَلْقٍ واحد)[(٢)].

قال الإمام القرطبى رحمه اللّه فى تفسير قوله تعالى " بعضكم من بعض " (أى دينكم واحد وقيل بعضكم من بعض فى الثواب والأحكام والنصرة وشبه ذلك . وقال الضحاك رجالكم شكل نسائكم فى الطاعة ونساؤكم شكل رجالكم فى الطاعة)[(٣)].

وكل هذه النصوص،وغيرها كثير،تدل على أن المرأة مكلفة بما كلف به الرجل من عبادات وتكاليف شرعية أخرى،وأن خطاب الشارع الحكيم موجه إليها كما أنه موجه إليه إما مفهوماً وإما صراحةً ، ولعل مبايعة النبى صلى اللّه عليه وسلم لهن بيعة خاصة لإشعارهن بهذا الاستقلال لتدخل كل منهن الإسلام من باب غير الباب الذى دخل منه زوجها أو ابوها لذلك قال تعالىٰ:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَـٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ  ﴾

(سورة الممتحنة ، الآية "١٢")

---

(١) تفسير القرآن العظيم ،(٤٤١/١) .
(٢) التفسير القرآنى للقرآن /عبدالكريم الخطيب ،(٦٧٤/٤/١) .
(٣) الجامع لاحكام القرآن ،(١٥٦١/٢) .

(فالذى يوحى به المعنى أن النساء اللواتى يأتين للمبايعة هن اللواتى يقلن هذه المبادىء وليس النبى صلى اللّٰه عليه وسلم ألا ترى معى أن فى هذا الأسلوب الكريم من الحكمة مايجعل الإنسان يطأطىء الرأس إجلالاً للّٰه ، وإكباراً . كأنهن هن اللواتى يقلن هذه المبادىء ويفرضنها على أنفسهن ويلتزمن بها فلا يجبرن عليها من الخارج ولايقسرن ، وفى ذلك - مافيه - : من تحرير الإرادة ،وتكريم الذات الإنسانية ، ليمضين فى طريق الحياة جناحاً ثانياً يكمل مسيرة الرجل نحو الحق والخير)(١).

ومما له مغزاه فى هذا المقام إن اللّٰه تعالى اثبت الولاية الأخوية بين المؤمنين والمؤمنات والمحبة التى ينتج عنها أن تكون المرأة مثل الرجل تماماً فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.فهذا دليل آخر من الأدلة العديدة التى يمدنا القرآن الكريم بها وهى تثبت وجوب الدعوة على المرأة كما اوجبها على الرجل تماماً وهذه الولاية يترتب عليها التعاون على العبادة بأقامة الصلاة والتعاون المالى بإيتاء الزكاة والطاعة للّٰه ورسوله التى يتوقف عليها قبول العمل الصالح منهما ويترتب عليها نيل رحمة اللّٰه تعالى للمؤمنين والمؤمنات معاً فقال تعالىٰ فى هذا الشأن :

﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ
أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ
وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ
وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾

(سورة التوبة ،الآية "٧١")

---

(١) بيعة النساء للنبى صلى اللّٰه عليه وسلم / لمحمد على قطب ، (ط : بدون) ،(الناشر : مكتبة القرآن) ،(ص : ٨٩) .

(وقد هدفت الشريعة الإسلاميه إلى دعوة الذكور والإناث،حتى تتجمع القوى ويشتدّ صرح الأمة الإسلامية؛اذ كلهم يؤمنون بالله ورسوله ويبتهلون لخالقهم، يأتمرون بأوامر الدين وينتهون بنواهيه،فى حربهم وسلمهم، فى أمنهم وفزعهم فى قوتهم وضعفهم ، منطلقهم جميعاً الحق والإيمان آملين فى جنة عرضها السماوات والأرض)[1] . فيؤكد القرآن الكريم هذا المبدأ الايمانى فيقول تعالىٰ :

﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴾

(سورة الاحزاب ، الآية "٣٥")

فنلاحظ أن الله تعالىٰ لم يذكر صفة صالحة فى الرجال إلا وذكر مثلها فى النساء، إنها صورة كاملة للمساواة بين الرجل والمرأة، وإنهما يقفان فى نظر الإسلام على منصة واحدة، وأمام قاض القضاة العادل رب العزة والجلال الذى لاتخفى عليه خافيه .

وقال سيد قطب رحمه الله فى تفسيره للآية السابقه :

(تذكر المرأة فى الآية بجانب الرجل كطرفة من عمل الإسلام في رفع قيمة المرأة وترقية النظر إليها فى المجتمع ، وإعطائها مكانها إلى جانب الرجل فيما هى فيه سواء من العلاقة بالله ، ومن تكاليف هذه العقيدة فى التطهر والعبادة والسلوك القويم فى الحياة)[2].

---

(١) المرأة فى خلال الآيات القرآنيه /لعصمة الدين كركرجرم الهيلة ، (ص ١٧٢) .

(٢) فى ظلال القرآن ، (٢٨٦٣/٢٢/٥) .

وهكذا نجد القرآن الكريم بنصوصه الواضحة الجلية يتتابع فى تكريم المرأة، ورفع شأنها، ويدفع عنها المذلة والمهانة ،بل وأعظم من ذلك كله رفع عنها لعنة الخطيئة الأبدية، ووصمة الجسد المرذول التى ألحقتها بها الشرائع المحرفة القديمة وجعلت منها رجس الشيطان وحبائله .

فقد ألصق بها أحبار اليهود ورهبان النصارى المنحرفون عن الحق تهمة خطيرة، حين زعموا أنها سببت خروج آدم من الجنة، لأنها أغرته ليأكل من الشجرة المحرمة واحتالت عليه حتى أكل منها كما جاء فى كتبهم (١).

وماجاء فى القرآن الكريم ينافى تماماً مايزعمونه ، ويدحض أقوالهم وافتراءاتهم، ويضع بذلك الحد الفاصل ، ويبين الحق فى براءة الأنثى من ذلك ، وحيث إن الذى أغراهما وزين لهما، وكان السبب فى خروجهما من الجنة هو الشيطان الرجيم. فمنذ أن خلق الله آدم وحواء من نفس واحدة ابتدأت شركة الحياة التى سنها الله لهما بقوله تعالى :

﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾

(سورة البقرة ،الآية "٣٥")

التكليف لآدم وحواء بالسكن واحد ، والأمر بالمعيشة لهما واحد، ونهيهما عن المحرمات واحد . وقد جاء العصيان منهما واحداً بعد أن أزلهما الشيطان يقول تعالىٰ : ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ (سورة الاعراف ، الآية "٢٠")

---

(١) ينظر : الكتاب المقدس/ الاصحاح الثالث من سفر التكوين ،ترجم من اللغات الأصلية ،(الناشر: جمعية الكتاب المقدس فى الشرق الأدنى).

فكان الإغراء لهما معاً لذا كان الجزاء لهما واحداً وهو أمرهما بالهبوط إلى الأرض : ﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (٣٦) ﴾

(سورة البقرة ، الآية "٣٦")

وكانت التوبة منهما واستحقا الغفران والرحمة .

﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣) ﴾ (سورة الاعراف ، الآية "٢٣")

بل إن الإسلام قرر أنه ليس على ذرية آدم وحواء من بنين وبنات جريرة تلحقهم بعد أبويهم، لأنه لايتحمل أحد ذنب أحد ولامسؤوليته فى الإسلام فيقول تعالى : ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٣٤) ﴾

(سورة البقرة ، الآية رقم "١٣٤"، "١٤١"

وبهذا التقرير أعفيت المرأة من مسؤولية أبويها، كما أعفي الرجل وبطل مازعمه المدعون بنص قوله تعالى ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (٣٨) ﴾

(سورة المدثر ، الآية "٣٨")

ونجد أن إيذاء المؤمنات فى المجتمع الإسلامى كايذاء المؤمنين وذلك لقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا (٥٨) ﴾

(سورة الاحزاب ، الآية "٥٨")

وكذلك الحال بالنسبة للذين عذبوا المؤمنين والمؤمنات فإنه سينالهم عذاب الحريق لهذا قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ (١٠) ﴾ (سورة البروج ، الآية "١٠")

وأيضاً ففي الحدود الشرعية قد ساوى الإسلام بين الرجال والنساء دون تمييز او تفريق يقول تعالى :

﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٣٨) ﴾

(سورة المائدة ،الآية "٣٨")

ويقول فى حد الزنا :

﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ (٢) ﴾

(سورة النور ،الآية "٢")

بهذا المبحث الذى لابد منه،لنثبت تقرير الإسلام لإنسانية المرأة ومساواتها بالرجل فى أصل الخلقة والمسؤولية والجزاء ، إلا أن هذه المساواة لاتمنع من وجود بعض الفروق بين كلا النوعين الذكر والأنثى التى نوه عنها الإسلام،من حيث الاستعداد والوظيفة ليؤدى كل منهما دوره فى الحياة،ويعمل من أجل الوظيفة التى خلق لها ، ليتم التكامل الرائع الذى نراه أمامنا فى الكون عامة وعلى وجه الأرض خاصة تلك سنة اللّه ليست فى البشر وحسب بل نجد ذلك يظهر واضحاً فى كل شىء فى الكون حتى الذرة ، ليؤدى كل كائن حى وظيفته المنوطة به والتى خلق من أجلها ، فتتنوع المصالح ويعم الخير كل الكائنات عندها تستقيم الحياة بسعى كل منهما فى نطاق محيطة وخصائصه الفطرية التى جبل عليها . يقول تعالى :

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ (٣٦) ﴾ (سورة يس ،الآية " ٣٦ ")

ويقول سبحانه : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ① وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ② وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ③ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ④ ﴾

(سورة الليل ، الآية من "١" الى "٤")

يقول عبدالكريم الخطيب فى تفسيره لهذه الآية :

(بالذكر والأنثى تتم دورة الحياة وتعاقب الأجيال كما بالليل والنهار يتوالد الزمن ويتكاثر نسله من الليالى والأيام)(١)

ويقول الشيخ محمد متولى الشعراوى فى كتابه " شبهات وأباطيل خصوم الإسلام والرد عليها " وفى أثناء استدلاله بقوله تعالى :

﴿ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ③ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ④ ﴾

(سورة الليل ، الآية "٣" ، "٤")

(يعنى : لكل واحد مجال فى سعيه . يعنى : ياذكر لك مهمة ويا أنثى لك مهمة ...فاياك أيها الرجل أن تأخذ مهمة الأنثى ، وإياك أيتها الأنثى أن تأخذى مهمة الرجل،وبينكما قدر مشترك ، هذا القدر المشترك أن كليكما إنسان مفكر ، يعنى له عقل يخاير بين بديلات . فإذا حاولت المرأة أن تأخذ خيار بديلات الرجل ، أو حاول الرجل أن يأخذ خيار بديلات المرأة ، نقول له : سنقف أمامك بنية الأشياء التكوينية . ومعنى بنية الاشياء التكوينيه : الطبيعة التى خلقت عليها .

فهب أن المرأة أخذت عمل الرجل ، أيمكن للرجل أن يأخذ عمل المرأة ؟ لايمكن ، لأن للمرأة مهمة هى أنها وعاء للإنسان ، تحمله ، وتلده ،وترضعه وتحضنه فهل يمكن ، للرجل أن يقوم بهذه المهمة ؟ إذن البنيه تقف .

---

(١) التفسير القرآنى للقرآن ، (١٥٩١/٣٠/٨) .

فنقول : إذا أردت أن تسوى نفسك بالمرأة أو أرادت المرأة أن تسوى نفسها بالرجل ، ظلت مسائل تكوينيه طبيعية منوطة بالمرأة . إذن أنت صعبتها على المرأة)[١].

ويقول الدكتور أحمد فائز :

(إن المنهج الإسلامى يتبع الفطرة فى تقسيم الوظائف،وتقسيم الأنصبة بين الرجال والنساء فالفطرة الإلهية ، جعلت الرجل رجلاً والمرأة امرأة ،وأودعت كلاً منهما خصائصه المميزه ، لتنوط بكل منهما وظائف معينة . لا لحسابه الخاص،ولا لحساب جنس منهما بذاته . ولكن لحساب هذه الحياة الإنسانية التى تقوم وتنتظم ، وتستوفى خصائصها وتحقق غايتها : من الخلافة فى الأرض، وعبادة اللّه بهذه الخلافة ، عن طريق هذا التنوع بين الجنسين،والتنوع فى الخصائص والوظائف،وعن طريق تنوع الوظائف ينشأ تنوع التكاليف وتنوع الأنصبه ، وتنوع المراكز لحساب تلك الشركة الكبرى والمؤسسة العظمى .. المسماه الحياة)[٢]

فالاختلاف فى التكوين والخصائص يقابله اختلاف فى التكليف والوظائف . ولفهم ذلك كان لابد لى من بيان الفروق بين الرجل والمرأة،حتى يسهل علينا فهم دور كل منهما ، والوظائف المنوطه به لتأديتها فى هذه الحياة على أكمل وجه ورد دعوى القائلين بالمساواة المطلقة بين الرجل والمرأة ولابطال دعوى الآخرين القائلين إن هذه الفروق تعيق المرأة عن قيامها بالدعوة إلى اللّه لنثبت ، إنها بهذه الفروق تقوم بدورها الإيجابى فى الدعوة على اكمل وجه فى محيطها وعلى قدر استطاعتها ، بل ان هذه الفروق

---

(١) شبهات واباطيل خصوم الإسلام والرد عليها / للشيخ/محمد متولى الشعراوى ،جمع واعداد : عبدالقادر أحمد عطا ،(ط:بدون)،(الناشر : دار القلم ـ بيروت ـ لبنان) ،(ص : ٥٤ ـ ٥٥) .

(٢) دستور الأسرة فى ظل القرآن /أحمد فائز ،(ط : ٢/١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢ م)، (الناشر : مؤسسة الرسالة) ،(ص : ٣٣) .

تهيئها للسير بخطى سريعه وجادة لتهيئة كل الاجواء المناسبه للداعيـــه الرجل ولتكمل مسيرته نحو الخير والحق والفلاح لتتم لهما السعادة فـــى الدارين . وهذه الفروق هى :

(١) جسمية تكوينية .

(٢) عقلية سلوكية .

(٣) نفسية وجدانية .

(٤) اجتماعية .

المبحث الثاني

الفروق

الجسمية التكوينية .

" تمهيـــــــــــد "

(من طبائع الأشياء أن تحمل الصفة صفة الصانع ، وتعالى اللّٰه عـــن أن تحكمه فهوم البشر وتصوراتهم لكنه سبحانه أخبر عن نفسه بأنه القادر، الحكيم فجاء خلقه يحمل سره وأمره ، فلن تجد فى عالم الخلق بكل مايحوى من الذرة إلى المجرة ، لن تجد الا ماأخبر به سبحانه عن خلقه واحكـــام صنعته من تقدير وتنظيم واتزان وترتيب وإحكام،وفى كل هذا يلمس العقـــل السليم أثر رحمة اللّٰه بعد قدرته . وماحاوله العلم خلال رحلته الطويلـــة فىاستكشاف بعض قوانين هذا الكون إنما جاء دليلاً جديداً على صدق ماجـــاء به القرآن ونزل على الرسول الكريم منذ أربعة عشر قرناً من الزمان) (١)

وهذه بعض الآيات التى تتحدث عن خلق اللّٰه المحكم المتقن :

قال اللّٰه تعالىٰ : ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾

(سورة النمل ، الآية "٨٨")

وقال عزّ وجلّ : ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ﴾

(سورة السجدة ، الآية "٧")

وقال جلّ ذكره : ﴿ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ ﴾

(سورة الفرقان ، الآية "٢")

---

(١) قصة الإيمان / نديم الجسر ، (ط : ٣/١٩٦٩ م) ، (منشورات المكتـــب الاسلامى – بيروت) ، (ص : ٢٩٧ – ٢٩٨) .

وقال سبحانه وتعالىٰ :

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ﴾

(سورة الملك ، الآية " ٣")

ويقول جلت قدرته :

﴿ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ ﴾

(سورة الرعد ، الآية "٨")

ويقول عزّ من قائل :

﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾

(سورة القمر ، الآية "٤٩")

فهذه الآيات الكريمة تشير إلى حقيقة علوية كاملة صادقة ، إنها حقيقة الكون وماحوله من عوالم وأجرام ، ومافيه من مخلوقات وأحوال ونظم وارتباطات وعلاقات ووظائف .

لقد قدر اللّٰه لكل شيء مقداره وصفته وخصائصه ، وضبط زمانه ومكانه وارتباطه بسائر ماحوله من الأشياء الأخرى،ومن بين ماقدره من المخلوقات الإنسان الذى جعله مزدوجاً متكاملاً ، فعلى الرغم مما نلاحظه فى الإنسان من اختلاف بين جنسيه من الذكر والانثى فان حكمة اللّٰه عز وجل اقتضت أن تجعل من هذا الإختلاف باعثاً للتآلف ، وعاملاً للتكامل والتناسق الذى كان أساساً للحياة الإنسانية وتنميتها واستمرارها،ولقددعانا اللّٰه تعالىٰ لتدبر أمر النفس البشرية ومافيها من عوالم ودقائق وخصائص فقال اللّٰه تعالىٰ : ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾

(سورة الذاريات ، الآية "٢١")

فكان ذلك دافعاً لتطلع الإنسان إلى أمر الخليقة والكشف عن بعض

من جوانبها فإذا هو يلاحظ أن هذا الإختلاف بين الجنسين ـ على سعته أحياناً ـ يقوم أساساً ومنشأ للتكامل البشرى ومن ثم وجدنا علماء التشريح والحياة وعلماء النفس والتربية يتأملون ويحللون فيقفون على أوجه الاتفاق والتماثل ، ومظاهر الاختلاف والتباين بين الذكر والأنثى فيتوصلون إلى تنويع هذه الفوارق إلى ثلاثة :

(١) فوارق جسمية تكوينية .

(٢) فوارق عقلية سلوكية .

(٣) فوارق نفسية وجدانية .

الثانى: الفروق الجسمية التكوينية :

هذه الحقيقة الواضحة الساطعة كالشمس ماكان أغنانا عن الحديث فيها ، لأننا جميعاً ندركها ونعلم أن للرجل مكانه من الحياة كما للمرأة مكانها من الحياة ، إلا أنهما غير منفصلين ووجود أحدهما لايغنى عن وجود الآخر ، فلابد من قيامهما معاً لأنهما مادة الحياة .

قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ ﴾ (سورة الحجرات ، الآية " ١٣ ")

وعن هذه الحقيقه المحسوسة يتحدث أحد علماء الازهر الشيخ : كمال أحمد عون ، ويرد على القائلين بالتساوى بينهما فيقول :

(إذا كانا يتكاملان ويتعاونان على مقتضى الفطرة وشرعة اللّه ، فليس يعنى ذلك أنهما حتماً متساويان . وإن مجرد النظر إلى كل منهما وقد ابدعته القدرة الإلهية التى أحسنت كل شىء صنعاً يرينا اختلاف جانب الرجل من الحياة عن جانب المرأة ، فخَلقُه على ماهو عليه يؤذن بواجباته التى هُدى إليها منذ الخليقة ، كما أن صورة المرأة وخلقها يوحى بما هو منوط بها من الواجب الأقدس فى الحياة فكما خالفت الرجل فى جسمه ، خالفته فى وظيفته وعمله . ومن هذا التنوع فى الواجبات والأعمال تكمل ضرورات الحياة ويتم به العمران .

هذه حقائق واضحة ومحسوسة يراها الناظر العادى كما يراها الباحث الفلسفى ولكن قوماً لايعُجبهم التسليم بهذا الواضح البين ، فتراهم يمارون فيه زاعمين أن (الطبيعة [1]) وهبت المرأة والرجل مواهب متماثلة

---

(١) الطبيعة هى مخلوق لاتهب إنما الواهب هو اللّه عز وجل .

ويحاولون التدليل على ذلك بإثبات مساواة الأنثى للذكر فى عالم الحيوان، وتفوقها عليه فى بعض الأنواع ، وينسبون من هذه الفروق الظاهرة بين الذكر والأنثى فى القوة والجلد إلى العادات والقوانين التى ظلمت المرأة وألزمتها القرار فى بيتها وحرمتها أنواع النشاط الخارجى،وكثرة التجارب والخبرة فى الحياة ، حتى عاد الرجل قيماً عليها يسلبها حقها ويتصرف فى جميع شؤونها فوهَن لذلك جسمها وحدّ الوهنُ من تفكيرها وأضعف شخصيتها .

من هؤلاء " قاسم امين " حيث يقول فى كتابه تحرير المرأة :

(المرأة وما أدراك ما المرأة ؟ لاتختلف عنه فى الأعضاء ووظائفها،ولا فى الإحساس،ولا فى الفكر،ولا فى كل ماتقتضيه حقيقة الإنسان من حيث هو إنسان إلا بقدر مايستدعيه اختلافهما فى الصنف .

فإذا فاق الرجل المرأة فى القوة البدنيه والعقلية ، فذلك إنما لأنه اشتغل بالعمل والفكر أجيالاً طويلة كانت المرأة فيها محرومة من استعمال القوتين المذكورتين ومقهورة على لزوم حالة من الانحطاط فى الشدة والضعف على حسب الأوقات والأماكن . وينقل فى كتابه " المرأة الجديدة " عن جملة من العلماء الأوروبيين مايؤيد وجهة النظر هذه ويذكر عن أحدهم وقد وصفه بأنه العلامة " مانتجازا " المدرس لعلم الإنسان والعضو فى مجلس الشيوخ الطليانى فى كتابه " فسيولوجيا المرأة " قوله : ما أكفر الرجل ألجأه كبره أن يزور حتى فى علم التشريح فلم يكتف بأن يغتصب المحل الأول فى العالم ، بل أراد أن يبرهن أن المرأة أقل منه فى الإنسانية وأنها فى مرتبة بين القرد والانسان ولهذا فيكون له الحق فى أن يجردها عن الحقوق التى منحها نفسه ،وكأنه نسي أن الذات التى يريد أن يحط منها هى أمّه ،والحقيقة أن المرأة أمام علم التشريح ليست أقل من الرجل ولا أرقى منه ، وإنما تختلف عنه لأن لها وظائف تقوم بها غير وظائف الرجل .

ثم علق عليه " قاسم أمين " بقوله :

وقد بين هذا العالم الاختلافات الدقيقة التى توجد بين الرجل والمرأة

بالنسبة للاحساسات والعواطف .

وهذا الكلام لايرد علينا معشر الإسلاميين شيء منه ،فلم تكن المرأة فى نظر الإسلام يوماً أقل إنسانية من الرجل فضلاً عن أن يعتبرها منزلةً وسطاً بين القرد والإنسان ، وليس هناك شخص فى الإسلام له مثل واجب الأم من الرعاية والعناية والتكريم ،ولئن كانت المرأة أمام علم التشريح ليست أقل ولا أرقى وإنما تختلف عنه لاختلاف وظائفها فذلك لايجافى الإسلام ، بل هو برهان له وتأييد ، فإذا زاد عقل الرجل وزخرت عواطف المرأة فذلك فيهما معاً من كمال الفطرة وحظ النوع البشرى ، ولو كان الرجل عاطفياً فأنيّ له أن يثبت فى صراع الحياة وقراع الخطوب ؟ ولو نضبت عواطف المرأة وغلبها عنصر التقدير والتفكير فما الذى يغريها بذلك الحمل كرهاً والوضع كرهاً حتى تشارف الموت وتنظره ويهون عليها مايلى ذلك من آلام النفاس ورعاية الولد ؟ اللهم لاشيء الا عواطف الأمومة الزاخرة ، حيث تحتمل الأمُّ الآلام فى سبيل وليدها ، وتستعذب العذاب من أجل رضيعها ،واجدة فى مناغاته أجمل الألحان وأعذب الأماني ، شاعرة بأن حياته من حياتها ، وبأن سعادته من سعادتها)[1]

ولو تجاوزنا تجارب العلماء وموازينهم ومقاييسهم وتشريحهم قليلاً لرأينا ان ذلك الاختلاف بين الذكر والانثى قد قرره القرآن الكريم منذ اربعة عشر قرناً حيث ورد ذلك فيما حكاه على لسان امرأة عمران قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ ﴾

(سورة آل عمران ، الآية "٣٥" ، "٣٦")

---

(١) المرأة في الإسلام / د: كمال أحمد عون ،(ط: ٢/١٤٠٣هـ – ١٩٨٣ م) ، (الناشر : دار العلوم للطباعة والنشر)،(ص : ٤٧ – ٤٩) .

والشاهد فى هذه الآية قوله " ليس الذكر كالانثى "
أى فى تحمل مسئولية السدانة وخدمة بيت اللّٰه لما يتطلب ذلك من جهد بدنى وعقلى،وهذا بالطبع لايتفق مع ماجبلت عليه الأنثى من أجهزة وأعضاء تتناسب ووظيفتها الأساسية فى الحياة الإنسانية وهو ليس بالامر الغريب بل هو أمر واقع ملموس.

وقال القرطبى فى تفسيره لهذه الآية الكريمة :
(وهذه الصالحة إنما قصدت بكلامها ماتشهد له به بيّنة حالها ومقطع كلامها، فانها نذرت خدمة المسجد فى ولدها ، فلما رأته انثى لاتصلح وأنها عورة اعتذرت إلى ربّها من وجودها لها على خلاف ماقصدته فيها)[1]

وفسر ابن كثير قوله " ليس الذكر كالانثى " :
(أى فى القوة والجلد فى العبادة وخدمة المسجد الأقصى)[2].

يقصد بذلك الفرق فى التكوين فالمرأة جسمها أصغر حجماً من جسم الرجل وتميل إلى الليونه والرقة والنعومة،فتكوينها هذا يهيئها للقيام بوظيفتها الأساسية،وهى الإنجاب وتربية الأولاد والعناية بالزوج ، بينما تكوين الرجل الجسمى يمتاز بحجمه الكبير وقوته الشديدة ، فهو أكثر تحملاً وجلداً لأنه أصلاً مخلوق للكدّ والكدّح فى خضم الحياة سعياً وراء الرزق ليجلب قوة عياله ، ويؤمن لهم مستقبلهم المالى . ومما يرشد إلى هذا قوله تعالىٰ : ﴿ فَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَـٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ ﴾

(سورة طه ، الآية " ١١٧ ")

---

(١) الجامع لاحكام القرآن ، (١٣١٠/٢) .
(٢) تفسير القرآن العظيم ، (٣٥٩/١) .

فقد قال الزمخشري فى أثناء تفسيره لهذه الآية :

(وإنما أسند إلى آدم وحده فعل الشقاء دون حواء،بعد اشراكهما فى الخروج،لأن فى ضمن شقاء الرجل وهو قيم أهله وأميرهم شقاءهم،كما أن من ضمن سعادته سعادتهم فاختصر الكلام بإسناده إليه دونها مع المحافظه على الفاصلة أو أريد بالشقاء التعب فى طلب القوت،وذلك معصوب برأس الرجل وهو راجع إليه)[1].

ومما أثبته القرآن الكريم ـ ومازال العلم الحديث بوسائله وطرقه يكشف لنا كل يوم الفروق الهائلة بين الذكر والأنثى ـ فقد قال تعالى :

﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ ﴾

(سورة البقره ، الآية " ٢٢٨ ")

(أى فى الفضيلة فى الخَلق والخُلق والمنزلة وطاعة الأمر ، والإنفاق والقيام بالمصالح)[2]

كما قال تعالى : ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ۚ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ۚ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾

(سورة النساء ، الآية " ٣٤ ")

---

(١) الكشاف ، (٢/٥٥٦) .

(٢) تفسير القرآن العظيم / لابن كثير ، (١/٢٧١) .

(وقيل للرجال زيادة قوة فى النفس والطبع ماليس للنساء؛لأن طبع الرجال غلب عليه الحرارة واليبوسة ، فيكون فيه قوة وشدة ، وطبع النساء غلب عليه الرطوبة والبرودة،فيكون فيه معنى اللين والضعف فجعل لهم حق القيام عليهن بذلك)(١).

هكذا نرى أن القرآن الكريم قرر الاختلاف بين الذكر والأنثى،وكذلك يمكن لنا بالعين المجردة أن نلاحظ فروقاً بين الرجل والمرأة لايختلف فيها إثنان منها : صغر الرأس فى المرأة واضح جليّ يعلمه العالم ، والجاهل وسرعة نمو الفتاة عن الفتى وغيرها من الفروق الظاهرة المحسوسة .

ولو انتقلنا الى تجارب العلماء وموازينهم ، ومقاييسهم وتشريحهم لنرى ماقاله علماء الطب ووظائف الاعضاء ، لوجدنا أنهم اكتشفوا مؤخراً الكثير من الفروق الجسميه التى سبق أن قررها اللّٰه عز وجل فى محكم التنزيل .

يقول الدكتور : محمد على البار :

(إن الفروق الفسيولوجيه " الوظيفية " والتشريحية بين الذكر والأنثى أكثر من أن تحصى وتعد . فهى تبتدىء بالفروق على مستوى الصبغيات "الجسمات الملونه أو الكروموسومات " التى تتحكم فى الوراثة وترتفع الى مستوى الخلايا،وكل خلية فى جسم الإنسان توضح لك تلك الحقيقة الفاصلة بين الذكورة والأنوثة ـ وتتجلى الفروق بأوضح مايكون فى نطفة الذكر "الحيوانات المنوية " ونطفة المرأة " البويضة " ، ثم ترتفع الفروق بعد ذلك فى أجهزة الجسم المختلفة من العظام إلى العضلات وتتجلى بوضوح فى اختلاف الاجهزه التناسلية بين الذكر والأنثى ولاتقتصر الفروق على الجهاز التناسلى

---

(١) الجامع لاحكام القرآن / لأبى عبداللّٰه محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى، (ط / عام : ١٩٦٦ م) ، (الناشر : دار احياء التراث العربى ، بيروت ـ لبنان) ، (١٦٩/٥) .

وإنما تشمل جميع أجهزة الجسم)[١].

ويتابع الدكتور " البار " وصفه للفروق بين الذكر والانثى فيقول :
(وتختلف الأعضاء التناسلية للرجل والمرأة اختلافاً يعرفه كل إنسان، فللمرأة رحم منوُط به الحمل ، فإن لم يكن حمل فدورة شهرية وطمث " حيض " وللمرأة أثداء لها وظيفة جمالية كما لها وظيفة تغذية الطفل منذ ولادته إلى فطامه بأحسن وأنظف وأليق غذاء ، ليس هذا فحسب ولكن تركيب العظام يختلف،فى القوة والمتانة،وفى الضيق والسعة،وفى الشكل والزاوية .

إن الفروق الجسمية بين الذكر ملاحظة ومعروفة لكل ذى عينين،وخاصة فى فترة البلوغ،فنجد الفتى مشدود العضلات ، عريض المنكبين ، واسع الصدر صغير الحوض نسبياً،لا أرداف له ولاعجز كبير يتم توزيع الدهن توزيعاً عادلاً فى الجسم فينمو الشعر فى مختلف أنحاء الجسم،كالعانة والإبطين والذقن والشارب كما أن الصوت يغلظ ويصبح أجش،بينما نجد الفتاة تتحول من طفلة بريئة تلعب إلى فتاة يانعة يعتدل قوامها ويمتلىء جسمها بطبقة دهنية تحت الجلد فتكسب جسمها بأستدارة وامتلاء)[٢].

(ويتسع الحوض متخذاً شكلاً مناسباً يتفق مع العمل الذى خصص له،ويكتمل نمو أعضاء التناسل الباطنة كالرحم . والمبيض وكذلك الأعضاء التناسلية الظاهرة وغرض كل هذه التغيرات فى الفتاة اكتساب جمال المنظر،ورشاقة القوام،ونضارة الطلعة مما يتفق مع حسن نعومة ونضارة الأنثى)[٣].

---

(١) عمل المرأة فى الميزان / د: محمد على البار ، (ط : ١٤٠١/١ هـ — ١٩٨١ م) ، (الناشر : الدار السعوديه للنشر والتوزيع ،(ص :٧١).

(٢) ينظر المرجع السابق نفسه ، (ص : ٦٦ ، ٦٨) .

(٣) (أ) دورة الارحام / د: محمد على البار ، (ط : ١٤٠٢/٢ هـ — ١٩٨٢م)، الناشر : الدار السعودية للنشر والتوزيع ،(ص : ٢٦ — ٢٧) .
(ب) وخلق الانسان بين الطب والقرآن /د: محمد على البار ، (ط : ١٤٠٤/٥ هـ — ١٩٨٤ م) ،(الناشر : الدار السعودية للنشر والتوزيع) ،(ص : ٥٢) .

(ويمتاز حوض السيدة عن حوض الرجل بالنسبة لقيامه بوظيفة هامة إضافية " الحمل " فتطلب منه بعض الضروريات اللازمة التى لايحتاج اليها خوض الرجل، فنمو الجنين فى الحوض داخل الرحم، وطرق تغذيته وحفظه، ثم مروره بتجويف الحوض ومن مخرجه وقت الولادة مما يستلزم بعض التغيرات والتعديلات التى يسهل معها إتمام الولادة بالنسبة للأم والطفل. وتنحصر كل هذه التغيرات فى أن يكون تجويف حوض السيدة أوسع وأقصر وأن تكون عظامه أرق وأقل خشونة وأبسط تضاريس)(١).

هذه هى الفروق الجسمية ذات الصلة بموضوعنا بحيث تجعل من المرأة وسيلة نجاح فى الدعوة أكثر منها فى غيرها ، وهى ليست لانتقاص المرأة ولا للحط من قدرها والتقليل من شأنها ، وبنفس الوقت لاتعلى قدر الرجل وتزكيه عليها ، إنما هى دليل قاطع على أن اللّٰه سبحانه خلق كل إنسان للقيام بالأعباء والواجبات التى تخصه وتتناسب مع فطرته ، لهذا قال صلى اللّٰه عليه وسلم : " ... كُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ(٢)... " فكل واحد منهما

---

(١) ينظر : تشريح الحوض للذكر والانثى / د: شفيق عبدالملك ،(ط : ٣) ، الناشر : عالم الكتب) ، ص: ٢٣ - ٢٦) .

(٢) جزء من حديث هذا نصه " عَنْ عِمْرَانَ قَالَ قُلْتُ يَارَسُولَ اللّٰهِ : فِيمَا يَعْمَلُ الْعَامِلُونَ ؟ قَالَ : " كُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ "

(أ) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده فى (٧٧/٢) ،(٤٤١/٦) .

(ب) وأخرجه البخارى فى صحيحه فى (كتاب القدر ، باب جف القلم على علم اللّٰه) ،(رقم : ٦٥٩٦) ، (١٠٤/٨/٣) .

وفى (كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى " ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) ، (رقم : ٧٥٥١) ، (١٢٨/٩/٣) بهذا اللفظ .

(ج) وأخرجه مسلم فى صحيحه فى (كتاب القدر ، باب كيفية الخلق الآدمى فى بطن أمه ..) ، (رقم : ٢٦٤٩) ،(٢٠٤١/٤) .

(د) وأخرجه أبوداود فى سننه فى (كتاب السنه ،باب فى القدر) ، (رقم : ٤٧٠٩) ،(٢٢٨/٤) .

(هـ) وأخرجه الترمذى فى سننه فى (كتاب القدر ،باب ماجاء فى الشقاء والسعادة) ، (رقم: ٢١٣٦) ، (٤٤٥/٤) ،وقال أبوعيسى :هذا حديث حسن صحيح.

يقوم بالعمل المنوط به والذى هيئه اللّه له ، ومع ذلك ففى عمل الرجل إلى جانب عمل المرأة نوع من التكافل الاجتماعى بينهما،بحيث يجيىء من مجموع عمليهما وحدة متكاملة متعاونة ذات أهداف نبيلة تساعد على توطيد علاقتهما بكل دقة وانسجام فيصلحان لعمارة الأرض وخلافتها امتثالاً لقوله تعالىٰ :

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾

(سورة يونس ، الآية " ١٤ ")

يقول الدكتور : صبحى الصالح :

(فمن المغالطة تغاضينا عن الحقائق البارزة فى نتوءات كل جنس على حده مما سبّبه تطور المجتمعات ومن الممكن أحياناً ألا يتآلف الجنسان لأن كلاً منهما ليس على قد الآخر بالتمام،وإن التقابل فى النتوءات والمنحنيات هو فى الأساس سرّ التمازج والمخالطة والملابسة التى أدّتْ إلى تكافؤ الجنسين مصداقاً لقوله تعالىٰ :

﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴿١٨٧﴾ ﴾

(سورة البقرة ، الآية " ١٨٧ ")

ولقد كان معنى اللباس فى هذه الآية يحير كثيراً من الناس لأنهم لايعرفون أنّ اللباس كالملابسة،وأن كلاً منهما يفيد المخالطة والتمازج فكل بروز فى أحد الجنسين يقابله تجويف فى الجنس الآخر وهكذا تلتقى النتوءات فى كلا الجنسين بأوضاع مرسومة على قدّها لتتلبّس بها وتثبت فيها .

وهذا التفسير يزداد وضوحاً لدى المقارنة بقوله تعالىٰ :

﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ ﴾

(سورة آل عمران ، الآية " ١٩٥ ")

والمراد أنّ بعضكم الذكور من بعضكم الإناث كما أن بعضكم الإناث من بعضكم الذكور، فكل منكم ينسجم مع الآخر ويتناسق، وكل منكم شخص مستقل له عمله والله لايضيع أجرَ من أحسن عملاً . وهذه " البعضية " المتناسقة تقتضي أن يكون كل من " البَعْضَيْن " إنساناً كاملاً ولا تقتضي ان يكون " البعض " المذكّر هو الأنثى و " والبعض المؤنث " هو الذكر ولا أنّ الرجل يتمنى أن يقضي الحياة مع رجل مثله ، ولا أن المرأة تتمنى أن تقضي الحياة مع امرأة مثلها .. وإلى هذا المعنى الدقيق الشديد الإيحاء أشارت الآية من سورة النساء :

﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَۚ وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾ ﴾

(سورة النساء ، الآية " ٣٢ ")

أي مافضل الله به ذكوركم على إناثكم فى أشياء وأوضاع، أو إناثكم على ذكوركم فى وظائف وأعمال أخرى ، فلكل منكم مايناسب طبيعته ويلائم تكوينه وتركيب شخصيته والمهمّ فى هذا كله أن العلاقة بين الرجل والمرأة ليست ولايمكن أن تكون فى نظر الإسلام علاقة صراع وصدام ولو افترضنا أنّ الصراع قائم حقاً بين الجنسين فالأسلحة متكافئة وإن لم تكن متماثلة ولكنها فى النهاية تقود إلى غاية واحدة)[1].

والإسلام دين الفطرة الذى أنزله مبدع الكائنات جعل هذه المفارقات فى كفتى ميزان العدل والخير والفلاح للطرفين على السواء ، فما كان منه تعالت قدرته إلا رعاية هذه المفارقات فصان المرأة واعتنى بها، وأعطاها

---

(١) المرأة فى الاسلام / د : صبحى الصالح ، (ط : ١ / ١٩٨٠م)، (الناشر: معهد الدراسات النسائيه فى العالم العربى كلية بيروت الجامعية)، (ص : ١٣ - ١٤) .

من مظاهر التكريم مايصعب التعبير عنه فرعاها فى جميع مراحل حياتهـــا ، وأوجب لها من الحقوق الشيء الكثير على الرجل والمجتمع فرضاً لازماً ،وذلك مقابل ماتقوم به من أعمال عظيمة وجليلة ليست بالهينة ، ولايستطيع الرجل القيام بها ، لهذا لابدأن تدرك المرأة أن الحياة لايمكن أن تكـــون إلا بوجودهما معاً كل واحد ينهض بتبعاته الخاصة به ،والتى خُلِقَ من أجلها على هيئة خاصة من أجل القيام بها لتكتمل الحياة بهما معاً .

فالفروق الجسمية لابد من وجودها وعدم إنكارها ، ولكن لو زالـــت بينهما الفروق وتساوى الرجل بالمرأة فى التكوين الجسمى كما يدعى البعض ، لما أستقرت الحياة ، ولما عمر الوجود ، ولما تحققت المسؤلية الكبـرى المنوطة بهذين الجنسين المختلفين ، وهى الإستخلاف فى الأرض حيث قال تعالىٰ:

﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾

(سورة النمل ، الآية " ٦٢ ")

أي إن اللّه يجعل قوماً يخلف بعضهم بعضاً قرناً بعد قرن ، وجيـــلاً بعد جيل حيث إن هذا التناسق بين الشقيقين والتوافق لايمكن أن يتم إلا فى حالة عدم التماثل المطلق بينهما فى كل شيء ، فكلاهما يتمم الآخر ويكمله كما سنرى ذلك فى بقية الفروق التى يختلفان فيها .

المبحث الثالث

الفروق

العقلية السلوكية

الثالث : الفروق العقلية والسلوكية :

من الأمور التى يختلف فيها الرجل عن المرأة الفروق العقلية والسلوكية ،وهذا ظاهر للعيان وحقيقة لايختلف فيها إثنان منصفان ذوا بصيرة،فإن هذا الإختلاف ثابت فى الكتاب والسنة كما هو الحال فى العديد من الفروق بين الرجل والمرأة وقد راعى المشرع ذلك فى العبادات والمعاملات والتكاليف الشرعية المنوطة بالمرأة نتيجة هذه الحقيقة الواضحة وهى نقصان عقلها فقال تعالى:

﴿ وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٢٨٢﴾ ﴾

(سورة البقرة ، الآية " ٢٨٢ ")

ويفسر الشهيد سيد قطب قوله تعالى : " أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى " بقوله : (والضلال ينشأ من أسباب كثيرة :فقد ينشأ من قلة خبرة المرأة بموضوع التعاقد،مما يجعلها لاتستوعب كل دقائقه وملابساته، ومن ثم لايكون من الوضوح فى عقلها بحيث تؤدى عنه شهادة دقيقة عند الاقتضاء فتذكرها الأخرى بالتعاون معاً على تذكر ملابسات الموضوع كله .وقد ينشأ من طبيعة المرأة الانفعالية ، فإن وظيفة الأمومة العضوية والبيولوجية تستدعى مقابلاً نفسياً فى المرأة حتماً تستدعى أن تكون المرأة شديد الاستجابة الوجدانية الانفعالية لتلبية مطالب طفلها بسرعة وحيوية لاترجع فيهما بالتفكير البطئ، وذلك من فضل الله على المرأة وعلى الطفولة وهذه الطبيعة لاتتجزأ ، فالمرأة شخصية موحده هذا طابعها - حين تكون امرأة سوية - بينما الشهادة على التعاقد فى مثل هذه المعاملات فى حاجة إلى تجرد كبير من الإنفعالات ووقوف عند الوقائع بلا تأثر ولا إيحاء . ووجود امرأتين فيه ضمانة أن تذكر إحدهما الأخرى)[1].

(١) فى ظلال القرآن ، (٣٣٦/٣/١) .

وقد جاءت السنه الشريفه لتؤكد هذه الحقيقه، نقصان عقل المرأة :

فعَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ عُمَرَ ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : " يَامَعْشَرَ النِّسَاءِ ! تَصَدَّقْنَ وَأَكْثِرْنَ الإِسْتِغْفَارَ . فَإِنِّى رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ " فقَالَتِ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ جَزْلَةٌ(١) : وَمَالَنَا يَارَسُولَ اللَّهِ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ. قَالَ " تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ(٢) . وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ . وَمَارَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَغْلَبَ لِذِى لُبٍّ(٣) مِنْكُنَّ " قَالَتْ : يَارَسُولَ اللَّهِ ! وَمَانُقْصَانُ الْعَقْلِ وَالدِّينِ ؟ قَالَ : " أَمَّا نُقْصَانُ الْعَقْلِ فَشَهَادَةُ امْرَأَتَيْنِ تَعْدِلُ شَهَادَةَ رَجُلٍ . فَهَذَا نُقْصَانُ الْعَقْلِ . وَتَمْكُثُ اللَّيَالِى مَاتُصَلِّى وَتُفْطِرُ فِى رَمَضَانَ . فَهَذَا نُقْصَانُ الدِّينِ"(٤)

---

(١) جزلة : أى تامة الخلق ، ويجوز أن تكون ذات كلام جزل أى قوى شديد.
ينظر : النهاية / لابن الأثير ، (٢٧٠/١) .

(٢) اصل اللعن الطرد والإبعاد من اللّه ، ومن الخلق السُّب والدعاء .
ينظر : النهاية /لابن الأثير ، (٢٥٥/٤) .

(٣) لُبّ : اللب هو العقل المنور بنور القدس الصافى من قشور الأوهام والتخيلات .
ينظر : التعريفات /لعلى بن محمد الجرجانى ، (ط:١٤٠٣/١هـ – ١٩٨٣م) ، (الناشر : دار الكتب العلميه – بيروت – لبنان) ، (ص : ١٩١) .

(٤) (أ) أخرجه البخارى فى صحيحه فى (كتاب الحيض ، باب ترك الحائض تصوم) ، (رقم : ٣٠٤) ، (٥٧/١/١) .
وفى (كتاب الزكاة ، باب الزكاة على الأقارب) ، (رقم : ١٤٦٢) ، (١٠٢/٢/١) .
وفى (كتاب الصوم ، باب الحائض تترك الصوم والصلاة) ، (رقم : ١٩٥١) ، (٣١/٣/١) .
وفى (كتاب الشهادات ، باب شهادة النساء) ، (رقم : ٢٦٥٨) ، (١٥١/٣/١) .
(ب) وأخرجه مسلم فى صحيحه فى (كتاب الإيمان ، باب بيان نقصان الإيمان بنقصان الطاعات) ، (رقم : ٧٩) ، (٨٦/١) ، واللفظ له .
(ج) وأخرجه الترمذى فى سننه فى (كتاب الإيمان ، باب نقصان الإيمان بنقصان الطاعات) ، (رقم : ١٦١٣) ، (١٠/٥) .

القوم الذين قال الله عنهم :

﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥﴾ ﴾

(سورة الجمعه ، الآية " ٥ ")

فإننا حين نهمل تلك المسؤولية، ونتولى عنها لبهرج الدنيا يوشك أن يتحقق فينا وعد الله :

﴿ هَـٰٓأَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَـٰلَكُم ﴿٣٨﴾ ﴾

(سورة محمد ، الآية " ٣٨ ")

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾

(سورة المائدة ، الآية " ٥٤ ")

(٥) فهذه الأهداف لكي تتحقق لابد من الحركة والنشاط المكثف والارتحال من مكان إلى آخر، ومن فرد إلى جماعة وهكذا ، وتحمل كل العقبات فى سبيلها بصبر وجلد، علماً بأن المرأة الداعيه لايصح شرعاً ارتحالها إلا مع محرم ، ولكن يمكن أن يكون هذا الارتحال أو الانتقال فى بيتها نفسه المسؤولة عنه ، ففي تربيتها لأبنائها على إختلاف أعمارهم تكون كالمنتقل من مكان إلى آخر، وذلك لمسايرتها ومسايستها لتلك النفسيات

فالمرأة إن نقصت فى غير ميدانها ، فإن ذلك لايضيرها ، لأنه نقص يعوضه كمالها فى ميدانها ، وقيامها فى شؤونها الخاصة بها . أما تركها للصلاة والصيام فى الحيض والنفاس فلا يعدّ نقصاً أو تقصيراً منها فى أعمال الدين ، فهذه أمور لاتلام عليها ، ولاتؤخذ بها فهى على جميع بنات حواء .

(فضعف المرأة فى غير إختصاصها أمر ملاحظ كما هو فى الحدود والأموال وغير ذلك ، لانه أمر يوجب التوثيق والاحتياط كما أن شهادة الرجل فيما يخص النساء ليس بذى موضوع كما فى الرضاعة والبكارة وعيوب النساء ومالايطلع عليه الرجال)(١).

ومن الملاحظ فى واقع الحياة : أن المرأة عند رؤيتها لحادثة قتل أو دماء ، سرعان ماتفقد رشدها ، وتندب بصوتها ، وتندفع بعواطفها فتفقد صوابها ، وإن كانت الحادثة لاتمت لها بأية صلة قرابة ، فتدلى بأقوال لاتمت بصلة مع الحادث نتيجة التخيلات والتخرصات ، لهذا جعل الشارع الحكيم شهادة أمرأتان وذلك لحفظ الحقوق من الضياع فالمرأة التى تحاول إنكار ذلك تخدع نفسها ، فالله سبحانه وتعالى خالقها وهو أعلم بها :

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾
(سورة الملك ، الآية " ١٤ ")

وبناءً على ماأثبتناه من نصوص القرآن والسنه فى الإختلاف بين المرأة والرجل من الناحية العقلية فإننا سنذكر ماأثبته الطب الحديث وعلم وظائف الأعضاء من الإختلاف بين المرأة والرجل من الناحية العقلية والسلوكيه فجاء ذلك دليلاً مبيناً ومؤكداً ، لما ورد فى الكتاب والسنة فسبحان الله الذى يقول :

---

(١) رد المحتار على الدر المختار / للشيخ محمد أمين الشهير بابن عابدين ، (ط : بدون) ، (الناشر : دار احياء التراث العربى – بيروت / لبنان) ، (٤٩/١) .

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾

(سورة فصلت ، الآية " ٥٣ ")

قال القرطبى :

(من لطيف الصنعة وبديع الحكمة حتى سبيل الغائط والبول ، فان الرجل يشرب ويأكل من مكان واحد ويتميز ذلك من مكانين ، وبديع صنعة اللّه وحكمته فى عينيه اللتين هما قطرة ماء ينظر بهما من السماء إلى الأرض مسيرة خمسمائة عام وفى أذنيه اللتين يفرق بهما بين الأصوات المختلفه ، وغير ذلك من بديع حكمة اللّه تعالىٰ)[1].

نعو إلى ما اثبته الطب الحديث وعلم وظائف الأعضاء من الإختلاف فنجد الدكتور محمد على البار يقول تحت عنوان : " الأبحاث العلمية تفضح دعوى التماثل الفكرى بين الجنسين " : (فالصبيان يفكرون بطريقة مغايره لتفكير البنات رغم أن هذه الحقيقة الناصعة ستصدم أنصار المرأة والداعين إلى المساواة التامة بين الجنسين ، ولكن المساواة الاجتماعية فى رأينا تعتمد على معرفة الفروق فى كيفية السلوك ومعرفة الفروق بين مخ الفتى ومخ الفتاة ، وأن الابحاث العلمية تبين أن الإختلاف بين الجنسين ليس عائداً فحسب على المنشأ والتربية وإنما يعود أيضاً إلى الاختلاف فى التركيب البيولوجى وإلى اختلاف المخ لدى الفتى عن الفتاة .

ولقد أدرك العلماء والباحثون عمق هذه الفروق ، فوجدوا أن الطفل الرضيع يختلف سلوكه على حسب جنسه . فالبنت بعد ولادتها بأيام تنتبه إلى الأصوات وخاصة صوت الأم بينما الولد لايكترث لذلك .

---

(١) الجامع لاحكام القرآن ، (٥٨١٩/٧) .

ويُظهر الأولاد تفوقاً كبيراً على البنات فى الأمور البصرية وفى الأشياء التى تتطلب توازناً كاملاً فى الجسم ... ويقوم الطفل الذكر بالاستجابة السريعة لأى جسم متحرك أو لأى ضوء غماز كما أنه ينتبه إلى الأشكال الهندسية بسرعة أكبر من أخته وله قدرة فائقة على محاولة التعرف عليها وتفكيكها ... وفى سن الصبا فإن الأولاد يتوقون إلى التعرف على بيئاتهم ويتنقلون بكثرة من مكان إلى آخر لاكتشافها بينما تميل البنات إلى البقاء فى أماكنهن .

ومما يعتبر اكتشافاً مذهلاً هو أن تخزين القدرات والمعلومات فى الدماغ يختلف فى الولد عنه فى البنت - ففى مخ الفتى تتجمع القدرات الكلامية فى مكان مختلف عن القدرات الهندسية والفراغيه . بينما هى موجودة فى كلا فصى المخ لدى الفتاة ، ومعنى ذلك أن الدماغ لدى الفتى أكثر تخصصاً من مخ أخته ، وتقول الدراسة إن أغلب الأولاد يميلون إلى كثرة الحركة وشىء من العنف ، بينما تميل أكثر الفتيات إلى السكينة والهدوء وقلة الحركة . إن هذه الدراسات الإحصائية تتحدث عن الجنسين على صورة العموم ولكنها ليست شخصية أي إنها لاتتحدث عن هذا الشخص أو ذاك وانما تتحدث عن المجموع والصبغة الغالبة ، وإمكان أن يشذ فرد فى هذا الجنس أوذاك عن القاعدة أمر لايلغى القاعدة فى ذاتها وعلينا أن لانتجاهل الحقائق العلمية البيولوجية . فنحاول أن نجعل تربية الفتى مماثلة لتربية الفتاة ، ودور الفتى فى الحياة مماثلاً لدور الفتاة ، لأننا فقط نرغب فى ذلك فهذا التفكير المبنى على الرغبات يصادم الحقائق العلمية) (١)

ويقول الدكتور " رياض عسكر " :

(لذلك يسبق إدراك البنت الحادثة قبل الفكرة بينما يأتى إدراك الذكر للفكرة قبل إدراكه للحادثه . ومن ثم تميزت النسوة بالاهتمام بالأشياء التى حولهن مباشرة فى حين ينصرف أهتمام الرجال إلى ماهو أبعد . وبقدر

---

(١) عمل المرأة فى الميزان ، (ص : ٧٤ - ٧٥) .

ماتُبهر المرأة بالأشكال الظاهرة وبالمظاهر الجمالية الشكلية بقدر ماينصرف الرجل إلى ماهو أخفى وأعمق)[١].

فالمرأة فعلاً لاتفكر إلا فى اللحظة والموقف الذى هى فيه فتحكم من خلاله مباشرة، بينما نجد الرجل يفكر فى العواقب التى قد تترتب على هذا الموقف لهذا فهو يتريث ولايتسرع فى الحكم على الأمور ولايبالى بالاشكال والملابسات الظاهرة فهو عكس المرأة .

ويقارن بين الذكر والانثى الدكتور : جابر عبدالحميد فيقول :
(وقد بينت الدراسة أن الإناث حصلت على أعلى المتوسطات فى كل من القيم الاجتماعية والجمالية والدينية ، على حين أتضح أن الذكور يتفوقون فى القيم الاقتصاديه والنظرية والسياسية ، ومهما اختلفت الزاوية التى تدرس فيها العينة فقد أظهر الذكور اهتماماً متميزاً بالمخاطرة، وبالمهن التى تتطلب مجهوداً بدنياً خارج المنزل بالأدوات والآلات ، وبالعلوم وبالظواهر الطبيعية والمخترعات وبالتجارة، ومن ناحية أخرى وجد أن النساء يهتممن بالمسائل المنزلية وبالموضوعات والمهن التى يدخل فيها التذوق الجمالى ، وقد فضلن مهناً وأعمالاً تتطلب جهداً قليلاً داخل المنزل ، ومهناً تتصل برعاية الأطفال والصغار والضعاف والتعساء ومساعدتهم ، لقد اظهر الذكور بطريقة مباشرة أو غير مباشرة تفوقاً بالثقة وبالذات والعدوان وتعبيراً عن عدم الخوف وخشونة فى آداب السلوك واللغة والعواطف ، أما النساء فقد أظهرت تميزاً فى المشاركة الوجدانية، والحساسية الجمالية والانفعالية)[٢].

---

(١) نفسية المراهق وتربيته / د: رياض محمد عسكر ، (ط: ١/ ١٣٦٤ هـ - ١٩٤٥ م) ، (الناشر : مكتبة نهضة مصر بالفجالة) ، (ص : ٥١) .

(٢) مدخل دراسة السلوك الإنسانى / د: جابر عبدالحميد جابر ، (ط : ٢/ ١٩٧٦ م) ، (الناشر : دار النهضة العربية - بالقاهرة) ، (ص : ٢٦٨ - ٢٦٩) .

ولو تجاوزنا تجارب العلماء وموازينهم ومقاييسهم وتشريحهم لأمكن أن نلاحظ بعيداً عن المعامل والمخابر بالأعين المجرده فى حياتنا اليوميه فروقاً بين الذكر والأنثى لايرتاب فيها عاقل،منها : أن الانثى تمتاز بالرقة والنعومة واللباقة حتى فى لعبها،وتميل إلى اللعب ببناتها الصغار وتعتبر كل صغيرة بنتاً لها فهذا شئ فطرى فيها واثناء ذلك اللعب تقوم بالتنظيف والتنظيم والترتيب لكل مايقع تحت يدها،بينما نجد الذكور يمتازون بالخشونه والعشوائيه ، فالانثى الصغيره تكتسب صفات والدتها عندها تقوم بما يناط بها من أعمال مستقبلاً ، كذلك الحال بالنسبة للذكر الصغير فهو يكتسب صفات والده ويقلده عندها يستطيع القيام بما يناط به من أعمال فى المستقبل .

ويقول الأستاذ العقاد :

(نحن نعتقد أن المرأة لاتغيرها هذه المفاضلة فى الخصائص العقلية بين الجنسين،لانها لم تحرم مايقابل هذه الخصائص فى مجال الحس والعطف والبداهة والفطرية،وحسبها من مزايا جنسها ما اشتملت عليه من كنوز غالية ترشحها " الأمومة الإنسانية كلها،ولاتقتصر بها على أمومة الأبناء والبنات، هى أم النوع الانسانى وليس من الضرورى لها مع هذه الأمومة المكرمة أن تكون أباه)(1).

هذه الفروق جميعها سواءً كانت جسمية تكوينية أو عقلية سلوكية تؤكد الحقيقة الواضحة الجليّة،وهي الإختلاف والتباين بين الذكر والانثى،وأن كلاً منهما مزود بخصائص وطاقات تخدم ميدانه ومجاله ، وهذا ليس عيباً فى المرأة إنما العيب فى محاولة إنكار فطرة اللّه التى فطر المرأة عليها وإيهامها من قبل أعداء المرأة والمجتمع من أهل

---

(1) المرأة ذلك اللغز / عباس محمود العقاد ، (ط : ١/١٩٧٠م)،(الناشر: دار الكتاب العربى ـ بيروت) ،(ص : ٥٨) .

الشر والفساد أنها غير ما أراد الله لها أن تكون لمحاولة تغييرها ومسخ فطرتها .

وبناء على ذلك قال الأستاذ العقاد فى كتابه " المرأة فى القرآن " مايؤيد ويؤكد تعليقنا السابق :

(ولكن المشترع الذى يقول لك إن مزاج الرجل ومزاج المرأة سواء فى الحس والعاطفة يتقبل من مغالطة الواقع والضمير مايبطل تشريعه وينحيه عن هذا المقام)(١)

---

(١) المرأة فى القرآن / عباس محمود العقاد ، (ص : ٧٢) .

المبحث الرابع

الفروق

النفسية الوجدانية

ويشتمل على:

بعض الصفات التي تكون في المرأة بصفة أخص.

الرابع : الفروق النفسية والوجدانية :

" تمهيـــد "

سبق أن قررنا أن الوظائف العضوية للمرأة تختلف عن وظائف الرجل اختلافاً واضحاً وظاهراً للعيان ، ومن البديهى أن ذلك الاختلاف يترك أثراً واضحاً على نفسية المرأة ووجدانها .

يقول محمد وجدى :

(المرأة كائن شريف خصصتها القدرة الإلهية لتكثير النوع الإنسانى فوظيفتها من هذه الجهة سامية جداً ولايستطيع أن يجاريها الرجل فيها بوجه من الوجوه ،وقد متعها اللّٰه تعالىٰ لحسن أداء هذه الوظيفه بكل ماتحتاج إليه من الأعضاء ،وناسب بين تركيبها وتلك الوظيفة بحيث ترى أن كل شىء فيها يدل على أن القدرة الإلهية قصرتها عليها ولذلك رأينا بين جسمها وجسم الرجل من الاختلاف والتباين ماينطق بالبداهة أنهما لم يخلقا لأن يتسابقا فى مجال واحد البته)(١).

(إن علماء النفس المحدثين قد كشفوا أن بين الرجل والمرأة اختلافات نفسية ، قد تكون نتيجة لهذه الإختلافات البدنيه الأصليه)(٢).

فالمرأة تمتاز عن الرجل بالعاطفة الجياشه ،والحنان المتدفق ،وحب التضحية من أجل الغير ،وهى سريعة التأثر بالمواقف حولها من ألم وفرح ، وهذه جميعها إيجابيات فى المرأة تحمد عليها وليست سلبيات تذم أو تعاب

---

(١) المرأة المسلمة / محمد فريد وجدى ، (ط : بدون) ،(الناشر : دار احياء علوم الدين ـ دمشق) ، (ص : ٣١ ـ ٣٢) .

(٢) المرأة فى مختلف العصور / احمد خاكى ، (ص : ٦) .

من أجلها ، بل لابد أن تكون كذلك لتستطيع القيام بما يناط بها من أعمال فتكمل رسالتها فى الحياة .

ولهذا نجد القرآن الكريم لم يتعرض لنفسية المرأة بطريقة البحث التجريدى إنما قدم لنا صورة المرأة المتحلية بخصائصها متميزة بمميزاتها التى جبلت عليها .

فيذكر لنا مثلاً صورة الأم المتصفة بالعطف والحنان والتي تعانى الكثير من الأعباء وتتحمل الآلام والمكاره فى سبيل جنينها يقول تعالى عنها :

﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾

(سورة لقمان ، الآية " ١٤ ")

وغيرها كثير من النصوص الدالة على أن الأم تتحمل الكثير من أجل أبنائها ليس فقط وهم أجنة بل فى جميع مراحل حياتهم .

وعندما تذكر الزوجة تقدم فى صورة المرأة الولود الودود المتصفة بالرحمة والعطف والسكن وحسن التبعل يقول تعالى :

﴿ ۞ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ ﴾

(سورة الاعراف ، الآية " ١٨٩ ")

وقد تحدثت النصوص القرآنية والأحاديث النبوية عن بعض الخصائص التى عرفت بها المرأة واصبحت صفة من صفاتها وجزءاً من طبيعتها وتكوينها النفسى حتى لاتكاد تنفك عنها -إلا من رحم الله- وهذه الصفات كثيره نذكر

منها : الحياء ، والغيرة ، والكيد ، والسخرية ، والاستهزاء ، وقوة الإندفاع وسرعة الإنفعال ، والضعف فى الخصومة ، وحبّ الزينة .

وسأجمل فى بيان كل صفة من هذه الصفات خوفاً من الاطالة ، علما بأن هذه الصفات تكون فى المرأة بصفة أخص وهى لاتتعارض مع إنسانيتها وأهليتها للتكاليف الشرعية .

(أ) صفة الحياء :

لقد أبرز القرآن الكريم صورة حياء المرأة فى قصة موسى مع بنتى شعيب عليه السلام لتكون دعوة وتنبيهاً للنساء كى يحرص على الالتزام بها وصيانتها فقال تعالى : ﴿ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾

(سورة القصص ، الآية " ٢٥ ")

قال سيد قطب فى سياق تفسيره للآية الكريمة :

(" تمشى على استحياء " مشية الفتاة الطاهرة الفاضلة العفيفة النظيفة حين تلقى الرجال " على استحياء " فى غير ماتبذل ولا تبرج ولاتبجح ولا إغواء ،جاءته لتنهى إليه دعوة فى أقصر لفظ وأخصره وأدله ، يحكيه القرآن بقوله " إن أبى يدعوك ليجزيك أجر ماسقيت لنا " فمع الحياء الأبانة والدقة والوضوح ، لا التلجلج والتعثر والربكة وذلك كذلك من إيحاء الفطرة النظيفة السليمة المستقيمة ،فالفتاة القويمة تستحى بفطرتها عند لقاء الرجال والحديث معهم ،ولكنها لثقتها بطهارتها واستقامتها لاتضطرب الاضطراب الذى يطمع ويغرى ويهيج ، إنما تتحدث فى وضوح بالقدر المطلوب ، ولاتزيد) (١).

وبناءً على ذلك تبين لنا أن صفة الحياء تلازم ذوات الخدور والأبكار بصفة أكثر فهذه الصفة الحميده من طبائع المرأة،بل ومن أبرزها فيها وأظهرها عندها إلا من شذت وخرجت على ماجبلها اللّٰه من الطبيعة الأصلية الصافية النقية بحكم أنوثتها . وهذه الصفة الحميدة تعود إلى غرسها منذ

---

(١) فى ظلال القرآن ، (٢٦٨٧/٢٠/٥) .

الطفولة فإنها بذلك تصبح سجية ملازمة لها وجزءاً منها لايتجزأ إذا تربت في محيط يلتزم بالفضيلة والأخلاق الحميدة . وهذه السمة ليست وقفاً على المرأة فقط لكنها صفة مشتركة بين المرأة والرجل ، لكنها ملازمة للمرأة غالباً؛فإن جمالها لايعادله أي جمال بملازمة الحياء له حتى لو حاولت أن تتحلى بحلى العالم كله لتتزين به فإنه لايضفي إلى جمالها شيئاً إذا لم تكن تتحلىٰ أساساً بالحياء وتنميه بتقوى اللّٰه ،و مراقبته، والخوف من عقابه .

ولما في الحياء من الآثار الطيبة في حياة الإنسان ينظر الإسلام إليه على أنه في طليعة الأخلاق الإسلامية.والنصوص من السنة النبوية الشريفة تبين لنا أهمية هذا الخلق وأنه جزء لازم للإيمان ، ووصف أساسي للإنسانية، لإن الإنسان،رجلاً كان أو امرأةً،إذا تحلىٰ به فإنه يبلغ نهاية الكمال وإذا تخلىٰ عنه سارع إلى الشرّ والانحطاط .

فقد قال صلى اللّٰه عليه وسلم في الاستحياء من اللّٰه :

في الحديث الذي رواه عَبْدِاللّٰهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " اسْتَحْيُوا مِنَ اللّٰهِ حَقَّ الْحَيَاءِ " ، قُلْنَا : إِنَّا لَنَسْتَحْيِي مِنَ اللّٰهِ يَارَسُولَ اللّٰهِ ، وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ ، قَالَ : " لَيْسَ ذَلِكَ ، وَلٰكِنَّ الِاسْتِحْيَاءَ مِنَ اللّٰهِ حَقَّ الْحَيَاءِ : أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَاوَعَى ، وَالْبَطْنَ وَمَاحَوَى ، وَتَذْكُرِ الْمَوْتَ وَالْبِلَى ، وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا ، وآثَرَ الآخِرَةَ عَلَى الأُولَىٰ ، فَمَنْ فَعَلَ ذٰلِكَ فَقَدِ اسْتَحْىٰ مِنَ اللّٰهِ حقَّ الْحَيَاءِ "(١)

فهذا هو معنى الحياء الحقيقي الصادق الذي يحبه اللّٰه ويريده لعباده حيث إنه يعصم صاحبه من الانحراف وليس المقصود هو التظاهر به فقط،بل لابد أن يجنبه الهلاك والضلال فهو رادع له،وهو خير حارس حيث يقف

---

(١) (أ) أخرجه الترمذي في سننه في (كتاب صفة القيامه ، باب رقم: ٢٤) ، (رقم : ٢٤٥٨) ، (٦٣٧/٤) قال ابوعيسى : هذا حديث إنما نعرفه من هذا الوجه من حديث أبان بن اسحاق عن الصباح بن محمد .

(ب) وأخرجه الحاكم في المستدرك وقال : هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه . وأقره الذهبي ، (٣٢٣/٤) ،واللفظ له .

بالمرصاد للإنسان ويمنعه من أن يهم بمفسدة وأن ينغمس بمعصية فهو بذلك درع يقى صاحبه من الشرور ويجنبه كل سيىء وفى نفس الوقت يحثه على الخير ولايصدر عنه إلا خير لهذا قال صلى الله عليه وسلم فى الحديث الذى رواه عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " الْحَيَاءُ لَايَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ "(١) وروى ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ الْأُولَى : إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِي فَاصْنَعْ مَاشِئْتَ "(٢).

(هذه إشارة من النبى صلى الله عليه وسلم إلى الخصيصة النفسية الملازمة لعدم الحياء فى صورة تحذير)(٣).

(أي إن مما عرفه الناس من مواريث النبوة أن المرء إذا تجرد عن الحياء فانه أهل لارتكاب كل منكر وشر ، وكل ظلم وبغى ، لصفاقة وجهه ، وجرأته على هتك الحرمات)(٤).

---

(١) جزء من حديث هذا نصه : إِنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " الْحَيَاءُ لَايَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ ، فَقَالَ بُشَيْرُ بْنُ كَعْبٍ : مَكْتُوبٌ فى الْحِكْمَةِ : إِنَّ مِنَ الْحَيَاءِ وَقَاراً ، وإِنَّ مِنَ الْحَيَاءِ سَكِينَةً ، فَقَالَ لَهُ عِمْرَانُ : أُحَدِّثُكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتُحَدِّثُنى عَنْ صَحِيفَتِكَ ؟ .
(أ) أخرجه البخارى فى صحيحه فى (كتاب الادب ، باب الحياء) ، (رقم : ٦١١٧) ، (٢٥/٨/٣) واللفظ له .
(ب) وأخرجه مسلم فى صحيحه فى (كتاب الايمان ، باب بيان عدد شعب الايمان وأفضلها وأدناها ، وفضيلة الحياء ، وكونه من الايمان) ، (رقم : ٣٧) ، (٦٤/١) .
(جـ) وأخرجه أبوداود فى سننه فى (كتاب الادب ، باب الحياء) ، (رقم : ٤٧٩٦) ، (٢٥٢/٤) .

(٢) (أ) أخرجه البخارى فى صحيحه فى (كتاب الادب ، باب اذا لم تستحى فاصنع ماشئت) ، (رقم : ٦١٢٠) ، (٢٥/٨/٣) واللفظ له .
(ب) وأخرجه أبوداود فى سننه فى (كتاب الأدب ، باب فى الحياء) ، (رقم : ٤٧٩٧) ، (٢٥٢/٤) .
(جـ) وأخرجه ابن ماجه فى سننه فى (كتاب الزهد ، باب الحياء) ، (رقم : ٤١٨٣) ، (١٤٠٠/٢) .

(٣) الإسلام تشكيل جديد للحضارة / محمد تقى الامينى / ترجمة : د. مقتدى حسن ياسين / مراجعة : د. عبدالحليم عويس ، (ط / ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢ م) ، (الناشر : دار العلوم للطباعة والنشر) ، (ص : ١٧٧) .

(٤) اسلامنا / للسيد سابق ، (ص : ١٥٧) .

والحياء هو رأس الفضائل جميعاً وهو خلق من أخلاق الإسلام الفاضله التى يجب التمسك بها وعدم تركها ، فالحياء هو زينة المرأة الظاهرة والباطنة فيجعلها جميلة فى اعين الآخرين لأنها تتحلى بأسمى وأنبل خلق .

والحياء ملازم للإيمان،ووصف أساسي له،ومن تجرد عنه تجرد عن الدين نفسه لأنه شعبة من شعب الإيمان ، بدليل قوله صلى اللّٰه عليه وسلم فى الحديث الذى رواه أَبُوهُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً . وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ "(١).

ومما هو أعظم من ذلك إن الحياء صفة حميدة تكون سبيلاً إلى الجنة ، ومن منّا لايرغب فى الجنة ومايوصل إليها فقد روى أَبُوهُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْه إن رَسُولُ اللّٰهِ صَلّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " اَلْحَيَاءُ مِنَ الْإِيمَانِ ، وَالْإِيمَانُ فِي الْجَنَّةِ ، وَالْبَذَاءُ(٢) مِنَ الْجَفَاءِ(٣)، وَالْجَفَاءِ فِي النَّارِ "(٤)

والحياء هو المنبعث من جوهر الايمان وهو الذى يسمو بصاحبه نحو الكمال وهو خير زينة يتزين بها المرء .

فقد روى أَنَس بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْه : أن رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : مَاكَانَ الْفُحْشُ فى شَيْءٍ إِلاَّ شَانَهُ وَمَاكَانَ الْحَيَاءُ فِي شَيْء

---

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه فى (كتاب الإيمان ، باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها ، وفضيلة الحياء ، وكونه من الإيمان)، (رقم : ٣٥) ، (٦٣/١) ، بهذا اللفظ .

(٢) البَذَاْء بالمد : الفحش فى القول .
ينظر : (النهاية فى غريب الحديث والاثر/لابن الأثير)،(١١١/١).

(٣) الجفاء : الباطل .
ينظر : لسان العرب /لابن منظور ،(٤٩/١) .

(٤) أخرجه الترمذى فى سننه فى (كتاب البر والصلة ، باب ماجاء فى الحياء) ،(رقم : ٢٠٠٩) ،(٣٦٥/٤) ،قال أبوعيسى : وفى الباب عن ابن عمرو أبى بكرة وأبى أمامة وعمران بن حصين ،هذا حديث حسن صحيح .

إلاّ زانَهُ "(١).

ومما يجب التنبيه إليه هو أن الحياء نوعان : ممدوح ومذموم .

فالممدوح : هو ماسبق ذكره ، وهو ترك القبيح حياء من اللّه .

أما المذموم : فمثل أن يترك المطالبة بحقوقه، أو يترك السؤال عن أمور دينه بحجة الحياء فقد وصفت السيدة عائشة رضى اللّه عنها نساء الأنصار فى عصرها ومدحتهن لاتصافهن بخصلة الحياء الممدوح فقالَتْ : نِعْمَ النِّسَاءُ نِسَاءُ الأَنْصَارِ ! لَمْ يَكُنْ يَمْنَعُهُنَّ الحَيَاءُ أَنْ يَتَفَقَّهْنَ فِي الدِّينِ "(٢)

---

(١) (أ) أخرجه أحمد فى مسنده فى (١٦٥/٣) .
(ب) وأخرجه ابن ماجه فى سننه فى (كتاب الزهد ،باب الحياء)، (رقم : ٤١٨٥) ؛ (١٤٠٠/٢) .
(ج) وأخرجه الترمذى فى سننه فى (كتاب البر والصلة ، باب ماجاء فى الفحش والتفحش) ، (رقم : ١٩٧٤) ، (٣٤٩/٤) وقال ابوعيسى : هذا حديث حسن غريب لانعرفه الا من حديث عبدالرزاق ، وفى الباب عن عائشه ، واللفظ له .

(٢) جزء من حديث هذا نصه : " عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُهَاجِرِ ،قَالَ : سَمِعْتُ صَفِيَّةَ تُحَدِّثُ عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ أَسْمَاءَ سَأَلَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم عَنْ غُسْلِ الْمَحِيضِ ؟ فَقَالَ " تَأْخُذُ إِحْدَاكُنَّ مَاءَهَا وَسِدْرَتَهَا فَتَطَهَّرُ فَتُحْسِنُ الطُّهُورَ . ثُمَّ تَصُبُّ عَلَى رَأْسِهَا فَتَدْلُكُهُ دَلْكاً شَدِيداً . حَتَّى تَبْلُغَ شُؤُونَ رَأْسِهَا . ثُمَّ تَصُبُّ عَلَيْهَا الْمَاءَ . ثُمَّ تَأْخُذُ فِرْصَةً مُمَسَّكَةً فَتَطَهَّرُ بِهَا " فَقَالَتْ أَسْمَاءُ : وَكَيْفَ تَطَهَّرُ بِهَا ؟ فَقَالَ : " سُبْحَانَ اللَّهِ ! تَطَهَّرِينَ بِهَا " فَقَالَتْ عَائِشَةُ (كَأَنَّهَا تُخْفِي ذَلِكَ) تَتَبَّعِينَ أَثَرَ الدَّمِ . وَسَأَلَتْهُ عَنْ غُسْلِ الْجَنَابَةِ ؟ فَقَالَ : " تَأْخُذُ مَاءً فَتَطَهَّرُ ، فَتُحْسِنُ الطُّهُورَ. أو تُبْلِغُ الطُّهُورَ . ثُمَّ تَصُبُّ عَلَى رَأْسِهَا فَتَدْلُكُهُ حَتَّى تَبْلُغَ شُؤُونَ رَأْسِهَا . ثُمَّ تُفِيضُ عَلَيْهَا الْمَاءَ " فَقَالَتْ عَائِشَةُ : نِعْمَ النِّسَاءُ نِسَاءُ الأَنْصَارِ ! لَمْ يَكُنْ يَمْنَعُهُنَّ الْحَيَاءُ أَنْ يَتَفَقَّهْنَ فِي الدِّينِ .
(أ) أخرجه البخارى فى صحيحه فى (كتاب الحيض ، باب دلك المرأة نفسها إذا تطهرت فى الحيض ...) ،(رقم : ٣١٤) ،(٥٩/١/١).
وفى (كتاب الحيض ، باب غسل الحيض) ، (رقم : ٣١٥) ، (٥٩/١/١) .
وفى (كتاب الاحتصام ، باب الاحكام التى تعرف بالدلائل) ، (رقم / ٧٣٥٧) ، (٨٩/٨/٣) .
==

فهذا ثناء على اولئك النساء الصالحات اللاتى اتصفن بالحياء الممدوح وبنفس الوقت لم يكن يمنعهن ذلك من السؤال والوصول إلى درجة التفقه عن أمور دينهن،لتكون الواحدة منهن على علم ودراية بدقائق الأمور ، لهذا مدحتهن السيدة عائشة رضى اللّه عنها وعنهن جميعاً فقد كن مشعل خير ونور وهداية على مر العصور ٠

وهذا الإمام البنا رحمه اللّه يحدثنا عما يجب أن تتعلمه المرأة من علوم وأن يُركز عليه ويترك ماعداه لإنه لايتناسب مع فطرتها ، فيقول : (ومن حسن التأديب ان يعلمهن مالاغنى لهن عنه من لوازم مهمتهن،كالقراءة والكتابة والحساب والدين وتاريخ السلف الصالح رجالاً ونساءً ، وتدبير المنزل،والشئون الصحية،ومبادئ التربية،وسياسة الأطفال،وكل ماتحتاج اليه الأم فى تنظيم بيتها ورعاية أطفالها ، وكان كثير من نساء السلف الصالح على جانب عظيم من العلم والفضل والفقه فى دين اللّه تبارك وتعالى ، أما المقالات فى غير ذلك من العلوم التى لاحاجة للمرأة بها فعبث لاطائل تحته ، فليست المرأة فى حاجة إليه وخير لها أن تصرف وقتها فى النافع المفيد)(1).

يقول أحمد محمد طاحون :

(فلا خير فى الإنسان إذا تعرى عن هذا الخلق ولاقيمة له بفقده فالأمم

== (ب) وأخرجه مسلم فى صحيحه فى (كتاب الحيض ، باب استعمال المغتسله من الحيض فرصة من مسك فى موضع الدم) ، (رقم : ٣٣٢) ، (١/٢٦٠ – ٢٦١) ، واللفظ له ٠

(ج) وأخرجه أبوداود فى سننه فى (كتاب الطهاره ،باب الاغتسال من الحيض) ، (رقم : ٣١٤ – ٣١٥ – ٣١٦) ،(١/٨٥) ٠

(د) وأخرجه النسائى فى سننه فى (كتاب الطهاره ،باب ذكر العمل فى الغسل من الحيض) ،(رقم : ٢٥١) ،(١/١٣٥ – ١٣٧) ٠

(1) المرأة المسلمه / للشيخ حسن البنا ،خرج احاديثه وراجعه /العلامة : محمد نصر الدين الألبانى ،(ط : ١٤٠٧/٢ هـ) ،(الناشر : دارالكتب السلفيه – القاهرة) ،(ص : ٩ – ١٠) ٠

جميعاً مقياسها وميزانها ومقدار تقدمها بتمسكها بهذه الفضيلة الحميدة " الحياء "،والحياء للإنسان بمثابة الماء للزرع ، فكما أن الزرع إذا نال حاجته من الماء نما وصارت له نضارة وبهاء ، فكذلك المؤمن الحييُّ ترى في وجهه بهاء الخير ، وسمات الصلاح وتلمح في أفعاله مايدل على نماء الإيمان،وقوة اليقين في قلبه ، ولذا كان المؤمن الحييُّ من أهل النعيم الأخروى . أما أهل الجراءة على القبيح الذين لايجدون من الحياء مايزجرهم عن ارتكاب المحظور فإنّهم أهل البذاء)[1].

وقال الماوردى[2]: (الحياء فى الإنسان ثلاثة أوجه :

أحدهما : من اللّٰه تعالىٰ .

الثانى : حياؤه من الناس .

الثالث : حياؤه من نفسه .

فأما حياء الإنسان من اللّٰه فيكون بامتثال أوامره ، والكف عن زواجره ، وهذا يكون من صحة الدين ، وقوة اليقين .

وأما حياء الإنسان من الناس ... فيكون بكف أذاه عنهم ، ورعاية حقوقهم كما يكون بترك المجاهرة بالقبيح .. فالمرء إذا كملت مروءته استحيا من الناس وحسنت سيرته فى المجتمع ووثق به المحيطون به وأحبوه .

وأما حياء المرء من نفسه فيكون بالعفة ، وصيانة خلواته . وهذا

---

(١) مرشد الدعاة إلى اللّٰه دراسة وتطبيق /أحمد محمد طاحون ،(ط:بدون)، (الناشر : المطبعه العربيه) ،(ص : ٩٥ — ٩٦) .

(٢) هو على بن محمد بن حبيب الماوردى ،ولد فى البصرة سنة (٣٦٤ هـ)، وانتقل إلى بغداد ،توفى بها سنة (٤٥٠هـ) ،عالم باحث له تصانيف منها : (أدب الدنيا والدين) ،(والاحكام السلطانيه)،و(الحادى)، فى فقه الشافعيه ،اشتغل بالقضاء ،وجعل أقضى القضاة فى أيام القائم بأمر اللّٰه العباسى .
ينظر : (وفيات الاعيان /لابن خلكان : ٢٨٢/٣) ،(مفتاح السعاده / طاشكبرى زاده : ١٩٠/٢) .

يكون من فضيلة النفس وحسن السريرة ، والشعور الدائم بأن الله عز وجل يعلم سر العبد ، وعلانيته ولايخفى عليه سبحانه خافيه)[(١)]

فعلى المسلمين بصفة عامة والمرأة المسلمة بصفة خاصة عدم الاستهانة بالحياء والمحافظة عليه والالتزام به فإن ذلك ينتج آثار طيبة فى حياة الأمة الإسلامية جميعاً وتتفشى من خلاله باقى الخصال الحميدة، فالحياء يكون مانعاً من تفشى الرذائل ويحد من إنتشارها أما فى حالة إنعدام الحياء وعدم الإلتزام به والعياذ بالله فإنه لاشك ستنتشر فى المجتمع الرذائل والاستهتار بالقيم والمبادىء ، والاستهانة بالتقاليد ، فيحدث التجرد من جميع الفضائل؛لهذا وجب عليك أختى المسلمة المحافظة الشديدة على هذا الخلق النبيل والضرب بيد من حديد على أيدى من تسول لها نفسها من بنات جنسك العبث والاستهانه والاستهتار لسلب هذا الخلق الذى بسلبه من المرأة بالذات تكثر الشرور ويعلوّ شأنها وتنحط الاخلاق والمبادىء إلى اسفل سافلين ...

قد تتسألين فتقولين كيف أستطيع المحافظه على خلق الحياء لتكمل أسباب الخير وتنتفى أسباب الشر ؟ أقول لك فى تربيتك لأبنائك حاولى أن تتخيرى لهم الأصحاب والأصدقاء من ذوى الأخلاق الحميدة ، وتحذيرهم من أصدقاء السوء ، كذلك فى مطالعاتهم حاولى إنتقاء الكتب والقصص والمجلات الصالحة التى تفيدهم وتوجههم إلى الأخلاق الحميدة ، كى لايتعرضوا للنقائص منها التى تسلب الحياء منهم،فإن أخلالهم بأحد وجوه الحياء يلحق بهم النقص بقدر ماكان يلحقه من الفضائل بكمالها . وتعويد الفتيات بالذات على الحشمة والوقار والتمسك بالحياء والبعد عن البذاء قولاً وعملاً ، عند ذلك ينشأ الأبناء أفراداً صالحين خيرين .

---

(١) أدب الدنيا والدين /لأبى الحسن على بن محمد الماوردى ، حققه وعلق عليه / مصطفى السقا ، (ط : ٣) ،(الناشر : دار الفكر)، (ص : ٢٤٢) باختصار .

مع ملاحظة عدم المبالغة فى غرس هذا الخلق حتى لايصل إلى حدّ الخجل والحياء المذموم فتضيع الحقوق وتسلب من أصحابها ويتسلط عليهم أصحاب الشرّ والفساد ولايسأل عن أمور دينه إنما خير الأمور الوسط ، فلا ضرر ولا اضرار ، ولابدّ من الالتزام بأنواع الحياء الثلاثة التى هى الحياء من الله ومن الناس ومن النفس ليعم الخير والفلاح والصلاح .

مع الحذر من الذين يحاولون التشويش على الملتزمين والمتصفين بالحياء وذلك بنصحهم ووعظهم وإيهامهم بأن هذا الحياء قدّ يضرّ بهم، ويؤثر على مصالحهم فيسلبون هذا الخلق من أصحابه المتصفين به شيئاً فشيئاً إلى أن ينسلخوا عن هذا الخلق فأمثال هؤلاء لابد من الترصد لهم، وردعهم لنبين لهم أن هذا الخلق الذى ينصحون بالابتعاد أو بالتقليل منه فإنه جزء من الايمان وكل مايأتى به وعن طريقه فهو خير .

فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يبين ذلك فى الحديث الذى رواه عنه عَبْدُاللَّهِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : قَالَ مرالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى رَجُلٍ يُعَاتَبُ فى الحَيَاءِ يَقُولُ : إِنَّكَ لَتَسْتَحْيِ حَتَّى كَأَنَّهُ يَقُولُ قَدْ أَضرَّ بِكَ فقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " دَعْهُ فَإِنَّ الحَيَاءَ مِنَ الإِيمَانِ "(١)

---

(١) (أ) أخرجه الامام مالك فى الموطأ فى (كتاب حسن الخلق ، باب ماجاء فى الحياء) ، (رقم : ١٠) ، (٩٠٥/٢) .
(ب) وأخرجه البخارى فى صحيحه فى (كتاب الإيمان ، باب الحياء من الإيمان) ، (رقم : ٢٤) ، (١١/١/١) .
وفى (كتاب الادب ، باب الحياء) ، (رقم : ٦١١٨) ، (٢٥/٨/٣) ، بهذا اللفظ .
(ج) وأخرجه مسلم فى صحيحه فى (كتاب الايمان ، باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها ، وفضيلة الحياء ، وكونه من الإيمان) ، (رقم : ٣٦) ، (٦٣/١) .
(د) وأخرجه أبوداود فى سننه فى (كتاب الأدب ، باب فى الحياء) ، (رقم : ٤٧٩٥) ، (٢٥٢/٤) .
==

قال ابن حجر :

(وإذا كان الحياء يمنع صاحبه من استيفاء حق نفسه جر ذلك تحصيل أجر ذلك الحق ، لاسيما إذا كان المتروك له مستحقاً . وقال ابن قتيبه : معناه أن الحياء يمنع صاحبه من ارتكاب المعاصى كما يمنع الإيمان ، فسمى إيماناً كما يسمى الشئ باسم ماقام مقامه . وحاصله أن إطلاق كونه من الإيمان مجاز ، والظاهر أن الناهى ماكان يعرف أن الحياء من مكملات الإيمان فلهذا وقع التأكيد ، وقد يكون التأكيد من جهة أن القضية نفسها مما يهتم به وإن لم يكن هناك منكر)(١)

ويقول " هنرى ماريون " :

(ذهب " لاروشفوكو" الى أن حياء المرأة فى كثير من الأحيان إنما هو للحرص على سمعتها ، وراحتها)(٢).

أقول نعم أن سمعة المرأة هي رأس مالها ، ولكن حيائها قبل كل شئ يكون لرضى الله عز وجل ، واتباعاً لسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم التى توصى فى الكثير من نصوصها بالحياء وتحث عليه حتى جعلته من مكملات الإيمان كما رأينا . فحين تلتزم وتتصف بالحياء إيماناً واحتساباً لوجه الله لاشك إنها ستحافظ على سمعتها وراحتها من كل أذى .

== (هـ) وأخرجه ابن ماجه فى سننه فى (المقدمه ، باب فى الإيمان) ، رقم : ٥٨) ، (٢٢/١) .

(و) وأخرجه الترمذى فى سننه فى (كتاب الإيمان ، باب ماجاء أن الحياء من الإيمان) ، (رقم : ٢٦١٥) ، (١١/٥) ، قال أبوعيسى : هذا حديث حسن صحيح .

(ز) وأخرجه النسائى فى سننه فى (كتاب الايمان ، باب الحياء) ، (رقم : ٥٠٣٣) ، (١٢١/٨) .

(١) فتح البارى شرح صحيح البخارى ، (٧٤/١) .

(٢) خلق المرأة والمقابلة بين طبائعها وطبائع الرجل / هنرى ماريون ، تعريب : اميل زيدان ، (ط : ١٤٠٢/٢ هـ – ١٩٨٢ م) ، (الناشر : دار الرائد العربى – بيروت – لبنان) ، (ص : ٧٢) .

ويقول " أوجست كونت " :

(الحياء : جمال فى المرأة .. وفضيلة فى الرجل)[1]

نعم ان الحياء يزيد المرأة بهاء ويجعلها محبوبة من قبل الجميع مرغوب فيها ، فالمرأة الخيرة هى التى تتصف بالحياء ، والمرأة السوء هى التى تترك الحياء ، فالحياء بالنسبة للمرأة فى مقام الحارس الأمين الذى يحافظ عليها ويصون عفافها ، ويكون حاجزاً بينها وبين من يريد أن ينتهك حرماتها أو يتعدى عليها ، فهو يعلى شأنها ويباعد بينها وبين كل رذيلة لهذا فهو يجعلها كاللؤلؤة المكنونة والدرة المصونه .

كذلك الحال بالنسبة للرجل المتصف بالحياء فإنه يُحترم ويقدر لاتصافه بهذه الفضيلة التى تزيد من هيبته وعزته وكرامته وتقدير الآخرين له ، كما هو الحال فى عثمان رضى اللّٰه عنه ، " كيف أن الرسول صلى الله عليه وسلم أستحى منه ، والملائكة كانت تستحي منه .

وقال حكيم فارسي :

(أشد تهجيناً لمروءة النساء .. عدم الحياء)[2].

فهذا دليل على أن الحياء هو حامى الفضيلة اليقظ عند جميع البشر ولقد ذكرت أقوال بعض الغربيين فى الحياء لا للحاجة إليها ففى نصوص القرآن والسنه مايغنى عنها ، ولكن أوردتها لزيادة التأكيد على أهمية هذه الصفة النبيلة ، التى يشيد بها ويفضلها الجميع .

---

(١) روائع من اقوال الفلاسفه فى المرأة / سيد صديق عبدالفتاح ، (ص : ٧٥) .

(٢) المرجع السابق نفسه .

(ب) صفـــة الغيـــرة :

الغيرة تنقسم إلى قسمين :

محمودة ، ومذمومة ٠ فمتى كانت ملازمة للحق فهى محمودة ٠ ومتى جانبـت الحق فهى مذمومة

ووردت أحاديث صحيحة تصف لنا غيرة بعض أمهات المؤمنين رضوان اللّٰه عليهن جميعاً ٠ أمثال عائشه وأم سلمة ، وهن من هن مقاماً وإيماناً وتقـوى هؤلاء جميعاً لم يعب الرسول صلى اللّٰه عليه وسلم على واحدة منهن قط ، وإن كانت هذه الصفة تلصق عادة فى المرأة وتظهر فعلاً فى كثير من تصرفاتها ٠

ومن الذين أولوا هذه الصفة اهتماماً وذكروا الأحاديث الصحيحة التـى وردت فيها الإمام أبى عبداللّٰه البخارى[1] رحمه اللّٰه فقد خص فى صحيحـه بابا سماه " الغيرة " وبابا آخر سماه " غيرة النساء ووجدهن " ٠

وقد وردت أحاديث تمثل لنا غيرة الرجال منها :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ : قَالَ بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جُلُـوسٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي فـي الْجَنَّةِ ، فَإِذَا امْرَأَةٌ تَتَوَضَّأُ إِلَى جَانِبِ قَصْرٍ ، فَقُلْتُ : لِمَنْ هٰذَا ؟ قَالَ : هٰـذَا لِعُمَرَ ، فَذَكَرْتُ غَيْرَتَهُ فَوَلَّيْتُ مُدْبِراً " ، فَبَكَىٰ عُمَرُ وَهُوَ فِى الْمَجْلِسِ ، ثُـمَّ قَالَ : أَوَ عَلَيْكَ يَارَسُولَ اللّٰهِ أَغَارُ[2] .

ومن هؤلاء الرجال الذين اشتهروا بالغيرة : الزبير[3] بن العوام ٠

---

(١) هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخارى ، صاحب الجامع الصحيـح، أصح كتاب بعد كتاب اللّٰه ، ولد فى بخارى سنة (١٩٤ هـ) ، ونشـأ يتيماً ، ورحل فى طلب الحديث ، توفى فى قرية من قرى سمرقند ،سنـة (٢٥٦ هـ) ٠

ينظر : (طبقات الحفاظ / للسيوطى : ص : ٢٤٨) ، (خلاصة تذهيـب الكمال /للخزرجى : ٣٧٩/٢) ،(تاريخ الخميس / حسين بكرى :٣٤٢/٢)٠

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه فى (كتاب النكاح ،باب الغيرة) ،(رقم: ٥٢٢٦ – ٥٢٢٧) ،(٣٢/٧/٣) ٠

(٣) الزبير بن العوام بن خويلد الأسدى القرشى ، أبوعبداللّٰه (٢٨ ق هـ – ٣٦ هـ) : الصحابى الشجاع ،أحد العشرة المبشرين بالجنـة ،وأول من سلّ سيفه فى الإسلام وهو ابن عمة النبى صلى اللّٰه عليه وسلـم ==

ومن الأحاديث الصحيحة التى تصف لنا غيرة أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها : حديث غيرتها من السيده خديجه رضى الله عنها :

" عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ : ماغِرْتُ عَلَى امْرَأَةٍ لِرَسُولِ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ لِكَثْرَةِ ذِكْرِ رَسُولِ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِيَّاهَا وَثَنَائِهِ عَلَيْهَا ، وَقَدْ أُوحِيَ إِلَى رَسُولِ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُبَشِّرَهَا بِبَيْتٍ لَهَا فى الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ(١) "(٢).

ومما ورد أيضاً في غيرة النساء :

ماجاء عن أم سلمة رضى الله عنها قالت : جاءنى رسول الله صلى الله عليه وسلم "فخطبنى فقلت مامثلى ينكح أما أنا فلا يولد لى وأنا غيور -

---

== شهد عدد من الغزوات ، قتله ابن جرموز غيلة يوم الجمل .
ينظر : (حلية الأولياء / لابى نعيم : ٨٩/١) ،(الرياض النضرة / للمحب الطبرى : ص٢٦٢ - ٢٨٠) .
والذى يدل على غيرة الزبير بن العوام هو ماقصته زوجه أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنهما قالت : تزوجنى الزبير وماله فى الأرض من مال ولامملوك ولاشئ غير ناضح وغير فرسه ، فكنت أعلف فرسه واستقى الماء وأحرز غربه وأعجن ، ولم أكن أحسن أخبز ، وكان يخبز جارات لى من الأنصار ، وكن نسوة صدق ، وكنت أنقل النوى من أرض الزبير التى أقطعه رسول الله صلى الله عليه وسلم على رأسى ، وهى منى على ثلثى فرسخ فجئت يوماً والنوى على رأسى ، فلقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه نفر من الأنصار ، فدعانى ثم قال إخ إخ ليحملنى خلفه ، فاستحييت أن أسير مع الرجال ، وذكرت الزبير وغيرته وكان أغير الناس ، فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم أنى قد استحييت ، فمضى فجئت الزبير فقلت : لقينى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى رأسى النوى ، ومعه نفر من أصحابه ،فاناخ لاركب ،فاستحييت منه وعرفت غيرتك ،فقال : والله لحملك النوى كان أشد على من ركوبك معه ،قالت : حتى أرسل إلى أبوبكر بعد ذلك بخادم يكفينى سياسة الفرس ،فكأنما أعتقنى .
أخرجه البخارى فى صحيحه فى (كتاب النكاح ،باب الغيرة) ،(رقم : ٥٢٢٤) ،(٣١/٧/٣ - ٣٢) .

(١) قصب :لُؤلُؤٌ مُجَوَّف واسع كالقَصْرِ المُنِيف .
ينظر:(النهاية فى غريب الحديث والأثر/لابن الأثير) ،(٦٧/٤) .

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه فى (كتاب النكاح ،باب غيرة النساء ووجدهن) ،(رقم : ٥٢٢٩) ،(٣٢/٧/٣) .

وفي رواية : أنا امرأة غيرى ذات عيال . فقال صلى الله عليه وسلم : " أنا اكبر منك وأما الغيرة فيذهبها الله - وفي رواية " فأدعو الله فتذهب غيرتك - وأما العيال فإلى الله ورسوله فتزوجها "(١).

وبما أن الغيرة تعتبر في الغالب ملازمة لتصرفات المرأة فإنها لاتؤخذ عليها وخاصة إذا كانت هذه الغيرة لاتتجاوز المحرم قولاً وفعلاً فالشرع يعذرها على ذلك .

والدليل على هذا القول :

الحديث الذي رواه أَنَس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : " كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ بَعْضِ نِسَائِهِ ، فَأَرْسَلَتْ إِحْدَى أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ بِصَحْفَةٍ فِيهَا طَعَامٌ ، فَضَرَبَتِ الَّتِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِهَا يَدَ الْخَادِمِ ، فَسَقَطَتِ الصَّحْفَةُ(٢) فَانْفَلَقَتْ ، فَجَمَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِلَقَ(٣) الصَّحْفَةِ ، ثُمَّ جَعَلَ يَجْمَعُ فِيهَا الطَّعَامَ الَّذِي كَانَ فِي الصَّحْفَةِ ، وَيَقُولُ : غَارَتْ أُمُّكُمْ ثُمَّ حَبَسَ الْخَادِمَ حَتَّى أُتِيَ بِصَحْفَةٍ مِنْ عِنْدِ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا ، فَدَفَعَ الصَّحْفَةَ الصَّحِيحَةَ إِلَى الَّتِي كُسِرَتْ صَحْفَتُهَا ، وَأَمْسَكَ الْمَكْسُورَةَ فِي بَيْتِ الَّتِي كُسِرَتْ "(٤)

---

(١) الاصابة في تمييز الصحابه / لابن حجر العسقلاني ، (٤٥٨/٤ - ٤٥٩) .

(٢) الصحفة : إناء كالقصعة المبسوطة ونحوها وجمعها صحاف .
ينظر : (النهاية في غريب الحديث / لابن الأثير) ، (٣ / ١٣) .

(٣) فلق : الفلق مصدر فلق يفلق ، فلقاً شقه .
ينظر : (لسان العرب / لابن منظور ، (٣٩٠/١٠) .

(٤) (أ) أخرجه البخاري في صحيحه في (كتاب النكاح ، باب الغيرة) ، (رقم : ٥٢٢٥) ، (٣٢/٧/٣) ، بهذا اللفظ .
وفي (كتاب المظالم ، باب اذا كسر قصعة أو شيئا) ، (رقم : ٢٣٨١) ، (١١٩/٣/١) .

(ب) وأخرجه أبوداود في سننه في (كتاب البيوع ، باب فيمن أفسد شيئا يغرم مثله) ، (رقم : ٣٥٦٧) ، (٢٩٨/٣) .

(ج) وأخرجه الترمذي في سننه في (كتاب الاحكام ، باب فيمن يكسر له الشيء مايحكم له من مال الكاسر) ، (رقم : ١٣٥٩) ، (٣ / ٦٤٠) ، وقال أبوعيسى : هذا حديث حسن صحيح .

(د) وأخرجه النسائي في سننه في (كتاب النساء ، باب الغيرة) ، (رقم : ٣٩٥٥) ، (٧٠/٧ - ٧١) .

قال الإمام ابن حجر عند شرحه لهذا الحديث :

(فيه إشارة إلى عدم مؤاخذة الغيراء بما يصدر منها،لأنها فى تلك الحالة يكون عقلها محجوباً لشدة الغضب الذى أثارته الغيرة وقد أخرج أبويعلى بسند عن عائشة مرفوعاً : " ان الغيراء لاتبصر أسفل الوادى من أعلاه ")(١)

ويقول الامام ابن حجر فى شرحه لباب غيرة النساء ووجدهن :

(وأصل الغيرة غير مكتسب للنساء لكن إذا أفرطت فى ذلك بقدر زائد عليه تلام - وكذلك للرجال - وضابط ذلك ماورد فى الحديث الآخر عن جابر بن عتيك الأنصارى رفعه " أن من الغيرة مايحب اللّٰه،ومنها مايبغض اللّٰه،وأما المرأة فحيث غارت من زوجها فى ارتكاب محرم اما بالزنا واما بنقص حقها وجوره عليها لضرتها ، وإيثارها عليها فإذا تحققت ذلك أو ظهرت القرائن فيه فهى غيرة مشروعة فلو وقع ذلك بمجرد التوهم من غير دليل فهى الغيرة فى غير ريبة وهى المبغوضة ، وأما إذا كان الزوج مقسطاً عادلاً وأدى لكل من الضرتين حقها فالغيرة منهما إن كانت فى الطباع البشرية التى لم يسلم منها أحد من النساء فتعذر فيها مالم تتجاوز إلى مايحرم عليها من قول أو فعل وعلى هذا يحمل ماجاء عن السلف الصالح من النساء فى ذلك)(٢).

مما تقدم يتضح لنا إن تعريف الغيرة :

(بأنها كراهية شركة الغير فى حقه)(٣)

(وانها تطلق على تغير القلب وهيجان الغضب بسبب المشاركة فيما به الاختصاص ، وأشد مايكون ذلك بين الزوجين هذا فى حق الآدمى).(٤)

قال هنرى ماريون :

(الغيرة مزيج من حبّ الذات وحب الغير . وتكاد تكون هذه العاطفة من مميزات النساء قال أحدهم : تغار المرأة على كل شئ:على زوجها وعلى أولادها تزوجوا أو لم يتزوجوا ، وعلى صديقاتها ... الخ ومما يوّجج نار

---

(١) فتح البارى شرح صحيح البخارى ، (٣٢٥/٩) .

(٢) فتح البارى شرح صحيح البخارى ، (٣٢٦/٩) .

(٣) التعريفات / للجرجانى ، (ص : ١٦٣) .

(٤) فتح البارى شرح صحيح البخارى / لابن حجر ، (٣٢٠/٩) .

الغيرة فى قلبها الحساس خيالها الذى يخلق لها فى بعض الأحيان عالماً وهمياً لا وجود له إلا فى مخيلتها)[١]

فالغيرة بين الزوجين إن كانت فى حدود المعقول فهى دليل صحة ، لانها تساعد على حفظ كيان الأسرة من التصدع ، أما حين تصل الى درجة المغالات ، فتتحول إلى الغيرة المذمومة وتصل إلى حد الشك ، والعياذ بالله ، وتتسبب فى كثير من المشاكل وتضر كل من حولها وتهلك الحرث والنسل ، وتشتت أفراد الأسرة ، فمن الطبيعى أن تنتهى الحياة بينهما فلا هى ترضى أن تستمر حياتها مع رجل يشك بها ولا هو كذلك .

فإن مثل هذا لا يسمى غيرة إنما هو مطاوعة للشيطان ووساوسه ليفرق بينهما .

فالغيرة التى لابد أن تكون فى قلب كل مؤمن ذكراً كان أو أنثى هى: الغيرة على محارم الله أن تنتهك . والذى نلاحظه فى الواقع : أن الغيرة وإن كانت مشاعة ، إلا أنها فى الغالب تلازم المرأة .

وبناء على هذا يقول عباس محمود العقاد :

(إن الغيرة ثمرة الحب والأثرة والخوف ، وهذه الثلاثة تثمر في طبائع النساء ماليست تثمرة فى طبائع الرجال .. فهؤلاء يغارون ، ولكن أحرى الفريقين بالزيادة من هم أحرى بالإشفاق وأكثر صفقة بالضياع)[٢]

---

(١) خلق المرأة والمقابلة بين طبائعها وطبائع الرجل ،(ص : ٦٩) .

(٢) روائع من اقوال الفلاسفه والعظماء فى المرأة / سيد صديق عبدالفتاح، (ص : ١٦٤) .

(ج) صفة الكيد :

(الكيد هو : التدبير بباطل أو حق ، والمخاتلة ، وإظهار ماهم على خلافه ، والاستدراج والاحتيال والمراوغة والمعالجة والحيلة)(١)

وعرفه الجرجانى(٢) :

(بأنه إرادة مضرة الغير خفية . وهو من الخَلق : الحيلة السيئة ومن اللّه : التدبير بالحق لمجازاة أعمال الخلق)(٣).

والكيد كالصفتين السابقتين فهو صفة مشاعة إلا إنها بصورة أخص صفة ملازمة للمرأة بحكم حساسيتها المرهفه وسرعة اندفاعها نحو ماتبتغيه أو تصر عليه، فهي تندفع خلف عواطفها الجياشه غير المستقره وميولها ومخيلاتها واوهامها فهذه جميعاً تجعلها تستعمل الكثير من الوسائل والطرق فى سبيل الحصول على غايتها التى تهدف إليها ، وقد يكون الكيد أحد هذه الوسائل لذلك ورد ذكر كيدهن فى القرآن فى قصة يوسف وامرأة العزيز فقال تعالىٰ :

﴿ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾

(سورة يوسف ، الآية " ٢٨ ")

وقال تعالى على لسان يوسف :

﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ﴾

(سورة يوسف ، الآيتان " ٣٣ ، ٣٤ ")

---

(١) لسان العرب لابن منظور ، (٣/٣٨٣ - ٣٨٤) .

(٢) هو على بن محمد بن على السيد الزين الجرجانى ، من كبار علماء العربيه ، ولد فى (تاكو) سنة (٧٤٠ هـ) ، ودرس فى شيراز ، وتوفى بها سنة (٨١٦ هـ) ، له كتاب (التعريفات) ، (شرح مواقف الإيجي) .
ينظر : (الضوء اللامع / للسخاوى : ٥/٣٢٨) ، (مفتاح السعاده / لطاشكبرى زاده : ١/١٦٧) .

(٣) التعريفات / للجرجانى ، (ص : ١٩٩) .

فى هذه الآيات يتبين لنا أن هناك بعض أنواع من النساء قد تندفع وراء العاطفة المفرطة المزيفة فتهوي بها إلى الرذيلة وذلك كله يكون لتحقيق ماترنوا إليه من طلب لذة أو متعة أو لهو دنيوى موّقت زائل،فإنها -والعياذ بالله-تطلب تحقق حاجتها مهما كانت وأين ماكانت ، ومهما ساءت النتيجة ، وإذا فشلت فى ذلك وفاتها ماتصبوا إليه انتقمت لنفسها واستعملت الكيد غالباً للحصول على مرادها والوصول إلى مبتغاها بالحيلة والتدبير والموّامرة ، هذا إذا مافقدت الوازع الدينى والرادع الإيمانى ، أما من يكون إيمانها بمثابة الحارس الأمين الذى يراقبها ويراقب كل تحركاتها بحيث إنها لاتخطو خطوه إلا فى إطار ذلك الإيمان ولاتخرج عن محيطه وتشريعاته وأنظمته وقوانينه ،أما الأخرى التى اتصفت بهذا الخلق السيىء فكانت كل حياتها كيد بكيد ماذا تجنى فى الآخرة غير الآثام والذنوب حيث إنها قد تكون ممن يستخدمن الكيد للأخريات ولايعلمن عنها ألا تعلم أن هناك العليم الحكيم الذى يعلم مايخفى فى الصدور وماتكنه القلوب يطلع عليها وعلى كيدها ، وأين يذهب كيدها إلى جانب كيده المتين اللائق بجلاله وعظمته .

ويقول صاحب كتاب المرأة المعاصرة :
(فالكيد عند المرأة لايخرج فى مبتغاه عن أن يكون عوضاً عما فقدته من نقص وظاهرة الكيد والخداع – بدون شك – موجودة عند كل النساء ، لكن بنسب متفاوته ، واللائى يفتقرن لهذه الظاهرة نزر قليل ، كما ولا أبعد تأثيرهن على الرجال ، فالكيد والخداع إن وجد عند الرجال من الآفات الكبيرة التى توّدى إلى التهلكة)(١)

وقال بعض العلماء : (إنى أخاف من النساء مالا أخاف من الشيطان ، فإنه تعالىٰ يقول : " إن كيد الشيطان كان ضعيفاً " وقال للنساء :" ان كيدكن عظيم " ولأن الشيطان يوسوس مسارقة وهن يواجهن به الرجال)(٢)

---

(١) عبدالرسول عبدالحسن الغفارى ، (ص : ١٦١) .
(٢) حسن الأسوة بما ثبت عن الله ورسوله فى النسوة /محمد صديق خان القنوجى البخارى ،حققه وعلق عليه /د. مصطفى سعيد الخّن ومحيى الدين مستو ، (ط:٢/١٤٠١هـ – ١٩٨١م) ، (الناشر:موّسسة الرسالة) ، (ص :١٦١) .

(د) صفة السخرية والاستهزاء :

إن صفة السخرية من أفتك الآفات التى تغتال مشاعر الأخوه فى المجتمعات الإسلامية وهذا كثيراً ماتدفع إليه شدة الحساسية والانفعال عند المرأة إذا لم يسعفها الوعى الدينى والتوجيه الربانى الحكيم نجدها تندفع نحو الإساءة إلى الأخريات والسخرية منهن والاستهزاء بهن لتحقيق التفوق الذى تصبو إليه على غيرها من بنات جنسها .

فإنها بذلك تعمد إلى الاستخفاف بالغير وانتقاصهم واحتقارهم بالسخرية والتهكم فهذا (أمر لو لم يؤثمه الدين لأنكره العقل ورفضته المروءة،وجفاء المنطق،ولفظه العدل والإنصاف)[1].

لكن صفة السخرية لاتختص بها المرأة وحدها دون الرجل إلا أنها لدى المرأة أظهر مما هى عند الرجل لذلك ورد النهى عنها فى كتاب الله بصيغة التخصيص فقال تعالىٰ :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ ﴾

(سورة الحجرات ، الآية "١١")

قال الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور :

(وخص النساء بالذكر مع أن القوم يشملهم بطريق التغليب العرفى فى الكلام ، كما يشمل لفظ " المؤمنين " المؤمنات فى اصطلاح القرآن بقرينة مقام التشريع ، فإن أصله التساوى فى الاحكام الا ماقتضى الدليل تخصيص

---

(١) التفسير القرآنى للقرآن /لعبدالكريم الخطيب ،(٤٤٨/٢٦/٧) .

أحد الصنفين به دفعاً لتوهم تخصيص النهى بسخرية الرجال إذ كان الاستسخار متأصلاً فى النساء ، فلأجل دفع التوهم الناشئ من هذين السيئين على نحو ماتقدم فى قوله من آية القصاص " والأنثى بالأنثى " فى سورة العقود)[١].

ويقول سيد قطب فى تفسيره لهذه الآية :

(ان اللّٰه ينهاهم أن يسخر قوم بقوم ، أى رجال برجال ، فلعلهم خير منهم عند اللّٰه ،أو أن يسخر نساء من نساء ، فلعلهن خير منهن فى ميزان اللـه ، وفى التعبير إيحاء خفى بأن القيم الظاهرة التى يراها الرجال فى أنفسهم ، ويراها النساء فى انفسهن ، ليست هى القيم الحقيقية التى يوزن بها الناس ، فهناك قيم أخرى قد تكون خافية عليهم • يعلمها اللّٰه ويزن بها العباد وقد يسخر الرجل الغنى من الرجل الفقير • والرجل القوى من الرجل الضعيف ، والرجل السوى من الرجل المؤوف • وقد يسخر الذكى الماهر من الساذج الخام • وقد يسخر ذو الأولاد من العقيم وذو العصبة من اليتيم•••• وتسخر الجميلة من القبيحة ، والشابة من العجوز ، والمعتدلة من المشوهة ، والغنية من الفقيرة •• ولكن هذه وامثالها من قيم الأرض ليست هى المقياس ، فميزان الله يرفع ويخفض بغير هذه الموازين !)[٢] •

قال أحمد مصطفى المراغى :

(وأتى بالجمع فى الموضعين ، من قِبَلِ أن الأغلب فى السخرية أن تكون فى مجامع الناس ، وكم من متلذذ بها ، وكم من متألم منها)[٣].

فالسخرية والاستهزاء من رذائل الأخلاق التى ينبغى أن نتجنبها ، امتثالاً وطاعةً لأمر اللّٰه ، حيث نهانا كما رأينا فى محكم التنزيل عن هذا الخلق السيئ ، لعلمه جلّ وعلا بالنتائج التى تحدث عندما يتصف المسلمون بهذا

---

(١) تفسير التحرير والتنوير ، (٢٤٧/٢٦/١٢) •
(٢) فى ظلال القرآن ، (٣٣٤٤/٢٦/٦) •
(٣) تفسير المراغى ، (١٣٤/٢٦/٩) •

الخلق ويتخذونه أسلوباً ومنهجاً لحياتهم وهذه النتائج السلبية هي : عدم تماسك المجتمع المسلم ، والقضاء على روح المحبة والألفه ، فيصاب المسلمون بالذل والهوان أمام الآخرين حيث إن أفراده أصبحوا أعداء متفرقين لتفشى هذا الخلق الردئ بينهم .

وأقول كلمة حق فى هذا المقام : إن هذه الصفة وغيرها من الصفات أكثر ماتتصف بها النساء على مختلف مستوياتهن - إلا من تداركتها رحمة من الله - .

وإننى أعجب كثيراً وأتساءل ، لماذا تكون هذه السخرية وهذا الاستهزاء من الآخرين ؟ ونحن جميعاً نعلم أن الخالق هو الله ، والرازق هو الله ، والمدبر لكل مافى الكون هو الله ، إذاً هؤلاء يسخرون - والعياذ بالله - من هذا الخالق حيث إن هذا المخلوق ليس بيده شئ من تغيير خلق أو رزق، ولكن بيده تغيير أخلاقه وتحسينها والرفع من مستواه الخُلقي بين الناس بتجنبه لكل الرذائل وسفاسف الأمور، واتباعه لكل المحاسن والفضائل ، حيث إن الله العادل ليس كالبشر الظالمين، فإنه سبحانه لاينظر إلا للقلوب وما تنطوى عليه من نوايا، وإلى الأعمال التى تترجم مافى هذه القلوب ومما يؤكد هذا قوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الذى رواه أَبُوهُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " ... إِنَّ اللَّهَ لَايَنْظُرُ إِلَىٰ أَجْسَادِكُمْ وَلاَ إِلَىٰ صُوَرِكُمْ . وَلَٰكِنْ يَنْظُرُ إِلَىٰ قُلُوبِكُمْ "(١) وَأَشَارَ بِأَصَابِعِهِ إِلَىٰ صَدْرِهِ .

---

(١) جزء من حديث ورد مع اختلاف يسير فى ألفاظه من زيادة أو نقص هذا نصه :
" عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ ، وَلَاتَجَسَّسُوا ، وَلَا تَحَسَّسُوا ، وَلَاتَحَاسَدُوا ، وَلَاتَبَاغَضُوا ، وَلَاتَدَابَرُوا ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَاناً كَمَا أَمَرَكُمْ ، المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ ، لَايَظْلِمُهُ ، وَلَايَخْذُلُهُ ، وَلَايَحْقِرُهُ ، التَّقْوَىٰ هٰهنا ، التقوى هٰهنا ، التقوى هٰهنا - وَيُشِيرُ ==

(وهذا إيماء إلى أن المرء لايقطع بمدح أحد أو عيبه كما يرى عليه من صور أعمال الطاعة او المخالفة ، فلعل من يحافظ على الأعمال الظاهرة يعلم اللّٰه من قلبه وصفاً مذموماً لاتصح معه تلك الأعمال ،ولعل من رأينا منه تفريطاً أو معصية يعلم اللّٰه من قلبه وصفاً محموداً يُغْفَر له بسببه ، فالاعمال أمارات ظنية لا أدلة قطعية .

وقيل من سعادة المرء أن يشتغل بعيوب نفسه عن عيوب غيره قال الشاعر :

== إِلَىٰ صَدْرِه – بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ : أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ : دَمُهُ ، وَعِرْضُهُ ، وَمَالُهُ ، إِنَّ اللّٰهَ لَايَنْظُرُ إِلَىٰ أَجْسَادِكُمْ ، وَلَا إِلَىٰ صُوَرِكُمْ . وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَىٰ قُلُوبِكُمْ " وفى رواية بزيادة " وَأَعْمَالِكُمْ " .

(أ) أخرجه الإمام مالك فى الموطأ فى (كتاب حسن الخلق ، باب ماجاء فى المهاجرة) ، (رقم : ١٥) ،(٩٠٧/٢ – ٩٠٨) .

(ب) وأخرجه البخارى فى صحيحه فى (كتاب النكاح ،باب لايخطب على خطبه أخيه ...) ،(رقم : ٥١٤٢) ،(١٧/٧/٣) .
وفى (كتاب الأدب ، باب ماينهى عن التحاسد والتدابر)، (رقم : ٦٠٦٤ – ٦٠٦٥) ، (١٦/٨/٣ – ١٧) .
وفى (كتاب الأدب ، باب " ياأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ...)، (رقم : ٦٠٦٦) ، (١٧/٨/٣) .
وفى (كتاب الفرائض ، باب تعليم الفرائض)، (رقم : ٦٧٢٤) ، (١٢٥/٨/٣) .

(جـ) وأخرجه مسلم فى صحيحه فى (كتاب البر والصلة ، باب تحريم الظن والتجسس والتنافس) ، (رقم : ٢٥٦٣) ،(١٩٨٥/٤– ١٩٨٦)

(د) وأخرجه مسلم فى صحيحه فى (كتاب البر والصلة ،باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ...) ،(رقم :٢٥٦٤) ،(١٩٨٦/٤– ١٩٨٧)، بهذا اللفظ .

(هـ) وأخرجه أبوداود فى سننه فى(كتاب الأدب ،باب الغيبه) ،(رقم:٤٨٨٢) (٢٧٠/٤) .
وفى (كتاب الأدب ، باب الظن) ، (رقم : ٤٩١٧) ، (٢٨٠/٤) .

(و) وأخرجه الترمذى فى سننه فى (كتاب البر والصلة ،باب ماجاء فى شفقة المسلم على المسلم) ،(رقم:١٩٢٧) ،(٣٢٥/٤) .

لاتكشفن من مساوى الناس ماستروا ... فيهتك الله ستراً عن مساويكا
واذكر محاسن مافيهم إذا ذكروا ... ولاتعب أحداً منهم بما فيكا

وبناءً على ذلك يجب على المؤمنين رجالاً كانوا أو نساءً أن يكونوا كنفس واحدة وأن يلتزموا بآداب القرآن الكريم فمتى عاب المؤمن أخاه المؤمن فكأنه عاب نفسه وسخر منها، انطلاقاً من مبدأ قوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الذى رواه عنه أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " لَايُؤْمِنُ (١) أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَايُحِبُّ لِنَفْسِهِ (٢) ") (٣).

فيجب على المؤمنين جميعاً ذكورهم وإناثهم البعد عن هذا الخلق السيئ وذلك بتدريب اللسان وتعويده على أن ينطق دائماً بأحسن الألفاظ وأنبلها والتحكم به عن النطق بكل قبيح حتى لايقعوا فى الإثم .

---

(١) قال العلماء رحمهم الله : معناه لايؤمن الإيمان التام . وإلاَّ فأصل الإيمان يحصل لمن لم يكن بهذه الصفه .
ينظر : التعليق على صحيح مسلم / لمحمد فؤاد عبدالباقى ، (٦٧/١) .

(٢) (أ) أخرجه البخارى فى صحيحه فى (كتاب الإيمان ، باب من الإيمان أن يحب لأخيه مايحب لنفسه) ، (رقم : ١٣) ، (٩/١/١) ، واللفظ له .
(ب) وأخرجه مسلم فى صحيحه فى (كتاب الإيمان ، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه ...) ، (رقم :٤٥) ،(٦٧/١) .
(جـ) وأخرجه ابن ماجه فى سننه فى (المقدمه) ،(رقم : ٦٦) ،(١/ ٢٦) .
(د) وأخرجه الترمذى فى سننه فى (كتاب صفة القيامة ، باب :٥٩)، (رقم : ٢٥١٥) ،(٦٦٧/٤) . وقال : حديث صحيح .
(هـ) وأخرجه النسائى فى سننه فى (كتاب الإيمان ،باب علامة الإيمان) ،(رقم : ٥٠١٦ - ٥٠١٧) ،(١١٥/٨) .

(٣) تفسير المراغى / أحمد مصطفى المراغى ، (١٣٤/٢٦/٩ - ١٣٥) .

(هـ) قوة الاندفاع وسرعة الانفعال :

فسرعة الإنفعال وللاسف الشديد هى الصورة التى تتجلى بهـا إرادة المرأة فى معظم الأحيان مع رقة المرأة وعطفها وحنانها،فالعاطفه التى تشغل قلبها لاتلبث أن تتضخم فيه وتقوى على سائر العواطف فيحدث لها شبه ثوران من جراء الضغط الذى تتحمله كأنها تنتقم لنفسها بحدتها وسرعة اندفاعها وعدم تريثها . وهو بالطبع خلق سيىء،ولاتحمد عليه بل تذم فى الدنيا ممن حولها،وتكون غير مرغوب بها،وفى الآخرة ـ والعياذ بالله ـ يكون مصيرها النار ، وقد ورد بيان ذلك الوصف وعاقبته الوخيمه فى السنه الشريفه :

عَن ابن عَبّاسٍ ، قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلّىَ اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "أُرِيتُ النّارَ فَإِذا أَكْثَرُ أهْلِهَا النِّسَاءُ ، يَكْفُرْنَ(١) قيلَ : ايكفرن بِاللّٰهِ ؟ قَالَ : يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ(٢) وَيَكْفُرْنَ الإحْسَانَ : لَوْ أحْسَنْتَ إلَى إحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ ثُمَّ رَأتْ منك شَيْئاً قَالَتْ مَارَأيْتُ منك خَيْراً قَطُّ "(٣).

---

(١) يكفرن : أى يجحدن إحسان أزواجهن .
ينظر : (النهاية فى غريب الحديث والاثر / لابن الأثير)،(١٨٧/٤).

(٢) العشير : يريد الزوج المعاشر ، كالمصادق فى الصديق ، لانها تعاشره ويعاشرها وهوفعيل من العشرة : الصحبة .
ينظر : (النهاية فى غريب الحديث والاثر /لابن الأثير) ،(٢٤٠/٣).

(٣) (أ) أخرجه الإمام مالك فى الموطأ فى (كتاب صلاة الكسوف ، باب العمل فى صلاة الكسوف) ،(رقم : ١ – ٢) ،(١٨٦/١ – ١٨٧).

(ب) وأخرجه البخارى فى صحيحه فى (كتاب الإيمان ،باب كفران العشير وكفر بعد كفر فيه) ،(رقم : ٢٩) ،(١١/١/١ – ١٢)، بهذا اللفظ .

وفى (كتاب الكسوف ، باب صلاة الكسوف جماعة)،(رقم : ١٠٥٢) ، (٣٣/٢/١) .

وفى (كتاب المساجد ، باب من صلى وقدامه تنور أو نار أو شىء مما يعبد فأراد به الله) ، (رقم : ٤٣١) ،(١ / ٧٩/١) .

فقوة الإندفاع،وسرعة الإنفعال،والحساسية المفرطة ، تجعل المرأة تصدر الحكم دون تريث وتفكير ، وتنسى فى لحظة كل ما أُسدي إليها من قبل زوجها من معروف وإحسان فتنكر ذلك وتدعي أنها لم ترَ منه خيراً قط ٠

وهو فعلاً أمر ملاحظ وواقع فى مجتمع النساء ، لذلك ورد التحذير لمثل هؤلاء النسوة اللاتى يصدر منهن هذا الخلق الرذيل ، وبيان العقوبة التى تلحقهن وهى النار أعاذنا اللّه منها ٠

بعد أن بين لنا نبى الهدى والخير النتيجه الحتمية لمن اتصفت بهذا الخلق السيىء لابد إذاً من تلطيف هذا الخلق بالتربية الصالحة ، وذلك لتستطيع أن تملك إرادتها الإنفعاليه،وتسيطر على تصرفاتها،وتتحكم بها بدلاً من أن تكون عرضة للأهواء الضالة والانفعالات التى لاتحمد عقباها فتأثم ، فلابد للمرأة المؤمنة أن يكون إيمانها بمثابة الرقيب الحسيب عليها حتى لاتقع فى مثل تلك الأخطاء ، فنحن جميعاً نعلم أن مخرج الكلام واحد فلماذا لانعتاد على تحسين الألفاظ ونجعل اللسان يلهج دائماً بالشكر والثناء للّه سبحانه وتعالى فى السراء والضراء ،ونعترف بفضل الآخرين

== وفى (كتاب صفة الصلاة ، باب رفع البصر الى الامام فى الصلاة) ، (رقم : ٧٤٨) ، (١٢٤/١/١) ٠
وفى (كتاب بدء الخلق ، باب صفة الشمس والقمر)، (رقم : ٣٢٠٢) ، (٨٦/٤/٢) ٠
وفى (كتاب النكاح ، باب كفران العشير) ، (رقم : ٥١٩٧)، (٢٧/٧/٣ – ٢٨) ٠

(جـ) وأخرجه مسلم فى صحيحه فى (كتاب صلاة الكسوف ،باب ماعرض على النبى صلى اللّه عليه وسلم)،(رقم:٩٠٧و٩٠٨و٩٠٩)،(٦٢٦/٢–٦٢٧)

(د) وأخرجه ابوداود فى سننه فى (كتاب الصلاة ،باب من قال :صلاة الكسوف أربع ركعات) ،(رقم:١١٨١ – ١١٨٣) ،(٣٠٧/١ – ٣٠٨)

(هـ) وأخرجه الترمذى فى سننه فى (كتاب الصلاة ،باب ماجاء فى صلاة الكسوف) ،(رقم : ٥٦٠) ،(٤٤٦/٢ – ٤٤٧) ، وقال أبوعيسى : حسن صحيح ٠

(و) وأخرجه النسائى فى سننه فى (كتاب الكسوف ، باب قدر القراءة فى كسوف الشمس)،(رقم: ١٤٩٣) ،(١٤٦/٣ – ١٤٧ – ١٤٨)٠

فنشكرهم من زوج أو غيره انطلاقاً من قوله صلى اللّه عليه وسلم فى الحديث الذى رواه أَبُوسَعِيدٍ ٱلْخُدْرِيُّ رَضِىَ اللّٰهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللّٰهِ صَلّىَ اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ : " مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللّٰهَ "(١).

وقوله فى الحديث الذى رواه عَبْدُاللّٰهِ بْنِ عُمَرَ رَضِىَ اللّٰهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللّٰهِ صَلّىَ اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " مَنْ ٱسْتَعَاذَ بِاللّٰه فَأَعِيذُوه ، وَمَنْ سَأَلَ بِاللّٰه فَأَعْطُوهُ ، وَمَن دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوا وَمَنْ صَنَعَ اَلَيْكُمْ مَعْرُوفاً فَكَافِئُوهُ ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَاتُكَافِئُونَهُ فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ "(٢).

ففى الحديثين حث على الاعتراف بالإحسان والشكر عليه ، وبيان أن من كان طبعه وعادته جحود نعمة الناس ، وترك الشكر لهم ، فإنه سيكون من عادته كفر نعمة اللّه . وخص الحديث النساء بالذكر لإن المرأة عندها القابلية للتأثر والانفعال فهى سريعة الهيجان وعواطفها غير مستقره وشديده .

فيلاحظ على المرأة فى الغالب الانفعال الجسمانى، وهو ترجمان الانفعال النفسانى حيث ان تكوينها الجسمانى يجعلها أشد تعرضاً للاضطراب العصبى .

---

(١) (أ) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده فى (٢٨٥/٢ ، ٢٩٥ ، ٣٠٣ ، ٣٨٨، ٤٦١ ، ٤٩٢) ، (٣٢/٣ ، ٧٤) ، (٢٧٨/٤ ، ٣٧٥) ، (٢١١/٥ - ٢١٢) مع إختلاف يسير فى ألفاظ الحديث .

(ب) وأخرجه أبوداود فى سننه فى (كتاب الأدب ، باب فى شكر المعروف) ، (رقم : ٤٨١١) ، (٢٥٥/٤) .

(ج) وأخرجه الترمذى فى سننه فى (كتاب البر والصلة ، باب ماجاء فى الشكر لمن أحسن اليك) ، (رقم : ١٩٥٤ - ١٩٥٥) ، (٤ / ٣٣٩) ، واللفظ له ، قال ابوعيسى : حديث حسن صحيح .

(٢) (أ) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده فى (٩٩/٢) .

(ب) وأخرجه أبوداود فى سننه فى (كتاب الزكاة ، باب عطية من سأل باللّه) ، (رقم : ١٦٧٢) ، (١٢٨/٢) واللفظ له .

(ج) وأخرجه النسائى فى سننه فى (كتاب الزكاة ، باب عطية من يسأل باللّه) ، (رقم : ٢٥٦٧) ، (٨٢/٥) ، واسناده صحيح، ينظر : جامع الأصول (٦٩٢/١١) الهامش .

فهى تنفعل لاتفه الأسباب،وتندفع بصورة لايتخيلها العقل حتى إنها إذا أحبت لم تر عيباً فيمن تحب وانجرفت خلفه ، وإن كان على غير صواب ، وإذا كرهت لم ترَ أي فضيلة فيمن كرهته وإن كان أفضل الناس وله عليها جميل وإحسان ومعروف . فلا تعرف حالة وسط فهى متى أملّت شيئاً أملته بكل جوارحها،وإذا رغبت فى شئ بذلت كل قواها فى سبيل إدراكه والحصول عليه ، وقلما يستطيع أحد أن يردعها ويوقفها عند حدها إذا لم يكن الوازع الدينى يردعها ويوقفها فى الوقت المناسب حتى لاتضرّ نفسها وغيرها بهذا الخلق السيئ .

فالله سبحانه وتعالى خلق النفس البشرية وقال فيها :

﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ ﴾

(سورة الشمس ، الآية " ٨ ")

فطالما أن المرأة مكلفة وقد ألهمها الله التمييز بين الأمرين بالإدراك والإرشاد الإلهى ، وتعلم أن التى تزكى نفسها بأن تختار لها،مابه كمالها ودفع الرذائل عنها،وتتبع ماألهمه الله لها من التقوى يكون مصيرها الفلاح والفوز بالجنه . أما من تطاوع هواها ونفسها الأمارة بالسوء،وتطاوع الوسواس الخناس فأنهالاشك ستخسر حيث اختارت الفجور والغى والضلال، فتندفع بقوة،وتنفعل بسرعة،وتنسى النعم،وتجحد فضل اصحابها،فيكون مصيرها الخيبه والخسران فى النار . لهذا قال تعالىٰ :

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ ﴾

(سورة الشمس ،الآية " ٩ " ،"١٠")

ولكن ليس كل النساء كذلك إنما أغلبهن على هذا الحال،لهذا ورد التحذير منه وذكره ضمن نصوص السنة النبوية ، والقرآن الكريم يقدم لنا صور مختلفة لنماذج من قوة الاندفاع وسرعة الانفعال فكان منهن من غلبهن الهوى فكن مثاليات زكا عندهن العقل واندفعن وراء الحق ومن أمثلة النساء المتبصرات اللاتى عرفن الحق وأذعن له واندفعن فى طريق الإيمان بالرغم من تعكر الجوّ المحيط بهن ، قال تعالىٰ :

﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ
قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ
وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ
عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا
وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾ ﴾

(سورة التحريم ، الآية " ١٢،١١")

ويقابل هذا التعقل من المرأة، وحكمتها، وقوة إيمانها، واستسلامها للحق ، واندفاعها فى طريق الإيمان طغيان امرأة أبى لهب، وصدود أمرأة نوح، وظلم زوجة لوط وعلى الرغم من أن هاتين الأخيرتين كانتا تحت عبدين من عباد اللّه الصالحين ، فلم يغنيا عنهما من اللّه شيئاً ، ولم يؤثر فيهما صلاح زوجيهما لذلك ضرب اللّه بهما المثل فقال تعالىٰ :

﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا
لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ
عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا
مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾

(سورة التحريم ، الآية "١٠")

أما من اندفعت نحو الشر لمحاربة ومقاومة الدين هى وزوجها لمحاولة إطفاء نور اللّه فصورها القرآن بما استحقته وعاقبها الله بما قدمت يداها .

﴿ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾ ﴾

(سورة المسد ، الآية " ٤ ")

فهذا مصير كل من تتبع طريق الطغيان وتندفع فى الهاوية وتنفعل لأتفه الاسباب .

(و) حب الزينه والضعف فى الخصومة :

من مقتضى الفطرة أن المرأة تنشأ وتتربى وتترعرع منذ نعومة أظفارها على حب الزينه فى كل مكان وزمان وذلك بحكم أنوثتها . والزينة نسبية تختلف بإختلاف الأشخاص وبإختلاف الأمم. والمرأة تميل من ذات نفسها إلى إظهار زينتها وجمالها وفتنتها، وتحاول بشتى الوسائل أبراز مفاتنها، وتتزين بأنواع الزينة ، وتعتنى بنفسها . وقد أباح الله لها أن تقوم بذلك ، لذلك نراه تعالىٰ يقول فى محكم كتابه :

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾

(سورة النحل ، الآية " ١٤ ")

(والمقصود بالحلية هى اللؤلؤ والمرجان والمراد بلبسهم لبس نسائهم ، لأنهن من جملتهم ولأنهن إنما يتزينّ بها من أجلهم ، فكأنها زينتهم ولباسهم)(١).

وجاء فى السنة النبوية مايؤكد هذه الاباحة فعَنْ أَبي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "حُرِّمَ لِبَاسُ الْحَرِيرِ وَالذَّهَبِ عَلَى ذُكُورِ أُمَّتِي وَأُحِلَّ لِإِنَاثِهِمْ "(٢)

---

(١) الكشاف / للزمخشرى ، (٤٠٤/٢) ،وينظر : مفاتيح الغيب / للإمام الرازى ، (٦/٢٠/١٠) .

(٢) (أ) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده فى (٣٢٩/٤ - ٣٩٣ ، ٤٠٧) .
(ب) وأخرجه أبوداود فى سننه فى (كتاب اللباس ، باب فى الحرير للنساء) ، (رقم : ٤٠٥٧) ، (٥٠/٤) . ==

فالشارع الحكيم أباح لها الحلى،من ذهب وفضة ولؤلؤ ومرجان،على شرط أن لايشغلها ذلك ولا يكون هو كل همها فى حياتها فتهمل وظيفتها الأساسية التى خلقها الله لها . وأن تكون زينتها هذه لزوجها حتى يراها دائماً فى صورة تجذبه إليها . وتحببه فيها لا لغيره من الرجال الأجانب ، ومما يؤسف له أن الكثير من النساء تعتنى بنفسها وبزينتها وبعد الزواج تهمل تلك الزينه وكإنها كانت تتزين فقط لتتزوج وبعد الزواج انتهى ماكانت تريده من زينتها السابقة وتحقق.وهذا خطأ كبير تقع فيه الكثير من النساء فإن هذا التقصير فى الزينة التى أساسها النظافة يعتبر تقصير فى حق الزوج،لأنها تعمل بذلك على إبعاد زوجها من حيث لاتشعر وتنفره منها خاصة إذا لاحظ أنها تتزين عند خروجها للزيارات ، لأن الزوج يرغب فى أن تلقاه زوجته بأبهى مظاهرها من نظافةجسم وثياب ، وطلاقة وجه وبسمة ثغر ، لتحوز على قلبه فيكون لها مكانة عالية وسامية،لأنه يعلم أنها لم تفعل ذلك إلا تقديراً وإعزازاً له .

وهؤلاء نساء السلف الصالح كن حريصات على معرفةحدود الزينة المباحة لهن :

قال القرطبى : (قيل لعائشه رضى الله عنها : ياأم المؤمنين ، ماتقولين فى الخضاب والصباغ والتمائم والقرطين والخلخال وخاتم الذهب ورقاق الثياب ؟ فقالت : يامعشر النساء قصتكن قصة امرأة واحدة ، أحلّ الله لكن الزينة غير متبرجات لمن لايحل لكن أن يروا منكن محرماً)(١)

== (ج) وأخرجه الترمذى فى سننه فى (كتاب اللباس ،باب ماجاء فى الحرير والذهب) ،(رقم : ١٧٢٠) ،(٢١٧/٤) قال أبوعيسى: حديث حسن صحيح . واللفظ له .

(د) وأخرجه النسائى فى سننه فى (كتاب الزينه ، باب تحريم الذهب على الرجال) ،(رقم : ٥١٤٨) ،(١٦١/٨) .

(١) الجامع لاحكام القرآن / للقرطبى ، (٤٧٠٢/٦) .

ويقول تعالى : ﴿ أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ ﴾

(سورة الزخرف ، الآية " ١٨ ")

قال الزمخشري في تفسيره :

(" ينشأ في الحلية " أي يتربى في الزينة والنعمة، وهو إذا احتاج إلى مجاثاة الخصوم ومجاراة الرجال كان غير مبين ليس عنده بيان ولا يأتي ببرهان يحج به من يخاصمه ، وذلك لضعف عقول النساء، ونقصانهن عن فطرة الرجال يقال : كلما تكلمت امرأة فأرادت أن تتكلم بحجتها إلا تكلمت بالحجة عليها !! وفيه أنه جعل النشء في الزينة والنعومة من المعايب والمذام ، وأنه من صفة ربات الحجال ، فعلى الرجل أن يجتنب ذلك ، ويأنف منه ويربأ بنفسه عنه)(١).

فهذا النص صريح وواضح على أن المرأة مفطورة على حب الزينة والضعف في الخصومة وقال ابن كثير في تفسيره :

(" أو من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين " أي المرأة ناقصة يكمل نقصها بلبس الحلي منذ تكون طفلة ، وإذا خاصمت فلا عبارة لها بل هي عاجزة عيّية ، أو من يكون هكذا ينسب إلى بنات الله عز وجل ؟! فالأنثى ناقصة الظاهر والباطن ، في الصورة والمعنى ، فيكمل نقص ظاهرها وصورتها بلبس الحلي ومافي معناه ، ليجبر مافيها من نقص ، كما قال بعض شعراء العرب :

وما الحليُ إلا زينة من نقيصة ... يتمم من حسن إذا الحسن قصراً
وأما إذا كان الجمال موفراً ... كحسنك ، لم يحتج إلى أن يزورا

وأما نقص معناها ، فإنها ضعيفة عاجزة عن الانتصار عند الانتصار لا عبارة

---

(١) الكشاف ، (٤٨٢/٣ – ٤٨٣) .
ينظر : الجامع لاحكام القرآن / للقرطبي ، (٥٨٩١/٨) .

لها ولا همة)(١).

مما تقدم يتضح لنا أن بعض الأئمة المفسرين رحمهم الله قد فهموا الآية على أن المراد منها الانتقاص من شأن الإناث وعلى أن نشأتها في الزينة من المعايب والمذام، مع أن الله عز وجل أوردها على أنها وصف للإناث وهذا حقيقة واقعة ومباحة للمرأة لاتنكرها فهى تحب الزينة بفطرتها ولاتستطيع مقاومتها ، ولعلى فى هذا الموقف أوضح الزينة التى أقصدها كيلا تفهم على المعنى الآخر للزينة ، فانا لا أقصد بالزينة المعنى الذى تفهمه ذوات النفوس المريضة اللاتى يشعرن بالنقص وإننى آسفه أشد الأسف وأنا أقول ذلك على بنات جنسى لكنها الحقيقة المرة التى لابد من ايضاحها وهو أن هناك بعض النساء لاهم لهن فى الحياة إلا الركض خلف دور الأزياء ومتابعة الموضة أولاً بأول فتضيع جلّ وقتها إن لم يكن كله فى هذه الأمور التافهة التى لايرضى عنها شرع ولا عقل فأولئك وأمثالهن عبء ثقيل على المجتمع المسلم وهن السبب المباشر فى تدهور المجتمعات فى جميع العصور.

فمتى تستيقظ المرأة المسلمة ياترى ؟
وتتحرر من هذه العادات والتقاليد المشينة المزرية ؟ فيا أخيتى هلم لنشر المبادىء الإسلامية الصحيحة والسير على هدى الإسلام وتعاليمه القيمة، وهبى لنستأصل من نفوسنا آفة الاقتداء والتقليد لغيرنا فبالله عليك لاتكونى آلة تخريب ودمار لمجتمعك الذى يصلح بصلاحك ، بل كونى آلة تعمير وإصلاح ولايخدعك الاعداء والمروجون للأكاذيب فتكونى المعول الذى به تهدمين كيان أمتك الإسلامية من حيث لاتدرين . أننى والله يشهد - اكتب هذه السطور وقلبى يذوب أسى ولوعة-لمشاهدة ماوصلنا إليه من الأمور التى لاتحمد عقباها ، لأننا لاهثون وراء التقليد الأعمى .

---

(١) تفسير القرآن العظيم ، (١٢٥/٤) . وينظر : المحلى / أبومحمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم ،(ط : ١٣٨٩ هـ ، مطبعة الامام بمصر)، (الناشر : مكتبة الجمهوريه - القاهرة) ، (٢١٠/٧) .

نعود مرةً أخرى إلى فهم بعض المفسرين للآية الكريمة " أو من ينشأ فى الحلية ... " فنقول - وبالله التوفيق - : إن البعض فهم الآية على أنها انتقاص وهذا الظاهر من الآية ؛ لأنه للتعبير بلسان المشركين " الذين اختاروا الذكور وجعلوا لله الاناث " ولكى يزول هذا اللبس الذى قد يبدو من ظاهر الآية .

قال الأستاذ محمد عزه دروز فى تفسيره لهذه الآيه :

(قد يبدو من فحوى الآية انها بسبيل الانتقاص من قدر البنات والإناث ومركزهن وتهوين شأنهن بالنسبة للبنين والذكورة والذى يتبادر لنا أن ماورد فى الآيات هنا وفى آيات أخرى جاء فى مثل المناسبة التى جاءت فيها هذه الآيات هو تعبير عما كان سائداً فى أذهان العرب الذين تندد الآيات بشركهم واعتباراتهم لتكون الحجة فيها أشد إلزاماً وافحاماً وليس هو رأى القرآن المباشر)(1).

وقد يظهر معنى هاتين الآبتين جلياً اذا ماقرأنا الآيات السابقة لها والتى يقول الله تعالىٰ فيها :

﴿ أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم بِالْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ ﴾

(سورة الزخرف ، الآية " ١٦- ١٧)

(فقوله تعالىٰ : " أم اتخذ " استفهام إنكارى يكشف عن ضلال المشركين وفساد منطقهم فإنهم وقد أراهم ضلالهم المبين فى أن ينسبوا الولد الى الله استغواهم الغى فنزلوا بقدر الله سبحانه عن أن يكون مساوياً لهم ،

---

(1) التفسير الحديث /محمد عزه دروزه ، (ط : ١٣٨١ هـ - ١٩٦٢ م) ، (الناشر: دار احياء الكتب العربيه عيسى البابى الحلبىْ وشركاه) ، (٢٠٣/٤) .

فجعلوا لله البنات وجعلوا لهم البنين ، وقالوا : ان الملائكة بنات الله ولم يروا أن يكون هؤلاء الملائكة ذكوراً وهذا منطق سقيم ، إذ كيف يكون الذكور والإناث من خلق الله ثم يكون لهم هم أن يختاروا مايشتهون منها ، ويدعون لله مالايشتهون ؟ وفى هذا تسفيه للمشركين ولقسمتهم تلك الجائرة ، إنهم لايرضون أن يكون البنات ممن يولد لهم فإذا ولد أحدهم انثى امتلأت نفسه غماً وكمداً فكيف ينسب إلى الله من هو " حسب تقديرهم " مصدرهم وغم ؟؟ أهذا أدب مع الله عند من يعترف بوجود الله ؟ ! إنهم لو أنكروا الله أصلاً ولم يعترفوا بوجوده لكان ذلك منطقاً عندهم . أم أنهم يعترفون بالله ثم ينزلونه من أنفسهم هذه المنزلة التى لايرضونها لأنفسهم فذلك هو الضلال المبين . وفى قوله تعالى " بشر أحدهم " إشارة إلى أن الأنثى نعمة من نعم الله ،وأن ورودها على الإنسان من البشريات المسعدة التي من شأنها أن تشرح الصدر،وتسر القلب،ولكن القوم لجهلهم يضيقون بهذه النعمة ويشقون بلقائها وقوله " بما ضرب للرحمن مثلاً " إشارة إلى مانسبه المشركون إلى الله من ولد حين جعلوا الملائكة بنات الله .

والآية تنكر على المشركين – فى أسلوب استفهامى – أن يجعلوا لله سبحانه الجانب الضعيف وهو جانب الأنوثة على حين يجعلون لأنفسهم الجانب القوى وهو جانب الذكورة . إذ المعروف فى عالم الأحياء أن الذكر أقوى من الأنثى وأشد بأساً فى مجال الصراع والخصام . فالمراد بالإبانة الكشف والتجلية والافصاح عن القوة حين تدعو دواعيها وتعرض فى مجال الامتحان) (١)

وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطى :

(ألا ترى أن الضعف الخلقى والعجز عن الإبانة فى الخصام عيب ناقص فى الرجال ، مع أنه يعد من جملة محاسن النساء التى تجذب اليها القلوب ،

---

(١) التفسير القرآنى للقرآن / لعبدالكريم الخطيب ، (١١٤/٢٥/٧-١١٦) بتصرف .

قال جرير :

إن العيون التى فى طرفها حور   قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لاحراك به   وهن أضعف خلق اللّه أركانا

وقال ابن الدمينة :

بنفسى وأهلى من إذا عرضوا له   ببعض الأذى لم يدر كيف يجيب
فلم يعتذر عذر البرىء ولم تزل   به سكتة حتى يقال مريب

فالأول : تشبيب بهن بضعف أركانهن ، والثانى : بعجزهن عن الإبانة فى الخصام ، كما قال تعالىٰ : " وهو فى الخصام غير مبين " ولهذا التباين فى الكمال والقوة بين النوعين صح عن النبى صلى اللّه عليه وسلم اللعن على من تشبه منهما بالآخر)[1].

والزينة ولبس الحلى ، صفة مطلوبة يحبها الرجال فيها ، وبها تكون محبوبة ومطلوبة وسائرة مع السنن الكونية ، (وليس القصد من حض المرأة على التجمل لبعلها أن تضيع وقتها الثمين أمام المرأة معجبة بجمال صورتها أو بطول شعرها ، أو باعتدال قوامها ، فإن الاعجاب بالنفس دليل على ضعف العقل . وإنما القصد حثها على النظافة والترتيب . وهو يتناول تسوية الشعر وتنسيق الملابس على وجه خال من آثار التصنع والتكّلف)[2]

أما الضعف فى الخصومة فتلك صفة طبيعية فيها وهى تتبع ما سبق وأثبتناه من الخصائص الجسدية والنفسية ، وجميعها تتناسب مع الوظيفة التى أناطها اللّه بهن ، وهذا شىء فطرى وهو مشاهد فى واقع الأمر ومحسوس

---

(١) اضواء البيان فى ايضاح القرآن بالقرآن / محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطى ،(ط : ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٧ م) ،(الناشر : مطبعة المدنى) ،(٣٨٣/٣) .

(٢) المرأة فى التصور الإسلامى / عبدالمتعال محمد الجبرى ،(ط:٦/١٤٠٣هـ - ١٩٨٣ م) ،(الناشر : مكتبة وهبه) ،(ص : ١٠٤) .

لايستطيع أحد إنكاره ، فما إن تتعرض المرأة لموقف فيه خصومة إلا ونجد أعصابها تضطرب وجميع فرائصها ترتعد،وتزداد خلجات قلبها،وسريعاً ماتراها تذرف الدموع وتفقد الحجة فتنهار وتضعف عند الخصومة ٠

وهذه صفات لازمة للمرأة ولاتعاب عليها بل تحمد عليها لانها لابد أن تكون رقيقة المشاعر والأحاسيس لتستطيع أن تقوم بوظيفة الأمومة حيث وكل إليها مهمة صنع الرجال لاتقليد الرجال في مجاراتهم للخصوم وشدتهم وقوة بأسهم فمن يكون هذا وصفها فهي شاذه ومتشبهة بالرجال ٠

وهذه الصفة التي هي الضعف في الخصومه ليست عيباً كما يظن كثير من الناس ٠ حتى إن نبي الهدى والرحمة أقرّ ذلك فيهن وسماهن بالقوارير كناية عن رقتهن ولطافتهن ولأنه أقل شيء يؤثر فيهن جسمياً ونفسياً ٠
فقال صلى اللّه عليه وسلم في الحديث الذي رواه أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ " رُوَيْدَكَ(١) سَوْقَكَ(٢) بِالْقَوَارِيرِ(٣) "(٤).

---

(١) رويدك : منصوب على الصفة لمصدر محذوف ٠ أي سق سوقاً رويداً ٠ ومعناه الأمر بالرفق بهن ٠

(٢) منصوب باسقاط الجار ٠ أي ارفق في سوقك بالقوارير ٠

(٣) قال العلماء : سمى النساء قوارير لضعف عزائمهن ، تشبيهاً بقارورة الزجاج لضعفها وإسراع الإنكسار اليها ٠
ينظر : تعليق : محمد فؤاد عبدالباقي على صحيح مسلم ،(١٨١١/٤)٠

(٤) جزء من حديث هذا نصه :
عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : كَانَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ فِي الثَّقَلِ وَأَنْجَشَةُ غُلَامُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسُوقُ بِهِنَّ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " يَا أَنْجَشُ رُوَيْدَكَ سَوْقَكَ بِالْقَوَارِيرِ " ٠

(أ) أخرجه الامام احمد في مسنده في (١٠٧/٣ ، ١١٧ ، ١٧٢ ، ١٧٦ ، ١٨٧ ، ٢٠٢ ، ٢٠٦ ، ٢٢٧ ، ٢٥٤ ، ٢٨٤) ٠

(ب) وأخرجه البخاري في صحيحه في (كتاب الأدب ، باب مايجوز من الشعر والرجز والحداء) ،(رقم :٦١٤٩) ،(٣٠/٧/٣) ٠
وفي (كتاب الأدب ، باب ماجاء في قول الرجل ويلك) ، (رقم : ٦١٦١) ،(٣٢/٧/٣) ٠
==

وهذا الضعف فى المرأة مرغوب فيه لدى الرجل لأنه يشعر بقوتـه وتفوقه عليها ويأنس كثيراً باحتياجها إليه وضعفها أمامه ، لأنه بفطرته يحب أن يكون هو القوى والراعى والحامى وهذا كله من منطلق قوامته عليها عند ذلك نجده يغدق رحمته عليها وعطفه لانه يتعشق هذه الصفة فيها ٠

يقول البهى الخولى :

(فإنها برهافة حسها وشدة عاطفتها تدرك جانب البأس فى الرجل ، فتذوق منه طعماً يملأ وجدانها بالاعجاب والرضا ٠٠ وذلك لب قانون " القوامه " ونبع احساسها وإقرار نفسها به ،ويقابل ذلك من الرجل أن يجد به معنى يرتاح اليه ، لايجده فى صراعه مع الحياة معنى التسليم ببأسه ، والرضا بامثياره وهو طعم يرضي طموحه ويؤكد ثقته بنفسه ، ويجدد عناصر القوة والعزيمة فيه وهو من عوامل السكن الذى قرره القرآن)(١)٠

ومما يؤكد ضعف المرأة وانه امر طبيعى فيها ٠

قال " الفريد دي موسيه " :

(خلق اللّه المرأة ضعيفة ٠٠ لتعمل أجل الأعمال ٠٠)(٢)

وقال " ريديرو " :

(إن ضعف المرأة وليد سلوك المجتمع نحوها ٠٠)(٣)

== وفى (كتاب الأدب ، باب من دعا صاحبه فنقص من اسمه حرف) ، (رقم : ٦٢٠٢) ، (٣٨/٨/٣) ، بهذا اللفظ ٠
وفى (كتاب الأدب ، باب المعاريض مندوحة عن الكذب) ، (رقم : ٦٢٠٩) ، (٤٠/٧/٣) ٠

(ب) وآخرجه مسلم فى صحيحه فى (كتاب الفضائل ،باب رحمة النبى صلى اللّه عليه وسلم للنساء وأمر السواق مطاياهن بالرفق بهن) ، (رقم : ٢٣٢٣) ، (١٨١١/٤) ٠

(١) الإسلام والمرأة المعاصره /البهى الخولى ،(ص : ٢٣٧) ٠
(٢) روائع من أقوال الفلاسفه فى المرأة/سيد صديق عبدالفتاح ،(ص :١٠١)
(٣) المرجع السابق نفسه ٠

يتضح لنا مما سبق أن الزينة ، ولبس الحلى ، من الأمور المحببه لدى الأنثى وهى صفة لها إلى جانب أنها مباحة شرعاً،وبنفس الوقت ترغب الرجل فيها فعليها أن تتزين لزوجها وتلبى مايرغبه منها،وفى الوقت ذاته تشبع غريزتها التى فطرت عليها وهي إضافة جمال إلى جمالها عن طريق التزين بالمباح من الحلى وغيرها من غير إفراط ولاتفريط ، كذلك الحال بالنسبة للضعف فى الخصومة فإنها من مميزات المرأة الطبيعية وليست عيباً فيها بل تلك الصفة نابعةً من رقتها وعطفها وحنانها . ومكملة ومرتبطة ارتباطاً وثيقاً بتكوينها الجسمى ووظيفتها فى الحياة .

ذلك موجز للاختلافات النفسيه بين الرجل والمرأة وقد بقى علينا أن نبحث حياة المرأة الاجتماعيه لتتضح لنا الفروق الاجتماعيه بينهما.

المبحث الخامس

الفروق

الاجتماعية وبيان مسؤوليتها نحو المجتمع

الخامس : الفروق الاجتماعية :

ومن الفروق التى لابد أن نوضحها لنعرف من خلالها دور المرأة فى الدعوة إلى الله هى : الفروق الاجتماعية •

(فالرجل والمرأة كلاهما يكمل الآخر ، وعمارة الكون تقتضي تعاونهما، ليحققا الخلافه،في الأرض.وقد زود الله كلاً منهما بطاقات واستعدادات تتناسب مع المهمة التى يقوم بها ، والدور الذى يحسن أداءه على مسرح الحياة وقد جعل الله لكل منهما ميداناً يمكن لهذه الطاقات أن تؤدى رسالتها فيه)(١).

(وقد أهتم الإسلام بتكوين الأسرة الصالحة القوية المؤمنة وكما نعلم جميعاً أن حجرى الأساس فى هذه الأسرة هما الرجل والمرأة، لهذا نجد الإسلام وجه اهتماماً كبيراً،واعتنى اعتناءً عظيماً بتكوين الأسرة المؤمنة، ومن مجموع هذه الأسرة المسلمة قام المجتمع المسلم،والأمة المسلمة، والدولة المسلمة،وعن طريقها ساد المسلمون الدنيا كلها ، نعم لقد ساد المسلمون وعزوا حينما أسسوا أسرهم على أساس ثابت مكين من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، أسسوها على التقوى والصلاح والعبادة، والقوة والعزة،والمنعة والتفاهم،والمحبة والإخلاص،وبذلك ملكوا العالم وحكموه)(٢).

والسبب المباشر الذى جعل تلك الأمم بهذا المستوى هو معرفة حجري الأساس فى تلك الأمم بأدوارهما الحقيقية تمام المعرفة •

---

(١) الأسرة تحت رعاية الإسلام / عطيه صقر ، (ط : ١٤٠٠/١ هـ - ١٩٨٠ م) ، (الناشر : مؤسسة الصباح - الكويت) ،(١٨٧/٢) •

(٢) ينظر : الزواج الإسلامى / طارق إسماعيل كاخيا ، (ط: بدون) ، (الناشر : المختار الإسلامى للطباعة والنشر) ، (ص : ١٢ - ١٣)•

سبق أن وضحنا صوراً للتفاوت والتفاضل،وصوراً أخرى غيرها، والتفاوت هو سنة الحياة،والقاعدة الحتمية لتنظيم حياة الجماعة البشرية على أساس التفاضل فلابد أن نصطدم بهذه الحقيقة ونقرها وهى : التفاوت الموجود بين الرجل والمرأة سواءً كان هذا التفاوت :

(١) فسيولوجياً " جسمياً " .

(٢) أم عقلياً سلوكياً .

(٣) أم سيكولوجياً " نفسياً " .

(٤) أم اجتماعياً .

وهذا الإقرار لابد منه لنثبت أيضاً نتيجة له التفاوت فى الحياة الاجتماعية لكل منهما ، فإن ماتقره عن واقع المرأة هو صورة حية فى تحديد مكانة المرأة من الرجل .

(إن المرأة الواعية الذكية تستطيع برجاحة عقلها وسموّ روحها أن تجعل من البيت جنة تجذب إليها زوجها وأولادها ، وتنشىء فى دارها مكتبة جميلة مفيدة تمضى بها أوقات فراغ الأسرة بكل نافع وممتع ولتثقيف الأولاد ثقافة غير مدرسية صارمة مما تجعل أعضاء الأسرة إذا وجهت ذات ثقافة واسعة حسنة للقيام بمهامها العديدة)[1].

وهنا نرى من الواجب التوقف قليلاً عند ذلك النص القرآنى العظيم الذى جاء فيه : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾

(سورة التوبه ،الآية " ٧١ ")

---

(١) تحفة العروس أو الزواج الإسلامى السعيد / محمد مهدى الاستانبولى، (ط:٥/٤/١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م) ،(الناشر:المكتب الإسلامى – بيروت – دمشق) ، (ص : ٢٦٠ – ٢٦١) .

يقول محمد الدواليبى :

(ذلك الحكم الإسلامى وحده الذى رفع المرأة الى مقام " الولاية المتبادلة " فيما بين الرجل والمرأة على حد سواء ، والذى أعلن فيه الإسلام تجريمه الصارخ للمفاهيم السابقة السائده، وحكم بالقضاء عليها قضاء لاهوادة فيه، وعالج به المشكلة من جذورها، وبذلك وضع المرأة دفعة واحدة فى وضعها الإنسانى الكريم الكامل إلى جانب الرجل من غير مساومة ولا مراعاة لسابق، بغيض وهى بعد اليوم فى الإسلام ليست فقط مرفوعة فى الإنسانية إلى مقام " تبادل الولاية بين الرجل والمرأة " على حد سواء ، بل هى " شريكه له " أيضاً اشتراكاً واجباً فى إصلاح المجتمع وذلك بالآتى :

(١) " بالأمر " بكل مافيه خير للإنسان وللمجتمع .

(٢) " بالنهى " عن كل مافيه شرّ لهما .

(٣) وأخيراً بإعلان الإسلام أن المرأة مسؤولة " مع الرجل فيما عهد به اليهما من عمارة الأرض وعبادة اللّه فيها .

فإن الإسلام لم يكتف فى هذا النص الخالد على الزمن من انقاذ المرأة من " التبعية للرجل " كشىء من أشيائه ، أو من " وصايته عليها " وصاية تعطى الرجل حق الموت والحياة عليها تبعاً لهواه ، بل رفعها إلى مقام المساواة الحازم : " المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ... " ثم ذهب بعد ذلك يعزز قوله هذا بالاعتراف لها على نحو ما للرجل من " حق فى الأمر والنهى " تبعاً " لحق الولاية المتبادلة " فيما بينهما :

وذلك بحقها فى " الأمر بالمعروف " للرجال والنساء على السواء ، وبذلك خرج جنس المرأة لأول مرة فى التاريخ من أن تكون المرأة تبعاً لجنسها " مأمورة فقط " ولتصبح " آمرة أيضاً " وذلك بالأمر بما تعارف عليه الناس أنه لابد لهم منه لصلاحهم وصلاح مجتمعهم ، وكذلك بحقها فى " النهى عن المنكر " الذى رأى فيه العلماء والعقلاء وأهل الفكر أنه شر لاتستقيم معه الحياة الإنسانية لأحد ثم جاء النص النبوى بعد ذلك أيضاً يعزز مبدأ " الولاية للمرأة " الى جانب الرجل)[1].

---

(١) وضع المرأة فى الإسلام /د.محمد معروف الدواليبى ، (ط:١/١٩٨١م) ، ==

عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قَالَ : " كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مسؤولٌعَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالْأَمِيرُ رَاعٍ وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ زَوْجِهَا وَوَلَدِهِ ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُم مسؤولٌعَنْ رَعِيَّتِهِ "(١)

(وضع الرسول صلى اللّٰه عليه وسلم فى هذا الحديث الشريف ـ الذى هو من جوامع كلمه كل فرد من أفراد المسلمين ـ حاكمين ومحكومين،ذكورنا

== (الناشر : دار الكتاب اللبنانى ـ بيروت) ،(ص:٢١ ـ ٢٢) بحث اعده الدكتور إلى الندوة الدولية عن حقوق الإنسان فى الإسلام فى جامعة الكويت بتاريخ ٩ ديسمبر ١٩٨٠ م .

(١) (أ) أخرجه البخارى فى صحيحه فى (كتاب الاحكام ،فى فاتحته)، (رقم : ٧١٣٨) ،(٥١/٩/٣ ـ ٥٢) .
وفى (كتاب النكاح ، باب قو انفسكم واهليكم نارا)، (رقم : ٥١٨٨) ، (٢٤/٧/٣) .
وفى (كتاب النكاح ، باب المرأة راعية فى بيت زوجها)، (رقم : ٥٢٠٠) ، (٢٨/٧/٣) بهذا اللفظ .
وفى (كتاب الجمعة ، باب الجمعه فى القرى والمدن)، (رقم : ٨٩٣) ، (٥/٢/١) .
وفى (كتاب الاستقراض ، باب العبد راع فى مال سيده)، (رقم : ٢٤٠٩) ، (١٠٥/٣/١) .
وفى (كتاب العتق ، باب كراهة التطاول على الرقيق) ، (رقم : ٢٥٥٤) ، (١٣١/٣/١) .
وفى (كتاب العتق ، باب العبد راع فى مال سيده) ،(رقم : ٢٥٥٨) ، (١٣١/٣/١) .
وفى (كتاب الوصايا ، باب تأويل قوله تعالى : " من بعد وصية توصون بها أو دين) ، (رقم : ٢٧٥١) ،(٥/٤/٢) .

(ب) وأخرجه مسلم فى صحيحه فى (كتاب الامارة ،باب فضيلة الامام العادل ..) ،(رقم : ١٨٢٩) ،(١٤٥٩/٣) .
(ج) وأخرجه أبوداود فى سننه فى كتاب الامارة ،باب مايلزمه الامام من حق الرعيه) ،(رقم : ٢٩٢٨) ،(١٣٠/٣) .
(د) وأخرجه الترمذى فى سننه فى (كتاب الجهاد ،باب ماجاء فى الامام) ،(رقم : ١٧٠٥) ،(٢٠٨/٤) .

وإناثاً ، مخدومين وخادمين أمام مسؤوليته المنوطة به ، حسب منصبه ووظيفته ؛ ويلاحظ من الحديث أنه لم يعين مكاناً لمسؤوليات الأصناف المذكورة فيه إلاّ المرأة فقد عين مكانها حيث قال : " راعية في بيت زوجها ")(١)

والغرض من تعيينه لمكان المرأة وهو البيت لأنه بالفعل هو المكان الوحيد الذى يتناسب مع استعدادات المرأة الفطرية التى جبلت عليها،ففى البيت تجد المرأة مكانها الذى تشعر فيه بالحريه الكاملة والارتياح النفسى ، حتى وإن كانت ذات مركز فى المجتمع ولها منصب إلا إنها حين تعود إلى البيت تحس إحساساً يختلف عن إحساسها خارجه ، فهذا يدل : على أن كل أنثى ليس لها غنى عن البيت وعن العمل به،فإنه من اكبر المسؤوليات الملقاه على عاتق المرأة ، والبيت ليس هو فقط مهمة وأحده ، بل انه يحتوى على عدد من المهام لايهون أمرها ، فالبعض يعتقد أن مهمة العمل بالبيت لاتساوى شيئاً بالنسبة للمهام المتعددة التى يقوم بها الرجل . هؤلاء أساساً لم يفهمو ولم يدركو الرسالة التى تقوم بها المرأة فى الحياة . فرسالتها عظيمة جداً لابد أن تدركها هى بنفسها،وتعلم إن من متطلبات هذه الرسالة أن لاتخرج عن مدارها الى مدار آخر ليس من اختصاصها .

وبمقتضى تلك الصفات التى أنعم اللّه بها عليها ، من الخطأ أن ننظر إلى الرجل والمرأة من ناحية تساويهما والمطالبة بمساواة المرأة بالرجل أو الرجل بالمرأة فى كل نواحى الحياة الاجتماعية ، بل الواجب أن ننظر إليهما من ناحية آثارهما ككل فى هذه الحياة ، وفى هذا المجتمع الانسانى ؛ فليست آثار المرأة وعملها فى هذه الحياة كآثار الرجل وعمله

---

(١) المسئوولية فى الإسلام /د. عبداللّه أحمد قادرى ، (ط : ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م) ، (الناشر : مكتبة طيبة - المملكة العربية السعودية - المدينة المنورة) ،(ص : ١٣ ، ١٨١) .

وليس العكس أيضاً .

فنتاج الرجل غير نتاج المرأة،وظروفه وخصائصه غير ظروفها وخصائصها . فهى تعمل فى البيت لتصنع الرجال،وتخرج تلك السواعد القوية الفتيه لتعمل فى المجتمع فى شتى مجالات الحياة ، وتخوض غمار الحروب إن احتاج الأمر إليها هذا هو النتاج المشرف الذى تنتجه المرأة التى أدركت مسؤوليتها فى البيت كما نص عليها الحديث وإلى جانب قيامها بصناعة الرجال تقوم بمهام الدعوة إلى الله من خلال منبر بيتها أيضاً وفى حدود نطاقها وبيئتها لبنات جنسها .

لهذا على كل واحد منهما أن لايخرج عما فطره الله عليه بحيث يؤدى واجبه وفرائضه كاملة غير منقوصه بتطلعه لمهام الآخر واعماله،فقال تعالىٰ مصداقاً لذلك :

﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا ۖ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ۚ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾ ﴾

(سورة النساء ، الآية " ٣٢ ")

فالمرأة بحكم تكوينها الجسمى،وماجبلت عليه من صفات نفسية كما ذكرنا آنفا مهيأة لأن تكون ذلك الحضن الذى يتربى فيه طفلاً،وينشأ فيه شاباً يافعاً،متربياً تربية إسلامية صحيحة تحت نظر صاحبة الحضن تلك المدرسة التى تنافس جميع المدارس والمعاهد والجامعات فى تخريجها لرجال المستقبل الأبطال الذين فتحوا العالم .

قال الأستاذ يوسف العظم :

(والتى تدرك من تربية الإسلام ما أدركت الأمهات الأول فصنعن من الأبناء رجالاً قادوا الإنسانية لأرفع مستويات الحضارة السوية الواعية ومن البنات مثلاً

خيرة للمرأة التى تفكر بعقلها ، وتحنو بفطرتها وقلبها حتى يحياولدها بين خطين لاعوج فيهما ولا انحراف .. العقل المؤمن الواعي ، والفكر الإسلامى الرشيد،والقلب الذى يحيا للأمومة و المثل والقيم الكريمة)[1].

هذه المزايا التى حباها اللّٰه للمرأة وتلك الخصائص تتطلب منها الآتى :

أولاً : الإستقرار الحسى والمعنوى .

ثانياً: وهذا الاستقرار يحتاج للعاطفه الجياشه التى تتغلب على العقل فى أكثر الأحيان وهى من الايجابيات لا السلبيات فتحمد عليها لأنها تفرغها فى مكانها الطبيعى .

ثالثا : نتيجة لذلك لاتتحمل المشاق ، وكل مافيه تعب وإرهاق .

فراعى الإسلام فطرتها واستعدادها التكوينى فكان أول الأشياء مراعاة لهذا الاستقرار ، أن رفع عن كاهلها مسؤولية النفقة المالية ، وإن كانت غنية ، الا ماتصدقت به هى عن طيب نفس .

وهذا بالطبع يوفر لها الجهد والوقت ويتيح لها هدوء البال لتسعد وتسعد معها الرجل الذى تعيش معه وبنفس الوقت تتمكن من الاشراف على هذه الافراخ الزغب فتربيهم التربية الإسلاميه الصحيحة .

أما من يكون شأنها العمل للكسب،والتقيد بمواعيد العمل خارج البيت فإنها تكون ذات طاقات مشتته ومرهقة فلا تقوم بأي مهام للبيت تذكر .

فحقيقة البيت لايمكن أن توجد سواءً طال الزمان أو قصر إلاّ أن توجدها امرأة ، وشذى البيت لن يفوح إلاّ حين تطلقه الزوجة .

---

(١) أين محاضن الجيل المسلم ؟ /أ:يوسف العظم ،(ط: ١٤٠٠/٥هـ - ١٩٨٠م)، (الناشر : الدار السعودية للنشر والتوزيع ، (ص : ١٦) .

وحنان البيت لن ينتشر ويشيع بين الافراد إلا أن تتولاه الأم .
والمرأة لايمكن أن تطلق فى جوّ البيت الإرهاق والكلال والملال .

وهذا يؤكد ماسبق واثبتناه وهو أن المرأة تجد حريتها وراحتها فى بيتها لأنها تشعر أنها تعيش فى مملكة هى الملكة فيها المتصرفة فى شؤونها .

من هنا تتجلى لنا بعض الحكمة فى أمر اللّه تعالىٰ المؤمنات بالاستقرار فى البيوت وعدم الخروج إلا لحاجة حيث قال تعالىٰ :

﴿ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾
(سورة الاحزاب ، الآية " ٣٣ ")

ففى بقائها فى البيت صيانة لشرفها وكرامتها ، وحفظاً لحقوقها من الضياع ، وهذا مايشهد به الواقع المعاصر فما إن خرجت المرأة من بيتها ، وتمردت على ولى امرها حتى أصابها الذل والمهانة ، وضاع شرفها وكرامتها ، فى أرقى دول العالم حضارة ، لهذا نهى الشارع الحكيم النساء عن التبرج والاختلاط ، بل جاء الأمر بالحشمة والتستر والتحفظ ، حتى أمهات المؤمنين – رضى اللّه عنهن – أمرن بذلك فى عهد الرسول صلى اللّه عليه وسلم .فقال تعالىٰ :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ ﴾

(سورة الاحزاب ، الآية " ٥٩ ")

وقال عزّ من قائل :

﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ
ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ
يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ
زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ
وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ
ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ
أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ
أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّـٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ
ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ
وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوٓا
إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾

(سورة النور ، الآية " ٣٠ ، ٣١ ")

بالإضافة إلى منعهن من الحديث إلا من وراء حجاب أمرهن أيضاً بأن لايخضعن في القول وأن يكون هذا الحديث بأسلوب بعيد عن الريبه . فقال تعالىٰ :

﴿ يَـٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ
لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ
فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ ﴾

(سورة الاحزاب ، الآية "٣٢ ")

فالخطاب في الآيات السابقة يشمل جميع النساء بل هو في حق النساء المعاصرات ألزم وأوجب نتيجة لما وصلن إليه من حال سيئة .

ومن المفاسد التي تعود على المجتمع من خروج المرأة للعمل هو إفساد الرجل وتعطيله عن قيامه بمهمة تحصيله للقمة العيش ، فتكثر

البطالة ويزداد الانحراف والتشتت الأسري .

فلا يعتقد أحد أو يخطر بباله أن معنى استقرار المرأة فى بيتها هو السجن والحكم عليها بأن تكون خادمه ومحلاً لشهوة الرجل ، وتكون منبوذة كسقط المتاع ، فليس هذا هو مراد الشرع من الأستقرار ، بل إنه جعل الأستقرار أحد مظاهر التكريم التى لاتعد ولاتحصى للمرأة .

أما من خالف ذلك فقد جانب الصواب وليس حجة على الإسلام وتعاليمه السمحه . فنصوص القرآن والسنه خير شاهد على ذلك .

هنا فى هذا المقام قد يرد هذا السؤال :

لماذا جعل الإسلام قوامة البيت للرجل وليست للمرأة ، مع أن المرأة هى أكثر لزوماً للبيت،وهي مديرة شئوونه ومسئوولة عنه لقوله صلى اللّٰه عليه وسلم : " ... وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَوَلَدِهِ ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ "(١) ؟ .

الجواب على ذلك : بدليلين عقليين ودليلين فرضيين :

(أ) الأدله العقليه هى :

(١) كما أن توحيد القيادة ضرورية لكل شيء،وفيه استتباب الأمن ، فالبيت من باب أولى فهو يحتاج للأمن والاستقرار وعدم النزاع ، فأى الزوجين اولى لتحمل التبعه والقيادة ليحافظ على النظام من سبق واثبتنا أنها بحكم طبيعتها ووظيفتها الأساسية فى الحياة تتصف بالعاطفة والإنفعال ، أم من كانت طبيعته ووظيفته المنوطة به تهيئه للسعى والشقاء والبذل فى سبيل الإنفاق على أهل بيته .

(٢) من المعروف أن من امتلك مالاً لم يجتهد فى تحصيله،ولم يكد ويتعب من اجله فإنه لاشك سينفقه من غير حرص،ويعرضه للتبذير والضياع وهذا مايحصل فى حال انتقال الإنفاق من الرجل إلى

---

(١) سبق تخريجه ، (ص : ٣٥٢) .

المرأة على البيت من المال الذى كسبه زوجها وشقى به وتعب لكن حين يكون فى يده فإنه سيكون حريصاً فى إنفاقه ويحافظ عليه فلا يذهب هباءً فماله لم ينتقل إلى يدٍ لم تتعب فيه ، ولم تجتهد فى طلبه والوصول إليه .

(ب) الأدله الفرضيه هى :

(١) لنفرض أن فى البيت عائلة مكونة من زوجه وأم وأخت فأيهن أحق بالقوامة ؟

بالطبع لو أعطيت القوامة لاحداهن فسوف يكون هناك ظلم على الباقيتين ، ولاننس مااتصفت به المرأة من الغيرة وسرعة الانفعال،وغيرها من الصفات التى هى من طبيعة المرأة ، وبنفس الوقت يستحيل اعطائهن جميعاً للقوامه .

(٢) لو فرضنا أن القوامة للمرأة ، والإسلام قد أباح بنظمه العادله للرجل الزواج من أربع نسوة ففى هذه الحالة أيهن تكون لها القوامة ؟ وهل سترضى باقى الأطراف بقوامتها عليهن ؟ وهذا أيضاً يستحيل .(١)

من هنا تتجلى لنا بعض الحكمة الإلهية من قوله تعالى :

﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا (٣٤) ﴾

(سورة النساء ،الآية " ٣٤ ")

---

(١) ينظر : المسؤولية وصلتها بالتكاليف الشرعية فى ضوء القرآن والسنة ،رسالة ماجستير مقدمه من الطالب : عبدالصمد بن بكر بن ابراهيم عابد (عام ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م) ،(ص : ٢٠١ — ٢١٠) .

فبعد أن عرفنا سابقاً أنها مساوية للرجل فى العبادات والتكاليف الشرعية إلا مارخص لها فيه الشارع الحكيم مراعاة لطبيعتها الخلقيه ، نجد أن مسؤوليتها فى الدرجة الأولى تدور حول محورين هما :

(أ) الزوج ٠

(ب) الأبناء ٠

(أ) أما مسئووليتها تجاه زوجها :

فقد هيأ لها الدين الإسلامى الحنيف كل مظاهر التكريم وسبل الراحه والاستقرار ، مما يجعل حق الرجل تجاهها حقاً عظيماً يجب أن تحرص عليه وأن تؤديه على خير وجه ، لأنها تقوم بذلك احتساباً وطلباً للأجر والمثوبه من اللّه تعالى ، ولترضي زوجها وتطيعه مالم يأمرها بمعصية الخالق ، وقد بينت لنا نصوص السنه النبوية مواصفات المرأة الصالحة حيث اعتبرتها من خير كنوز الدنيا فى حال كونها صالحة متمسكة بدينها مطيعة لربها ثم لزوجها قائمة بمسؤوليتها المناطة بها خير قيام ٠

عَنْ ابْنَ عَبَّاس رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُما قَالَ : قَالَ النَّبِيّ صَلّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسلّمَ : " أَلاَ أُخْبِرُكَمْ بِخَيْر مَايَكْنِزُهُ الْمَرْء الْمَرْأةُ الصَّالِحَةُ إذَا نَظَرَ إلَيْهَا سَرَّتْهُ وإِذَا أَمَرَهَا أَطَاعَتْه وإذَا غَابَ عَنْهَا حَفِظَتْهُ "(١)

---

(١) جزء من حديث هذا نصه :عَنْ ابْنَ عَبَّاس قَالَ : لَمَّا نَزَلَتْ هٰذِه الآيَة " والذين يكنزون الذهب والفضة " قَالَ : كَبُرَ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِيْن وَقَالُوا : مَايَسْتَطِيع أَحَدُنَا أنّ يَتْرُكَ مَالاً لِوُلَدِهِ يَبْقَى بَعْدَهُ فَقَالَ عُمَر: أنَا أُفَرِّجْ عَنْكُمْ قَالَ : فَانْطَلَقُوا وانْطَلَقَ عُمَر وَأتْبَعَهُ ثَوْبَانْ فَأتَوا رَسُولَ اللّٰهِ صَلّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسلّمَ فَقَالَ عُمَر يَانَبِيَّ اللّٰه قَدْ كَبُرَ عَلَى أَصْحَابِكَ هٰذِه الآيَةُ فَقَالَ نَبِيّ اللّٰهِ صَلّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وآله وَسلّمَ إنّ اللّٰه لَمْ يَفْرِضْ الزَّكوة إلاّ لِيُطَيِّبَ بِهَا مَابَقَى مَنْ أمْوَالِكَمْ وإنّمَا فَرَضَ المواريث فى اموال تبقى بعدكم قال : فكبر عمر ثم قَالَ لَهُ النَّبِيّ صَلّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وآله وَسلّمَ " ألاّ أُخْبِرُكَ بِخَيْر مَايَكْنِزُه الْمَرْء الْمَرْأَةُ==

فالحديث روى بروايات متعدده إلا إنها جميعاً تتضمن مسؤولية المرأة تجاه زوجها . وهذه المسؤولية هي :

(١) أن تحسن من هيئتها ومنظرها لزوجها :

حتى إذا نظر إليها شعر بالسرور لحسنها ظاهراً ولحسن أخلاقهاباطناً ، فعليها بالإضافة إلى جمال أخلاقها ودوام اشتغالها بطاعة الله ، أن تتجمل لزوجها ولاتُبدى من صفاتها الخلقية والخُلقية إلا الحسن،لأنها بذلك تعصمه من الزلل الذى قد يواجهه خارج البيت ، وهذه المسؤوليه للاسف الشديد تهملها كثير من النساء وخاصة بعض الملتزمات،لاعتقادها أن ذلك ليس ضرورياًفهى بذلك تنفر من حولها من الناس بمظهرها،ورائحتها الكريهة فمن باب أولى أن ينفر منها زوجها . فديننا يحثنا على النظافة والتجمل وحسن المظهر إلى جانب حسن المخبر بصفة عامه ، وفى حياة الزوجين بصفة خاصة للمحافظة على الكيان الأسرى من الانهيار والتدهور .

(٢) أن تطيعه فيما أمر :

طاعته منطلقه من قوامته ومن طبيعته الخلقية ، حيث

== الصالحة إِذَا نَظَرَ إِلَيْهَا سَرَّتْهُ وإِذَا أَمَرَهَا أَطَاعَتْهُ وإِذَا غَابَ عَنْهَا حَفِظَتْهُ "

(أ) أخرجه الامام أحمد فى مسنده فى (٢٥١/٢ ، ١٦٨) .

(ب) وأخرجه أبوداود فى سننه فى (كتاب الزكاة ،باب فى حقوق المال) ،(رقم : ١٦٦٤) ،(١٢٦/٢) .

(ج) وأخرجه ابن ماجه فى سننه فى (كتاب النكاح ،باب أفضل النساء)، (رقم : ١٨٥٥) ،(٥٩٦/١) .

(د) وأخرجه النسائى فى سننه فى (كتاب النكاح ،باب أى النساء خير) ،(رقم : ٣٢٣١) ،(٦٨/٦) .
وفى (كتاب النكاح ، باب المرأة الصالحة)، (رقم : ٣٢٣٢) ،(٦٨/٦) .

(هـ) وأخرجه الحاكم فى المستدرك ،(٣٣٣/٢)وقال :حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه ،وأقره الذهبى ،واللفظ له .

إنه يحكم عقله على عاطفته ، وينظر لعواقب الأمور، ويحسب حسابها ، وهذا بحكم اختلاطه بالمجتمع خارج البيت أكثر من المرأة ، لهذا فهو ينظر للأمور بمنظار واسع ورأى راجح، فعليها طاعته فى غير معصيه اللّٰه .

وليس هذا فى أمور الدنيا، بل إن طاعتها له حتى فى التطوع من العبادات والنوافل فلا يحل لها أن تقوم بها إلا بإذن زوجها ، والذى يدلنا على ذلك مارواه أَبُوهُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّهُ قَالَ :" لاتَصُومُ الْمَرْأَةُ وَبَعْلُهَا شَاهِدٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ "(١).

وتتضمن طاعته أيضاً أن تجيبه إذا دعاها إلى الفراش ، مهما كانت الظروف والمشاغل ، عليها الإجابة والطاعة ، حيث إنها بطاعتها له تعصمه من المفاسد والوقوع فى المعاصى ، وتجعله يقدم على حياته العملية بجد ونشاط ، ويتفرغ لها باطمئنان وراحة واستقرار نفسيين .

وليس هذا فقط بل إنها تنجو من لعنة الملائكة لها فى

---

(١) (أ) أخرجه البخارى فى صحيحه فى (كتاب النكاح ،باب صوم المرأة بإذن زوجها تطوعا) ،(رقم:٥١٩٢) ،(٢٧/٧/٣) بهذا اللفظ . وفى (كتاب النكاح ، باب لاتأذن المرأة فى بيت زوجها لأحد الا بإذنه) ، (رقم : ٥١٩٥) ، (٢٧/٧/٣) .

(ب) وأخرجه مسلم فى صحيحه فى (كتاب الزكاة ،باب ما أنفق العبد من مال مولاه)،(رقم:١٠٢٦)،(٧١١/٢) .

(ج) وأخرجه أبوداود فى سننه فى (كتاب الصوم،باب المرأة تصوم بغير اذن زوجها) ،(رقم:٢٤٥٨ – ٢٤٥٩) ،(٣٣٠/٢) .

(د) وأخرجه الترمذى فى سننه فى (كتاب الصوم ،باب ماجاء فى كراهية صوم المرأة الا باذن زوجها) ، (رقم : ٧٨٢)، (٣/ ١٥١) ، قال أبوعيسى : حديث حسن صحيح .

حال طاعته . فقد أخرج البخاري ومسلم وأبوداود(١)، عن أبى هريرة رضى الله عنه ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ فَأَبَتْ أَنْ تَجِيءَ ، لَعَنَتْهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ "(٢)

ولكى لاتحتج المرأة بحجج واهيه عند أمر الزوج لها أكدّ عليها الرسول صلى الله عليه وسلم بأن تأتيه وإن كانت على التنور فى الحديث الذى أخرجه الترمذى عَنْ طَلْقِ(٣) بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِذَا الرَّجُلُ دَعَا زَوْجَتَهُ لِحَاجَتِهِ فَلْتَأْتِهِ وَإِنْ كَانَتْ عَلَى التَّنُّورِ(٤) "(٥)

---

(١) هو سليمان بن الأشعث ، أصله من سجستان ، ولد سنة (٢٠٢ هـ) ، وتوفى بالبصرة سنة (٢٧٥ هـ) ، إمام أهل الحديث فى زمانه ، وكتابه (السنن) أحد الكتب السته المعتمدة فى الحديث .
ينظر : (الكاشف/للذهبى : ٣٩٠/١) ، (خلاصة تذهيب الكمال/للخزرجى:٤٠٨/١)

(٢) (أ) أخرجه البخارى فى صحيحه فى (كتاب النكاح ، باب اذا باتت المرأة مهاجرة فراش زوجها) ، (رقم:٥١٩٣ – ٥١٩٤) ، (٢٧/٧/٣) ، بهذا اللفظ .
وفى (كتاب بدء الخلق ، باب ذكر الملائكة) ، (رقم:٣٢٣٧) ، (٩١/٤/٢) .
(ب) وأخرجه مسلم فى صحيحه فى (كتاب النكاح ، باب تحريم امتناعها من فراش زوجها) ، (رقم :١٤٣٦) ، (١٠٥٩/٢) .
(جـ) وأخرجه أبوداود فى سننه فى (كتاب النكاح ، باب حق الزوج على المرأة) ، (رقم : ٢١٤١) ، (٢٤٤/٢) .

(٣) هو طلق بن على بن المنذر بن قيس بن عمرو بن عبد الله بن عمرو الحنفى السحمي أبوعلى اليمامى ، وفد على النبى صلى الله عليه وسلم وعمل معه فى بناء المسجد وروى عنه .
ينظر: (الطبقات الكبرى/لابن سعد:٣١٦/١) ، (تهذيب التهذيب /لابن حجر:٣٣/٥)

(٤) التنور: الذى يخبز فيه ، يقال انه فى جميع اللغات كذلك .
ينظر: (النهاية فى غريب الحديث والاثر/لابن الاثير) ، (١٩٩/١) .

(٥) أخرجه الترمذى فى سننه فى (كتاب الرضاع ، باب ماجاء فى حق الزوج على المرأة) ، (رقم:١١٦٠) ، (٤٦٥/٣) ، قال أبوعيسى: هذا حديث حسن غريب.

(٣) أن تحفظه إذا غاب عنها في نفسها وماله :

وذلك بأن لاتمكن أحد من نفسها ، فتكون خير محافظة عليها تجاه الله ثم تجاه زوجها ،فلا تخنه ،ولاتحدثها نفسها بذلك، بل إنها لاتدخل أحداً في بيت زوجها إلا بعد إذنه،وتعلم يقيناً أن زوجها راضٍ بذلك هذا بالنسبة للنساء ، أما الرجال فإنه لايصح لها شرعاً استقبال الأجانب سواءً أذن الزوج أولم يأذن أما من هم محارم لها فهؤلاء تأذن لهم بعد إذن زوجها ،فعليها أن تتفق هي وزوجها على أمثال هذه الأمور حتى لاتحدث المشاكل بين الزوجين فيخل أحدهما بحقوق الآخر وهذا من حقه عليها ، للحديث الذي أخرجه الترمذي ،عَنْ عَمْرِو بْنِ الأَحْوَصِ(١) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ.. فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ ، فَلاَ يُوطِئْنَ(٢) فُرُشَكُمْ مَنْ تَكْرَهُونَ ، وَلاَ يَأْذَنَّ فِي بُيُوتِكُمْ مَنْ تَكْرَهُونَ(٣)... "

---

(١) هو عمرو بن الاحوص بن جعفر بن كلاب الجشمي الكلابي أختلف في نسبه هو والد سليمان ابن عمرو له حديث في السنن الاربعة من رواية ابنه سليمان عنه شهد حجة الوداع وقد شهد اليرموك في زمن عمر .
ينظر : (الاستيعاب في اسماء الاصحاب / لابن عبد البر : ٢/٥٢٣) ، (الاصابه في تمييز الصحابه /لابن حجر) ، (رقم : ٥٧٥٧) ، (٢ / ٥٢٢) .

(٢) لايوطئن : أي لايأذن لأحدٍ من الرجال الأجانب أن يدخل عليهن ،فيتحدث إليهنّ . وكان ذلك من عادة العرب ، لايعدونه ريبةً ، ولايرون به بأساً ، فلما نزلت آية الحجاب نهوا عن ذلك .
ينظر :(النهاية في غريب الحديث والاثر / لابن الاثير) ،(٥/٢٠١).

(٣) جزء من حديث طويل هذا نصه : عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ عَمْرِو بْنِ الأَحْوَصِ حَدَّثَنَا أَبِي أَنَّهُ شَهِدَ حَجَّةَ الْوَدَاعِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم ،فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَذَكَّرَ وَوَعَظَ ثُمَّ قَالَ : أَيُّ يَوْمٍ أَحْرَمُ أَيُّ يَوْمٍ أَحْرَمُ أَيُّ يَوْمٍ أَحْرَمُ ؟ قَالَ : فَقَالَ النَّاسُ : يَوْمُ الْحَجِّ الأَكْبَرِ يَارَسُولَ اللَّهِ قَالَ : فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ ==

هذا . حفظها لنفسها ،أما حفظها لماله من التبذير والضياع فهو أن لاتغتنم فرصة غيابه ، فتبذره فى وجوه غير مشروعه فهذا غير جائز لأنها أمينة على هذا المال ومسؤولة عنه أمام الله أما إذا كانت خيّرة وكان إنفاقها لمال زوجها فى وجوه الخير والبرّ والإحسان فقد رخص لها الشارع أن تفعل ذلك بشرط عدم الإسراف . فيكون الأجر بينهما مناصفه له بما اكتسبه ولها بنفقتها له فى سبل الخير .

ومما يؤكد ذلك ماروته السيده عَائِشَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : قَالَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِذَا أَطْعَمَتِ الْمَرْأَةُ مِنْ بَيْتِ زَوْجِهَا غَيْرَ مُفْسِدَةٍ لَهَا أَجْرُهَا ، وَلَهُ مِثْلُهُ ، وَلِلْخَازِن

== هٰذا فى بَلَدِكُمْ هٰذَا فى شَهْرِكُمْ هٰذَا ، ألا لا يَجْنِى جَانٍ إِلَّا عَلَى نَفْسِهِ ، وَلَايَجْنِى والد على وَلَدِهِ ، وَلَا وَلَدٌ عَلَى وَالِدِه ، أَلَا إِنَّ الْمُسْلِم أَخُو الْمُسْلِمِ ، فَلَيْسَ يَحِلّ لِمُسْلِم مِنْ أَخِيه شَئٌ إِلَّا مَا أَحَلّ مِنْ نَفْسِه ، أَلَا وَإِنّ كُلّ رِبَاً فى الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ ، لَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَاتَظْلِمُونَ وَلَاتُظْلَمُونَ ، غَيْرَ رِبَا الْعَبَّاس بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِب فَإِنَّهُ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ ، أَلَا وَإِنّ كُلّ دَمٍ كَانَ فِى الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ ، وَأَوّلُ دَمٍ وُضِعَ مِن دِمَاء الْجَاهِلِيَّة دَمُ الْحرث بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، كَانَ مسترضعاً فى بَنِى لَيْثٍ فَقَتَلَتْهُ هُذَيْل أَلَا وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاء خَيْراً فَإِنمَا هُنّ عَوَانٍ عِنْدَكُمْ لَيْسَ تَمْلِكُونَ مِنْهُنّ شَيْئاً غَيْرَ ذٰلِكَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ فَإِنْ فَعَلْنَ فَاهْجُرُوهُنّ فى الْمَضَاجِعِ ،وَاضْرِبُوهُنّ ضَرْباً غَيْرَ مُبَرِّحٍ ،فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنّ سَبِيلاً ؛ أَلَا إِنّ لَكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ حقاً ،ولنسائكم عليكم حقاً ،فأما حقكم على نسائكم فلا يوطئن فرشكم من تكرهون ،ولا يأذ ن فى بيوتكم من تكرهون ،ألا وان حقهن عليكم أن تحسنوا اليهن فى كسوتهن وطعامهن ".

(أ) أخرجه البخارى فى صحيحه فى (كتاب النكاح ، باب مايكره من ضرب النساء) ، (رقم : ٥٢٠٤) ،(٢٩/٧/٣) ،بلفظ واضربوهن ضرب غير مبرح).

(ب) وأخرجه الترمذى فى سننه فى (كتاب تفسير القرآن ، باب سورة التوبة) ، (رقم : ٣٠٨٧) ، (٢٧٣/٥ — ٢٧٤) ،قال ابوعيسى هذا حديث حسن صحيح بهذا اللفظ .

وفى (كتاب الفتن ، باب تحريم الدماء) ، (رقم : ٢١٥٩) ، (٤٦١/٤ — ٤٦٢) .

مِثْلُ ذٰلِكَ ، لَهُ بِمَا اكْتَسَبَ وَلَهَا بِمَا أَنْفَقَتْ "(١).

فهذه التى تنفق فى سبيل اللّٰه تعين زوجها على الخير كذلك يجب أن يستمر هذا التعاون بينهما فى كل شئ يؤدى إلى الخير ، بل يجب أن يكون الهدف أصلاً من زواجها هو التعاون على طاعة اللّٰه والدعوة فى سبيل الله ، فعليها أن تحث

---

(١) (أ) أخرجه البخارى فى صحيحه فى (كتاب النفقات ،باب نفقة المرأة إذا غاب عنها زوجها ونفقة الولد) ، (رقم:٥٣٥٩-٣٥٦٠) ، (٣/٧/٥٦) .

وفى (كتاب البيوع ، باب قول الله تعالى : " انفقوا من طيبات ماكسبتم ") ، (رقم : ٢٠٦٥ - ٢٠٦٦) ، (١/٣/٤٩) .

وفى (كتاب الزكاة ، باب اجر المرأة اذا تصدقت أو أطعمت من بيت زوجها غير مفسدة) ، (رقم : ١٤٣٩ - ١٤٤٠) ،(١/ ٢/ ٩٨) بهذا اللفظ .

وفى (كتاب الزكاة ، باب من أمر خادمه بالصدقة ولم يناول بنفسه) ، (رقم : ١٤٢٥) ، (١/٢/٩٦) .

وفى (كتاب الزكاة ، باب أجر الخادم اذا تصدق بأمر صاحبه غير مفسد) ،(رقم : ١٤٣٧) ، (١/٢/٩٧ - ٩٨) .

(ب) وأخرجه مسلم فى صحيحه فى (كتاب الزكاة ،باب أجر الخازن الأمين والمرأة إذا تصدقت من بيت زوجها غير مفسدة بإذنه الصريح والعرفى) ، (رقم : ١٠٢٤) ، (٢/٧١٠) .

(جـ) وأخرجه أبوداود فى سننه فى (كتاب الزكاة ،باب المرأة تتصدق من بيت زوجها) ،(رقم : ١٦٨٥) ،(٢/١٣١) .

(د) وأخرجه الترمذى فى سننه فى كتاب الزكاة ، باب فى نفقة المرأة من بيت زوجها) ، (رقم : ٦٧١ - ٦٧٢) ، (٣/ ٥٨ - ٥٩) وقال أبوعيسى عن الروايه " رقم : ٦٧١ " حديث حسن ، وعن الرواية " رقم : ٦٧٢ " حديث حسن صحيح .

(هـ) وأخرجه النسائى فى سننه فى (كتاب الزكاة ، باب صدقة المرأة من بيت زوجها) ،(رقم : ٢٥٣٩) ،(٦/٦٥) .

زوجها على الطاعات ونوافل الخيرات، وتساعده على القيام بها كما على زوجها مثل ذلك، لينعما معاً برحمة الله، ويمتثلا لقوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الذى رواه أَبُوهُرَيرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :" رَحِمَ اللَّهُ رَجُلاً قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ فَصَلَّتْ فَإِنْ أَبَتْ نَضَحَ فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ وَرَحِمَ اللَّهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ وَأَيْقَظَتْ زَوْجَهَا فَصَلَّى فَإِنْ أَبَى نَضَحَتْ فِى وَجْهِهِ الْمَاءَ "(١)

فالمرأة متى نفذت أوامر ربها، وأمتثلت لنصائح وتوجيهات النبى الكريم لاشك أنها ستعيش فى حصانة مما يحاك ضدها، فيكون كل همها أن تقتفى أثر نساء السلف الصالح، لتقتدى بهن ، ولتنال مانلنه من الخير والسعادة فى الدنيا والآخرة، لهذا نجدها تنشر فى ربوع بيتها الحنان والعطف على أطفالها وزوجها وتشملهم جميعاً بالرعاية والعناية إلى جانب الرعاية المادية لما يملكه الزوج لتحافظ عليه، لأن ذلك من مسؤوليتها ، واضعة أمام عينها رضى ربها عز وجل ثم رضى زوجها ، فتكون مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ قَالَ : خَيْرُ نِسَاءٍ رَكِبْنَ الْإِبِلَ صالِحُوا نِسَاءِ قُرَيْشٍ أَحْنَاهُ عَلَى وَلَدٍ فِى صِغَرِهِ ، وَأَرْعَاهُ عَلَى زَوْجٍ فِى ذَاتِ يَدِهِ "(٢).

---

(١) سبق تخريجه ، (ص : ٢٦٧) .

(٢) (أ) أخرجه الامام أحمد فى مسنده فى (٢٦٩/٢ ، ٢٧٥ ، ٣١٩ ، ٤٤٩ ، ٤٦٩ ، ٥٠٢) .

(ب) وأخرجه البخارى فى صحيحه فى (كتاب النكاح ، باب إلى من ينكح وأى النساء خير ومايستحب أن يتخير لنطفه من غير ايجاب) ، (رقم : ٥٠٨٢) ، (٦/٧/٣) ، بهذا اللفظ .

وفى (كتاب النفقات ، باب حفظ =

لقد نالت المرأة درجة الخيرية بنص هذا الحديث لتحقق الصفة المثلى فيها باعتبارها زوجة مثالية وأمينة ترعى زوجها وابناءها معنوياً ومادياً ، وتحرص على إشاعة جوّ من الحنان والعطف على الصغار الممزوجين بالحلم والتأنى والتعقل، لتحسن الغرس وتجيد الصنعة التى بين يديها اليست هى الفلاح الماهر ، والصانع الحاذق ٠

== المرأة زوجها فى ذات يده والنفقه) ،(رقم : ٥٣٦٥) ،(٧/٣ / ٥٧) ٠
وفى (كتاب الأنبياء ، باب قوله تعالى : " اذ قالت الملائكة يامريم ٠٠ الى قوله : فإنما يقول له : كن فيكون)، (رقم : ٣٤٣٤) ، (١٣١/٤/٢) ٠

(ج) واخرجه مسلم فى صحيحه فى (كتاب فضائل الصحابه ،باب فضائل نساء قريش) ،(رقم : ٢٥٢٧) ،(١٩٥٨/٤ – ١٩٥٩) ٠

هكذا نرى أن الإسلام قد عظم من شأن المرأة ، إذ جعل بيدها التحكم في أجيال المستقبل فإن هي صلحت صلحوا ، وإن هي والعياذ بالله فسدت فسدوا .

كذلك عظم من شأن الزوجية والزواج ، بحيث لم يعد هناك مجال للشك في أنه الطريق الصحيح المشروع للإحصان وأي طريق آخر غيره فهو غير مشروع ويعتمد الزواج على ثلاثة أركان فمن واجب المرأة المسلمة إدراكها ومحاولة تحقيقها قدر المستطاع ،والقيام بها بحكم طبيعتها وإستعدادها الفطري الذي جبلت عليه ، وفقا لما سبق وقلنا ان لها مهمتين ووظيفتين رئيسيتين في حياتها ،ألا وهما : الزوجية والأمومة ، وسوف أذكر الأركان باختصار شديد لانني سبق أن ذكرت مسئووليات المرأة تجاه زوجها .

علما بأن الركن الأول حاجة قائمة بالرجل وحده ، والركنين الثاني والثالث حاجة متبادلة بينهما .

(أ) السكون الروحي :

والى معنى السكن يشير قوله جلّ ثناؤه :

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾

(سورة الروم ، الآية " ٢١ ")

قال الشيخ البهي الخولي :

(معنى هذا النص الكريم إشارة إلى ثلاث عبر من آيات الله في تلك الزوجية :

الأولى : عبرة " الزوجية " في أنه خلق لنا من " أنفسنا " ازواجاً ... فالجوهر واحد هو " أنفسنا " ولكنه جعله شطرين – زوجين – .

الثانيه : عبرة السكن ، سكن الأزواج إلى الزوجات .. سكن شطر من الشطرين إلى الآخر ؛ فليس السكن حاجة متبادلة بينهما يسكن بها كل منهما إلى صاحبه ، بل هو حاجة قائمة بالرجل وحده يسكن بها إلى امرأته : " لتسكنوا إليها ".

الثالثه : عبرة الثمر الروحى والاجتماعى الذى تثمره تلك الزوجيه فى قوله تعالىٰ : " وجعل بينكم مودة ورحمة " .

والمتأمل فى هذه العبر - أو الآيات - الثلاث - يجد فيها من عجيب تقدير اللّٰه فى خلق الإنسان مايملأ الذهن نوراً ، والقلب إيماناً بحكمته تعالى وسعة شأنه فى الكون ، ولذا اختتم الآية بقوله :
" ان فى ذلك " لآيات " لقوم يتفكرون ")(١).

وقد يعجل البعض فيظن أن المراد بلفظ " لتسكنوا إليها " هو : سكن الغريزه وقضاء الوطر ، وهو ظن يرده نظم الآية من أوجه :

الأول : وجه لغوى ، فى قوله : " إليها " ، وأخذ منه أن السكن سكن قلبى - أى روحى - لاسكن حسى ، لانه يقال سكن اليه للسكون القلبى ، وسكن عنده للسكون الجسمانى ، لأن كلمة " عنده " جاءت لظرف المكان ، وكلمة " إليه " جاءت للغاية وهى للقلوب " .

هذا هو الوجه اللغوى الذى يتبين لنا من خلاله المراد من قوله تعالى : " لتسكنوا اليها " .

الثانى : وجه تشهد به طبيعة كل من الزوجين نفسيهما ، فلو كان المراد سكن الغريزة الجنسية ، لقررت الآية حاجة كل

---

(١) الاسلام والمرأة المعاصرة ، (ص : ٣٨ - ٣٩) .

من الزوجين إلى الآخر لقيام تلك الغريزة بكل منهما ، ولكان لها نظم يقرر هذا المعنى غير نظمها الحالى ، فمجىء النص الكريم مفرداً أحد الزوجين بضرورة السكن إلى الآخر يوجه الذهن إلى أن المراد وهو السكن الروحى ، لا السكن الحسي(١).

الثالث : وجه يشهد به جوهر العلاقة الفطرية بين الرجل والمرأة فنجدها علاقة وثيقة الصلة بخصائص كلٍّ منهما، فالرجل هو المتحمل لمشاق طلب المعيشة ،والوقوف فى وجه صروف الزمن وأحواله ، فإنه لايعود إلى البيت إلاّ وقد كلّ من التعب والنصب ، يأوى إلى داره يبحث عن كلمة حنون،ونفس يسكن إليها،وروح يألفها تخفف عنه أزمات الحياة وصروفها التى واجهها ويواجهها ، فيجد المرأة المستقرة نفسياً ومكانياً فى داره بعاطفتها وحنانها، وجمالها وعقلها وحسن تبعلها تزيل عن كاهله كل ماعلق به من تعب ونصب ، وهذه العلاقة توكّد لنا أن المراد بالسكن هو السكن الروحى .

(ب) المودة والعاطفة الروحية بينهما :

وذلك مصداقاً لقوله جلّ ثناؤه : " وجعل بينكما مودة ورحمة " : (أي التواد والتراحم بعصمة الزواج بعد أن لم تكن بينكم سابقة معرفة ولا لقاء وسبب يوجب التعاطف من قرابة أو رحم)(٢).

---

(١) ينظر:(أ) مفاتيح الغيب / للإمام الرازى ، (١١١/٣ - ١١٢) .
(ب) الإسلام والمرأة المعاصرة / للشيخ البهى الخولى ، (ص : ٤٠)

(٢) الكشاف / للزمخشرى ، (٢١٨/٣) .

فعلى الرجل والمرأة معاً تنمية هذه المودة،وذلك الحب،بالتبادل عن طريق الأخذ والعطاء ، وفى نظري أن العبء الأكبر فى هذه الناحية يقع على المرأة حيث إن ظروف تكوينها وطبيعتها التى جبلت عليها تؤهلها لذلك . على شرط أن لايكون الرجل أنانياً،فيقابل ذلك منها بعدم المبالاة فيأخذ منها ولايعطيها ، وذلك لأن الحياة كلها أخذ وعطاء ، فالمرأة الصالحة من الطبيعى أن تتوافر فيها خصائص النفس الكريمة،والمزايا السامية من صفات ومحاسن،ومعان جميلة،وخلق طيب يمثل الإنسانية الراقية،والشخصية المؤمنة الآمنة المستقرة،ونتيجة لهذا تكون سكناً لغيرها .

عَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " الدُّنْيَا مَتَاعٌ. وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ "(١)

فى هذا الحديث الشريف قيد المصطفى صلى الله عليه وسلم خير متاع الدنيا بقيد وهو " الصلاح" حيث إن فى صلاحها يتحقق الاستمتاع بها،ويثمر الارتباط بها ، فعلى المرأة أن ترجع إلى نفسها وتصحح من وضعها الذى هى عليه حتى يصلح شأنها فتكون خير متاع الدنيا،ويتحقق الثمر المطلوب من الزواج وهو السكن والمودة والرحمة .

(ج) الرحمة التى تربط بين الرجل وزوجته وبين جميع افراد العائلة من ابناء وحفدة :

إن الرحمة هى الثمرة الثانية التى يثمرها ذلك السكون الروحى وهى

---

(١) (أ) أخرجه مسلم فى صحيحه فى (كتاب الرضاع ، باب خير متاع الدنيا المرأة الصالحة)،(رقم:١٤٦٧)،(٢/١٠٩٠)،واللفظ له .
(ب) وأخرجه النسائى فى سننه فى (كتاب النكاح ، باب المرأة الصالحة) ، (رقم : ٣٢٣٢) ، (٦٩/٦) .

مشتركة بينهما حيث قال جلّ شأنه : " وجعل بينكما مودة ورحمة " ومما يؤكد ذلك ماقاله السيد رشيد رضا فى تفسيره لهذه الآية :

(فقيد سكون النفس الخاص بالزوجة ولم يقيد المودة والرحمة ،لأنها تكون بين الزوجين ومن يلتحم معهما بلحمة النسب وتزداد وتقوى بالولد)(١)

ويؤيده قوله تعالىٰ :

﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾

(سورة النحل ، الآية "٧٢")

فالذرية من نعم اللّٰه الكبيرة على الزوجين،فيلاحظ أنه لاتتم سعادتهما،ولايحصل لهما الاستقرار إلا بعد الإنجاب،لأنه يعتبر من المقاصد الرئيسية من الزواج،فالإنسان بطبعه يحب أن يمتد ذكره وأثره ولا يحصل هذا الامتداد،ولا يتم إلا فى الأبناء والأحفاد ، ولايمكن أن تكتمل تلك الأركان الأساسية التى سبق ذكرها إلا بوجود الأبناء،لتكتمل عواطف الأمومة والأبوة ورحمتهما بالأبناء لأن هذه المشاعر الفياضه بالعواطف هى أساس الرابطة الاجتماعية بين أفراد الأسرة الواحدة،وتكامل البناء العائلى الذى هو فى الأصل النواة للمجتمع بأسره فبصلاح هذه النواة يصلح المجتمع وتسعد الإنسانية فيعم الخير والرخاء أرجاء المعمورة .

فبتحقق تلك الأسس والأركان فى الحياة الزوجية ينتج منها ثمار عظيمة هذه الثمار هى:تكاثر النسل البشرى،وذلك لحفظ النوع،ودوامه،وتحقق الخلافة على الأرض،إلى أن يرث اللّٰه الأرض ومن عليها .

---

(١) تفسير القرآن الحكيم ، (٥/٣٣) .

يقول عبدالكريم الخطيب فى تفسيره :

(وفى قوله تعالى : " وجعل بينكم مودة ورحمة " - إشارة إلى أن المودة والرحمة أمران يتولدان من الألفة والسكن ، وأنه لولا السكن والائتلاف ، ماقامت مودة ورحمة .. لهذا جاء النظم القرآنى مفرقاً بين الأمرين ، فجعل المشاكلة فى الطبيعة البشرية بين الناس ، ذكوراً وإناثاً - خلقاً ، أي فى أصل الخلقه ، على حين جعل المودة والرحمة ، عَرَضاً من أعراض هذه الطبيعة ، وثمرة من ثمراتها ، فعبر عنها بلفظ " الجعل " .. " وجعل بينكم مودة ورحمة " .. وهذا إعجاز من إعجاز القرآن ، الذى يتجلى فى روعة أسلوبه ، وجلال صدقه .. إذ ليس كل لقاء بين طبيعتين متماثلتين يحدث الرحمة والمودة ، وان كان من شأنه أن يجمع ، ويقرب .. فإن المودة والرحمة ثمرة احتكاك ، وتجاوب ، بين النفوس ، وجهد مبذول ، ومعاناة معطاة من كل نفس ، وعلى قدر هذا الجهد وتلك المعاناة تكون الثمرة .. وما أكثر الأشجار التى لاتعطى ثمراً !!)(١).

ذلك هو المحور الأول الذى تدور حوله مسؤولية المرأة تجاه مجتمعها ونجد أن الرجل قد يشاركها فى بعض الأمور ويتساوى معها فى تحملها وقد تنفرد هى فى بعضها الآخر وما ذلك إلا نتيجةً للتباين بينهما الذى سبق أن أثبتناه من الناحية الجسمية والنفسية والعقلية .

---

(١) التفسير القرآنى للقرآن ، (٤٩٧/٢١/٦ - ٤٩٨) .

(ب) مسؤوليتها تجاه أبنائها " وظيفة الامومة "

من هنا تأتى وظيفة المرأة المهمة الخاصة بها التى انفردت بها بتأهيل عضوي ونفسي ، ألا وهي : " وظيفة الأمومة " .

وسوف أتناولها بإيجاز حيث سأعرض للأدوار التى تقوم بها على وجه السرعة، وذلك لأن هذه القضية بالذات ليست جديدة فطالما قتلت بحثاً حتى كادت وللأسف الشديد تفقد أهميتها حتى بالنسبة للمرأة نفسها ، بالاضافة إلى أن المقام لايتسع للتفصيل .

فنقول وبالله التوفيق : إن هذه الوظيفة ، تدل على المكانة التى اختص الله بها المرأة دون الرجل، ورفع منزلتها حيث أعلى شأنها، لأنها هى الأصل وهى المستقر (فهى صانعة [1] الجنس البشرى) بإرادة الله تعالى ، وهى الحضن الدافئ الذى تتربى فيه الأجيال ، وتتعاقب ، ومما يؤكد ذلك وصية الله سبحانه وتعالى " للانسان " ذكراً كان أو أنثى بوالديه بصفة عامة وبالأم بصفة خاصة بأن يشكر لهما صنيعهما ومعروفهما بعد شكره لله المنعم المتفضل ، فقال تعالى :

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ (سورة لقمان ، الآية " ١٤ ")

ونلاحظ من خلال الآية أنه سبحانه وتعالى علل وصيته بالأم بأنها

(١) لاأقصد بالعبارة أنها تشارك الخالق جل وعلا فى صناعة البشر وانما اقصد بصناعة الجنس البشرى : التربية ، والعناية ، والرعاية والتعهد حيث إن المرأة ، عامل أساسى فى حياة كل طفل ورجل ،وتحتل أشد المواقع تأثيراً فى تكوين شخصية الفرد .. مما تستمر آثاره مدى الحياة .. علماً بأن هذه الآثار لاتقتصر على الشخص فقط بل أنها تؤثر عليه وعلى أسرته ومجتمعه وأمته بأكملها .

تتألم فى حملها،وتعانى الكثير فى سبيل أبنائها الذين يشتد بهم أزر الأمة الإسلامية إن شاء اللّه تعالىٰ .

يقول سيد قطب فى تفسيره للآية :
(وهذه الصورة الموحية " حملته أمه وهناً على وهنٍ وفصاله فى عامين " ترسم ظلال هذا البذل النبيل ... الأم بطبيعة الحال تحتمل النصيب الأوفر وتجود به فى انعطاف أشد وأعمق وأحسن وأرفق)(١)

فالانثى شعورها الفطرى يلح عليها دوماً أن تكون زوجةً وأماً مهما شغلت من الوظائف والمناصب ووصلت إليه من الشهره .

فلا غنى لها عن واجبها الأساس فى الحياة الاجتماعية،وهو الأمومة، وتربية الأطفال،وتهيئة البيت السعيد،لإنشاء المجتمع السعيد الذى سعد بإنتاجها للاجيال المسلمة القوية،التى يشتد أزر الأمة بهم،ويقوى أساسها، وتتقدم إلى أعلى درجات الرقى والصلاح ، وليس البيت ،أو المجتمع فقط فالخير والرخاء يعم الجميع إذا انتشر هؤلاء الأجيال الصالحون المصلحون لغيرهم .

وفى هذا يقول الدكتور " ألكسيس كاريل " :
(والحقيقة أن المرأة تختلف اختلافاً كبيراً عن الرجل . فكل خلية من خلايا جسمها تحمل طابع جنسها ... والأمر نفسه صحيح بالنسبة لأعضائها . وفوق كل شىء ، بالنسبة لجهازها العصبى . فالقوانين الفسيولوجية غير قابلة للين مثل قوانين العالم الكوكبى .. فليس فى الإمكان إحلال الرغبات الإنسانية محلها . ومن ثم فنحن مضطرون إلى قبولها كما هى . فعلى النساء أن ينمين أهليتهن تبعاً لطبيعتهن دون أن يحاولن تقليد الذكور، فإن دورهن فى تقدم

---

(١) فى ظلال القرآن ، (٢٧٨٨/٢١/٥) .

الحضارة أسمى من دور الرجال ، فيجب عليهن ألا يتخلين عن وظائفهن المحددة)(١).

نستنتج من ذلك أن وظيفة الأمومة مهمة وخطيرة حتى إن التقصير فيها يترتب عليه ذنب عظيم أمام الله تعالىٰ وإساءة بالغة ليس لفرد واحد فقط إنما التفريط فيها قد يؤدى بالإنسانية جمعاء .

فالأدوار الأربعة المتلاحقة التى تستلزمها وظيفة الأمومة هي :

(١) دور الحمل :

حيث إن الحمل هو الثمرة الطبيعية التى يجنيها الزوجان من بذرة اللقاء الزوجى بين الذكر والانثى ، والزوجان المسلمان الواعيان يحرصان كل الحرص على أن يكون هذا اللقاء لقاء خَير ولقاءً الهدفُ منه فى الدرجة الأولى تحصيل الذرية الصالحة؛ فانه لايفوتهما فى تلك اللحظة اتباع سنة سيد المرسلين حيث أمرهما بِقَولِهِ صَلّىَ اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي الحديث الذى رواه عَنْهُ ابْنِ عَبّاسٍ قَالَ : قَالَ النّبِيُّ صَلّىَ اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ : أَمَا لَوْ أَنّ أَحَدَهُمْ يَقُولُ حِينَ يَأْتِى أَهْلَهُ : بِاسْمِ اللّٰهِ اللّهُمّ جَنّبْنِي الشّيْطَانَ وَجَنّبِ الشّيْطَانَ مَارَزَقْتَنَا ثُمّ قُدّرَ بَيْنَهُمَا فِي ذٰلِكَ أَوْ قُضِيَ وَلَدٌ لَمْ يَضُرّهُ شَيْطَانٌ أَبَدَاً "(٢)

---

(١) الإنسان ذلك المجهول : ألكسيس كاريل ، تعريب / شفيق أسعد فريد ، (ط : عام ١٩٨٣ م) ،(الناشر : مكتبة المعارف - بيروت) ، (ص : ١٠٩) .

(٢) (أ) أخرجه البخارى فى صحيحه فى (كتاب النكاح ،باب مايقول الرجل إذا أتى أهله) ،(رقم : ٥١٦٥) ،(٢١/٧/٣) ، بهذا اللفظ .
وفى (كتاب بدء الخلق ، باب صفة ابليس وجنوده) ، (رقم : ٣٢٧١) ، (٩٧/٤/٢) .
وفى (كتاب الدعوات ، باب مايقول اذا أتى أهله) ،(رقم: ٦٣٨٨) ، (٦٩/٨/٣ - ٧٠) ==

هذا شأن الهدى النبوى الذي لم يترك طريقاً فيه صلاح وفلاح للإنسانية إلا ودلهم عليه،حتى والزوجان فى حال اللقاء جعلهما منذ تلك اللحظة يتحملان المسؤولية تجاه ذريتهما،ويحرصان عليها كل الحرص حتى وهي فـي علم الغيب قد يقضى الله بينهما وقد لايقضي فهذا ليس من شأنهما إنما هو بتقدير الله ، وعليهما فقط استشعار عظم تلك المسؤولية باتباع السنه النبوية وذلك بذكر الله ، والدعاء أن يجنبهما وذريتهما الشيطان .

هذه هى نقطة البداية للزوجين الواعيين الحريصين على تنشئة أبنائهما على ذكر الله والصلاح والتقوى،وذلك لتعيش تلك الذرية فى جو روحانى منذ اللقاء الأول لوالديها المسئولين عنها أمام الله .

وفى هذا الدور توجد توصيات عديدة من نصوص القرآن والسنة النبوية وأخرى من تجارب الأطباء واكتشافاتهم ونصائحهم للحامل جسمياً ونفسياً نحن فى هذا المقام فى غنى عن البحث فيها؛لأنها قد أشبعت بحثاً على الإجمال والتفصيل(١) .

(٢) دور الوضـع :

بعد ذلك الدور المملوء بالتعب والشقاء والنصب والكرب الذى

== وفـى (كتاب التوحيد ، بـاب السؤال بأسماء الله تعالى والاستعاذه بها) ، (رقم:٧٣٩٣) ، (٩٦/٩/٣) .

(ب) وأخرجه مسلم فى صحيحه فى (كتاب النكاح ،باب مايستحب أن يقوله عند الجماع) ، (رقم:١٤٣٤) ، (١٠٥٨/٢) .

(جـ) وأخرجه أبوداود فى سننه فى (كتاب النكاح ،باب فى جامع النكاح) ، (رقم : ٢١٦١) ، (٢٤٩/٢) .

(د) وأخرجه الترمذى فى سننه فى (كتاب النكاح ،باب مايقول إذا دخل على أهله) ، (رقم : ١٠٩٢) ، (٤٠١/٣) ، قال أبوعيسى : حديث حسن صحيح .

(١) ينظر : للكتب والمجلات والنشرات الطبيه لاشك انها ستتعرض للحامل وكل مايخصها .

تحملته الأم يأتى دور الوضع وعليها فى أثناء دور الحمل السابق أن تلتزم بأداء الفرائض ،والتقرب إلى الله بالنوافل وعمل الخير وقراءة القرآن،والذكر،والدعاء؛ وذلك ليطمئن قلبها ويخفف عنها ماتعانيه مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾

(سورة الرعد ،الآية " ٢٨ ")

لأن ذكر الله يهدىء النفس ويطمئن القلب،وعليها أن تطلب من ربها الذرية الصالحة كما قال تعالى :

﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ ﴾

(سورة آل عمران ،الآية "٣٨")

لأنها تكون فى حالة نفسية وهذه الحالة تابعة للحالة الجسمية فهى بين الخوف والرجاء . أما فى دور الوضع الذى نحن الآن بصدد الحديث عنه ، فكما هو معروف أن له آلام تفوق أي آلام فهى عملية شاقة وشديدة ومؤلمة حتى يتم بأمر الله خروج الجنين إلى عالم الحياة ، وتتعرض الأم فى هذا الدور للمخاض وآلامه المضنية حيث جاء ذكر المخاض فى القرآن فقال عز وجلّ :

﴿ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ ﴾

(سورة مريم ، الآية " ٢٣ ")

وبما أن الولادة عملية شاقة وشديدة الخطورة على الأم والجنين ننصح الأم بمراجعة الطبيبة المسلمة ،وذلك لتفادي حصول مضاعفات لها ولابنها ، ولتزودها بما يلزم من النصائح والإرشادات خاصة وأنها فى فترة حرجه يخشى عليها وعلى طفلها ، وهذا الأمر ليس بجديد فإن نساء سلفنا

الصالح قد تعودن الاستعانة بالغير فى مثل هذه الحالة فكانت عندهم القابلة مثلاً والمرأة ذات الخبرة لمساعدة الأم فقد ورد أن السيدة خديجه (١) رضى الله عنها كانت تستعين بقابلة وكذلك ابنتها فاطمة (٢) رضى اللّه عنهما.

هذا ومن النصائح التى تزود بها الأم حين الوضع تناول الرطب مع السوائل،وذلك لتسهل عملية الولادة بأمر الله تعالى ، هذا ورد فيه قرآن يتلى قبل اكتشاف العلم والطب الحديث بأربعة عشر قرنا حيث قال تعالى:

﴿ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾
وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾
فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ
إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ ﴾

(سورة مريم ، الآيات "٢٤، ٢٥، ٢٦")

ثم يعقب الولادة " فترة النفاس " الذى تظل فيه المرأة تعاني من الإرهاق والتعب نتيجة الجهد الذى بذلته فى أثناء الوضع ، لذلك نجد الشارع الحكيم قدر لها ذلك فخفف عنها بعض التكاليف الشرعيه مثل الصلاة ولاتقضيها ، والصوم إلى أنتطهر وتقضيه .

(٣) دور الرضاعة :

مما يدل على أهمية هذا الدور الخطير أن المولى جل وعلا لم

---

(١) كانت السيده خديجه رضى اللّه عنها ،تستعين بقابله تدعى " سلمى " مولاة صفيه بنت عبد المطلب .
ينظر: (الاصابه فى تمييز الصحابه/لابن حجر العسقلانى) ، (رقم :٣٢٥) ، (٢٨١/٤ - ٢٨٣) .

(٢) وسلمى هذه هى التى قبلت إبراهيم ابن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم، وكانت قابلة بنى فاطمه ابنة رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم.
ينظر: (الاستيعاب فى اسماء الاصحاب/لابن عبدالبر القرطبى) ، (٣٢٨/٤) .

يترك تقريره لأحد من البشر بل أنزل فيه قرآناً يتلى على مرّ العصور، ليؤكد في كل زمان ومكان أهمية الرضاعة الطبيعية للاثنين معاً :

(أ) قال تعالى : ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢٣٣) ﴾

(سورة البقرة ، الآية " ٢٣٣ ")

(ب) وقال جلّ ذكره : ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤) ﴾

(سورة لقمان ، الآية " ١٤ ")

(ج) ويقول عزّ وجلّ : ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (١٥) ﴾

(سورة الاحقاف ، الآية " ١٥ ")

فهذه النصوص بالنسبة لمدة الرضاعة أما بالنسبة لحكم الرضاعة فكتب الفقه زاخرة بذلك ومفصلة لكل دقائقه (١).

وكما نعلم جميعاً أن كتب الفقه تستمد أحكامها وأدلتها من المصدرين الرئيسيين، اللذين لاينضب مافيهما، ولايضلّ من تمسك بهما أبداً : كتاب اللّه وسنة نبيه محمد صلى اللّه عليه وسلم ، والآن وبعد مضى هذه الفترة الطويلة من الزمن تقرر هيئات ومنظمات الصحة العالمية وتهاجم الأغذية المصنعة للأم فتدعى هذه المدنيات الحديثه الزائفة أنها تدافع عن حقوق الإنسان (٢).

ونحن المسلمات نعرف أن ذلك هو ما أثبته القرآن الكريم والسنة الشريفه ولقد حث عليه القرآن بقوله تعالى :

---

(١) ينظر : الكتب الفقهية : كتاب الرضاع .

(٢) فقد نشرت صحيفة " عرب نيوز " فى عددها الصادر فى - ١٠ فبراير عام - ١٩٨١ م - القرار الآتى :

(تقريراً جديداً عن هيئة الصحة العالمية تهاجم فيه أغذية الاطفال المصنعة، ويتهم الشركات الغربية التى تبيع فى كل عام بما قيمته الفا مليون دولار من أغذية الأطفال بأنها تسهم فى قتل الاطفال فى البلاد النامية ..، وذلك لأن الأغذيه المصنعة والألبان المجففه تمنع الأم من الرضاعة ، واستعمال القارورة يوّدى الى كثرة النزلات المعويه الخطيرة نتيجة عدم التعقيم ، ولذا فإن تقرير الصحة العالمية يدعو الحكامات وخاصة فى البلاد النامية إلى محاربة هذه الأغذية المصنعة) .

تعليق :

يال العجب ويعتقدون انهم أدلوا بالجديد فى عالم الوقاية الصحية وهم باكتشافهم المتأخر لضرر من الأضرار العديدة للرضاعة الصناعيّه ، فكيف لو علموا بالأسرار الدقيقة والحِكَم العظيمة والمزايا والفوائد التي من أجلها حث اللّه تعالى الأمهات على الإرضاع منذ نزول القرآن الكريم على خير الأنام .

﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ ﴾

(سورة القصص ، الآية " ٧ ")

فهذا نداء صريح من القرآن للأمهات بإرضاع أولادهن قبل تلك المنظمات والهيئات الصحية بزمن طويل .

ولمزيد من الاطلاع على تفاصيل فوائد الرضاعة الطبيعية ومضار الرضاعة الصناعيه ينظر فى الكتب الطبية الحديثه[1] ، هذا من الناحية الصحية .

أما من الناحية النفسية فقد أثبت الطب النفسى الحديث أن الإرضاع الطبيعى يقوى الارتباط العاطفى بين الأم ووليدها،ويجعل الأم أكثر عطفاً

---

(١) لانه لايتسع المجال لذكر التفاصيل عن هذا الموضوع ، وهذه اسماء لبعض الكتب لمراجعتها للفائده ولمزيداً من التفصيل :

(أ) مع الطب فى القرآن الكريم / د. عبد الحميد دياب ، و/د.أحمد قرقوز ، (ط : ١٤٠٢/٢هـ – ١٩٨٢ م) ، (الناشر : مؤسسة علوم القرآن – دمشق – سوريا) .

(ب) دليل المرأة الطبى / د. ديفيد رورنيل ، نقله إلى العربية لجنة من الاطباء ، (ط : ٨) ، (الناشر : دار الآفاق الجديده – بيروت) .

(ج) الأمومة فى القرآن والسنة / محمد السيد الزعبلاوى ، (ط :١/ ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤ م) ، (الناشر : مؤسسة الرسالة – بيروت).

(د) الأمومة الرسالة السامية / د. حسين شويل ، (ط : ١٤٠٤/١هـ – ١٩٨٤ م) ، الناشر : دار الرفاعى – الرياض) .

(هـ) دورة الأرحام ، وخلق الانسان بين الطب والقرآن / د . محمد على البار .

(و) الطب محراب الإيمان / د . خالص حلبى ، (ط : ٢ / ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢ م) ، (الناشر : مؤسسة الرساله – بيروت) .

واعتناءً بوليدها، وأيضاً تجعل التعلق بين الأم ووليدها كبيراً جداً، لأنها عبارة عن رابطة معنوية، ومشاركة وجدانية، وتكوين نفسي بالنسبة للرضيع، فهي ليست عملية مادية فحسب، بل ذلك مشاهد وملموس في الواقع الذي نعيشه .

لذلك ينظر بالتفصيل الكتب النفسية والتربوية التي توضح لك ذلك وتولي هذه الناحية اهتماماً كبيراً(١).

هذه الأدوار الثلاثة من الأدوار التي تنفرد بها المرأة دون الرجل وذلك بحكم تكوينها الجسمي والنفسي .

---

(١) من هذه الكتب :

(أ) علم نفس الطفولة في ضوء الإسلام /د. احمد محمد عامر ، (ط:١/ ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣ م) ، (الناشر : دار الشروق - جده) .

(ب) تربية الأولاد في الإسلام / عبدالله علوان ، (ط : ١٤٠١/٣ هـ - ١٩٨١ م) ، (الناشر : دار السلام - حلب - بيروت) .

(ج) مناهج التربية الإسلامية / محمد قطب ، (ط : ١٤٠٣/٧هـ - ١٩٨٣م) ، (الناشر : دار الشروق - بيروت - القاهرة) .

(د) تربية النشء في ظل الإسلام /د. محمد محمود عماره ، سلسلة دعوة الحق ، السنة الثالثة ، العدد ٢٦ - جماد الاول ، عام ١٤٠٤ هـ .

(هـ) مشكلات الآباء والابناء /د. مختار حمزه ، (ط : ١٤٠٢/٣هـ -١٩٨٢م) (الناشر : دار البيان العربي - جده) .

(و) منهج القرآن في التربية / محمد شديد ، (ط:عام١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م) (الناشر : مؤسسة الرساله - بيروت) .

(ز) الطفل المثالي في الإسلام / عبدالغني الخطيب ، (ط:٢/ ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م) ، (الناشر : المكتب الاسلامي - بيروت) .

(ح) التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة/عبدالرحمن نحلاوي ، (ط : ١/ ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م) ، (الناشر: المكتب الاسلامي - بيروت - مكتبة سامه - الرياض) .

(ط) علم النفس المعاصر في ضوء الإسلام/د.محمدمحمودمحمد، (ط:١٤٠٥/١هـ - ١٩٨٤م) ، (الناشر : دار الشروق - جده) .

(٤) التربية والحضانة :

(هذا الدور يشترك فيه الزوجان ،إلاّ أن العبء الأكبر يقع على الأم ؛لأن الطفل أول من تتفتح عليه عيناه هى الأم ،فتحتضنه وتحنو عليه ، فيشعر بالأمان والاطمئنان ،لذا فإن دور الأم فى التربية بالغ الأثر . يقول الرسول صلى الله عليه وسلم مبيناً ذلك ومؤكداً عليه بصفة خاصة : " ..... وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَوَلَدِهِ فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ "(١)

فالمرأة فى بيت زوجها مسؤولة ومؤتمنة ،وموكلة وربة مملكة ،رعيتها البنات والبنون والزوج الروم ، والبيت وماحوى ،والمال والخدم ،فلتكن للبنين والبنات خير مربية ،وأحسن مثل فى طاعة اللّٰه وتقواه ،والمحافظة على دينها وتعليمها لاولادها وأخذهم به فأهم واجبات الأم واجب التربية الإسلامية الصحيحة لأولادها ،وتعهدهم بالنصائح المفيدة ،ولتعلم أنها المدرسة الأولى للأطفال وعليها يتوقف صلاح الأمة وفسادها)(٢).

فعلى الأم المربية أن تكون ذات عقيدة صحيحة ،سليمة من الانحرافات ، مؤمنة تطبق كل مايطلب منها وتلتزم بشرع ربها ،لتكون خير قدوة لأبنائها فى تربيتهم التربية الإيمانية السليمة والخلقية الصحيحة ، وعليها أن تتوخاهم بالنصيحة والموعظة الحسنة ،وترشدهم فى أوقات مناسبة ،وبأسلوب يناسب سنهم ومستواهم فى الادراك والفهم ,وخير مثل لنا رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم فى تعهده للصغار بالموعظه المناسبه التى ترسخ العقيدة وتثبتها ، وتقوى الصلة بين الصغير وربه ،وتشد أزره وعزيمته ،وتجعله يعيش حراً شجاعاً ،يقول كلمة الحق فى كل مكان وعند ،أي إنسان ،لايخشى فى اللّٰه لومة لائم لعلمه أن اللّٰه هو النافع الضار ، فيعيش حافظاً للّٰه ،

---

(١) سبق تخريجه : (ص : ٣٥٢) .
(٢) نفحات من السنة /د. كامل سلامه الدقس ، (ط: بدون) ، (الناشر: دار الشروق للنشر والتوزيع) ،(ص : ١٠٥) .

مراقباً له فى كل صغيرةٍ وكبيرةٍ .

قَالَ ابْنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يَوْماً ، فَقَالَ : يَاغُلامُ إِنِّى أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ : احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ . وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَىْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَىْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَىْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَىْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ ، رُفِعَتِ الأَقْلامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ "(١) .

فمثل هذه النصيحة ترسخ فى الذهن فى حالة ما إذا كان الناصح محلاً وأهلاً للقدوة ، فالرسول صلى الله عليه وسلم هو القدوة والأسوة الحسنة لأمته ، لهذا فمن أراد أن لايذهب نصحه وإرشاده أدراج الرياح عليه أن يكون القدوة الحسنة أولاً ، ثم ينصح ويرشد غيره عندها سيجنى ثمار نصحه وإرشاده .

فالأم هي المدرسة الأولى التى يتعلم فيها الأبناء دروس الحياة ، فتقوم بجميع جوانب الرعاية والتربية للطفل سواء كان جانب التربية الإيمانية الخلقية ، أم التربية العقلية السلوكية أم جانب التربية الجسدية ، وهذا الجانب الأخير هو الذى ركزت عليه المرأة المعاصرة اليوم ، فاهتمت به وأهملت الجوانب الأخرى الأكثر أهمية ، فنشأ الأبناء يتمتعون بصحة جسدية جيده لكنهم ضعيفو الإيمان فاسدو السلوك وليس ذلك لجهل منها ، ولكن لعلمها أن تلك الجوانب هى الأساس للطفل ولايمكن أن يقوم بها إلا الأم وذلك بحكم تعاملها المباشر معهم ، وهي - والعياذ بالله - لاتريد أن يكون هذا الاتصال المباشر ، فهى وضعت حاجزاً بينها وبين أبنائها ، وهو اعتمادها على الخدم فى تربية أبنائها ، والخادمه كما نعلم لن تستطيع أن تقوم إلا بالجانب الأخير فهى بالفعل ستغذى الطفل جسمياً ، وتعتنى بمظهره ، ولكن مخبره

---

(١) أخرجه الترمذى فى سننه فى (كتاب صفة القيامه ، باب ٥٩) ، (رقم : ٢٥١٦) ، (٤ / ٦٦٧) ، قال أبوعيسى : حديث حسن صحيح .

إما يكون خاوياً أجوف ، إلا من آمال وميول،ورغبات وشهوات،يريد تحقيقها بأى وسيلة .

أو مملوء بمفاهيم خاطئة تلقاها من الخدم الذين تربى على أيديهم ومن النمط غير الإسلامى الذى يراه أمامه ومن المحيطين به من خلال تصرفاتهم .

فمثل هذا الذى تخلت عنه أمه، التى من الواجب أن تكون بالقرب منه، لتغرس كل بذور الخير وتربى فيه اليقظة،لكى لايغفل عن مراقبة اللّه فى السرّ والعلن ويخاف من عقابه وبنفس الوقت يتشوق إلى رضائه .

إنه حين تخليها عنه وإهمالها لأى جانب من جوانب التربية فإنه سيكون عالة على المجتمع بأسره نتيجة ما أصيب به من أمراض نفسية، والسبب الوحيد فى وجود هذه الامراض المتعددة فى الشخص الواحد هو الفراغ الروحى الذى أوجدته الأم المهملة .

تلك هى وظيفة الأمومة فهى عظيمه ومهمة ، مثل وظيفة الزوجيه،وكلاهما فى نظرى ونظر كل منصفة من أعظم وأشرف وأنبل الوظائف التى تختص بالمرأة، ومن أوجب الواجبات عليها وأن أى اختلال أو تقصير فى أداء أيٍ من الوظيفتين يقع فيه الوزر والعقاب عليها،وينشأ عنه الأثر السيئ على الأفراد والمجتمعات ، بل وتتسبب فى انهيار الأمم وتدهورها . فالذى نريد أن نقرره الآن-انطلاقاً من مسؤولية المرأة تجاه بيتها ومن فيه من أبناء وزوج-أن دورها فى الدعوة إلى اللّه يكون فى الدرجة الأولى فى البيت فى مكان غرس البذور .

فالمرأة المسلمة الداعية لابد أن تعتبر نفسها فلاحاً وبيتها الأرض فالفلاح الناجح لاشك أنه سينتقى الأرض الخصبه الصالحة للإنبات،وسيجلب اليها كل الوسائل التى تعينه على الإنبات،وينتقى البذور التى يعرف أنها فى المستقبل ستنتج وسيجنى منها فائدة ، فالمرأة يجب أن تولى هاتين

الوظيفتين الأساسيتين عناية فائقة لتعتبر فعلاً عاملة منتجة ،بحيث لاتضاهى فى انتاجها ، مهما كانت جودة الإنتاج المنافس،لأن غيرها ينتج اى سلعة من السلع التى تفيد الأجيال ، بينما هى تنتج ألثروة الطائلة والذخيرة الدائمة على مرّ العصور،إنها حقاً منتجة الأجيال المسلمة القوية التى بصلاحها وفلاحها تصلح الأمم ، ويشتد أزرها ويقوى أساسها .

لذا شرع الإسلام للمرأة القرار فى البيت،وحبب اليها ذلك،وجعلها ملكة،وحثها على العناية والرعاية بأفراد مملكتها الصغيرة . وأوصى الرجال بالحرص عليها،ومراعات مشاعرها .

ولكن ينبغى ألا يفهم الإخوة الرجال أن هذا معناه : الحبس والحجر عليها بين أربعة جدران ، كما يفعل البعض الآن ممن يحتجون بأنهم يلتزمون بالدين الإسلامى الصحيح فيحجرون على أزواجهم وأبنائهم ويضيقون عليهم من كافة النواحى بحجة الزهد والتقشف وهم فى حقيقة الأمر لم يفعلوا ذلك إلا خوفاً على المادة ونفاذها أي إنه الشح بعينه ، والدين الإسلامى بريىء من هؤلاء وأمثالهم ، فهو دين العطاء والخير،دين العدل فى كل شىء فلا إفراط ولاتفريط .

بل مع أنه شرع لها المكث فى البيت فإنه فى نفس الوقت قد أباح لها الخروج لحضور الصلاة،والخطب فى المساجد،ومجالس الذكر والعلم، وأيضاً سمح لها بالخروج لقضاء حوائجها،والسفر،والحج مع محرمها،كما أباح لها مشاركة الرجل فى الجهاد إن دعت الضرورة إلى ذلك بالتمريض وإعداد الطعام والشراب للمجاهدين ، وحث على الجهاد وذلك بتحريض المجاهدين فى سبيل الله على أعدائهم .

هذا وأباح لها أن تتعلم العلم،لتعلم،أبنائها أولاً،ثم لتعلم بنات جنسها ، لكننا نجد النساء اليوم يخرجن إلى المدارس والمعاهد والجامعات وغيرها من المؤسسات التعليميه بحجة تعليم بنات جيلهن ، وهذا ليس صحيح،

والدليل على ذلك أنها حين تخرج تترك أبنائها الصغار الذين هم بأمس الحاجة إليها فى مثل هذا السن مع الخادمة فى الصباح،وحين تعود فى المساء لاتحاول تعويضهم عما فاتهم،بل نجدها مما يزيد الطين بله تتفق مع مدرس أو مدرسة ليأتى كل يوم ليراجع لأبنائها الذين هم فى المدارس دروسهم ، وهى بالطبع تتفرغ لزياراتها وحفلاتها الخاصة ، فهل كان خروج هذه وأمثالها لهدف التعليم ؟ أم أنه مجرد حجه للخروج من البيت ؟ .

فكان الأولى والاجدر بهذه وأمثالها أن يمكثن فى البيت لتعليم ابنائهن وتربيتهم التربية الإسلامية الصحيحة ، وتترك مجال تعليم بنات جيلها لغيرها من المتفرغات لذلك . ومن الأعمال أيضاً التى أباح لها الدين الإسلامى أن تخوضها وتمارسها فى حدود محيطها النسائى مهنة الطب لتداوى النساء .

ولها الحق فى المشاركة بالرأى والمشورة ان طلب منها ذلك .

فهذه المباحات لها وغيرها مما لم أذكره تعتبر من الوظائف الثانوية بالإضافة إلى وظائفها السابقة الذكر الأساسية .

فتلك الثانوية تخرج لتأديتها حسب الحاجة اليها والضرورة لها على شروط منها :

(١) أن لاتخل بوظائفها الأساسية – إن كانت متزوجة – بوظيفتيها الأساسيتين السابقتين ، وان لم تكن متزوجة فوظيفتها تجاه والديها وأفراد أسرتها وبنات جنسها .

(٢) أن تتقيد بخطى الصحابيات الجليلات فى الحشمة والوقار والحجاب وعدم الاختلاط فحين سمح لها بالخروج قيدها بقوله تعالى:

﴿... غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾ (سورة النور الآية "٦٠")

(٣) على أن تكون تلك الوظائف التى تلتحق بها مما يلائم تكوينها وظرفها مثل: التعليم ، والطب ، والنصح والإرشاد ، والقيام بمهمة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى مجتمعها ومحيطها وحسب استطاعتها، ولها الحق فى المشاركة الهادفه فى الرأى والمشورة ، والنقد الهادف البناء للاصلاح ٠

فالدين الإسلامى دين يسر وسهولة وسماحة حيث جعل المرأة تشارك المشاركة الفعالة فى كل ماينفع المجتمع فى دائرة حدودها وطاقاتها الفعالة، وبما لايخالف طبيعتها التى جبلت عليها، ولايؤدى بها إلى مخالطة الرجال، وأن يكون الهدف فى خروجها من دارها الحاجة الملحة والضرورة لها ، أو لمجتمعها٠

المبحث السادس

الهدف من قيامهما بالدعوة إلى الله .

السادس : الهدف من قيامهما بالدعوة إلى اللّه :

تمهيـــد :

إن التكريم الذى حظيت به المرأة فى الاسلام ، ومساواتهـــا بالرجل الا ما اقتضته طبيعة كل منهما من فوارق جسمية ونفسية ، يوجب علـــى المرأة مسؤولية عظمى ، وتبعة كبيرة تجاه أسرتها ، التى تعيش فيها بكل فروعها وجوانبها ، فالمرأة راعية فى بيتها وهى مسئوولة عن تلك الرعية .

كما أن رسالة المرأة فى الإسلام لاتقتصر فقط على البيت والأســـرة ، بل تتعدى إلى المجتمع من حولها فهى عضو فيه ، فيجب أن تأخذ حظها مـــن المسؤولية فيه ، ولكن فى نطاق الحشمة والحجاب والإختلاط الذى أباحـــه الإسلام .

إن على المرأة كما على الرجل السعى فى كل مافيه خير وصلاح للمجتمع والأمر بذلك والنهى عن كل مافيه شر وهلاك وضياع للمجتمع ، سواءً كان ذلـك بلسانها أو قلمها أو نفوذها . مثلاً كالنفوذ الاقتصادى ، قال تعالى :

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾

(سورة التوبة ، الآية " ٧١ ")

فأثبت اللّه للمؤمنات الولاية المطلقة مع المؤمنين ، فيدخل فيها ولايـــة الأخوة ، والتعاون مالياً كان أو اجتماعياً .

وما فى الآية من فرض الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر على النســاء كالرجال يدخل ماكان فيه بالقول أو الكتابة من النقد البناء والمشاركة فى الآراء والتوجيه والإرشاد مما فيه صالح الاسلام والمسلمين .

هذا وتتركز مسئولية المرأة المسلمة فى مستقرها ، ومملكتها التى هى مسوّولة عنها أمام اللّٰه ٠

هكذا تتجلى لنا الفروق بين الجنسين واختصاص كل نوع بخصائص توّهله للقيام بالوظائف المنوطة به لخلافة الأرض ولعمارة الكون ، فإن هذا الإختلاف يدل على التكامل والتناسق الرائعين والتوازن العادل الحكيم ٠

وبالرغم من هذا الإختلاف فى بعض الصفات إلاّ أننا نجد الدعوة صريحة للمرأة والرجل معاً للقيام بواجب الدعوة إلى اللّٰه ٠

ولكن ذلك يكون واقعاً تحت تأثير الوظائف المنوطة بكل واحد منهما والوظائف كما نعلم جميعاً واقعة تحت تأثير الفروق بينهما ٠

وقبل بيان الهدف لابد أن نبين أن الهدف موحد لكن تنفيذه واقع تحت تأثير الاختلافات حسب طبيعة كل منهما وتكوينه .

فحيث إن الصراع نحو الإستخلاف واحد ، إذن فالهدف الرئيسى هو : ابتغاء وجه اللّٰه عزّ وجلّ وأداء تكليف شرعى ، ولتكون كلمة اللّٰه هى العليا ، ولنشر السلام فى جميع أنحاء المعمورة وإرضاء اللّٰه جلّ شأنه .

وهناك أهداف أخرى منها :

* تحقيق الهدف الأسمى الذى خلق الناس جميعاً لأجله وهو عبادة اللّٰه ، وعبادة اللّٰه بالمفهوم الواسع ، وكونها منهج حياة لايمكن الوصول إليها إلا عن طريق اللّٰه الذى أنزل الكتاب وأرسل الرسل،يبلغون هذه التعاليم،فيصبح كل إنسان بعد ذلك سمع هذا التكليف مسوّولاً عن تبليغه إلى غيره،ليتم نشر العدل وتستقيم الحياة ويتم إصلاح المجتمع كله،فيستطيع بعد ذلك كل إنسان من أن يحيا الحياة التى أرادها له رب العالمين فيفوز بالجنة إن شاء اللّٰه تعالىٰ .

* إقامة مجتمع إسلامى صحيح تقوم أسسه على تقوى اللّٰه وعبادته،والخوف منه،والبعد عما يسخطه فى القول والعمل والرأى ، بذلك يصلح المجتمع ويطهر من المفاسد .

* تعريف الناس بالعقيدة الصحيحة وتثبيتها وتوجيهها إلى الأعمال الصالحة ، والأخلاق الحميده ،وتنفيرهم من كل مايخالف ذلك . وهذه وظيفة الأنبياء ومهمة المرسلين وقد ورثها عنهم العلماء والوعاظ والدعاة إلى اللّٰه من كل امة ليرفعوا الظلم عن المنكوبين من أبناء الأمم الأخرى المسلمة ، كل يساند الآخر مصداقاً لقوله تعالىٰ :

﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ (سورة الحج ، الآية " ٤٠ ")

* استئصال جذور الشرّ والفساد باتخاذ كل من القرآن الكريم والهدى النبوى منهجاً وسلوكاً فى جميع مجالات الحياة ، بذلك تستعيد الأمة الإسلامية سابق مجدها، وتكون جديرة بمسمى خير أمة .

* اضاءة الوجدان المسلم بعبير الإيمان، وشحنه بإشراقات السلوك الأمثل النابع من التشبع بخير زاد هو : القرآن والسنة .

* ان الفطرة الإنسانية تتعرض أحياناً لما يسمى بالضباب الكثيف مثل الجمود ، والسَفِل[1] والجرى وراء المادة ، والالتصاق بالطين لإشباع الغرائز بأى طريقة ، وهذه الفطرة لايعيدها إلى وضعها الذى أراده اللّه إلاّ الدعاة .

* الرد على المشككين والملاحدة، والتصدى لقوى التنصير والإستشراق التى تعمل ليل نهار من أجل هدم الإسلام والمسلمين .

---

(١) السَفِل : بفتح السين وكسر الفاء ، السقاط من الناس . والسفاله : النذالة .
ينظر : (لسان العرب / لابن منظور) ، (١١/٣٣٧ - ٣٣٨) .

* إعادة الذين ظلوا الطريق إلى المسار الصحيح ، ونعنى به الفهم والتطبيق للقرآن والسنة ، وأن تقر عيونهما .. الرجل والمرأة .. برؤية راية الإسلام خفاقة فى ربوع الأرض بعد تطهير مجتمعهما من الفساد .

* دخول أصحاب الملل والنحل الأخرى فى الإسلام بعد تعريفهم بمزايا الإسلام .

* زيادة هداية المؤمنين أنفسهم لقوله تعالىٰ :

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾

(سورة الانفال ، الآية "٢")

* أن تكون السيادة فى الارض لدين اللّٰه حتى يحيا الناس فى أمن وأمان واطمئنان .

* استشعار التكريم الربانى للإنسان حيث قال تعالىٰ فى محكم التنزيل :

﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾

(سورة الاسراء ، الآية " ٧٠ ")

فتركه بدون دعوة مسخ لفطرة اللّٰه المستقيمة .

* أداء الأمانة أولاً تجاه الدين، ثم إنشاء مجتمع إسلامى متكامل ، والحفاظ على هذا الدين من الضعف فى نفوس البشر وذلك بنشره على نطاق واسع بين جميع الدول والأمم .

* إقامة المجتمع الإسلامى الذى يعمق العقيدة الإسلامية ويؤكدها، ويقوى دعائمه بالعودة إلى كتاب اللّٰه وسنة رسوله .

* إقامة الأسرة المسلمة القوية الواعية المستنيرة المتفهمة لكتاب ربها وسنة نبيها والمستمدة مقوماتها وعلاقاتها وتكوين أفرادها منهما.
* تبليغ ما يجب على كليهما من حيث الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لتبرأ الذمة أمام الله عز وجل.
* تنقية الدين من الشوائب التى تعلق به على مرّ الزمان مما يدخله عليه الجهال من المتعبدين أو الزنادقة ويجعلونه من الدين مثل كثير من البدع التى تفشت عند كثير من جهال المسلمين ، ودفع التهم والافتراءات التى يتقولها أعداء الإسلام أو يحاولون من خلالها الهجوم على ديننا والوقوف ضد التيارات الفكرية الهدامة ويكون ذلك ببيان حقائق الإسلام الواضحة الجلية وبيان وجه الحكمة من بعض القوانين والأنظمة التى شرعها الخالق جلّ وعلا لكى لا تفهم خطأ وبالوقوف ضد الحضارات الغربية الزائفة والمادية المنحرفة التى تغزو مجتمعات المسلمين وإفهام الناس بأن بريقها وزهوها إنما هو زخرف ظاهرى لا جوهر ولا معنى ولا قيمة ولا مُثل ولا تقدم .
* تبليغ دين اللّه إلى الناس كافة امتثالاً لقوله تعالى :

﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴾

(سورة الزخرف ، الآية " ٤٤ ")

عندما يضع الدعاة من الذكور والإناث نصب أعينهم هذه الأهداف السامية، يجب عليهم بعد ذلك الانتقال إلى مرحلة التنفيذ لتحقيق تلك الأهداف وإعلاء كلمة التوحيد خفاقة فى جميع أرجاء المعمورة، ويكون ذلك عن طريق :

(١) ردع كل من يقف فى سبيل الدعوة الخالدة أو تسول له نفسه اعتراض طريقها .
بقوة العزيمة المستمدة من الإيمان الصادق الذى يولد الصبر وتحمل الأذى واحتساب الأجر فى سبيل دعوة الناس بالحسنى، ولنا المثل الأعلى بالمسلمين الذين استمروا فى مكة ثلاثة عشر عاماً يدعون الناس إلى عقيدة التوحيد .

(٢) لابد من نشر الخير والمعروف وإن كان قليلاً بطرق شتى فإنه لايلبث أن يكثر ويتطور مع الأيام إلى أن يعم كل مكان .

(٣) فليعلم الجميع أن الدعوة إلى الله جهاد بل من أفضل الجهاد، ولهذا عليهم جميعاً وضع الخطط والمناهج التى تعين على انتشار الدعوة باللتى هى أحسن، وبنفس الوقت تكون رادعة وناقضة لجميع خطط الأعداء .

(٤) لهذا لابد أن تبذل الأموال والجهود والمواهب بأنواعها من أجل تحقيق تلك الأهداف ، حيث إن الدعوة أمانة الله وضعها بين أيدينا، ونحن خلفاء فيها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لقوله جلّ شأنه :

﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾

(سورة يوسف، الآية " ١٠٨ ")

فلنسارع وننهض لحملها ، وحملها ليس بالهين ، لهذا ينبغى أن نكون أهلاً للمسؤولية الملقاة على عاتقنا، و لا نكون مثل

القوم الذين قال الله عنهم :

﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥﴾ ﴾

(سورة الجمعه ، الآية " ٥ ")

فإننا حين نهمل تلك المسؤولية، ونتولى عنها لبهرج الدنيا يوشك أن يتحقق فينا وعد الله :

﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾ ﴾

(سورة محمد ،الآية " ٣٨ ")

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾

(سورة المائدة ،الآية " ٥٤ ")

(٥) فهذه الأهداف لكى تتحقق لابد من الحركة والنشاط المكثف والارتحال من مكان إلى آخر، ومن فرد إلى جماعة وهكذا ،وتحمل كل العقبات فى سبيلها بصبر وجلد، علماً بأن المرأة الداعيه لايصح شرعاً ارتحالها إلا مع محرم ، ولكن يمكن أن يكون هذا الارتحال أو الانتقال فى بيتها نفسه المسؤولة عنه ، ففى تربيتها لأبنائها على إختلاف أعمارهم تكون كالمنتقل من مكان إلى آخر، وذلك لمسايرتها ومسايستها لتلك النفسيات

المؤتمنة عليها،لانها قد تواجه فى تربيتها بعض العقبات فتتحملها وتصبر عليها وتجد وتجتهد من أجل تحصين أبنائها ضد التيارات المعادية بكافة الوسائل بدون ملل إلى أن يصبح هؤلاء الأبناء أجيالاً صالحين . كذلك بأنتقالها من جو الأبناء وتربيتهم ومحاكاة كل واحدٍ منهم حسب فهمه ، إلى حسن التبعل للزوج،وتهيئة الجوّ المناسب له،والقيام على شئوونه، فتحاكيه بما يفهمه وتطيعه فى غير معصية اللّٰه ، إن هذه المهمة أصعب من انتقال الداعيه الرجل من بلد إلى بلد ، لهذا يجب أن لاتحتقر المرأة عملها العظيم هذا فإنه هو أساس الدعوة فمتى ضيعته فإنها لما سواه أضيع .

(٦) وليعلم الدعاة أن المنهج الأمثل لجذب الناس لهذه الدعوة هو منهج حسن الخلق ففى الالتزام به تتحقق كل الأهداف وبالبعد عنه لاتتحقق وينفض الجميع عن الداعيه لقوله جل ثناؤه :

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (١٥٩) ﴾

(سورة آل عمران ، الآية " ١٥٩ ")

الباب الثالث

اعدادها للدعوة إلى الإسلام ومجالات نشاطها .

ويشتمل على :

تمهيد . وفصلين

تمهيـــــــد :

إن الوسائل التى نريد استخدامها فى الدعوة هى وسائل الإعلام نفسها؛ حيث إن للإعلام أهمية كبيرة،ودوراً فعالاً فى نشر الدعوة الإسلامية وإيصالها إلى عدد كبير من الناس فى مساكنهم،وفى أماكن عملهم ، وكما نعلم جميعاً أن الإعلام المعاصر سلاح ذو حدين ، وهو يعتمد فى الدرجة الأولى على القائمين عليه والمسئولين عنه .

فإن كانوا مراقبين لله تعالىٰ متفهمين ومتفتحين،وتهمهم بالدرجة الأولى أمتهم ومستقبلها ، وحضارتها ، وعزتها ، فى ظل دينها الحنيف ويعلمون أن تلك الأمة التى تهمهم مصلحتها ، ماهى إلا أنفسهم ، وأهليهم الذين أمر الله تعالىٰ هؤلاء المسؤلين بوقايتهم من النار فقال تعالىٰ :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ
نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ
لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾

(سورة التحريم ،الآية " ٦ ")

عندما يكون هؤلاء على قدر من تحمل المسؤلية على عاتقهم فإن تلك الوسائل ستؤدى خدمة كبرى للإسلام والمسلمين فتغرس البذور الخيره وتثمر تلك البذور ، ثم تحصد حين قطافها ناضجة صالحة خيرة ، فتكون الزاد المنوع الذى يتزود به المسلم من الدين،والثقافة،والاجتماع، والإقتصاد،والسياسة،والحضارة .

وإن كان القائمون عكس ذلك-فالعياذ بالله-سوف يتحقق فيهم ماسبق أن قرره الله عزّ وجلّ فى قوله :

﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴿٣﴾ ﴾

(سورة العصر)

ومما يدل على أهمية وسائل الإعلام ، سواءً المقروءة "المكتوبه" ، والمسموعه والمرئيه ، وأنها السبب فى نمو الأمة فى جميع نواحيها الاعتقادية ، والفكرية ، والاجتماعية ، والسلوكية ، ويعلم الجميع أن النماء هو : الزيادة والرخاء .

ونسأل الله تعالىٰ أن يكون ذلك النماء فى الخير والصلاح وان يوفق القائمين على أجهزة الإعلام فى جميع البلاد الإسلامية عامة وفى بلادنا هذه خاصة إلى مافيه ، سعادة الدارين .

وهذه بعض النماذج لنرى كيف يكون أثر الإعلام علىالامة أفراداًوجماعات :

(١) (نقلت مجلة التحرير العدد " ٢٣٤ " تقرير لجنة الكونجرس الأمريكية لتحقيق جرائم الأحداث فى امريكا تحت عنوان : " أخلاق المجتمع الأمريكى منهارة " .

وهو يشير إلى ارتفاع نسبة تعاطى الخمور بين الأحداث، وانتشار الحانات التى تقدم الخمور وكتب الجنس وقصص الجنس وأفلام الجنس ، وانتشار نوادى العراة بكثرة مخيفة على الشواطىء الشرقية الامريكية خاصة .

وقد قال الدكتور " جون كيشلر " أحد علماء النفس الأمريكيين فى شيكاغوا : إن الإعلانات التى تعتمد على صور الفتيات العارية ، هى من أسباب هبوط المستوى الجنسى للشعب الأمريكى)[١]

---

(١) ينظر : الإعلام والدولة الإسلامية / د. على محمد جريشه ، من بحوث المؤتمر العالمى لتوجيه الدعوة واعداد الدعاة فى الجامعة الإسلامية بالمدينة المنوره - فى الفترة من ٢٤ - ١٣٩٧/٢/٢٩هـ - ١٢ - ١٩٧٧/٢/١٧ م . اللجنة الرابعة فى موضوع : (وسائل الإعلام فى العصر الحديث ودورها فى توجيه الأفراد والجماعات والمجتمعات وآثرها المضادة للدعوة الإسلاميه ومايجب اتخاذه بإزائها) ، (ص : ٧) ، فى الهامش .

(٢) وقال الدكتور طه عبدالفتاح مقلد :

(ان للإعلام دوره الخطير والهام فى نشر الدعوات،فلقد أكدت الدراسات الإعلامية التى ظهرت فى الفتره مابين ـ ١٩٤٠ / ١٩٦٠م ـأن التحول فى الرأى يمكن تحقيقه بسهولة أكبر عن طريق الهجوم الجانبى ببناء آراء جديدة عن طريق الاتصال المباشر وغير المباشر .

وقام " جروم سى برونر " بإجراء دراسة تحليليه على المواد التى يذيعها راديو المانيا على الموجة القصيرة وخرج من هذه الدراسة إلى أنهم اعتمدوا فى دعايتهم لتغيير المعتقدات على التفكك والترابط الذىيقوم على تحطيم الثقة وعلى النقد،والتأييد، والهجوم،والدفاع،والوقتية،والتكرار وغير ذلك من العناصر التى أستخدمتها الحرب البارده عن طريق وسائل الإعلام)[١]

(٣) (وقد اوضحت دراسات العالم الايطالي " اتريكوآنا فيللا " أثر أفلام العصابات على المراهقين ومدى خطرها الدائم على نفوس الشباب، ولخصت " اليونسكو " ابحاثه فى هذه العبارة :

إن افلام العصابات هى السبب فى العقد النفسية . ولايرجع ذلك إلى أنها تحبذ الجرائم فحسب ، وإنما إلى ماتورثه من اضطرابات أخلاقيه تكمن وراء الجرائم المختلفة)[٢]

---

(١) رسالة الإعلام فى بلاد الإسلام / د. طه عبدالفتاح مقلد ، من بحوث المؤتمر العالمى لتوجيه الدعوة واعداد الدعاة فى الجامعة الإسلامية بالمدينة المنوره فى الفترة من ٢٤ ـ ١٣٩٧/٢/٢٩ هـ ـ ١٢ ـ ١٧ / ٢ / ١٩٧٧ م ـ اللجنة الرابعة فى موضوع : وسائل الإعلام فى العصر الحديث ودورها فى توجيه الأفراد والجماعات والمجتمعات وآثارها المضادة للدعوة الإسلامية ومايجب اتخاذه بازائها ،(ص :١١ ـ ١٢)،

(٢) مسؤولية اجهزة الإعلام ومدى تأثيرها فى تكوين الرأى العام فى مكافحة المسكرات والمخدرات / إبراهيم إمام ،(ط : ١) ،(الناشر: دار الفكر العربى ـ القاهرة) ،(ص : ٣٥) .

(٤) (قال المربى البريطانى " نايفل قرانت " انه قضى أكثر من ثلاث سنوات فى روسيا ليكتب عن التربية فيها : بطرق مباشرة وغير مباشرة ، يغرس الاتجاه الشيوعي فى كل مرحلة من مراحل الدراسة ، ويقوى هذا الاتجاه بواسطة وسائل الإعلام خارج المدرسة كالمسرح والسينما والإذاعه والتلفاز والصحف)[(١)].

وهذه بعض نتائج الإعلام المنحرفة عن الجادة المستقيمة :

(١) (ذكر الأستاذ أنور الجندى فى كتابه " الصحافه والاقلام " المسمومة مايلى :
ذكرت فتاة سقطت فى خطاب لها الى مجلة " روز اليوسف " – ١٩٦٦/٤/٧م أن جانباً من المسؤلية فى مأساتها ، يرجع إلى ماتنشره الأفلام والمجلات والاغاني من إثارة وتحلل)[(٢)]

(٢) تقليد الكثير من نساء المسلمين للممثلات والمغنيات والراقصات الفاسدات فى الكلام واللباس والحركات ، فخرجن سافرات بلا حجاب شرعى ، غباء منهن ، ففى اعتقادهن الزائف أنهن سيحصلن على الشهرة والمجد وإذ بهن يحصلن فى الدرجة الأولى على الإثم من اللّٰه تعالىٰ .

(٣) ومما يعرض فى وسائل الإعلام ، من تمثيليات اجتماعية غير هادفة كان لها أكبر الأثر على الأبناء ، حيث تعلموا العصيان للوالدين ، والنكران للأسرة وللعلاقات الاجتماعية ، وعلى المرأة حيث قامت بالتمرد على زوجها ومن حولها ، فأصبح لكل فرد أفكاره الخاصة به ،

---

(١) التربيه والمجتمع / د. بشير حاج التوم ، (ط : عام / ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م) ، من سلسلة بحوث المؤتمر العالمى الأول للتعليم الإسلامى ، (ص : ٣٤) .
(٢) الصحافه والاقلام المسمومة/أنور الجندى ، (ط:١/١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م) ، (الناشر: دار الاعتصام) ، (ص : ٣٥) .

فلا يريد من أحد أن يكون وصياً عليه ، فحصل ماحصل من التفكك والأنهيار ، لكيان الأسرة وتبعاً له انهارت القيم والمبادئ الإسلامية .

هذا غيض من فيض ذكرته على سبيل المثال من نتائج الإعلام المنحرف ، لذلك لابد من تكاتف ، دعاة الإسلام ذكورا وإناث لإيقاف تلك الوسائل المنحرفه وتوجيهها الوجهه الصحيحة السليمه لتدارك الوقوع فى الفتنه العظمى والمصيبة الكبرى وإنحسار القيم وإنحلال الأخلاق .

فيكون الحل الوحيد فى ذلك هو : إيجاد البديل حيث الهدف والقصد هو إنتشال الإنسانية ، عموماً والمجتمعات المسلمة خصوصاً ، مما أبتليت به من ماديات ، وكان السبب فى إتلاف أعصابها ، إلى بر الأمان الذى تنعم فى ظله بمبادئ الإسلام ،وتعاليمه السمحة،وقيمه السامية ، وإنها والله لمسؤولية كبرى تلك التى قال الله تعالىٰ فيها :

﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾

(سورة الحجر ، الآية "٩٢،٩٣")

وقوله جل شأنه :

﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾

(سورة الصافات ،الآية " ٢٤ ")

وقوله تعالىٰ ذكره :

﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾

(سورة الزخرف ،الآية " ٤٤ ")

ولايستطيع المسؤولون من الدعاة وغيرهم منع الناس وصدهم وصرفهم عما هم فيه فقط .

بل لابد من طرح البديل وهذا ماقاله الدكتور عبدالعظيم المطعنى : (من الخطط الناجحه فى بابها أنك إذا أردت صرف الناس عن شئ له نفوذه

فى حياتهم فإن الهجوم وحده لايكفى ، بل لابد من طرح بديل عن الشئ الذى تصرفهم عنه ، ليملأ فراغهم ، ويحصل المطلوب)[(١)].

وعند الشعور بالمسؤولية والاهتمام بمصالح الأمة والتعاون،وإخلاص العمل لوجه الله،والرغبة فى الوقاية ، من تلك النار التى وقودها الناس والحجاره يمكن إيجاد البديل ، وهو :

الإعلام الإسلامى الصحيح الذى يسير وفَق الجادة المستقيمة عندها نحصل على نتائج ذلك الإعلام السائر على دين الله ووفق تعاليمه السمحة التى منها :

(١) إذا أُحسن استخدام وسائل الإعلام بأن كونت لجان علمية وأدبية وإدارية وإعلامية ، ممن التزموا بالإسلام قولاً وسلوكاً ،فإنها لاشك ستؤدى للإسلام والمسلمين خدمات كبرى،ومن نواحى عدة سواءً بعرض الإسلام عقيدة وشريعة وأخلاقاً ، أو بفتح النوافذ أمام الغير ليطلوا على الإسلام ويعرفوه على حقيقته .

(٢) وهذه الوسائل تعين على بناء الشخصية الإسلامية المتفهمه لدينها .

(٣) ومن الممكن لهذه الوسائل ، عن طريق برامجها المبسطة ومادتها المطروحة السهلة ، أن توحد الأمة الإسلامية ، وتنتشر الدعوة الإسلامية وتعطى صورة حية للتاريخ الإسلامى،ببطولاته، وفتوحاته، بالشكل الصحيح اللائق والملائم للعصر .

(٤) وسواءً كانت الوسيلة مقروءة ، أو سمعية ، أو بصرية فانها

---

(١) الفراغ وازمة التدين عند الشباب المعاصر / د. عبدالعظيم المطعنى، (ط : ١٣٩٨/١ هـ – ١٩٧٨ م) ، (الناشر : دار الانصار) ، (ص : ١٨٥) .

لابد أن يكون هدفها إظهار محاسن الدين ومبادئه السليمة وربط الأمة الإسلامية بعضها ببعض عن طريق تبادل ماهو مفيد لجميع الدول الإسلامية .

(٥) كذلك يمكن عن طريق تلك الوسائل تعريف وتبصير كثير من المسلمين الغافلين ، بالحركات الهدامة على مدار التاريخ الإسلامى والحركات الفكرية المعاصرة .

(٦) ربط الحياة العامة بالدين ووزن جميع الشؤون الدنيوية بميزان الإسلام عن طريق تلك الوسائل .

(٧) إيجاد جيل مسلم ، ذي سواعد قوية وأفكار نيرة ، يعتز بدينه ، ويذود عنه بكل ما أوتى من قوة بدنية وفكرية .

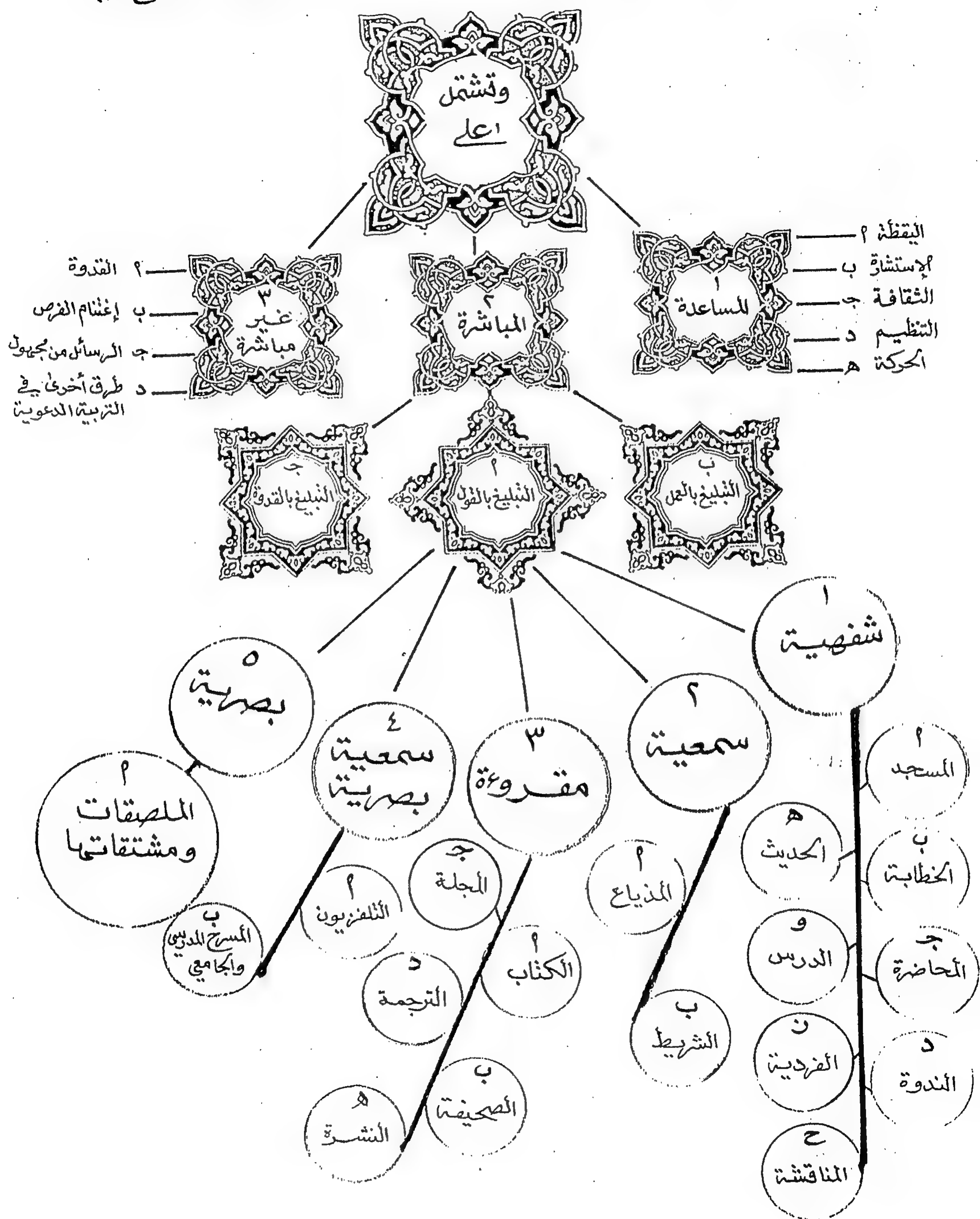
(٨) عن طريق تلك الوسائل ، تتثقف المرأة ، وتعى أمر دينها ، وتترك عنها كل تقليد للغرب لعلمها أن المقلد هو الذى يشعر بنقص ، أما هى نتيجة إلتزامها بدينها ، فلن تشعر بهذا النقص ، بل تعتز وتفتخر بهذا الإنتساب المشرف .

(٩) تنمية مدارك الأطفال وتوجيهها الوجهه السليمة ، لينشأ شاباً فتياً يافعاً صالحاً ، ليصلح بصلاحه المجتمع .

الفصل الأول

الوسائل التي تمكن المرأة من القيام بدورها في الدعوة
وتحمل أمانتها مع الرجل المسلم
ويشتمل على أربعة مباحث :

الوسائل التي تمكن المرأة من القيام بدورها في الدعوة وبتحمل أمانة الدعوة مع الرجل.



المبحث الأول

الوسائل المساعدة وهي :

أ- اليقظة .

ب- الاستشارة .

ج- الثقافة .

د- التنظيم .

هـ- الحركة .

الأول : الوسائل المساعدة :

إن المقصود بالوسائل فى مجال الدعوة هو : ماتستعين به الداعية الى الله على تحقيق مهمة الدعوة وتبليغها إلى الناس بصورة مثمرة وناجحة وهذه الوسائل تنقسم فى الواقع العملى إلى ثلاثة أقسام هي :

(١) قسم يتعلق بتهيئة الجو المناسب والظروف الملائمة التى تساعد على القيام بالدعوة بيسر ونجاح ويمكن أن يسمى هذا النوع من الوسائل بالوسائل المساعدة ٠

(٢) وقسم يتعلق بمهمة تبليغ الدعوة بصورة مباشرة. ويمكن أن يسمى هذا النوع من الوسائل بالوسائل المباشرة ٠

(٣) وقسم آخر يتعلق بمهمة تبليغ الدعوة بصورة غير مباشرة ويمكن أن يسمى هذا النوع من الوسائل بالوسائل غير المباشرة ٠

أولا : وإن الوسائل المساعدة هي :

بمثابة تهيئة الجو والمجال لبدء الدعوة ، وإزالة العراقيل من طريق إيصالها إلى المدعوين ٠

وفيما يلى بعض هذه الوسائل المساعدة على أساس النظرة الصحيحة لواقع الحياة ووفق قانون الأسباب والمسببات ٠

(أ) الحذر واليقظة ٠

(ب) استشارة أهل الكفاءات والخبرات ٠

(جـ) ثقافة الداعية ٠

(د) تنظيم الأوقات والجهود ٠

(هـ) الحركة السريعة المستمره ٠

(أ) الحذر واليقظة :

الحذر فى اللغة :

(الخفية والتحرز والتيقظ ، ورجل حذر ٠ أى : متيقظ ، فهو متحرز ومتأهب لما يخاف أن يفاجأ به من مكروه)[١]

أدلة مشروعية الحذر من القرآن :

(اليقظة والحذر من صفات المؤمنات اللاتى يفهمن السنن الكونيه ، فعلى كل مؤمنة عاقلة أن تبتعد دائماً عن الطيش والغفله وقصر النظر ٠

فلابد أن تكون فطنةً وكيّسةً تزن الأمور بميزان الإسلام وتأخذ الحيطة والحذر قبل وقوع المكروه فعليها أن تكون مثالاً للعقل فى كل تصرفاتها ونظراتها ولفتاتها ، بحيث لاتكون مضغة سائغه للأعداء، ولا دمية يلعب بها ٠

فالادله من القرآن صريحة وقاطعة على وجوب أخذ الحذر والحيطة فى شؤون المؤمنة كلها فقد قال عزّ وجلّ :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا (٧١) ﴾

(سورة النساء ، الآية " ٧١ ")

فهذه الآية وغيرها من الآيات المماثلة فى سورة النساء، دليل ساطع على ضرورة اتخاذ كل ماينجى المسلمين من كيد الأعداء ، وعلى ضرورة كونهن متيقظات فى كل الأحوال، ويتحسسن ماعند الأعداء

---

(١) لسان العرب / لابن منظور ، (٤/١٧٥ - ١٧٧) ٠

من الخطط والمكائد،ويتعلمن كيفية الرد عليهم بحكمة ويقظة)[1].

فالحذر من الأحتياجات الضرورية للداعية حيث إنها قد تواجه من يكيدون للداعية إلى اللّٰه،ويعرقلون سعيها فى نشر الإسلام وقيامها بمهمة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

وفى السنة النبوية شواهد كثيرة على لزوم الحذر لكل مسلم ومسلمة ولاسيما من تقوم بمهمة الدعوة إلى اللّٰه،لانها مستهدفة من شتى الجهات .

وهذه السيدة عائشة رضى اللّٰه عنها تروى لنا حديث هجرة النبى صلى اللّٰه عليه وسلم وكيف ان رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم كان حذرا عندما أذن له فى الهجرة إلى المدينة .

" ... قَالَتْ : فَبَيْنَمَا نَحْنُ يَوْماً جُلُوسٌ فى بَيْتِ أَبِى بَكْرٍ الصِّدِّيقْ فى نَحْرِ الظَّهِيرَةِ[2]، قَالَ قَائِلٌ[3] لِأَبِى بَكْرٍ : هٰذَا رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَقَنِّعاً[4] فى سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ يَأْتِينَا فِيهَا ، فَقَالَ أَبُوبَكْرٍ : فِدَاءٌ لَهُ أَبِى وَأُمِّى ، وَاللّٰهِ ماجَاءَ بِهِ فى هٰذِهِ السَّاعَةِ إِلَّا أَمْرٌ ، قَالَتْ فَجَاءَ رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاسْتَأْذَنَ ، فأذن له فدخل ، فَقَالَ النَّبِىُّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِى بَكْرٍ : أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ ، فَقَالَ أَبُوبَكْرٍ : انما هم أهلك بأبى أنت يارسول الله ، قَالَ فَإِنِّى قَدْ أُذِنَ لِى فى الْخُرُوجِ ، فَقَالَ أَبُوبَكْرٍ:

---

(١) منهاج الدعاة / د. محي الدين الألوائى ،(ط: ١/١٤٠٥هـ – ١٩٨٥ م)، (الناشر: شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع)، (ص : ٦٠) بتصرف يسير .

(٢) نحر الظهيرة : حين تبلغ الشمس منتهاها من الإرتفاع ،كأنها وصلت إلى النحر ، وهو أعلى الصدر .
ينظر:(النهاية فى غريب الحديث والاثر/لابن الاثير)،(٥/٢٧) .

(٣) القائل هو : عامر بن فهيرة مولى أبى بكر ، وقيل : أسماء بنت أبى بكر الصديق .
ينظر : (هامش البخارى) ،(٢/٥/٥٠) .

(٤) متقنعاً: أى مغطى رأسه بثوب .
ينظر:(النهاية فى غريب الحديث /لابن الاثير)،(٤/١١٤) .

الصَّحَابَةُ بِأَبِي أَنْتَ يارَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَعَمْ، قَالَ أَبُوبَكْرٍ : فَخُذْ بِأَبِي أَنْتَ يَارَسُولَ اللَّهِ إِحْدَى رَاحِلَتَيَّ هَاتَيْنِ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : بِالثَّمَنِ ، قَالَتْ عَائِشَةُ : فَجَهَّزْنَاهُمَا أَحَثَّ(١) الْجِهَازِ ، وَصَنَعْنَا لَهُمَا سُفْرَةً(٢) فِي جِرَابٍ(٣) ، فَقَطَعَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ قِطْعَةً مِنْ نِطَاقِهَا(٤) فَرَبَطَتْ بِهِ عَلَى فَمِ الْجِرَابِ ، فَبِذَلِكَ سُمِّيَتْ ذَاتَ النِّطَاقِ ، قَالَتْ ثُمَّ لَحِقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُوبَكْرٍ بِغَارٍ فِي جَبَلِ ثَوْرٍ ، فَكَمَنَا(٥) فِيهِ ثَلَاثَ لَيَالٍ ... "(٦)

---

(١) احث الجهاز : من الحث وهو الإسراع ، وفي روايه " أحب الجهاز"، والأول أصح .
ينظر : فتح الباري / لابن حجر ، (٢٣٥/٧) .

(٢) سفره : أي طعاماً ، ينظر : (النهاية /لابن الاثير) ، (٣٧٣/٢) ، قال ابن حجر : أصل السفرة في اللغة : الزاد الذي يصنع للمسافر ثم استعمل في وعاء الزاد .
ينظر : (فتح الباري) ،(٢٣٦/٧) .

(٣) جراب : وعاء من أهاب الشاه لايوعى فيه إلا يابس .
ينظر :(لسان العرب / لابن منظور ، (٢٦١/١) .

(٤) نطاقها : نطاق وجمعه: مناطق وهو : أن تلبس المرأة ثوبها ثم تشد وسطها بشيء وترفع وسط ثوبها وترسله إلى اسفل عند معاناة الاشتغال لئلا تعثر في ذيلها ،وبه سميت " اسماء " ذات النطاقين لإنها كانت تطارق نطاقاً فوق نطاق ، وقيل كان لها نطاقان تلبس احدهما وتحمل في الآخر الزاد إلى النبي صلى اللّه عليه وسلم وأبي بكر وهما في الغار ، وقيل شقت نطاقها نصفين فاستعملت أحدهما وجعلت الآخر شداد لزادهما .
ينظر : (النهاية في غريب الحديث والاثر /لابن الاثير) ،(٧٦/٥) .

(٥) كمنا : أي استترا واستخفيا .
ينظر : (النهاية في غريب الحديث والاثر /لابن الاثير) ، (٢٠١/٤).

(٦) جزء من حديث طويل ، وهذا الجزء بالذات هو الذي يخص موضوعنا .
(أ) أخرجه البخاري في صحيحه في (كتاب فضائل أصحاب النبي صلى اللّه عليه وسلم ، باب هجرة النبي الى المدينه)، (رقم : ٣٩٠٥) ،(٤٩/٥/٢ - ٥٢) ،بهذ اللفظ ==

فهذا مثال على أخذ أسباب الحذر والحيطة واليقظه من أجل إنجاح دعوته صلى اللّٰه عليه وسلم ، والمحافظه عليها وتبليغها للناس ٠

وقد ذكرت كتب السيرة (١) فى أخبار هذه الحادثة أن النبى صلى اللّٰه عليه وسلم خرج مع ابن أبى قحافة من خوخة فى ظهر بيت أبى بكر، ثم عمد إلى غار فى جبل ثور بمكه ـ فدخلاه ٠٠٠ الخ ٠

== وفى (كتاب المساجد ، باب المسجد يكون فى الطريق من غير ضرر بالناس) ، رقم : ٤٧٦) ، (٨٦/١/١) ٠
وفى (كتاب البيوع ، باب اذا اشترى متاعا أو دابة فوضعه عند البائع أو مات قبل أن يقبض) ، (رقم : ٢١٣٨) ، (٦٠/٣/١ ـ ٦١) ٠
وفى (كتاب الاجاره ، باب استئجار المشركين عند الضروره أو اذا لم يوجد اهل الاسلام) ، (رقم:٢٢٦٣) ،(٧٨/٣/١)
وفى (كتاب الاجاره ، باب اذا استئجر الأجير ليعمل له بعد ثلاثة أيام ، أو بعد شهر أو بعد سنه)،(رقم : ٢٢٦٤) ، (٧٨/٣/١) ٠
وفى (كتاب الكفاله ، باب جوار ابى بكر فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وبعده) ، (رقم : ٢٢٩٧) ،(٨٥/٣/١ ـ ٨٦) ٠
وفى (كتاب المغازى ، باب غزوة الرجيع ، ورعل وزكران وبئر معونه) ، (رقم : ٤٠٩٣) ، (٨٨/٥/٢ ـ ٨٩) ٠

(١) ينظر :
(أ) السيرة النبوية /لابن هشام ابومحمد عبدالملك بن هشام بن أيوب الحميرى ، تحقيق / مصطفى السقا ، وإبراهيم الابيارى ، وعبدالحفيظ شلبى ٠ (ط: بدون) ،(الناشر : دار احياء التراث العربى) ،(٢٨١/١) ٠
(ب) السيرة النبوية / للشيخ ابوالحسن بن على الندوى ،(ط : ٣/ ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م) ،(الناشر : دار الشروق ـ جده) ،(ص : ١٤٠) ٠
(ج) مختصر سيرة الرسول صلى اللّٰه عليه وسلم /للشيخ عبدالله ==

فالرسول صلى الله عليه وسلم يستخدم كل وسائل الحذر والحيطة في سبيل الحفاظ على كيان الدعوة الإسلامية. والذى يدلنا على ذلك ماقام به صلى الله عليه وسلم من احتياطات عندما أُذن له بالهجره حتى يحذر المشركين حيث قام بالآتى :

(١) حضر إلى منزل أبى بكر الصديق فى ساعة لم يكن يحضر بها من قبل .

(٢) عند حضوره فى تلك الساعة كان مقنعاً أي مغطى رأسه لكى لايعرف والله أعلم .

(٣) طلب من أبى بكر أن يخرج من عنده وهذا من شدة الحذر .

(٤) خروجهما من باب خلفى كما ذكرت كتب السيرة .

(٥) استتارهما فى الغار لمدة ثلاثة أيام .

أثبتت المرأة فى ذلك العهد جدارتها ومقدرتها على حفظ السر ومواجهة المشركين،وشاركت فى الإعداد لهجرة الرسول صلى الله عليه وسلم حيث كان لأسماء[1] وعائشة[2] إبنتى أبى بكر الصديق دور مشرف فى هذه الهجره ، فقد ساهمت أسماء فى إتمام الهجرة،من امداد بالزاد،وكتم للسر عن المشركين،ومواجهتهم ، كذلك بفطنتها،وحسن تصرفها استطاعت أن تزيل غضب جدها أبى قحافة على أبيها أبى بكر الصديق .

== بن محمد النجدي آل الشيخ ، (ط : عام ١٣٧٩ هـ) ،(الناشر: المطبعه السلفيه ومكتبتها الروضه - بمصر) ، (ص : ١٦٧).

(د) فقه السيرة / للشيخ محمد الغزالى ،(ط : ١٩٧٦/٧م) ،(الناشر: دار الكتب الحديثه) ،(ص : ١٧٢) .

(هـ) من معين السيرة / صالح احمد الشامى ، (ط: ١٤٠٥/١هـ -١٩٨٤م) ، (الناشر : المكتب الاسلامى) ،(ص : ١٤١ - ١٤٢) .

(و) الرحيق المختوم / صفى الرحمن المباركفورى ،(ط:١٤٠٠/١ هـ - ١٩٨٠ م) ،(الناشر : رابطة العالم الإسلامى بمكة المكرمه) ، (ص : ١٨٢ - ١٨٣) .

(١) ، (٢) للحديث مع اسماء وعائشه بقية يأتى فى الفصل الأول من الباب الرابع إن شاء الله تعالىٰ .

أين تلك المرأة المؤمنه التى تبذل مافى وسعها لنصرة دين اللّـه ؟ من المرأة اليوم التى لاتكاد تسمع خبراً مهما كان مصدره إلا ماعادت تطيق الصبر عليه ساعة واحده،وراحت تذيعه وتزيد عليه حتى أنها لم تمهل نفسها إلى أن تتثبت من صحته أو عدمها ؛ إنها بالفعل أصبحت جديرة بلقب " المرأة الثرثاره " بل وتضرب به الرقم القياسى مهما وصلت إليه من العمر والشهاده (١) والمنصب ، فأصبحت الغيبه والنميمة مثل الهواء والماء بالنسبه لها لاتستطيع الاستغناء عنهما ـ إلا من رحم اللّه ـ .

ولايزال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم،الرحمة المهداة ينبّه المؤمن، حتى لايغفل وليكون كيساً فطناً حازماً حذراً،حتى لايخدع مرة بعد أخرى .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّـهُ قَالَ : " لَايُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ "(٢)

ومعنى الحديث : (أن المؤمن الممدوح هو الكيس الحازم الذى لايؤتى من ناحية الغفلة مرة بعد أخرى ، وهو لايشعر . وقيل أراد به الخداع فى أمر الآخرة دون أمر الدنيا ، وهو بالرفع على معنى الخبر . ويروى بكسر الغين على معنى النهى :لا يخدعن المؤمن ، وليكن متيقظاً حذراً حتى لايقع فى مكروه ، وهو لايشعر . وقال عمر رضى اللّه عنه : لاتأمن عدوك ، وأحذر صديقك إلا الأمين ، والأمين إلا من خشى اللّه عز وجل)(٣).

---

(١) قلت: شهاده ولم أقل علم:لأنها بالفعل مجرد شهادة لافائدة من علمها، أما العلم الحقيقى فهو يهذب صاحبه ويرتفع به إلى أعلى الدرجات فى كل شئ .

(٢) (أ) أخرجه البخارى فى صحيحه فى (كتاب الأدب ،باب لايلدغ المؤمن من جحر مرتين) ،(رقم:٦١٣٣) ،(٢٧/٨/٣) .واللفظ له .
(ب) وأخرجه مسلم فى صحيحه فى (كتاب الزهد والرقائق،باب لايلدغ المؤمن من جحر مرتين) ،(رقم:٢٩٩٨) ،(٢٢٩٥/٤) .
(ج) وأخرجه أبوداود فى سننه فى (كتاب الأدب ،باب الحذر من الناس) ، (رقم : ٤٨٦٢) ،(٢٢٦/٤) .

(٣) شرح السنة / للبغوى ، (٨٨/١٣) .

(وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلوا ذهبوا في الشعاب واستخفوا بصلاتهم من قومهم يوم كانوا في مكة)[1].

فوسائل الحذر والحيطة كثيرة جداً من أجل النهوض بالدعوة والمحافظة عليها وهي تختلف بإختلاف مايحذر منه ، وباختلاف الظروف والأحوال والمجتمعات ، لذلك نجد الاعداء فطنوا إلى دور المرأة المؤثر في الاسرة والمجتمع ، فاتخذوا منها وسيلة لنشر الرذيلة ، لذا وجب على المرأة أن تهتم بنفسها وببنات جنسها ،ولن أقول : كما قيل : على العاملين للإسلام أن يهتموا بالمرأة المسلمة .

ففي نظري أن المرأة المسلمة العاقلة ليست بحاجة إلى الوصاية من أحد ، فقد زودها الله تعالى ، كما زود الرجل بالعقل ،صحيح أن بعض النساء تتغلب عليها العاطفة ، لكن على المرأة المسلمة الواعية لأمور دينها المتفهمة لوضعها كامرأة ،وأنها مستهدفة في كل حال من أحوالها ، أن تتريث وتحكم عقلها في أمثال هذه الأمور،وتجعل عاطفتها تتدفق في مجراها الطبيعي على زوجها وأطفالها في المنزل،لتجعل بيتها نهراً متدفقاً من العواطف والمشاعر والأحاسيس ، وأما في المواقف الأخرى التي تتطلب منها تحكيم عقلها فلابد لها من استخدامه، لكي لايصاب بالصدأ،ثم العطل من طول السنين التي تمر عليه وهو معطل ، فلابد أن تكون حياتها سائرة وفق نظام وتزن كل تصرفاتها فلا يطغى شيء على الآخر،حيث إننا نجد من تستخدم عاطفتها ومشاعرها تبعاً للأهواء والشهوات طوال حياتها،وفي كل مواقفها لابد أن تفرغ هذه العواطف وتنتهي فتنتكس حياتها ، كذلك الحال بمن تستخدم عقلها في جميع شئوون حياتها،حتى في المواقف العاطفية البحتة،وهذه أيضاً لاتنجح في مواقف حياتها العاطفية ومن ثم فإن المرأة لن تستطيع أن تقوم بالأدوار التي خلقت من أجلها،إلا عندما تكون في حالة وسط لا إفراط ولاتفريط،تعطي كل موقف حقه من التعقل والعاطفة .

---

(١) السيرة النبوية / لابن هشام ،(٢٨١/١) .

فمن كان هذا شأنها لاشك أنها ستعيش طوال حياتها حذرة مما يشار حولها من مثيرات ومغريات،وكلمات براقة،وصور خليعة، القصد منها استنفاذ طاقاتها العاطفية للجري خلف الشهوات والأهواء ، ثم بعد ذلك تنظر إلى نفسها بعين الازدراء،وتندم على مافات من حياتها،وماضاع من وقتها وجهدها ولاينفع،حين ذلك الندم ، ولكن من تكون الوصية على نفسها وعلى أولادها وزوجها تجعل من بيتها جنةً لهم يأوى إليها الزوج والأولاد،وينعمون بظلالها ويستريحون من عناء الحياة ومتاعبها ، فتمدهم بالغرس الطيب لتجنى بعد ذلك الثمار الصالحة ولتكن هى القدوة الصالحة لأبنائها ولغيرها من النساء اللاتى تقوم بتذكيرهن وإرشادهن للإسلام وتعاليمه سواءً كان ذلك على مستوى الأسرة أو مستوى المجتمع الذى تعيش فيه ٠

(ولتحذري أختى الداعيه أيضاً من مصاحبة الأدعياء،من دعاة السوء الذين يسقطون عن أنفسهم وعن أتباعهم أحياناً التكاليف الشرعية ويعطلون أحكام الإسلام ، ويؤولون النصوص على نقيض ماتحتمل ويسيرون فى سلوكهم وتوجيههم على غير هدى الشريعة ومنهج السلف ٠٠ لكون أولئك لايدعون الا لبدعة ، ولايوجهون إلا إلى ضلال ، ولايأمرون إلا بباطل فإن امثال هؤلاء يحاولون بشتى الوسائل وبالكثير من الحجج الواهية للوصول إلى مبتغاهم)(١)

لذلك احذريهم اختى امتثالاً لقوله تعالىٰ :

﴿ لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾

(سورة النور ، الآية " ٦٣ ")

---

(١) روحانية الداعية / للشيخ عبدالله ناصح علوان ،(ط : ١/ ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م) ،(الناشر : دار السلام) سلسلة مدرسة الدعاة ، فصول هادفه فى فقه الدعوة والداعية ،(٦/٦٤) ٠

(ب) استشارة أهل الكفاءات والخبرات :

المرأة الداعية حريصة على إيصال الدعوة إلى الناس كل الحرص ، من أجل هذا نجدها تستعين بكل وسيلة مشروعة لتحقيق ماتحرص عليه، ومن الوسائل المشروعة استعانتها بأهل الخير والكفاءات والتجارب في الأمور التي لها صلة بالدعوة فقد قال تعالى :

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾

(سورة النحل ، الآية " ٤٣ ")

فهذا تصريح من القرآن بسؤال أهل الذكر والإستعانة بهم، وضرب لنا القرآن أروع المثل في قصة موسى عليه السلام حيث قال جلّ ذكره :

﴿ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَـٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ ﴾

(سورة طه ، الآيات من "٢٩" إلى"٣٥")

والمرأة الداعية لها في أصحاب الدعوة من الأنبياء والمرسلين والصالحين المثل الأعلى والقدوة الحسنة ، وذلك بعدم ترددها في الإستعانة بذوي الكفاءات والخبرات من المسلمين ، وقدرتهم في مجال الدعوة، وأكبر دليل على إخلاصك لدعوتك هو إفساح المجال للكفء الأمين من الذين يمدون يدّ العون للغير، والذي له القدرة والرغبة والإسهام في هذا المجال، سواء كان هذا الكفء ذكراً أم أنثى .

مما لاشك فيه أن الداعية إلى الله الأجدر بها أن تستعين بأصحاب الخبرات والكفاءات، فأمثال هؤلاء تكتسب منهم الشيء الكثير في كل شأن

من شؤونها الدينية والدنيوية والأخروية ، بل قد تكون هذه النماذج السبب في وصولها إلى مرحلة النضج والكمال والمعرفة في الله وفي مجالات الدعوة .

اعلمي أختي الداعية أنك قد تكونيين مبتدئة في سلوكك طريق الدعوة فتواجهين أمثال هؤلاء الأخيار أصحاب الخبرات والتجارب ، فتكسبين مما تجدينه فيهم من إيمان وخلق وعلم وسوف تلمسين بنفسك ، ذلك التغير الذي يعتريك ، وستكونين إن شاء الله تعالىٰ من كبار الدعاة إلى الله ، ولابد أن لهؤلاء الصفوة المختارة من أهل الخبرات والمعرفة بالله علامات لتستطيعي تمييزهم عن غيرهم عند الاستعانة بهم فعلاماتهم كثيرة منها :

(٢) (التزامهم أمر الشرع بإخلاص نية ، وصدق طاعة، واستمرارية عمل .

(٢) نتيجة التزامهم وطهارتهم فإنه لاتظهر منهم أي مخالفة شرعية .

(٣) قيامهم بالمهمة الأساسية ألا وهي الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بكل شجاعة أدبية وبقوة إيمان .

(٤) أيضاً تجدين أن مسحة التقوى ونضارة الإيمان بادية على وجوههم وملامحهم تصديقاً لقوله تعالىٰ :

﴿ - - - - سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ - - - - ﴿٢٩﴾ ﴾

(سورة الفتح ، الآية " ٢٩ ")

(٥) ومن علاماتهم : الاهتمام بشؤون المسلمين ، والتحمّس لقضاياهم

(٦) ومنها التحرك الصادق لمسؤولية الدعوة والتحمس المخلص لقضايا الإصلاح والجهاد والتغيير ..)(١)

---

(١) روحانية الداعية / عبدالله علوان ، (٦٣/٦) بتصرف يسير .

(ج) ثقافة الداعية :

يجب على المرأة الداعية أن تكون ذات ثقافة عالية،لتدعو إلى الله على بصيرة كما أرادها الله تعالىٰ ورسوله،ومن تبعه واهتدى بهداه،حيث إن الاطلاع الواسع يسهل عليها توجيه الناس،ولفت انظارهم إلى الخير، ومخاطبة أفراد المجتمع المثقفين وغيرهم ، ولتستطيع أن تدعم آراءها وأقوالها فى دعوتها بالحجج الواضحة القوية،وتوجه إليهم ماتريد من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فى ثقة وإرادة قوية،لأن الداعية إذا كانت قليلة الثقافة وسطحية المعرفة سرعان ماتنكشف أمام الناس فيتراجعون عنها فينفضون عن دعوتها .

لأنها إذا كانت على مستوى من الثقافة العالية فإنها لاشك ستدرس المستوى الثقافي والفكري لكل طبقة من طبقات المجتمع الذى تعيش فيه، وأتخذته ميداناً لتمارس فيه دعوتها؛لأن أفراد المجتمع يتفاوتون من الناحية العقليه والسلوكيه .

كذلك يجب عليك أختى أن تفعى برنامجاً مدروساً متقناً كى يناسب عقول أفراد وجماعات تلك الطبقة،ويلبى حاجاتهم الأساسية النابعة من واقع حياتهم ، وهذا المنهج لايكون واحداً للجميع بل لابد من مراعاة التنويع والتكامل بحيث يشمل مختلف طبقات المجتمع .

فان تزودك بالعُدة الفكرية والثقافة الدعوية،هو من أبرز خصائصك وهو الدليل الواضح على نضجك،وقوة شخصيتك.ومن المسلم به لدى ذوي العقول النيرة والبصائر الثاقبة ، أن التى لا يكون عندها علم ولا ثقافة لن تعطى غيرها ولن تنفع مجتمعها،ولن تستطيع أنتقوم بدورهافى الإصلاح والنصح والإرشاد ، والتغيير ، ولن تؤثر فيمن أرادت دعوتهم.
فإن فاقد الشئ لايعطيه ، والحوض الفارغ لايفيض على غيره .

فأول مايلزم الداعية المسلمة من عدة فكرية أن تتسلح بثقافة

إسلامية ثابتة الأصول باسقة الفروع توّتى أكلها كل حين بإذن ربها فالداعية التى تدعو إلى الإسلام لابد أن تعرف ما الإسلام الذى تدعو الناس إليه ؟ .

ومن أرادت معرفة الإسلام معرفة حقيقية لابد أن تكون هذه المعرفة مستمدة من مصادره الأصلية،ومن ينابيعه المصفاة،لتكون فى دعوتها على بيّنة من ربها وعلى بصيرة ، ويمكنها أن تستوعب هذه الثقافات الشاملة بالقراءة الواسعة على مستوى عال،فتقرأ الافكار والآراء المختلفه ولاينبغى لها أن تستكبر أو تستنكف من قراءة أفكار المخالفين أو الأعداء،بل لابد أن تكون ملمة بها وتعرف الكثير عنها،لتستطيع الرد عليها ودحضها، ورد كيدها فى نحورهم،ولتتمكن من إقناع من تدعوه إذا كان ممن ضللته هذه الأفكار التى يروجها المخالفون والأعداء واستهوت فكره .

فالمرأة الداعية عليها أن لاتكون انغلاقيه،ذات أفكار محدودة ومعلومات قليلة بل لابد أن تستقى ثقافتها الأساسية كما سبق وقلنا من الثقافة الإسلامية ، وغيرها من الثقافات ، هذا بالاضافة إلى الاستفاده من الذين تجالسهم وتحادثهم،وتجعل كل موقف يمرّ بها أو بغيرها أمامها درساً لها،بذلك نجدها تدريجياً تتفتح أفكارها وتتسع مداركها ، وتصبح ثقافتها نامية متجددة مستمرة .

فالداعية ذات العقل اليقظ ، والحس المرهف تستطيع أن تأخذ مدداً جديدة من كل ماحولها من وقائع الحياة اليوميه من أخبار الصحف،ووكالات الأنباء،وتعليقات المعلقين،ويمكنها أن تعد لذلك سجلاً،وتدون فيه مايهمها لتجدها عند الحاجة إليها.ولكى تتحقق هذه الاستمرارية فى الثقافة يجب أن تكون لديها مكتبة خاصة تحتوى على صنوف من المعارف لتكون مرجعاً لها وملاذاً وزاداً تتزود منه عندما تشاء وكيفما تشاء[1].

---

(١) ينظر :
(أ) الدعوة إلى الإسلام مفاهيم ومنهاج وواجبات/ حسنى أدهم ==

(د) تنظيم الأوقات والجهود :

إن الإسلام هو دين النظام،وهو يوجب على أتباعه اتباع النظام فى كل مرفق من مرافق الحياة .

والداعية تحتاج إلى تنظيم وقتها،فإن الوقت هو الحياة وهو رأس مالها ، وتحتاج أيضاً إلى تنظيم الجهود،وتوجيهها بطريقة منظمة ومنسقة وعدم التنظيم يبعثر الجهود،ويضيع الأوقات النفيسة فيما لافائدة فيه، مع أن واجبات المسلمة الواعية أكثر من الأوقات .

وعليها أن تبادر إلى إستغلال كل دقيقة من وقتها قبل فوات الأوان، ولابد أن يكون فى حساب الداعية أن يكون يومها خيرا من أمسها وغدها خيرا من اليوم الحاضر متأسية بارشاد الرسول صلى الله عليه وسلم فى الحديث الذى رواه عنه عَبْدِاللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ : الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ (١) "(٢)

== جرار ، (ط : ١٤٠٤/١ هـ - ١٩٨٤ م) ، (الناشر : دار الضياء للنشر والتوزيع) ، (ص : ٢١٠ - ٢١١) .

(ب) منهاج الدعاة / محى الدين الالوائى ، (ص : ٦٤ - ٦٥) .

(جـ) ثقافة الداعيه /د. يوسف القرضاوى ، (ط:بدون) ، (الناشر : الاتحاد الاسلامى العالمى للمنظمات الطلابيه ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م) ، (ص : ١١) .

(د) ثقافة الداعيه/عبدالله ناصح علوان ، (ط:١٤٠٥/١هـ - ١٩٨٥ م) ، (الناشر:دار السلام) ،سلسلة مدرسة الدعاة فصول هادفة فى فقه الدعوة والداعيه ، (٥/٨) .

(١) (أ) أخرجه البخارى فى صحيحه فى (كتاب الرقائق ،فى فاتحته) ، (رقم :٦٤١٢) ، (٧٤/٨/٣) ، واللفظ له .

(ب) وأخرجه الترمذى فى سننه فى (كتاب الزهد ،باب الصحة والفراغ نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس) ، (رقم:٢٣٠٤) ، (٥٥٠/٤) ، وقال هذا حديث حسن صحيح .

(٢) ينظر :منهاج الدعاة/د.محى الدين الالوائى ، (ص :٦٢ - ٦٣) .

فلابد إذن فى حساب الداعية أن يكون غدها خيراً من يومها الحاضر ويومها خيراً من أمسها وهذه الخيرية تقوم على مقدار ماتقدمه من جهود وجهاد فى سبيل الدعوة إلى اللّٰه، وماتحققه من هداية فى الناس،فإن هداية شخص وتخليصه من النار خير للداعيه من حمر النَّعَم،لقَوْلِه صَلّىَ اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ " فَوَاللّٰهِ لَأنْ يَهْدِيَ اللّٰهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِداً خَيْرٌ لَكَ مِنْ أنْ تَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ (١) " .

(وتنظيم وقت الداعية يقوم على تقسيم يومها إلى أجزاء وتوزيع واجبات كل يوم على أجزائه ليؤدي كل واجب فى وقته فجزء لنفسها ،وجزء لأهلها وجزء لعبادة ربها ،وجزء للدعوة إلى اللّٰه فالحذر من إنفاق الأوقات فيما لافائدة فيه ، فإن الواجبات أكثر من الأوقات ، ولأنها معرضة للموت فى كل لحظة، فمن الحزم المبادرة إلى استغلال كل دقيقة من وقتها فى أداء واجب أو مستحب أو مندوب)(٢).

فقد كان السلف الصالح رضى اللّٰه عنهم أحرص مايكونون على أوقاتهم ،لأنهم كانوا أعرف الناس بقيمتها .

(يقول عمر بن عبدالعزيز : إن الليل والنهار يعملان فيك فاعمل فيهما .

ويقول ابن مسعود : ماندمت على شئ ندمي على يوم غربت شمسه نقص فيه أجلي ولم يزدد فيه عملي)(٣)

يقول الشيخ عبدالفتاح أبوغدة :

(.. وإن أهم مايساعد على اغتنام الوقت : تنظيم الأعمال والانحياش عن

---

(١) سبق تخريجه ، (ص :٢٤٦) .

(٢) أصول الدعوة /د.عبدالكريم زيدان ،(ص : ٤٤٥ - ٤٤٦)بتصرف يسير ، وتحويل الخطاب إلى الأنثى .

(٣) الوقت عمار أو دمار/جاسم بن محمد بن بدر المطوع ،(ط: ٢ /١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م) ،(الناشر:دار الدعوة - الكويت) ،(ص : ٩٢) .

المجالس الفارغه الخاويه ، وترك الفضول فى كل شئ ، ومصاحبة المجدين النبهاء الأذكياء المتيقظين للوقت والدقائق وقراءة أخبار العلماء الافذاذ ، فإن ذلك يعرفك بقيمة الزمن ، ويلهب فيك الحفاظ عليه ، وقد قال الأستاذ الناصح المرشد حسن البنا رحمه اللّٰه تعالىٰ : من عرف حق الوقت ، فقد أدرك الحياة ، فالوقت هو الحياة .

وإن العمر الطويل ينقضي يوماً بعد يوم ، وكثيراً ماتنسى أنه يمضي مسرعاً ولايعود ، فتغفل عن اكتسابه والانتفاع به ، قال الإمام أحمد بن حنبل : ماشبهت الشباب إلا بشئ كان فى كُمِّيّ فسقط[1] !) .

(فالعاقل الموفق من يملأ كلّ لحظةٍ وثانيةٍ من حاضر عمره ووقته بفائدة أو عمل صالح ، وقد كره سيدنا عمر بن الخطاب رضى اللّٰه عنه التعطل والبطالة وإضاعة الزمن سدىٰ ! .

فقال : إني لاكره أن أرى أحدكم سبهللاً أي فارغاً ـ لا فى عمل دنيا ولا فى عمل آخرة[2] !) .

---

(١) قيمة الزمن عند العلماء /للشيخ عبدالفتاح أبوغدة ، (ط :١/١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤ م) ،(الناشر : مكتب المطبوعات الإسلامية ـ حلب ـ بيروت) ، (ص : ٥٩) .

(٢) المرجع السابق نفسه ، (ص : ٦٠ ـ ٦١) .

(هـ) الحركة السريعة المستمرة :

ومن الوسائل المساعدة أيضاً التى تعين الداعية على تهيئة الجو المناسب لبدء الدعوة " الحركة المستمرة السريعة " .

وذلك أن جميع الوسائل السابقة الذكر هى بمثابة العامل المساعد الذى يعين الداعية على القيام بدعوتها ، فإذا تهيأت المرأة الداعية ، وأخذت حذرها ، وحافظت على وقتها ، ونظمته ، وأصبحت ذات ثقافة عالية واسعة ، عندئذ نقول لها الآن قومي بدعوتك بحركة سريعة ، ودائبة .

فإن إبلاغ الدعوة هو الذهاب إلى الناس ودق أبوابهم إن كانوا من الأقارب والجيران وايقاظهم من سباتهم العميق الذى ظلوا فيه نائمين حيث إن هذه هي الوسيلة التى اتبعها رسل اللّٰه فى جميع الأزمنه والأمكنه .

فلا بد من إيصال كلمة الحق، وبذل الجهد قدر المستطاع دون توفير وقت أو خوف على متع الدنيا الزائفه فإن من قامت بهذا الجهد المتواصل وبسرعة بحيث تتوسع دائرة تحركها شيئاً فشيئاً فتتداخل مع من ترغب فى دعوتهم لتعرفهم على حقيقتهم وتعرف كل صغيرة وكبيرة عنهم .

فإن الداعية عليها قبل كل شىء دراسة البيئة التى تعيش فيها طبقات المجتمع، فإن كل طبقة تختلف عن الأخرى، هذا بالاضافة إلى أنك أختي الداعية فى هذه الوسيلة بالذات، والتى تتطلب منك تحركاً تاماً تجدين نفسك مؤهلة تلقائياً لمنصب الطبيبة التى تعالج الأرواح والقلوب فعليك أن تسلكى نفس المسلك الذى تسلكه أختك طبيبة الأبدان، حيث تقومين ـ بحكم خبرتك وثقافتك وقبل هذا وذاك بقوة إيمانك وصدق إخلاصك لدعوتك ـ بتشخيص الداء من كافة النواحي أولاً ثم وصف العلاج اللازم لكن لابد أن تعلمي أن مهمتك لاتنتهى عند هذا الوصف للعلاج الذى قد ينفع فى علاج الأعراض تاركة أصولها، فلابد من التحرك للوصول إلى الأعماق لتستطيعى معرفة الأصول والجذور وعلتها .

فإنك بصفتك داعية مخلصة ذات بصيرة تجعلين الله أمام عينك فى كل حركة ستوفقين إن شاء الله تعالىٰ فى هذا التشخيص الدقيق،فتعرفين أصل داء البشر الذين تلتقين معهم منذ القديم .إلى وقتنا الحاضر فتجدينه ماهو إلا جهلهم بربهم واغترارهم فى الدنيا وملذاتها وجعلها أكبر همهم وذلك يضطرهم إلى الغفلة عن الآخرة .

فلا شك ستظهر عليهم تلك الأعراض لهذا الداء وهى : الكفر بالله تعالى وهذا يترتب عليه الرفض لعبادتد ، وأيضاً من الأعراض : الضعف فى العقيدة عند الذين عندهم أصل الإيمان،لكن نتيجة إنتشار الشرور والمفاسد بين الناس أصبح هذا الإيمان ينقص ، فأنت عليك علاج ذلك بدقة بحيث تتعمقين إلى أصل الداء وتنتشلين هؤلاء المرضى من الهوة السحيقة التى كادوا يسقطون بها لولا رحمة الله تعالى بهم وبك،حيث هم سيعودون لأصل الإيمان وأنت ستتلقين الأجر والثواب من الله تعالى على أي حال من الأحوال سواء وجدت تجاوباً من اولئك المرضى أم لا .

فما عليك إلا العمل بجد وبحركة سريعة مستمرة وبإخلاص مع ملاحظة أن الأمراض ليست واحده فكل داء له مايناسبه من العلاج ولاتنسى أن طب الأبدان له : تخصصات عديده،فكذلك الحال فى طب الأرواح ، والقلوب إلا أن هناك فارقاً بينهما وهو :

أن كل تخصص فى طب الابدان له طبيبة خاصة ، أما بالنسبة لطب الأرواح والقلوب فالطبيبة واحدة لعدد من التخصصات ،وهى المرأة المسلمة الداعية التقية ذات النية الخالصة ، والطاعة الصادقة والعمل الصالح الدؤوب المستمر، المهتمة بشؤون أختها المسلمة، المتحمسة لقضية المرأة المسلمة، المقلدة ،ولقضية الأسرة المسلمة ،التى تكاد تكون فى مهب الريح،مما يثار حولها من أعداء المرأة،ولقضية المجتمع المسلم بأسره،لعلمها أن بفساد المرأة يفسد المجتمع لذلك نجدها تحاول بكل الوسائل صد هؤلاء الأعداء وانقاذ المجتمع منهم ولايتم إنقاذه فى نظرى إلا بصلاح المرأة المسلمة والتزامها بشرع ربها .

المبحث الثاني

وسائل الدعوة بصورة مباشرة .

ويشتمل على :

تمهيد .

أ - التبليغ بالقول .

ب - التبليغ بالعمل .

ج - التبليغ بالقدوة الشخصية .

الثانى : وسائل الدعوة بصورة مباشرة :

تمهيد :

الوسائل التى تتعلق بمهمة تبليغ الدعوة بصورة مباشرة وتتناسب مع المنهج المثالي والفطري لنشر أى مبدأ أو فكر بين البشر هي :

(أ) جميع وسائل الإعلام المقروءة والسمعية والبصريه والشفهية .

(ب) التبليغ بالعمل .

(جـ) التبليغ بالقدوة الشخصية .

وقبل الحديث عن هذه الوسائل لابد من بيان مشروعية الإعلام فى الإسلام، فنقول وبالله التوفيق :

(تنبثق مشروعية الإعلام من منطلقات أساسية ترتكز عليها الشريعة الاسلامية الخالدة ، وهذه المنطلقات الأساسية هي :

(١) إن الإسلام دين أنزله الله لهداية البشرية أجمعين بدليل قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴿١٥٨﴾ ﴾

(سورة الاعراف ، الآية "١٥٨")

(٢) إن كل من اعتنق هذا الدين مسؤول عن إبلاغه لغيره ، وإنها لمسؤولية الوجوب العينى بالنسبة للتبليغ على إطلاقه ، ومسؤولية الوجوب الكفائى بالنسبة للتفقه فى الدين باعتباره الوسيلة المثلى للتبليغ .

ولن أذكر النصوص الواردة فى ذلك منعاً للتكرار، لأنه سبق إيراد النصوص القرآنية مع تفسيرها من كتب التفسير ، والأحاديث الشريفه مع شرحها من كتب الشروح ، فى هذا المعنى باستفاضه (١).

---

(١) ينظر : (ص : ١٥٣ إلى ص : ٢٥١) من البحث .

(٣) مهمة النبى صلى اللّه عليه وسلم والدعاة من بعده منحصرة فى الإعلام دون الهداية ، وهذا واضح تمام الوضوح بنص قوله جلّ شانه : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾

(سورة القصص ، الآية " ٥٦ ")

والهدي المقصوده هنا هو : هدي التوفيق إلى الدين الحق ، أما الهدى بمعنى الإرشاد إلى الحق والدلالة عليه ، فتلك وظيفته صلى اللّه عليه وسلم المثبته له فى قوله عزّ وجلّ :

﴿ مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾

(سورة المائدة ، الآية " ٩٩ ")

(٤) إن التقصير فى الإعلام بالإسلام والدعوة إليه معصية يعاقب عليها اللّه سبحانه؛لأنه من باب كتمان العلم المنهى عنه . والدليل على ذلك قوله عزّ من قائل : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾ ﴾

(سورة آل عمران ، الآية " ١٨٠ ")

وقوله سبحانه وتعالى :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾

(سورة آل عمران ، الآية " ١٨٧ ")

تلـــــك هى المنطلقات الأساسية التى تتجلى فيها مشروعية الإعلام فى الإسلام وإنه ضرورة ملزمة للمسلمين ، حيثما وجد مسلم يعبد اللّٰه تعالـىٰ ، فى أي مكان فوق ظهر الأرض .

وأن المسلم والمسلمة مطالبان بالإعلام والدعوة لدين اللّٰه مــادام فيهما نفس يتردد)[١].

من خلال هذا العرض المختصر للمنطلقات الأساسية التي تتجلى فيهـــا مشروعية الإعلام فى الإسلام نستطيع أن نستعرض بعض التعريفات للإعلام الإسلامي:

فقد عرفه الأستاذ محمد قطب :

(بأنه ترجمة لفكر ونظام حياة الأمة المسلمة)[٢].

ويعرفه الغزالى :

(بأنه الإعلام الذى يعرف باللّٰه الواحد ودينه الحق ويرسم صورة صادقـــة لرسالة محمد صلى اللّٰه عليه وسلم ،لازيادة فيها ولانقص)[٣].

وعرفه الأستاذ فيصل حسون :

(بأنه الإعلام الذى يقوم بنشر الدعوة الإسلامية ،والتصدى لحملات التشكيـــك التى يتعرض لها الإسلام ،وإبراز الدور الرائد الذى قام به الإسلام فـــي إخراج الإنسانية من الظلمات إلى النور ،وتجميع الطاقات الإسلامية فكـــراً

---

(١) أصول الإعلام الحديث وتطبيقاته /للشيخ : إبراهيم محمد سرسيق ،(ط : بدون) ، (الناشر :مطبوعات نادى مكة الثقافى الأدبى) ،(ص : ٧٧ – ٨١) ، باختصار .

(٢) الإعلام الإسلامي/للأستاذ :محمد قطب ،(من أبحاث ووقائع اللقاء الثالـــث للندوة العالمية للشباب الاسلامى ، المنعقد فى الرياض بتاريخ – ٢٣ مـــن شوال عام ١٣٩٦هـ – الموافق ١٦ من اكتوبر عام ١٩٧٦ م – فى موضوع: الإعلام الإسلامى والعلاقات الإنسانيه – النظرية والتطبيق –) ،(ط:٢) ، (ص : ١٥٦) .

(٣) النظرية الإسلامية في الإعلام والعلاقات الإنسانية /للشيخ :محمد الغزالى، من ابحاث الندوة السابقة نفسها ،(ص : ٢٨٢) .

وثقافة وعلماً واقتصاداً وسياسة وقوى بشرية وحشدها فى سبيل خدمة الإسلام والمسلمين)(١).

وعرفه الدكتور محمد كمال الدين إمام بقوله :
(والإعلام الإسلامى يتجه إلى هداية الناس بتزويدهم بما يحتاجون إليه من معلومات أياً كان نوعها ،أو بحمايتهم من حملات التشويش الفكري)(٢).

كذلك عرفه الدكتور محى الدين عبد الحليم :
(بأنه تزويد الجماهير-بصفة عامة-بحقائق الدين الإسلامى المستمدة من كتاب اللّه وسنة رسوله صلى اللّه عليه وسلم بصورة مباشرة أو غير مباشرة، من خلال وسيلة إعلامية دينية متخصصة ،أو عامة بواسطة قائم بالإتصال لديه خلفيه واسعة ومتعمقة فى موضوع الرسالة التى يتناولها وذلك بغية تكوين رأى عام صائب،يعى الحقائق الدينية ،ويدركها،ويتأثر بها فى معتقداته وعباداته ومعاملاته)(٣).

نستنتج من هذه التعريفات :
أن الإعلام الإسلامى يشمل جميع نواحى الحياة المتعدده،لأن الإسلام منهج شمولى متكامل وهذا مما لايختلف عليه منصفان ٠

---

(١) الإعلام الإسلامى وسبل تطويره وإصلاحه / للأستاذ: فيصل حسون ، من ابحاث الندوة السابقة نفسها ،(ص: ٤٥٤) ٠

(٢) النظرة الإسلامية للإعلام محاولة منهجيه / د: محمد كمال امام ،(ط / ١٤٠٣/٢ هـ) ،(الناشر : دار البحوث ـ الكويت) ،(ص: ١٠) ٠

(٣) الإعلام الإسلامى وتطبيقاته العملية / د٠ محى الدين عبد الحليم ، (ط : ١٤٠٤/٢ هـ ـ ١٩٨٤ م) ،(الناشر : مكتبة الخانجى بالقاهرة ـ دار الرفاعى بالرياض) ،(ص: ١٤٧) ٠

ثانيا : أما الوسائل المباشرة للدعوة فهي :

التى تتعلق بمهمة تبليغ الدعوة بصورة مباشره وهي كالآتى :

(أ) التبليغ بالقول ٠

(ب) التبليغ بالعمل ٠

(ج) التبليغ بالقدوة الشخصيه ٠

(أ) التبليغ بالقول :

(لابد أن نعلم أن القول هو الأصل والأساس فى تبليغ ، الدعوه حيث اننا نجد رب العزة جلّ جلاله أمر جميع رسله بتبليغ أقوامهم رسالات ربهم بالقول المبين، فالآية التالية توضح لنا أهمية تبليغ الدعوة بالقول المبين، وأثر الكلمة الطيبة فى النفوس ، ولهذا أرسل اللّه رسله بألسنة أقوامهم، حتى يفهموا مايدعونهم إليه قال جلّ ثناؤه : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ  ﴾

(سورة ابراهيم ، الآية " ٤ ")

وجعل اللّه تعالىٰ وظيفة الرسل الكرام التبليغ المبين الواضح، لتقوم الحجة على المخاطبين، فالقول إذن هو الوسيلة الأصلية فى تبليغ الدعوة) (١).

فالقول فى نظرى من أبلغ الوسائل المستخدمه فى الدعوة، لأنه متى كان حسناً ومفهوماً ، فإنه يدخل إلى القلوب برفق وأناة وهدوء فتلفظ مافيها من حرارة ، ومرارة فينتعش الوجدان ويهدأ الفكر الثائر، ويطمئن ويسكن، لذلك وجب على الدعاة جميعاً مخاطبة الناس على مستوى فهمهم، وعدم استخدام أسلوب الفلسفه الذى قد يوّدى فى النهاية إلى عاقبة وخيمة هى

---

(١) منهاج الدعاة/ محى الدين الالوائى ، (ص : ٦٦) ٠

الفتنة ، فقد أخرج مسلم فى مقدمة صحيحه ، عَنْ ابْنَ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْـهُ قَالَ : " مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْماً حَدِيثاً لَا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ، إِلَّا كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةً"(١)

وتنقسم هذه الوسيلة إلى :

(١) وسائل شفهية وتشمل :

(أ) المسجد .

(ب) الخطابة

(ج) المحاضرة .

(د) الندوة .

(هـ) الاتصال الفردى .

(و) الدرس

(ز) الحديث .

(ح) المناقشة .

(٢) وسائل سمعيه وتشمل :

(أ) المذياع .

(ب) الشريط المسموع .

(٣) وسائل سمعيه بصريه وتشمل :

(أ) التلفاز .

(ب) المسرح المدرسى والجامعى .

(٤) وسائل مقروءة وتشمل :

(أ) الكتاب .

(ب) الصحيفة .

(ج) المجلة .

(د) الترجمة .

(هـ) النشرة .

(٥) وسائل بصرية وتشمل :

(أ) الملصقات ومشتقاتها .

---

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه فى (المقدمه ، باب النهى عن الحديث بكل ما سمع) ، (١/١١) .

(١) الوسائل الشفهية :

فالوسائل الشفهية أقوى الوسائل تأثيراً؛لمقدرتها الكبيرة على الإقناع ، لأن المستمع لايستطيع التحول عمن يتحدث إليه غالباً،وهذا يساعد على تركيز الانتباه،بخلاف الوسائل الأخرى والوسائل الشفهية توفر بطبيعتها مشاركة كل من طرفى الرسالة " المرسل والمستقبل،" اذ باستطاعة الطرف الأول أن يعرف ردود الفعل لدى مستمعيه فى نفس اللحظة بتفرسه فى وجوههم، ومن هنا يستطيع تدارك النقص وقد يتبين أن الملل قد تسرب إلى نفوسهم نتيجة الإطالة أو أن بعضهم قد انصرف (١).

والآن ننتقل إلى إفراد كل وسيلة من الوسائل الشفهية بالتوضيح بقدر الإمكان :

(أ) المسجد :

فالمسجد كما نعلم له شأن عظيم فى الإسلام،فهو بيت من بيوت اللّٰه الذى يذكر فيه أسمه،وتقام فيه الصلاة،ومن خلاله تبث الدعوة إلى اللّٰه إلى آخر ماهنالك من مزايا يتميز بها المسجد لاداعى لذكرها لأننى لن أتعرض للمساجد التى تقام فيها الصلوات الخمس المفروضة ، فإن تلك لايختلف إثنان فى أنها تُعد المجال المهيىء لبث الدعوة. ويعتبر المسجد هو المكان الأساسي الصالح لنشر الدعوة مهما تعددت الأماكن وكثرت الوسائل،لكن يجب أن لاننسى أننا نتحدث عن وسائل الدعوة التى تختص بالمرأة المسلمة لا بالرجل المسلم .

---

(١) ينظر : وسائل الإعلام وأثرها فى وحدة الأمة / محمد موفق الغلاييني (ط : ١ /١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م) ، (الناشر : دار المنارة - جدة)، (ص : ١٠٩ - ١١٠) .

فقد روى عَبْدُاللَّهِ ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عنْهُمَا فقال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّىَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : " لاتَمْنَعُوا نِساءَكُمْ الْمَسَاجِد إِذَا اسْتَأْذَنكُمْ إِلَيْهَا "(١).

فالشارع لم يمنع المرأة من الذهاب الى المسجد، لكنه بنفس الوقت لم يفرض عليها الذهاب، بل جعل صلاتها فى مسجد بيتها أفضل من صلاتها فى المسجد عكس الرجل تماماً، وذلك لما يترتب على ذهابها للمسجد من مفاسد هي فى غنى عنها.

---

(١) (أ) أخرجه الامام مالك فى الموطأ فى (كتاب القبله ، باب خروج النساء الى المسجد) ،(رقم : ١٢) ،(١٩٧/١) .

(ب) وأخرجه البخارى فى صحيحه فى (كتاب الجمعه ، باب هل على من يشهد الجمعة غسل) ،(رقم : ٨٩٩) ،(٦/٢/١) .
وفى (كتاب صفة الصلاة ، باب خروج النساء الى المساجد بالليل والغلس) ، (رقم : ٨٦٥) ، (١٤٢/١/١) .
وفى (كتاب صفة الصلاة ، باب استئذان المرأة زوجها بالخروج الى المسجد) ،(رقم : ٨٧٣)، (١٤٣/١/١) .
وفى (كتاب النكاح ، باب استئذان المرأة زوجها فى الخروج الى المسجد وغيره) ،(رقم:٥٢٣٨)، (٣٤/٧/٣) .

(ج) وأخرجه مسلم فى صحيحه فى (كتاب الصلاة ،باب خروج النساء الى المساجد ...) ،(رقم : ٤٤٢) ،(٣٢٦/١ – ٣٢٧)،واللفظ له .

(د) وأخرجه أبوداود فى سننه فى (كتاب الصلاة ،باب ماجاء فى خروج النساء الى المساجد) ،(رقم : ٥٦٦ ، ٥٦٧ ، ٥٦٨)،(١/ ١٥٥) .

(هـ) وأخرجه الترمذى فى سننه فى (كتاب الصلاة ، باب ماجاء فى خروج النساء الى المساجد) ،(رقم : ٥٧٠) ،(٤٥٩/٢)وقال أبوعيسى : حديث ابن عمر حسن صحيح .

(و) وأخرجه النسائى فى سننه فى (كتاب المساجد ،باب النهى عن منع النساء عن اتيانهن المساجد) ،(رقم : ٧٠٦)،(٤٢/٢) .

فقد روت عَمْرَةَ (١) بِنْتُ عَبْدِ الرَّحمنْ رَحِمْهَا اللّه قَالَتْ : قَالَتْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا : لَوْ أَدْرَكَ رَسُولُ اللّهِ صَلّىَ اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مَا أَحْدَثَ النِّسَاءُ لَمَنَعَهُنَّ كَمَا مُنِعَتْ نِسَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، قُلْتُ لِعَمْرَةَ : أَوَ مُنِعْنَ ؟ قَالَتْ نَعَمْ "(٢).

ودرأ المفسدة أولى من جلب المصلحة . إلا أن هناك مساجد ، فى أماكن خاصة بالنساء ، وهذه لايكون فيها اختلاط وهى : إحدى الحجرات التى تتخذ مسجداً في المدارس،وفى الجامعات،وفى المستشفيات،وفى الأسواق الخاصة بالنساء،فهذه هى المساجد التى أقصدها والتى من الممكن أن تجتمع فيها النساء من غير وجود مفاسد .

فقد يقال:إن هذه ليس لها دور فى الدعوة ، كيف تستخدم وسيلة وهى ليس لها حكم المساجد التى تقام فيها الفرائض الخمس ؟ .

نقول وبالله التوفيق : إن الداعية المخلصة سيتاح لها المجال فى القيام بمهمة الدعوة،لأنها لاتخرج عن مجالات عملها هذا،بالإضافة إلى أنها أيضاً تتناسب مع تكوينها الأنثوى،فهى لاتحتاج فيها إلى إظهار صوتها مثلاً.

---

(١) عمرة بنت عبدالرحمن بن سعد بن زرارة الأنصارية المدنية كانت فى حجر عائشه ، كانت عالمة وفقيهة حجة كثيرة العلم ، أختلفوا فى وفاتها فقيل ٩٨ – وقيل ١٠٦ .
ينظر :(الطبقات الكبرى /لابن سعد : ٣٥٣/٨) ، (تهذيب التهذيب / لابن حجر : ٤٣٨/١٢) .

(٢) (أ) أخرجه البخارى فى صحيحه فى (كتاب الصلاة ،باب انتظار الناس قيام الامام العالم) ، (رقم : ٨٦٩) ، (١٤٣/١/١)، واللفظ له .
(ب) وأخرجه مسلم فى صحيحه فى (كتاب الصلاة ، باب خروج النساء الى المساجد) ،(رقم : ٤٤٥) ،(٣٢٩/١) .
(ج) وأخرجه أبوداود فى سننه فى (كتاب الصلاة ، باب التشديد فى خروج النساء الى المساجد) ، (رقم : ٥٦٩) ،(١٥٥/١).

والمرأة إذا كانت معلمة فعليها أن تقوم بتخصيص دقائق بعد الفريضه التى يؤدينها الطالبات فى ذلك المسجد المدرسي لتوجيه كلمة ، أو حديث ، أو نصيحة ، أو حكمة ، أو شرح لآية من كتاب الله ، ومما لاشك فيه ستكون هناك فائدة كبيره من هذا العمل الدائم وإن قلّ ، هذا بالاضافة الى وقت النشاط المخصص فى المدرسة ، وتنتج فيه الجمعيات المختلفه انتاجها ، وتبرز نشاطها ومن الممكن جعل جمعية خاصة بالمسجد ، وهو أن تقوم مجموعة من الطالبات بإشراف معلمتهن ببث الوعى الدينى من خلاله ، والقيام بوضع مجلات حائطية ويدوية تبث الدعوة داخل المدرسة ، وتبصر مجتمع المدرسة ككل بحقيقة هذا الدين وبسيرة أسلافهم الصالحين ، وتربطهم بدينهم ربطاً روحياً ، فتنتشر روح المحبة والتعاون والإخاء بين أفراد المجتمع المدرسى ، كذلك يجب القيام بعمل خيري ينبع من المسجد وهو تخصيص صندوق للتبرعات ، حيث يتعلمن البذل والعطاء لوجه الله ، وذلك لمساعدة المحتاجات من أسرة المدرسة ، ومن الممكن تخصيص محاضرات دينيه وندوات تناقش فيها أمور هامة ، وهذه كلها تقوم بتنظيمها جماعة المسجد للتوعية والتوجيه والإرشاد .

كذلك الحال بالنسبة للمسجد المخصص فى المستشفيات ، فإننا نجد فيه الطبيبات والممرضات ، والعاملات والمريضات ، بالاضافة إلى الزائرات والمراجعات ، فهذا لاشك سيكون له تأثير كبير على عدد من النساء من مستويات متعدده ، ومن الممكن أن ينظم العمل الدعوى فيه بناء على الاتفاق والتعاون مع إدارة المستشفى حيث توجد فى كل مستشفى مشرفة اجتماعية بإمكانها تسهيل كل ذلك ، فيوضع جدول حيث تقوم الداعية - سواء كانت من أسرة المستشفى نفسه أو من خارجه - بالقاء النصائح والإرشادات والتوجيهات ، هذا بالإضافة إلى المحاضرات والندوات الشهريه أو الأسبوعيه للتوعية الدينية ، ولابد من معرفة الجميع عن مثل تلك الأنشطه ، وذلك عن طريق الإعلان فى المستشفى ، لتعم الفائده بدل الجلوس فى صالات الإنتظار ، وممرات المستشفى ، ويذهب الوقت فى القيل والقال وكثرة الكلام حتى يصل الأمر إلى انتشار الكثير من الأمراض النفسيه الى جانب الأمراض العضوية ، لفقدان الوعي والتوجيه

والإرشاد ، فلابد من إقامة أمثال هذه المساجد النسائيه فى المستشفيات .

أما بالنسبة للمسجد المخصص بالجامعة فإنه تقام فيه أنشطة كثيرة على نطاق أوسع ، وذلك لوجود فراغ أكبر لدى القائمات عليه سواءً كن من أعضاء هيئة تدريس أو طالبات وعندما أقول فراغ اكبر ، أقصد بذلك الجامعات القائمة على نظام الساعات، فلابد من تنظيم جدول بالتعاون والإتفاق مع شئون الطالبات والإدارة العليا للجامعة، لتكون الأنشطة مستمرة ومثمرة تؤتى أكلها كل حين ، وتكون أنشطته شاملة لدروس القرآن الكريم والتجويد بالإضافة إلى محاضرات وندوات عن السيرة النبوية العطرة ، وعن نساء السلف الصالح ومواقفهن المشرفة فى سبيل العقيدة ، لتقتدى بهن النساء المعاصرات وتترك عنها التقليد الاعمى للنساء الغربيات ، كذلك لابد أن تتعاون وتتظافر جهود جميع الأقسام لتجد المسلمة تجديداً مستمراً وندوات ، عن التاريخ الإسلامى النظيف من الشوائب ، وتلقى المحاضرات لاعطاء المعلومات الإسلامية الصحيحة ، عن الطب وباقي فروع العلوم على أن تربط كل هذه المحاضرات بالأدلة من نصوص القرآن والسنه لبيان أن جميع العلوم خادمة للقرآن الكريم .

هذا بالإضافة إلى وجود مكتبة داخل هذا المسجد للإعارة والبيع ليستفيد منها الجميع كذلك الحال بالنسبة لصندوق التبرعات .

أما المكان المخصص للصلاة فى داخل الأسواق النسائية فمن الممكن أن تقوم فيه ، الداعيات إلى اللّٰه بانشطتهن وببث الدعوة من خلاله عقب كل صلاة تقام فيه والقيام بتنظيم ندوات ومحاضرات على أن تكون على مستوى العامة لتصل إلى جميع الأذهان ، ولتؤثر فى كل الفئات من البائعات والمشتريات على مختلف مستوياتهن فمما لاشك فيه أن هذا التوجيه سيكون له تأثير يرتفع إلى مستوى يجعله أهلا لأن يستمع إليه ، ويصل الأمر إلى أننا نجد البعض ممن هداهن اللّٰه يحرص على مواعيد الندوات والمحاضرات فيحضرن للإستماع إليها خاصة من غير أن يتجولن فى السوق .

فيجب عليك أختى الداعية أن لاتحتقرى شيئاً،وتقولي هذا لايمكن أن يكون وسيلة من وسائل نشر الدعوة مثل مسجد المدرسة والمستشفى والجامعة والأسواق النسائية التى بدأت تنتشر فى الآونة الأخيره فى مدن المملكة العربية السعودية ولله الحمد والمنّه .

بل على العكس فلتبذلى جهدك ولتخلص نيتك،وانتقى الموضوعات التى تخص النساء من طهارة ولباس وعبادة ومعاملات،وعلاقات أسرية وحقوق وواجبات تخصهن،هذا مع حثهن على أن يقمن هن بدور الوسيط فى إيصال ماسمعنه، وتبليغ ذلك إلى النساء فى أسرهن ممن لم تسمح لهن الظروف بحضور تلك الأنشطة أي حثهن على القيام بمهمة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وتحذيرهن من المبادئ الفكرية الهدامة .

فمما لاشك فيه أن هذا المسجد النسوي سيؤدي مهمته على أكمل وجه فيكون وسيلة من وسائل الدعوة وإن استمرار الحال على ذلك سيزدهر،وسيكون له دور كبير فى توجيه النساء توجيها متكاملاً ، وسيستمر المسجد مصدر الإشعاع العلمى والتربوى والأدبى والفكري،حيث تقام فيه المحاضرات وتعقد فيه الندوات للتوعية والتوجيه والتحذير من التيارات الفكريه التى تعادى الاسلام والمسلمين ، لهذا أهيب بأخواتى فى الله الداعيات أن يستعملن هذه الوسيلة خير استعمال لإيصال القيم الإسلامية ، وليكنّ على مستوى المسؤولية الملقاه على عاتقهن ، ومناقشة القضايا التى تخص المرأة بأسلوب حسن وبثقة تامة بالإسلام الذى ينتمين إليه .

المملكة العربية السعودية
وزارة الصحة
مديرية الشئون الصحية بمكة المكرمة

الرقم ١٤٩١٨/٢/٧
التاريخ ١٤/٥/١٤٠٢هـ
المشفوعات ....

معالي مدير جامعة ام القــــــــــــــــرى المحترم

السلام عليكم ورحمــة الله وبركاته . . . وبعد

نظرا لقيام مستشفانا فى تنظيم محاضرات دينيه لتوعية المرضى وغالبا ماتقتصر تلــك المحاضرات على الرجال فقط.

فقـــد . . . . راينا الكتابه لمعاليكم بغية تعاونكم معنا فى تكليف محاضراتتقــــوم بتوعية مريضات مستشفانا حيث توجدلدينا مشرفة اجتماعيه بامكانها تسهيل مهمة المحاضرات .

مع افادتنا بالتاريخ والوقت الذى تحددوه شاكرين لمعاليكــــــــــم .

وتقبلو خالص تحياتــــــــــــــــــــــــــــــــــــــى ...

مدير مستشفى الملك فيصل بالعاصمه المقدســـة

الدكتور/

عبدالهادى قارى طاشكنــــــــدى

المملكة العربية السعودية
جامعة ام القرى
ادارة ...
الرقم ...
التاريخ ...
المشفوعات ...

سعادة عميد الدراسات الجامعية
... ...

جامعة أم القرى
عمادة الدراسات ... للطالبات
الرقم ٩/٤٠٩
التاريخ ١٦/٥/١٤٠٢

جامعة ام القرى
مركز الطالبات ... ادارة
رقم ٦٢٤/
التاريخ ١٢/٥/١٤٠٢
المرفقات ...

٥/١٦

سعادة الوكيلة سلمها الله
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد
ارجو الاطلاع والتكرم بالإفادة لسعادتكم
المناقشة من هذا الموضوع مع معالي مدير الجامعة حسب
طلب معاليه ولكم شكري وتقديري

تعليق

هذا خطاب يبين أن هناك أماكن خاصة في المستشفى تلقى فيها المحاضرات والخطب والندوات بدليل طلب مدير المستشفى من مدير الجامعة بتكليف محاضرات لتوعية المرضى من النساء وهذا شيء طيب وهو فرصة ثمينة للداعيات وجزا الله من يسعون إليه ويقومون عليه خير الجزاء .

(ب) الخطـــابة :

هى فى اللغة :

(مصدر من الفعل خطب يقال : خطب الخاطب على المنبر خَطابة بالفتح ، وخُطبة بالضم ،وذلك الكلام خطبة أيضاً ، أو هى الكلام المنثور المسّجع ونحوه ،ورجل خطيب حسن الخُطبة بالضم)(١)

أما فى الاصطلاح :

فقد عرفها ابن رشد(٢) بقوله :

(قوة تتكلف الإقناع الممكن فى كل واحد من الأشياء المفردة)(٣).

كذلك عرفها الدكتور : أحمد الحوفى بأنها :

(فنّ مشافهة الجمهور واقناعه واستمالته)(٤)

والخطابه تتكون من :

المقدمه ، والموضوع والخاتمه .

(ولاشك أن الخطابة موقف ليس بالسهل،فالكثير من الرجال يتهيبون منها،وبالطبع الخطيبات من النساء أقل من الخطباء الرجال فى أدبنا وفى الآداب الأخرى)(٥)

---

(١) القاموس المحيط / للفيروز آبادى ،(٦٥/١) .

(٢) هو محمد بن أحمد ابن رشد الأندلس الفيلسوف ،عنى بكلام أرسطو وترجمته إلى العربية ،له مؤلفات منها : (بداية المجتهد) فى الفقه ، ولد عام (٥٢٠ هـ) وتوفى سنة (٥٩٥ هـ) .
ينظر: (شذرات الذهب /لابن العماد:٣٢٠/٤) ، (الإعلام للذركلى:٣١٦/٥- ٣١٧).

(٣) تلخيص الخطابه /لابن الوليد ابن رشد،تحقيق وشرح/محمد سليم سالم ، (ط : عام /١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م) ،(الناشر : المجلس الأعلى للشئون الإسلامية) ،(ص : ١٥) .

(٤) فن الخطابه /أحمد محمد الحوفى ،(ط:١٩٧٢/٤ م) ،(الناشر: دار النهضة - مصر) ،(ص : ٩) .

(٥) الخطب والمواعظ/محمد عبدالغنى حسن ،(ط:٤) ،(الناشر:دارالمعارف - القاهرة) ،(ص : ٣٤) .

وكما نعلم أن الخطبة من الوسائل الأساسيه فى تبليغ الدعوة،ولابد للخطيب أن يعالج أحوال الحاضرين ، فمثلاً المرأة الداعية عليها أن تقوم بهذه الوسيله حسب قدرتها واستطاعتها،وتمارسها فى المساجد الخاصة بالنساء السابقة الذكر ، أو فى أي مكان تجتمع فيه النساء فهذه الخطيبه تقع عليها مسؤولية كبيرة،لأنها قبل الخطبة لابد أن تكون على علم ودراية بأوضاع المجتمع وبمشكلاته لكي تنتقى فى خطبتها الموضوع المناسب،فالخطبة شفهية كذلك نجدها تجذب الانتباه خاصة إذا كانت على مستوى الجميع وواضحة وبدون تطويل ممل أو اختصار مخل ، هذا بالإضافة إلى إتباع منهج النبى صلى الله عليه وسلم فى الخطبة،فإنه حين يعلم على إنسان شيئاً أومجموعة من الناس فإنه حين يخطب لايعينهم بأشخاصهم وإنما يقول : مابال أقوام يقولون كذا .. ، أو مابال أقوام يشترطون شروطاً ليست فى كتاب الله .. ، حتى لاتكون نصيحتها لهن علنيه أمام الجميع ، إنما يجب أن تحرص الداعية عند الخطبه أن تكون الخطبة لحل مشكلات الحاضرين عن كثب ، فإن ذلك يساعد على شد الحاضرين للخطبة وخاصة عندما تندفع الخطيبة بقوه فى مواطن الحماس،وعليها ملازمة الهدوء فى بعض المواطن التى تتطلب عرض الحقائق العلمية . فلابد للداعية حين خطبتها أن تثير حماسهن وتخاطب أحاسيسهن ليتصل كلامها بشغاف قلوبهن،ولن تستطيع أن تحقق ذلك إلا إذا كانت تعلم مايثير شوقهن ويسترعي انتباههن وتكون عليمةً بطبائع النفوس،وأحوالها، وغرائزها،وسجاياها . كذلك لابد أن تتوخى طبائع النساء وتلون أخلاقهن .

اكتفى بهذا القدر من الحديث عن الخطابة على أنها وسيلة من وسائل الدعوة فعلى المرأة الداعية استعمالها فى الظروف التى تجد أنها مناسبة للخطبة ، أما البحث فى قواعد الخطابة وأصولها وتاريخها وتطورها فى الأدب العربى وموضوعاتها وفنونها ، وخطبة الجمعه فلن أعرض لها فليس هذا مجالها .

(ومما تجدر الإشارة إليه فى النهاية هو أن الخطابة تتميز فى

أنها تتوجه إلى العواطف فى أغلب الأحيان، وتثير الانفعالات فى نفوس الجماهير، وتحرك المشاعر الحماسيه، معتمدة على مقدرة الخطيب الكلامية، ونبرات صوته، ولهذا فهى أصلح وسيلة لمخاطبة الفئات الشعبية، والطوائف التى لم تحصل على نصيب كاف من التعليم)[1].

---

(١) ينظر : مائة سؤال عن الأعلام / طلعت همام ، (ط : ١٤٠٣/١ هـ - ١٩٨٣م) ، (الناشر : دار الفرقان ، ومؤسسة الرسالة) ، (ص : ٨٦) .
ولمزيدمن الفائدة عن الخطابه وفنونها وكل مايخصها :
ينظر :
(أ) الخطابه . أصولها . تاريخها فى أزهر عصورها عند العرب / للإمام : محمد أبوزهرة ، (ط : ١٩٨٠/٢ م) ، (الناشر : دار الفكر العربى) .
(ب) فن الخطابه واعداد الخطيب / للشيخ / على محفوظ ، (ط:بدون) ، (الناشر : دار الاعتصام) .

(ج) المحاضـــــرة :

هى كالخطابة،فهى شفهية والهدف منها : الإقناع والاستمالة وهى تتكون من : مقدمة وموضوع وخاتمة ، (ولابد للمرأة الداعية أن تختار المحاضرة من صميم ماتجرى به الحياة من حولها،وهذا يتطلب منها،أن تكون ذات إتصال وثيق بكل مافى الدنيا لتعرف مايحتاج إليه المجتمع من حولها من موضوعات ، ويجب على الداعية فى موقف المحاضرة هدفان أساسيان :

(١) علاج الموضوع الخاص الذي اختارته وكان مناسباً لمحيطها .
(٢) احياء هذه المشاعر القلبيه احياءً ربانياً) (١)

هذا وتعد المحاضرة من أقدر الوسائل الشفهية على الإقناع،فقد أجرى الباحث الأمريكى " ويلكى " عام ١٩٣٤ م تجربة على ٣٤١ طالباً جامعياً فعرض عليهم موادّ مختلفة مثل:الحرب والدين وتحديد النسل والاقتصاد عن طريق وسائل مختلفه فكانت النتيجة : تفوق المحاضرة على جميع الوسائل الأخرى من حيث تعديل الآراء ، وتلاها فى ذلك المذياع وكانت المواد المطبوعة أقلهنّ عناية (٢)

وينبغى أن تعلمي أختى الداعيه أن المحاضرة ليست بالأمر السهل فهى من المواقف الهامة،فإذا لم تكونى مستعدة لها وعالمة بفنها وأصولها، ومتمرسة على القائها ومواقفها فقد تتعرضين للنقد ويحصل مالايحمد عقباه، فعليك إذاً أن تتعرفي على طبيعة المحاضرة وأصولها،وأن تمارسى فن

---

(١) تذكرة الدعاة / البهى الخولى ، (ص : ٤٧٦ – ٤٨٢) باختصار وتصرف .
(٢) ينظر : الإعلام ونظرياته فى العصر الحديث / للدكتوره : جيهان أحمد رشتى ، (ط : ١٩٧١/١ م) (الناشر : دار الفكر العربى – القاهرة) ،(ص : ٣٢١) .

تحضيرها وإلقائها فهناك أصول تجعل من المرأة الداعية محاضرة موفقه منها :

(١) (حسن اختيار الموضوع المناسب لتتفهمى أحوال الناس وتعالجي مشكلاتهم .

(٢) إحكام التحضير للمحاضرة لتنفعى الجمهور النسائى وترجين الخير لهن وذلك بتحليلها إلى عناصر بارزة رئيسية حتى تستطيعي أن تنقلى السامعات من حلقة إلى أخرى لترسيخ زبدة الموضوع فى الذهن وليثمر ثمرةً مرجوّه .

(٣) استحضار الشواهد من الكتاب والسنة،وأخبار الرعيل الاول والواقع،وعليك قبل إلقاء المحاضرة أن تضبطى النصوص ولاسيما الآيات القرآنية،وإذا احتجت أن تستحضريها مكتوبة فلتفعلى حتى لاتقعى عند الاستشهاد بها فى الارتباك ، حيث إنك باستحضارك للشواهد والأفكار يتفاعل سامعوك وتحركين مشاعرهم.

(٤) على الداعية أن تمزج بين الموضوعية والعاطفة فى المحاضرة ،وأن تجمع بين قناعة الفكر واستثارة الوجدان أى تخاطب الروح والعقل فى آن واحد .

(٥) ربط موضوع المحاضرة بهدف سامٍ " منشود،وغاية مرجوه حتى فى الموضوعات التى تعتبر من ترف الحياة. وتستطيع الداعية الموفقة أن تحولها بلباقتها إلى هدف نبيل يحقق للجيل هدايته ويوضح مبادئ الإسلام .

(٦) الاعتماد فى المحاضرات المباشره على الارتجال فى القول وبذلك يمكنها تحريك اجتذاب السامعين لها .

(٧) التقليل من الحركات والاشارات الا فى حالة الضرورة .

(٨) لابد أن يكون الغرض من المحاضرة هو احياء المشاعر الربانية مهما كان الموضوع)[1].

---

(١) ينظر : مواقف الداعية التعبيرية / عبدالله علوان ، (ط ١٤٠٥/١ هـ – ١٩٨٥ م) ، (الناشر : دار السلام) ،سلسلة مدرسة الدعاة – فصول هادفه فى فقه الدعوه والداعيه ،(١١٧/١٠ – ١٣٣) باختصار وتصرف .

وهناك إختلاف بين المحاضرة والخطبة :

فالغالب في المحاضره أنها عبارة عن معلومات منسقه ومستقاه تعالج موضوعاً معيناً وتكون ذات طابع علمي خاص ، هذا بالإضافة إلى أنها لاتحتاج في المحاضره إلى استعمال العبارات التى تخاطب العواطف،ولاتلجأ إلى الانفعال والتحمس والإشارة كما هو الحال في الخطبة .

وفي رأيي الشخصي أن مجال المحاضرة أوسع من مجال الخطبة بالنسبة للمرأة وذلك لأنها لن تقف مواقف الرجال في ارتجالهم للخطبة ،وأكبر دليل على هذا أننا عند الرجوع إلى الآداب العربية والآداب الأخرى في القديم والحديث فإننا لانكاد نظفر باسم أنثى واحده بين الخطباء من الرجال ،هذا في الآداب غير العربية ، أما في الأدب العربي فإننا نجد بعض النساء الخطيبات اللائى أثر عنهن الخطبة في بعض المواقف وسجل ذلك التاريخ الادبي.منهن :

(١) السيدة عائشة رضي اللّٰه عنها ، حين وقفت على قبر أبيها أبي بكر الصديق رضي اللّٰه عنه ترثيه .

(٢) الخنساء(١) في رثائها لاخويها صخر ومعاوية وابنائها الذين استشهدوا في حرب القادسية .

(٣) صفيه بنت هشام المنقرية خطيبة مجيدة في رثاء ابن عمها الأحنف بن قيس .

---

(١) هي تماضر بنت عمر بن الحارث بن الشريد ، الرياحيه السلمية من بني سليم من مضر أشهر شواعر العرب ،عاشت أكثر عمرها في العهدالجاهلي، وادركت الإسلام فأسلمت ،ووفدت على رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم مع قومها بني سليم ،توفيت في (سنة ٢٤٠ هـ) .
ينظر : (الشعر والشعراء /لابن قتيبه / ١٢٣/١) ،(المرأة في الشعر الجاهلي / للحوفي : ٣٢٠) .
ومن رغب في الإطلاع على مضمون خطب اولئك النساء وغيرهن فعليه أن ينظر في المصادر الآتيه :
(أ) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن ابي سفيان/للعباس بن بكار الضبي (١٢٩ - ٢٢٢ هـ) ، ،تحقيق / السيده :سكينه الشهابي ،(ط:١/١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م)،(الناشر: مؤسسة الرسالة)، (ص : ٢٧ ، ٣٧ ، ٦٣) .

(ب) بلاغات النساء/للامام أبى الفضل أحمدبن أبىطاهربنطيفور (٢٠٤-٢٨٠هـ) صححه وشرحه / أحمد الألفى ، (ط:عام ١٣٢٦هـ - ١٩٨٠م) ، (الناشر:مطبعة مدرسة والدة عباس الأول - بالقاهرة) ،طبع على نفقة شارحه ، (ص : ٣٧ ، ٤١ ، ٥٥ ، ٧٥) .

(جـ) العقد الفريد/الفقيه أحمدبن محمد بن عبدربه الأندلسى ، (ت:٣٢٨هـ) ، بتحقيق /د.مفيدمحمد قميحة ، (ط:١/١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م) ، (الناشر: دار العلميه ،بيروت - لبنان) ، (٣٤٧/١ ، ٣٥١ ، ٣٥٤) .

(د) صبح الأعشى فى صناعة الإنشاء / أحمد بن على أبو العباس القلقشندى ، (٧٥٦ - ٨٢١ هـ) ، (ط : عام ١٩٦٣ م) ، (الناشر: وزارة الثقافة والإرشاد القومى المؤسسة المصريه العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر) ، (٢٤٨/١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣) .

(هـ) جمهرة خطب العرب فى عصور العربية الزاهرة/أ.أحمد زكى صفوت ، (ط : ١) ، (الناشر : دار الباز للنشر والتوزيع - المروة - مكة المكرمة) ، (٣٦٨/١ - ٣٦٩ ، ٣٧٣) .

(د) النـــــدوة :

هي عبارة عن اشتراك عدد من المتحدثات فيها ومناقشة الموضـــــوع المطروح للبحث من عدة جوانب .

وتتميز الندوة بما يلى :

(الحيوية ،والتفاعل،ولفت النظر،لوجود عدد من المتحدثات يناقشن الموضوع الذى تدور حوله الندوة من مختلف جوانبه ،متفقات تارة ومختلفات تـــــارة أخرى،حيث إن لكل منهن فكرها وأسلوبها،وهذا مما يشد انتباه السامعـات ، والذى يثير إهتمام الحاضرات هو اختلاف وجهات النظر فنجدهن يتطلعـــــــن باستمرار لمعرفة الرأى الراجح والأقوى،ولابد من وجود من تدير هذه النـدوة، على أن تكون ملمة بالموضوع الذى تدار حوله الندوة ، كذلك لابد من اشتراك جميع الأطراف ، ويشترط السماع لآراء الحاضرات،لتعم الفائدة جميع الأطـراف، ولتؤدى الندوة الغرض المطلوب منها،وقد تصاغ فى شكل توصيات أو قـرارات. ولاشك فإن الندوة من أخصب المجالات التى تسهم فى طرح الفكر الإسلامـــــــى، لاسيما إذا كانت المشتركات فيها من ذوات الخبرة والاطلاع والوعى . كذلـــك تسهم الندوة إلى حد بعيد فى تعميق الوحدة الفكرية بين المسلمات،لتزداد معرفة المسلمات بعضهن ببعض،وتتوثق عرى الأخوة الإسلامية بينهن)(١).

فالندوة فى نظرى تعتبر وسيلة مهمة جداً ، تخدم الدعوة الإسلاميـــــة ، وقد تكون فى بعض الأحيان من أنجح الوسائل الشفهية خاصة إذا كانت هادفة ، بل لابد أن تكون ذات هدف ، ولابد للمشاركات فيها أن يحضرن وقد جـــــردن أنفسهن من جميع الأهواء ، ولتكن كل واحدة منهن على مستوى علمى عميـــــق ، ولابد من اطلاعهن قبل الندوه على الموضوع الذى ستدار حوله الندوه،وذلـــك

---

(١) ينظر : وسائل الإعلام وأثرها فى وحدة الأمة / محمد موفق الغلايينى ، (ص : ١١٧ - ١١٨) بتصرف .

لتكون الواحدة منهن متثبتة عند حديثها ، فلا تتحدث عشوائياً وتناقش من مجرد معلومات قديمة ، أو على حسب ماجرت به العادات والتقاليد ، كذلك لابد أن يكون موضوع الندوة موضوعاً يهم المرأة فى أمور دينها ودنياها ، لتستطيع الحاضرات المناقشة ، وفهم أبعاد الموضوع ، ومعرفة الصحيح من السقيم فيه ، ولابد للمشاركات فى الندوة أن يكن على مستوى من العلم والتأنى والصبر ، لسماع آراء السامعات ومشكلاتهن ، لوضع الحلول المناسبة ، سواء كان ذلك فى الوقت نفسه ، أو بصياغتها فى شكل قرارات تعتمد مستقبلاً ويعمل بها حتى تتلاشى تلك المشكلات .

(هـ) الاتصال الفردى :

قال عبدالبديع صقر فى تعريف الدعوة الفردية :
(هى من وسائل الدعوة الناجحة ،فهى ماكان الخطاب فيها موجهاً إلى شخص واحد ،أو إلى فئة قليلة من الناس،وليست اجتماعاً بالمعنى المفهوم ،وغالباً ماتقع على غير ترتيب مسبق،ومثلها اللقاءات التى ليس لها موعد سابق، وجلسات المجالس ومناقشات الزملاء فى العمل،وحلقات البحث ونحوها)(١)

هذه من الوسائل القولية الشفهية وهى فى نظرى من أنجح الوسائل الشفوية السابقة الذكر، وذلك لأنها تتميز عنهن بميزات كثيرة ولها آثار حسنة ،وإنتاج غزير ذو ثمار ناضجة ،تجنيها الداعية والمدعوة فى آن واحد .

(وهى عبارة عن إيجاد الصلة بين إثنتين تريد إحداهما دعوة الأخرى، فعند اللقاء يحصل التعارف،ثم تتوثق الصلة بينهما من خلال اهتمام الداعية بالمدعوة وترجمة هذا الإهتمام القولى عملياً بالسؤال عنها إذا غابت وزيارتها إذا مرضت ، والحرص على معرفة أحوالها الاجتماعية والمادية ومحاولة علاجها معها ومشاركتها فى أفراحها وأحزانها)(٢).

وفيها اقتداء بالأنبياء عليهم السلام حيث بدأوا بالدعوة الفردية فى أول الأمر قبل تيسر الدعوة ، العامة كذلك تتغلب عليها البساطة وعدم التكلفة ،حيث إنها تكون على غير موعد ومن غير تحضير مسبق،وتبعد صاحبتها عن الرياء والسمعة ،وغالباً ماتكون الدعوة الفردية أساساً وركيزة للدعوة العامة ،لذلك وجب على القائمة بالدعوة أن تكون جذرة،لأنها ربما تسيىء إلى دعوتها من حيث لاتعلم .

---

(١) كيف ندعو الناس / عبدالبديع صقر ،(ط ١٣٩٩/٦هـ - ١٩٧٩م) ،(الناشر: المكتب الإسلامى) ،(ص : ١٦) .
(٢) طريق الدعوة الإسلامية /جاسم بن محمد بن مهلهل الياسين ،(ط:١٤٠٦/١هـ - ١٩٨٦ م) ،(الناشر : دار الدعوه - الكويت) ،(ص : ١٢١).

ومن مميزات الاتصال الفردى :

(١) (أنها كثيرة الحدوث ، فقد تتفق للإنسان عدة مرات فى اليوم الواحد .

(٢) أنها عابرة لاتحتاج إلى جهد ولا إعداد وقد تكون خلال عمل آخر فلا تأخذ وقتاً خاصاً كالتى تكون فى (حفل عزاء)(١) أو عيادة مريض أو التهنئة بمولود .

(٣) أنها يسيرة : ليس فيها التوتر والتحفز الذهنى الذى يكون فى الحفلات العامة، ولا المجالات الكلامية المجهزة، وتستطيع الداعية أن تكون فيها محررة من كل قيود النقد .

(٤) أنها سهلة : تستطيع المرأة وكل مؤمنة بدعوتها أن تشارك فيها ولو كانت أمية أو من غير أهل هذه الصناعة بل هى حقل جيد للتدريب واختيار المواهب فكأنها التجربة للميدان الكبير .

(٥) أنها مستورة : تحمى الداعية من الرياء والسمعة فكثيراً ماتصاب الخطيبات " بمرض الميكرفون " و"داء الصدارة " .

(٦) أن فيها فرصة للتنفيس : حيث تبدى كل واحدة ماعندها من وجهات النظر، فكثيراً ماتستمع الإنسانة إلى قضية جديدة بالنسبة لها ثم يعرض لها سؤال هام ولاتجد فى المجال العام من يرد عليها ، فتبقى مشغولة به معرضة عما يتلوها إلى أن تفهم تلك النقطه التى ساورتها من قبل .

---

(١) يقول الكاتب : (حفل عزاء) قلت : معروف أن الحفل يشتمل على التجمعات وإقامة الموائد والولائم وهذا من البدع المستحدثه وليس من الإسلام .

(٧) أما فى الحديث ، فإن المرأة تستطيع أن تعرض ماعندها من شكوك أو تساؤلات ، وأن تأخذ وتعطى بحرية كافية . وهذا لاشك أجدى وأنفع، فضلاً عن أنه ينشىء الصداقة والمودة بين الداعية، ومن تتصل بهن على هذه الطريقة .

(٨) وفيها دوام الإمكانية : فإنه خلال أحلك العصور التى مرت بالشعوب ... لم تتوقف الدعوة المحددة ، بل زادت ونشطت وكأنها تعويض عن الكبت الذى تباشره السلطات أحياناً . لأنها حديث النفس لنفس أخرى تعانى مثل ماتعانى تلك ، وهو ماتعجز قوى الظلم عن السيطرة عليه)(١)

(٩) (منها القدرة على المتحدث معهن، فالقائمة بالاتصال هنا تستطيع اختيار من تجري معهن الإتصال ، وهذا يساعدها فى الوصول للغاية المنشودة .

وعموماً لابد من العناية بالفرد الذى بصلاحه يصلح المجتمع، لأن المجتمع ماهو إلا مجموعة أفراد ، كذلك لابد أن نتذكر بأن الاتصال الفردى يوثق علاقة الأخت بأختها مما يسهم فى إيجاد البيئة المناسبة للوحدة الإسلامية)(٢)

---

(١) كيف ندعو الناس / عبدالبديع صقر ، (ص : ١٦ - ١٨) .
(٢) وسائل الإعلام وأثرها فى وحدة الامة / محمد موفق الغلاييني ، (ص : ١١٩ - ١٢٠) .

(و) الـــــدرس :

عادة يكون الدرس عبارة عن توضيح وتفسير لآية أو حديث ، أو تقرير موضوع ، وقد يكون معالجة لمشكلة أو بيان مسألة إسلامية فى ضوء القرآن والسنه وسيرة السلف الصالح ، فلابد من تحضير الدرس تحضيراً مركزاً ملموساً وذلك لإشعار الحضور أنهم فعلاً يرتقون روحاً ويكتملون سلوكاً ، ويزدادون ثقافة ومعرفة ، عند ذلك يكون الحضور أكثر ملازمة له وأعظم إقبالاً عليه وأقوى تعلقاً به .

ولابد أن تعتمد المدرسة على الارتجال فى إلقاء درسها،ولابأس أن تصحب معها مذكرة تكون بجانبها تستعين بها فى تسلسل الأفكار،وضبط الآيات ، واستحضار الشواهد،خوفاً من نسيان شئ أو من خيانة الذاكرة .

ولاشك أن الارتجال أدعى لثقة الحضور بها،وتفاعلهم معها،ولتعرف انطباعاتهم عنها وعن الدرس الملقى ، فالعيون كما يقولون مغرفة الكلام، لأنها لو ركزت نظرها فى الورق أمامها فإنه لاشك لن يحصل بينها وبين الحضور أى تفاعل ولن يكون هناك انسجام،ولن تحصل الثقة المنشودة . وإن الغالب فى الدرس أن يحضره عدد قليل من الناس،فهو يعطى للداعية فرصة للتعرف على الحضور،وتتوثق العلاقة بهن ، والتدريس ليس بالأمر السهل فليست المسألة مجرد حفظ للدرس عن ظهر قلب والقائه على الحضور فقط .

فلابد للداعية أن تأخذ بأصول التدريس الدعوى،ومبادئ الأسلوب التبليغى،لتكون متمكنة من نفسها وتستطيع إيصال ماتريد من إصلاح آفات النفوس وتقويم إنحراف السلوك .

ومما تجدر الإشارة إليه ، أن الدرس العام فى ذاته أكثر فائدة دعويّة ، وأحسن وسيلة تكوينيّة وتربوية من المحاضرة والخطبة والحديث المفاجئ العادى .. ذلك لأنه ميسور متحقق فى كل حين فبمجرّد أن تجلس الداعية فى النادى أو المسجد أو الجمعية المخصصة للنساء تتحلق

حولها من تريد العلم ، وترغب فى التوجيه والتربية .. وفى الوقت نفسه تنشأ بينها وبين مستمعيها صلات روحية وروابط دعوية ، وعلاقات أخوية لقلة العدد ، وتكرار الدرس ، وطواعية الحضور ، واستيعاب التعارف ،وبالتالى تستطيع أن تكيف درسها بما يتفق مع حاجة الموجودات ويتلاءم مع عقليتهن وثقافتهن ويحقق الخير والمصلحة لهن(١).

---

(١) ينظر :

(أ) مواقف الداعية التعبيرية / عبدالله ناصح علوان ،(١٠/٩٠ - ٩٦) بتصرف .

(ب) منهاج الدعاة / محى الدين الالوائى ،(ص :٦٧ - ٦٨) .

(ز) الحديث :

يختلف عن سائر وسائل الدعوة السابقة وذلك بأن تفاجأ الداعية باللقاء مع نساء لاتعرفهن من قبل،إما فى زيارة ،أو فى رحلة ،أو فى مناسبة ما،كالحج والعمرة وغيرها ، عند ذلك وجب عليها أن تغتنم مثل هذه الفرصة التى نادراً ماتحصل،وتقوم بواجبها ، لكن قبل ذلك تبدأ بالتعرف عليهن ، وأخذ فكرة عن أحوالهن واتجاههن ، لتستطيع محادثتهن بالحديث المناسب على أن لايخرج هذا الموضوع عن شؤون الدين ، وذلك لإرشادهن إلى طرق الخير المتعددة .

وحثهن على القيام بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ..،وعلى التصدق فى سبيل الله وإشعارهن بالمسئوليه الملقاه على عواتقهن تجاه تربيتهن لأبنائهن التربية الإسلامية الصحيحة ، والقيام بحقوق بعولتهن،وبث روح الأخوة الصادقةبينهن ، وتشجعهن على أن ينهضن بالمجتمع المسلم إلى جانب أزواجهن واخوانهن من الرجال ، ويجعلنه يصل إلى القمة ، ويكن أداة خير وبناء لامعول شرٍّ وهدم ، لأن المرأة متى صلحت صلح المجتمع بأسره .

هذا بالإضافة إلى تنبيههن إلى مايحيط بهن من تيارات فكرية معادية تغزو أفكارهن ، الهدف الاساسى منها هو تدمير الإسلام والمسلمين عن طريق المرأة ، كذلك على الداعية أن تطلب من الجميع ترك الخرافات والشعوذات والبدع المستحدثه وترك كل ماتراه سطحياً لافائدة منه ، لتتفرغ للأمور الهامة التى تعود عليها وعلى مجتمعها بالخير والصلاح ، على أن تكون الداعيه المتحدثة عالمة وملتزمة بكل ماتأمرهن به وبنفس الوقت منتهية عن كل ماتنهاهن،عنه وذلك لأنها لن تستطيع أن تحادثهن إن لم تكن محل القدوة ، لأن فاقد الشئ لايعطيه ، كذلك لابد أن تراعى فى حديثها هذا اللين والرفق وحسن التعامل والتصرف اللبق،وأن تتكلم بهدوء ومنطق واتزان،وبذلك تستطيع أن تجنى ثمار ماأرادت غرسه فى هذه المحادثة .

وهي عند التزامها بكل ذلك تكون ملتزمة بالنهج القويم الذى دلت عليه نصوص القرآن الكريم،والسنة النبوية،وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم،حيث قال تعالىٰ فى خطابه لموسى وهارون عليهما السلام :

﴿ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾

(سورة طه ، الآية " ٤٣، ٤٤ ")

فالحديث لابد أن يمتزج باللّين والرفق لكي يؤثر في الحاضرين ، وهذا مادل عليه نص الآية الكريمة، حيث أمر اللّه سبحانه وتعالىٰ موسى وهارون عليهما السلام بمخاطبة الطاغية فرعون بالقول اللين ليتذكر ويخشى ،فغير فرعون من باب أولى أن يستخدم معه هذا الاسلوب .

ومن السنة : عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " يَاعَائِشَةُ إِنَّ اللّٰهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَالَايُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ ، وَمَالَايُعْطِي عَلَىٰ مَاسِوَاهُ "(١)، وسيرة المصطفى صلى اللّه عليه وسلم تذخر بالأمثلة التي لاتعد ولا تحصى عن رفقه عليه الصلاة والسلام في دعوته، وحرصه على استخدام هذا الأسلوب،لعلمه مدى تأثيره في نفوس المدعوين، فهو يستخدمه في كل شؤونه ويحث عليه في الأمر كله .

" عن عائشة رضى اللّه عنها عن النبى صلى اللّه عليه وسلم قال : "إِنَّ الرِّفْقَ لَايَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ ، وَلَايُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ "(٢)

كذلك عليك أختى الداعية أن لاتستأثري بالحديث وحدك، وتتعالىٰ عليهن ، وتتظاهري بالامتياز عنهن، بل اجعلي للحضور المشاركة معك على أن لايتحول هذا الحديث إلى الجدل والتحدي، لأنه عند ذلك قد تحصل انعكاسات لاتحمد عقباها ، فلو حصل مثل ذلك فعليك تحويل الحديث بأسلوب لبق وبرفق إلى حديث آخر يريح الجميع ويفيدهم ويكون غرساً لبذور تجنى حين قطافها .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه في (كتاب البر والصلة ، باب فضل الرفق)، (رقم : ٢٥٩٣) ، (٢٠٠٣/٤ - ٢٠٠٤) .

(٢) اخرجه مسلم في صحيحه في (كتاب البر والصلة ، باب فضل الرفق)، (رقم : ٢٥٩٤) ، (٢٠٠٤/٤) .

(ح) المناقشة والمجادلة :

قال أبو البقاء[1] فى تعريف الجدل :

(هو عبارة عن دفع المرء خصمه عن فساد قوله بحجة أو شبهة وهو لايكون الا بمنازعة غيره)[2]

وقال الفيومى[3] :

(هو التخاصم بما يشغل عن ظهور الحق ووضوح الصواب.هذا أصله ثم استعمل على لسان حملة الشرع فى مقابلة الأدلة لظهور أرجحها . وهو محمود إن كان للوقوف على الحق وإلا فمذموم)[4].

والمناقشة والمجادلة من وسائل الدعوة،ولها مجالات تقع فيها فقد تكون مرتبة ومحضرة وهى التي تقع فى الندوات وفى أعقاب المحاضرات وقد تكون عفوية تقع فجأة بدون تحضير مسبق .

---

(١) هو أيوب بن موسى الحسينى القريمى الكفوى ، أبو البقاء ،كان من قضاة الأحناف عاش وولى القضاء فى " كفه " بتركيا ،وبالقدس ، وببغداد وعاد إلى استنبول وتوفى بها (١٠٩٤م) ،له كتاب "الكليات" وكتب أخرى بالتركية .
ينظر:(هداية العارفين /لاسماعيل البغدادى :٢٢٩/١) ،(معجم المطبوعات / لسركيس :٢٩٣) .

(٢) الكليات /لابى البقاء أيوب بن موسى الكفوى ،(ط:٢)،(الناشر:وزارة الثقافة والإرشاد القومى ـ دمشق) ،(١٧٢/٢) .

(٣) هو أحمد بن محمد بن على الفيومى ثم الحموى ،لغوى (ت :٧٧)، اشتهر بكتابه " المصباح المنير " ولد ونشأ بالفيوم بمصر وله كتب أخرى منها :(نثر الجمان فى تراجم الاعيان)،(ديوان خطب).
ينظر :(الدرالكامنه /لابن حجر العسقلانى :٣١٤/١)،(بغية الوعاة / للسيوطى : ص ١٧٠) .

(٤) المصباح المنير/لأحمد بن محمد الفيومى ،(ط: بدون) ،(الناشر : مطبعة مصطفى البابى الحلبى واولاده ـ بمصر) ،(١٠٢/١) .
وينظر:(تاج العروس /للزبيدى،(ط:١)،(الناشر : المطبعة الخيريه ـ بمصر)، ٢٥٤/٧) .

فعلى الداعية فى كل حالة من حالاتها أن تكون متهيأة للمواقف فى كل لحظة، لكى لاتقع فى الحرج والارتباك عند ذلك عليها دراسة البيئة، ومعرفة كل شىء عن سكانها : طبائعهم، وأفكارهم، وعاداتهم وتقاليدهم، كذلك عليها أن تكون محضرة وعندها خلفية عن كل الموضوعات التى تتصل بواقع المجتمع، وخاصة الموضوعات التى تتصل بالمرأة، والتيارات الفكرية والمذاهب الهدامة، وتكون ذات ثقافة شاملة ، وعلى الداعية فى مثل هذه المواقف أن تتحلى بخلق الصبر والحلم والعفو لمواجهة كل إساءة ، وعليها عند توجيه الأسئلة اليها عقب المحاضرات والندوات ، الإجابة عليها بإيجاز ودقة واحكام وتعتمد على المنطق والفكر والدليل فلا تستسلم للعاطفة لأنها تحول المناقشة إلى خطبة .

ولابد للداعية من الالتزام بآداب الحديث، وأصول الحوار، فلا تقاطع الأخريات ، ولاتحاول استدارجهن الى مايفقدهن السيطرة على أعصابهن، إذ عند ذلك ينقلب الحوار الهادىء الهادف إلى ثورة عصبية .

وعلى الداعية التسليم للمناقشة ، فيما تعرض من حقٍّ لتجذب المناقشة وتشعرها بالتفوق عليها .

ولكى تجذب القلوب وتكون سبباً فى إصلاح النفوس ، عليها بالملاطفة والتواضع، تأسياً واقتداءً بالرسول صلى الله عليه وسلم فى مثل هذه المواقف، لأنها لابد أن تضع أمام عينيها أنها داعية ورثت الدعوة عن السلف الصالح ولابد أن توصلها هى بدورها إلى الأجيال من بعدها .

والقاعدة الأساسية فى ذلك قوله جلّ شأنه :

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ١٢٥ ﴾

(سورة النحل ، الآية " ١٢٥ ")

وقوله تبارك وتعالى :

﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ (٤٦) ﴾

(سورة العنكبوت ، الآية " ٤٦ ")

فالدعوة أولاً تكون بالحكمة والموعظة الحسنة، ثم إذا لم تأت الحكمة ولا الموعظة بنتيجة، إيجابية، فإنه يتحتم على الداعية أن تتجادل لاظهار الحق من الباطل والصواب من الخطأ ليتضح ذلك للعيان .

قال الإمام الجويني[1] في الجدل الذي يقرر الحق ويرد الشبه ويوضح الحقائق :

(فإذا رأى العالم مثله يزل ويخطىء في شيء من الأصول والفروع، وجب عليه - من حيث وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - دعاوه عن الباطل وطريقه إلى الحق وطريق الرشد والصواب فيه ، فإذا ألحّ في خطابه وقوي على المحق[2] شبهته وجب على المصيب دفعه عن باطله والكشف له عن خطئه بما أمكنه من طريق البرهان، وحسن الجدال فحصل - إذ ذاك - بينهما المجادلة من حيث لم يجد بداً منه في تحقيق ماهو الحق وتمحيق ماهو الشبهة والباطل .... إلى أن قال : وصار إذ ذاك بهذا المعنى الجدال من آكد الواجبات والنظر من أولى المهمات)[3].

(١) هو عبدالملك بن عبدالله بن يوسف بن محمد الجويني ، أبوالمعالي، ركن الدين الملقب بامام الحرمين: أعلم المتأخرين ، من اصحاب الشافعي ، (٤١٩-٤٧٨هـ) ، ولد في جوين من نواحي نيسابور ورحل إلى بغداد ، ومكة ، والمدينة ثم عاد إلى نيسابور ، وتوفي فيها ، له مصنفات كثيره ، منها: (غياث الأمم والتياث الظلم) ، (والكافيه في الجدل) ، (الارشاد) .
ينظر: (وفيات الاعيان /لابن خلكان :١/٢٨٧) ، (مفتاح السعاده /لطاشكبري زاده :١/٤٤٠، ٢/١٨٨) .

(٢) المحق :النقص ، والمحو ، والابطال ، ينظر: (لسان العرب :١٠/٣٣٨) .

(٣) الكافية في الجدل/للجويني امام الحرمين، (ط:١/١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م) ، (الناشر : مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بالقاهرة) ، (ص : ٣٤) .

(٢) وسائل سمعية وتشتمل على :

(أ) المذيـــاع :

(فالإذاعة فى مقدمة وسائل تبليغ الدعوة بالكلمة، ولها دور فعـــال وهادف فى نشر كلمة الحق بين المستمعين، لذا وجب على الدعاة ـ ذكوراً كانوا أو إناثاً ـ الاستفادة من هذه الوسيلة الإعلامية الحية المؤثره بحكمة ووعـــي وتقدير لظروف كل بلد من أجل تبليغ الدعوة عبر موجات الأثير)(١).

حيث إن الكلمة فى نظر الإسلام كائن فعال حي ومؤثر لذلك كان حريـــاً بنا كثرة التنبيه إلى أهميتها والتنويه بها نتيجة اهتمام الإسلام بهـــا حيث قال تعالىٰ فى شأنها : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾

(سورة ابراهيم ، الآية "٢٤، ٢٥")

وقال جلّ ذكره : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾ ﴾

(سورة فاطر ، الآية " ١٠ ")

وفى الحديث الذى رواه أَبُوهُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُـــولُ

---

(١) ينظر : منهاج الدعاة / لمحى الدين الالوائى ، (ص : ٧٠) .

اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " كُلُّ سُلَامَى(١) مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ ، كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ يَعْدِلُ بَيْنَ الإِثْنَيْنِ صَدَقَةٌ ، وَيُعِينُ الرَّجُلَ عَلَى دَابَّتِهِ فَيَحْمِلُ عَلَيْهَا ، أَوْ يَرْفَعُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ ، وَالْكَلِمَةُ الطيبة صَدَقَةٌ ، وَكُلُّ خَطْوَةٍ يَخْطُوهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ ، وَيُمِيطُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ(٢) "(٣).

(والمذياع هو الترجمة العربية لجهاز " الراديو " وهو من الوسائل التى تعتمد على حاسة السمع فقط،ويتمتع المذياع بمزايا إعلامية كثيره منها : البث السريع عبر موجات الأثير فما يبث فيه يصل إلى كل بقعة فى أرجاء الأرض وبذلك يتخطى الحواجز المكانية، والثقافية، والجنسية، والحواجز الجغرافية، وهذا مانحن بأمس الحاجة إليه لنوصل دعوة الإسلام إلى جميع الشعوب،وخاصة الإسلامية منها بلغاتها الحيّة ، فالشعوب المسلمة التى

---

(١) سلامى:جمع سلامية وهى الأنمله من أنامل الأصابع ،وقيل واحدة وجمعه سواء ويجمع سلاميات . وهى التي بين كل مفصلين من أصابع الإنسان . وقيل سلامى : كل عظم مجوف من صغار العظام .
ينظر: (النهاية فى غريب الحديث والأثر/لابن الاثير)، (٣٩٦/٢).

(٢) (أ) أخرجه الإمام أحمد فى المسند فى (٣٢٨/٢ - ٣٢٩) .
(ب) وأخرجه البخاري فى صحيحه فى(كتاب الصلح،باب فضل الاصلاح بين الناس)، (رقم:٢٧٠٧)، (١٦٣/٣/١).
وفى (كتاب الجهاد ، باب فضل من حمل متاع صاحبه فى السفر)، (رقم : ٢٨٩١) ، (٦٩/٤/٢) .
وفى (كتاب الجهاد ، باب من أخذ بالركاب ونحوه) ، (رقم : ٢٩٨٩) ، (٤٥/٤/٢) ، بهذا اللفظ .
(جـ) وأخرجه مسلم فى صحيحه فى(كتاب الزكاة ،باب بيان أن الصدقة تقع على كل نوع من المعروف)، (رقم:١٠٠٩)، (٦٩٩/٢)

(٣) ينظر:وسائل الدعوة الإسلامية/د.طه جابر فياض العلوانى، (ط:١/١٤٠٥هـ) ، (الناشر:الندوه العالميه للشباب الاسلامى - الرياض)،من ابحاث ووقائع اللقاء الخامس لمنظمة الندوة العالمية للشباب الإسلامى ،بعنوان("الدعوة الإسلامية الوسائل . الخطط .المداخل ")، (المنعقد فى نيروبى بكينيا)-- (بتاريخ ٢٦ من جماد الثانى الى أول رجب ١٤٠٢هـ - الموافق ٢٠ من ابريل ١٩٨٢/٢٤ م) ، (ص : ٧٦) .

مزقتها مناهج البشر وأهواؤهم بحاجة إلى التذكير بالمنقذ الذى يخلّصهم مما هم فيه من ضياع وفرقة وذلك نتيجة سيطرة فئات من أعداء الإسلام عليها وبذلك عظمت المسؤولية بالنسبة للقادرين على التبليغ والبيان، وبما أن " مالايتم الواجب إلا به فهو واجب " فإن استخدام المذياع فى هذا المجال يصبح واجباً لتبليغ الدعوة للمواطن الذى لانستطيع إبلاغها إليه: إما لبعده، أو لسيطرة النظام الكافر عليه لأن وسائل الإعلام الأخرى مثل الكتاب والصحيفة والمجلة تمنع من الوصول بقوة الحاكم المتسلط على هذا البلد .

فمهمتنا الأساسية هى دعوة الناس للتحرر من كل ألوان العبوديات بالإسلام، لتكون العبودية للّه وحده، وتبقى علينا مهمة أخرى إلى جانب ماذكرت هى دعوة المسلمين عبر هذا الجهاز للوحدة والتضامن، وذلك بالرجوع إلى إسلامهم من جديد عقيدة وشريعة ونظام حياة ، لأن هذا أساس وحدتهم ومنطلقها السليم وبالتالى نبيّن لهم أثر الدعوات الجاهلية فى تمزيق وحدتهم، واستمرار الشقاق بينهم، وباستطاعة القائمين عليه أن يطرحوا بعض القضايا الهامة التى يجب بحثها ، مثل : " الوحدة الإسلامية " ما مقوماتها وشروطها، وما العقبات التى تحول دون قيامها وماهو الطريق لازالتها ؟؟ .

لأن البحوث الفكرية تمهّد الطريق للعمل والتنفيذ ، فهي تبيّن المعالم وتكشف المغالطات ، وتزيل الغموض ، خاصة وأن تشويهاً كبيراً قد لحق قضية الوحدة الإسلامية على أيدى أعداء الإسلام من القوميين العلمانيين الحاقدين على الإسلام)(١) .

---

(١) وسائل الإعلام وأثرها فى وحدة الأمة / محمد موفق الغلاييني ، (ص : ١٤٥ - ١٥١) باختصار وتصرف .

فالمرأة المسلمة الداعية تستطيع أن تشارك فى برامج الإذاعة،وليس شرطاً أن تكون مشاركتها مقدمة للبرامج الإذاعية ، فإنها لاتأمن الاختلاط والتخلى عن الحجاب الإسلامى ، ولكن هناك مجالات كثيره تستطيع أن تشارك بها فى الإذاعة ، فإن كانت ناقده تقوم بدور النقد للبرامج التى تستحق ذلك على أن تعطي مقابل النقد الاقتراحات البديله ، وإن كانت ذات موهبة كتابية فعليها أن تصوغ ماتكتبه من قصص أو نصائح أو برامج دينية بصياغة دعوية فعالة .

حيث إن الإذاعة وسيلة اتصال تسري فىكيان المجتمع سريان الشرايين فى الجسم.كذلك عليها أن تولى المرأة كل اهتماماتها بالمشاركة فى الاذاعة وذلك بإعداد برامج تخص بنات جنسها وتعرفهن بأصول الدعوة الإسلامية ومناهجها وأساليبها ومزاياها،وتوضح لهن محاسن دينهن،وتزودهن بالثقافات التى تعينهن على معرفة واجباتهن تجاه اللّٰه سبحانه وتعالىٰ ، ثم الوالدين والزوج ، وتبصرهن بالتربية الصحيحة السليمة لأبنائهن ،ومن الممكن أن تعد برامج تمثيلية هادفة القصد منها حل مشكلات المجتمع المسلم .

فإن قالت : إنها ليست ذات موهبة كتابية نقول لها من الممكن المشاركة عن طريق اختيار قراءات من كتاب ،وتلخيصه ،وبيان أهدافه وفوائده ،ولينوب عنها فىالقراءة أخوها المذيع ،كذلك يمكنها المشاركة بإرسال نص من نصوص القرآن أو السنة أو التاريخ مع توضيحه وشرحه بصورة مبسطة وتضرب الأمثلة من الواقع مع التمثيل لتطبيق السلف الصالح لهذه النصوص،عندها ينوب عنها المذيع المتخصص، فتكون هى قامت بمهمتها على أكمل وجه ، حيث إن هذه هى مهمة المرأة الداعية فما عليها إلا إيصال كلمة الحق والخير عبر موجات الأثير إلى جميع أنحاء العالم ،لأنها ربما تجد أرضاً قاحلة فتنزل عليها كالغيث وتغرس بذورها وتؤتى أكلها كل حين.

(ب) شريط التسجيل الصوتى :

يعتبر الشريط المسموع من الوسائل السمعية، لأنه يشغل حاسة السمع فحسب كالمذياع لكنه يتميز عنه بأمور، كما يختلف بأخرى .

أما مميزاته فهى :

(١) يتيح مجالاً أكبر للتعرض للماده المسجلة، حيث إن الشريط بعد التسجيل عليه يصبح كالكتاب يقرأ فيه صاحبه متى شاء، بل لعل السماع أسهل من القراءة فى كثير من الاحيان وخاصة فى حالة التعب والملل، والعجالة، وعدم الفراغ، أى من الممكن أن تقوم المرأة بعمل وبنفس الوقت تستمع للشريط لأنها لو فاتها شئ من الماده تعيدها بسهولة وتستمع إليها ، كذلك بعض الأفراد الذين لايحبذون القراءة يستمعون إليه أيسر لهم .

(٢) كذلك للشريط ميزة الإنتشار وبصورة سريعة بخلاف، باقى أجهزة الإعلام حيث هذه توجد عليها رقابة، أما الشريط فلا يخضع للرقابة ولوحظ فى الآونة الأخيرة مدى اسهام هذه الوسيلة فى نشر الأفكار المعارضه سراً لأنه سلاح ذو حدين وهذه الأفكار قد تكون إسلامية تنتشر وتعبر عن الإسلام واهدافه ومزاياه بصورة خطب ومحاضرات وندوات وأناشيد ، كذلك قد تكون هذه الأفكار سيئة كنشر المواد الماجنه المرذولة كالأغانى والموسيقى المثيره والذى أتاح لهم هذا المجال هو عدم الرقابة الصارمة عليها، إلا أن بعض الدول الحاكمة التى تعادى الإسلام والمسلمين حاولت فرض سيطرتها على هذا الخطر الخفى فى نظرها فبادروا على الفور إلى مصادرة ماوجد فى المكتبات والأسواق .

أما فى البلاد الإسلامية، فالدولة الحاكمة لاتفرض السيطرة على هذه الوسيلة إلا نادراً، لذلك وجب على المربين والموجهين تربية النشىء ، وتعهدهم بالتوجيه عبر الوسائل التعليمية والإعلاميه، وبيان الخطأ من الصحيح فى ذلك . حيث إن المنع القسرى يؤدى إلى عكس الغايه المنشودة فى أغلب الأحيان، فهو إذاً سلاح ذو حدين قد يفيد إذا أُحسِن إستخدامه. ومن هذه الفوائد على صعيد توحيد المفاهيم والمواقف بين المسلمين، تسجيل أشرطة بعدة لغات حيّه تبين حقيقة الإسلام والرابطة الأخوية التى تنتج عنه، وحقيقة الدعوات الإقليمية والقومية التى مزقت شمل الأمة والقائمين عليها قديماً وحديثاً .

(٣) ومن مميزاته أنه يحتفظ بالمناسبات، فهو مصدر جيد لتسجيل القرآن الكريم والأناشيد الدينية والخطب والمحاضرات والندوات، ومن الممكن طباعتها فيما بعد نقلاً عنه، وبهذا يمكن المحافظة عليها والاستفادة منها)[1].

فما عليك أختى الداعية-حين عرفت بعض مميزات الشريط-إلا استخدامه وسيلة من وسائل الدعوة، لأنك فى بعض الأحيان قد تلتقين فى دعوتك ببعض الأخوات ممن تحتارين معهن عند محاولتك لإصلاحهن، فربما كن من اللاتى لايعطين فرصة للحديث معهن وبنفس الوقت يشعرن بالملل من القراءة فى مثل هذه الحاله ، فما عليك إلا استخدام وسيلة الشريط خاصة إن كنُ ممن اعتدن -والعياذ بالله-على سماع الاغانى والموسيقى فكيف تأتين أنت وتستخدمين

---

(١) وسائل الإعلام وأثرها فى وحدة الأمة / محمد الغلايينى ،(ص : ١٥٢ - ١٥٤) باختصار وتصرف .

معهن المنع القسرى وتقولين إن ذلك حرام وتأتين بأدلة من القرآن والسنه على التحريم الموسيقى وهكذا ... أعتقد أن ذلك لايأتى بنتيجه مع هذه الفئه لأنهن ربما شعرن بفراغ .. ورجعن مرة أخرى إلى حالتهن السابقة ، لذلك إستعملى طريقة أخرى وهي : طريقة البديل،من الممكن فى أول الأمر استبدال أشرطة الموسيقى بأشرطة القرآن الكريم والأناشيد الإسلامية والمحاضرات والندوات والخطب وغيرها ، مما فيه فائدة للمسلمة كالفتاوى التى تخصها،ولابد من انتقاء مايصلح لهن من خير ، عند ذلك تجدينهن شيئاً فشيئاً امتنعن عما كن اعتدن عليه ،وحينئذ لابد من إخبارهن بتسجيل كل مايجدن فيه خيراً سواءً كان فى جهاز الراديو خاصة إذاعة القرآن،أو فى غيره على نفس تلك الاشرطة التى سبق وسجل عليها الغناء والموسيقى،فيحل المفيد النافع محل الضار المفسد وهذه ميزه من مميزات الشريط ، فحاولى أختى الداعية أن تكونى دائماً على اتصال وثيق بالأشرطة،واطبعى من كل شريط تجدين فيه الخير والصلاح والدعوة للتمسك بالأخلاق الإسلامية الفاضله اكثر من نسخة وعند ذهابك إلى أي مكان سواءً فى عملك،أو زياراتك،أو رحلاتك اصطحبى فى حقيبتك عدداً منها،لانك ربما تحتاجين لاستخدامها أو اهدائها وتبادلها مع بعض الأخوات .

ومما تجدر الإشارة إليه هو أن للاشرطة ميزة حسنة وهى تعينك على الدعوة خاصة فى مجال العمل،فقد لايكون هناك الوقت الكافى للمناقشة والاستدلال والتوضيح عند طرح فكرة ما أو قضية،ما فما عليك الا تجهيز شريط عليه توضيح كامل ونصوص صريحة لتلك الفكرة أو القضية المطروحة واهداؤه إلى اللاتى طرحن الفكره أو القضية ، لسماعه فى البيت.وبهذا يكون الشريط فى كثير من الأحيان من وسائل الدعوه الناجحة،لأن الداعية تتحكم به، حيث تسجل عليه ماتريد وماتراه صالحاً وفيه خير وفلاح لأفراد الأمة الإسلامية، وبالذات المرأة، حيث إن بصلاحها يصلح المجتمع فينهض بمستوى الأمة المسلمة إلى القمة لتكون القدوة لغيرها كما كن نساء سلفها الصالح قدوة لها .

(٣) وسائل مقـــروءة :

(أ) الكتـــاب :

الكتاب من الوسائل المفيدة جداً فى نشر الدعوة إلى الله. وقد تكون الداعية نفسها هى مؤلفة الكتاب فيكون لها دور فعال فى نشر دعوة الإسلام وتصفية العقيدة الإسلامية مما علق بها من شوائب، ولكي تكوني كاتبة ناجحة عليك الأخذ بأهم الأصول التى تجعل منك كاتبة موفقة تخدم دينها .

(١) الإكثار من مطالعة الكتب الدينية والأدبية .

(٢) التزود بثروة الألفاظ الفصيحه والتراكيب البليغة .

(٣) الممارسة فى اكتساب فنّ المقالة ... وترويض القلم على الكتابة فكرة وأسلوباً وملكة .

(٤) عليك النزول فى الكتابة إلى مستوى الجمهور ليفهم منك الناس وينجذبوا إليك .

(٥) كذلك لابد من ربط كتابتك الدعوية بأمثلة من واقع الناس اقتداء بسنة المصطفى عليه الصلاة والسلام فكلامه كله من واقع البيئه ليؤثر وينتشر بين الناس، حيث ان الأمر المُشاهَد يزيد فى إيمان المشاهِد (١)

وفى أكثر الأحيان لاتكون الداعية هي المؤلفة للكتاب الدعوى، ولكن تكون القارئه له المستوعبة لكل مافيه عند ذلك تفيد نفسها وغيرها خاصة عندما تقوم بتلخيصه بنقاط بسيطه ، كذلك تتبادل أمثال هذه الكتب المفيده مع بنات جنسها، فنجد الكتاب ينتشر بصورة سريعة وواسعة، فيؤدى دوره المطلوب منه والذى من أجله أُلِفَ، حيث إن القصد من تأليفه هو ترسيخ العقيدة الإسلامية، ومعالجة الموضوعات التى تهم الأمة الإسلامية من كافة النواحى ،

---

(١) ينظر: مواقف الداعيه التعبيرية/عبدالله علوان ، (١٦١/١٠) .

كذلك لابد للمعلمة فى جميع مراحل الدراسة أن تقوم بمهمة تفتيح أذهان الطالبات لبعض الكتب،وحثهن على قضاء وقت الفراغ فى القراءة المفيدة لتلك الكُتيبات المنتشرة فى الوقت الحاضر ، وإرشادهن إلى أسمائها وتحذيرهن مما تراه غير صالح لهن ومن الممكن أيضاً عند اقتنائها لمثل هذه الكتب القيمة أن تشترى عدداً من النسخ لتهدى منها لمن تراها بأمس الحاجة إليها، بقصد الجذب وتأليف القلوب والمحبة فى اللّه وعليها أن تحث التلميذات على اقتناء الكتب الثمينة،سواءً المنهجية منها أو غيرها لتكون مكتبة مفيده وتنبيههن إلى أن ثمن الكتاب لايساوي شيئاً بالنسبة لثمن باقى الاحتياجات الخاصة . وبالرغم من ذلك الا أن الكتاب لايزال لايقتنيه إلا الخاصة من المثقفين إلى أن ظهر الكتاب الشعبى ويقصد به : (الكتاب ذو الطبعة الرخيصة الذى يستطيع الجمهور العام الحصول عليه للتزود بمختلف ألوان الثقافه والعلم والأدب والفن وغيرهما والسبب الذى جعل كتاب الشعب ينتشر فى الآونة الأخيرة هو الانفجار السكاني ، وإنتشار العلم، وزيادة أوقات الفراغ بالإضافة للتقدم الهائل فى الوسائل الفنية للطباعة بحيث أصبح الكتاب من الوسائل الإعلامية الهامة)(١).

واليك بعض مميزات المادة المكتوبة :

(١) (إن الكلمة المكتوبة ذات سحر قوى على النفوس إذا أمكن إعدادها إعداداً جيداً . وتوفر لها من أساليب التأثير اللفظى والمعنوى مايجعلها تتسلل إلى الأذن بلا إذْن " بسكون الذال " كما يقولون ، ثم تصل إلى القلب بشحنة عاطفية تجعل القارئ أسيراً لها ، ثم داعياً لمضمونها .

---

(١) ينظر : الاتصال بالجماهير والدعاية الدولية /د.أحمد بدر ،(ط: ١ / ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م) ، (الناشر : دار القلم بالكويت) ، (ص :٧٦ - ٧٩) باختصار وتصرف .

(٢) تتميز المواد الدعوية المقروءة بأنها تتيح للمتلقية فرصة التحليق بخيالها العلمي فيما بين السطـــور ، فتفهم أكثر مما تقرأ وتتخيل أكثر مما تفهم ٠

وذلك لأن المادة المكتوبة لاتحصرها فى نقطـــة محددة ٠٠٠،ولاتحاصرها فى إطار مغلق ، بل هى تشع فـــى نفسها إشعاعات متموجة ٠٠٠ تجعلها تراوح مابين الفهم حيناً ، والفكر حيناً ، والتخيل حيناً ، والابتكار فـــى بعض الأحيان)[(١)].

فعلى أولياء الأمور من الآباء والأمهات مسؤولية غرس حب القراءة فـــى أبنائهم منذ نعومة أظفارهم،وحثهم وتشجيعهم على القراءة،ثم بعد ذلـــك تأتى مسؤولية المربيات والموجهات فى حقل التعليم لترسيخ تلك البـــذور التى سبق وغرسها الآباء والأمهات وتعهدّها بالرعاية والعناية،وبالسقـــى والحرث عن طريق إنتقاء الكتب التى يرون أنها صالحة للقراءة،وحـــث التلميذات عليها،الى جانب تنبيههن وتحذيرهن من بعض الكتب التى يـــرون أنها صالحة للقراءة وحث التلميذات عليها إلى جانب تنبيههن وتحذيرهـــن من بعض الكتب التى يرون أنها غير صالحة وهكذا نجد الكتاب قـــد أدى مهمته على أنه وسيلة من وسائل الدعوة المتعددة ٠

---

(١) أصول الإعلام الحديث وتطبيقاته / للشيخ ابراهيم سرسيق ، (ص : ٢١- ٢٢) ، بتصرف ٠

(ب) الصحيفـــــة :

(كانت ولاتزال الصحافة أحد وسائل الدعوة الهامة فى حياة النـــاس وذات الاثر الفعال فى تفكيرهم واتجاههم)(١) .

(والصحافة لها دور كبير هام فى الدعوة إلى الله، خاصة عندمـــا تكون بأيدى مسلمة، واعية، هدفها خدمة الإسلام والمسلمين، لانها ميدان خصـــب لطرح الفكر الإسلامى، والعقيدة الإسلامية، ومناقشة الآراء المعادية ، كذلـــك لها مجال واسع لملاحقة أخبار العالم الإسلامي مع تحليلها من وجهة النظـــر الإسلامية)(٢).

فلو قدر لك أختى الداعية في أن تكونى من هؤلاء الذين عندهـــم الموهبه الصحفية فما عليك إلا صقل هذه الموهبه ويكون ذلك عن طريـــق المشاركة فى الكتابة بالصحيفة ، وليكن هدفك من الكتابة هو النصـــح والإرشاد والتوجيه، وتغيير منكر وأمراً بمعروف، وتحذير بنات جنسك مما يدور حولهن، ويحيط بهن من أفكار ودعايات مغرضه القصد منها إفساد المجتمـــع المسلم عن طريقها من حيث لاتشعر .

(فإن الصحافة ياأختى الداعية عملية إنسانية يفترض فيها أن تكون وسيلة من وسائل الخير لتنمية نواحي الحياة الإيجابية للإنسان ، وهـــي كما عرفها صحفى عالمي حيث قال : الصحافة هى خير إدارة لتنوير عقـــل الإنسان ، ولتقدمه ككائن جغرافي أخلاقى اجتماعى)(٣).

---

(١) من قضايا الفكر فى وسائل الإعلام ، دراسة فى الفكر الذى تبثه وسائل الاعلام /أ.حمد بكر العليان ، (ط:١) ، الكتاب جزء من رسالة الماجستيـــر التى تقدم بها المؤلف إلى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميـــة بالرياض ، (ص : ٤٧) .

(٢) ينظر: وسائل الإعلام وأثرها فى وحدة الأمة/محمد الغلاييني ، (ص:١٥٧- ١٧٥) باختصار وتصرف .

(٣) من قضايا الفكر فى وسائل الإعلام/أحمد بكر العليان ، (ص : ٤٧ - ٤٨) نقلاً عن مذكرة وسائل الاتصال.

فيكون دورك أختي المسلمة الداعية في الآتي :

(١) تثبيت العقيدة لأنها أساس في بناء المجتمع ٠

(٢) إبراز القيم الأخلاقية لما لها من دور هام في حياة المجتمع ٠

(٣) تنبيه المؤمنات وتحذيرهن من الزوابع المصطنعة التي يثيرها أعداء الإسلام ٠

ويقول الدكتور محمد محمود متولي :

(ومما يؤسف له أن غالبية الكتاب المسلمين في الصحافة العربية ، لاتربطهم بالمهنة صلة إلا خطوط واهيه ٠٠٠ فهم هواة وليسوا محترفين، وقلما نعثر على صحفي محترف ومندمج في متاعب المهنة، وعليم بأسرارها وخفاياها حيث إن معظم كتابها ومراسليها بعيدون تماماً عن الجوّ الصحفي، غير ملمين بمشاكلها، في حين نجد الماركسين والاشتراكيين والمبشرين ٠٠٠ محترفين مندمجين اندماجاً كلياً ومطلقاً مع الحياة الإعلامية في بلدانهم والعالم)[1].

والدليل على ذلك واضح وظاهر في الصحفيين من الذكور والإناث في صحفنا المحلية، فلا نجدهم مندمجين مع مايكتبون دائماً بل قد لايكتبون فالكثير منهم مستخدم طريقة الحوار واللقاء وفي أكثر الأحيان لايكون الموضوع الذي يدور حوله الحوار هادفاً ، بل يكون تافهاً أو مثيراً لنقطة من النقاط ، المجتمع المسلم في غنى عنها ويجب أن يتخلص منها لا أن يثيرها ويبحث عن حلول لها أو وجهات النظر فيها ٠

ومما هو ملاحظ أن بعض الأخوات الصحفيات لايحاولن البحث عن موضوع يخص المرأة من الناحية الشرعية، وتحثها عليه، وتشجعها على الالتزام به

---

(١) الإعلام في العصر الحديث ودوره في تبليغ الدعوة الإسلامية /د٠محمد محمود متولي ، (ط : ١٤٠٦/١ هـ - ١٩٨٦ م) ،(الناشر : مكتبة ابن تيميه - بالكويت) ،(٤٣٢/٢) ٠

وتستدل عليه بنصوص قطعية ، بحجة إن ذلك مكانه الكتب ومن أرادت المعرفة، فلتبحث فى الكتب ، لا فى الصحف ، نقول لها إن هناك الكثير من النساء من يكون تعليمها بسيطاً وثقافتها لاتتعدى القراءة فى الصحف والمجلات ، وهن فى حاجة ماسة لأمثال هذه الموضوعات التى تبين لهن المزيد من شرعهن ومحاسنه فى صورة مبسطة وهادفه لكى يميزن الصواب من الخطأ ، والخير من الشرّ .

فالمسلمه، فى أي مهنة، وفى أي مكان مكلفة بتبليغ الدعوة للناس حسب استطاعتها ومهنتها وموقعها، ليعيش الجميع بخير وفلاح، نتيجة تكاتفهم على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، عند ذلك يتمكن الجميع من توجيه حياتهم وفق منهج اللّٰه تعالىٰ الذى ارتضاه لهم .

لقد التقيت فى يوم من الأيام بأحدى الأخوات الصحفيات فدار الحديث بيننا طويلاً، عندها وجدت فرصة للإنتقاد على الأسلوب المتخذ من قبل الكثير من الصحفيات ألا وهو مجرد اللقاء مع بعض الزائرات أو المسؤولات عن موضوعات غير هادفه اللهم إلا شغل صفحة كاملة بكلام فارغ، من غير أن يكون للصحفية أي تعليق سوىٰ كتابة اسمها فقط ، فقالت : إن الصحفية تختلف عن الكاتبة ، قلت : لها نعم أنا معك فى ذلك لكن هذا لايمنع من أن الصحفيه يكون لها دور كبير فى التعليق وفى التمحيص وفى إنتقاء الموضوعات الهادفه لتكون محلاً للحوار ومناقشة بعض قضايا ومشكلات المجتمع التى يعاني منها خاصة التى مصدرها عن طريق المرأة نتيجة إهمالها لمسؤولياتها الأصليه الملقاه على عاتقها وإهتمامها بمسؤوليات الآخرين من الفراغ الذى صنعته هى بنفسها لاعتمادها على غيرها فى القيام بمسؤوليات بيتها وزوجها وتربية أبنائها ،وتذكير أمثال هؤلاء النساء بنساء السلف الصالح من أمهات المؤمنين ونساء الصحابه والتابعين رضوان اللّٰه عليهم ، وبيان مسؤوليتها أمام اللّٰه يوم القيامه، حيث إنها راعية مهملة فى حق من كلفها الشرع رعايتهم ، حيث قال صلى اللّٰه عليه وسلم فى الحديث الذى رواه

عبدِاللّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَقُولُ : " كُلّكُمْ رَاعٍ ، وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيّتِهِ ... وَالْمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَمَسْؤُولَةٌ عَنْ رَعِيّتِهَا .... "(١)

وقد سألتني إحدى الصحفيات سؤالا وهو ، هل ترين صحفنا المحلية منصفه عندما خصصت للمرأة صفحة خاصة في صحفها ؟ فنحن لابد أن نتساوى مع الرجل ونكتب في أي صفحة نريد ...

فقلت لها القصد هو إيصال الفائدة للجميع وليس من الضروري أن نضيع وقتنا في أمثال هذه المقارنات والمطالب التي نحن في غنى عنها ، فبدلاً من هذا المطلب الذي ينتج عن الشعور بالنقص ، أكتبي ماهو مفيد ونافع في صفحتك المخصصة لك وتستطيع الصحفية الموهوبة الناجحة أن تفيد بنات جنسها وتخدم دينها،وان خصص لها عامود واحد أو زاويه في صفحه ، لا صفحة كاملة فأنت كوني صحفية محترفة وموهوبة ومندمجة في مهمتها،تشعر بالمسؤوليه الملقاه على عاتقها،وتعتبر عملها هذا أمانة في عنقها تسأل عنه يوم القيامة ، ولايكون قصدها إبراز اسمها بالخط العريض وتحته كلام لغيرها .

وأقترح على الأخوات الصحفيات أن يفكرن جميعاً بإنشاء مجلة نسائية إسلامية بكل مافي هذه الكلمة من معنى ، وأقول ذلك مما أراه وتراه كل منصفة من حال مجلاتنا النسائية المسماة باسم الإسلام وهي في الحقيقة تهدف لتدمير الإسلام .

فهي بأيدي (جماعات كثيره حاقدة دأبت منذ القديم على تحطيم المجتمع الإسلامي،وتقويض أركانه،والقضاء على روح الإيمان ومظاهر العزه والقوة فيه،ويضاعفون الجهود ويشددون الضربات ويتدرعون بكل الوسائل

---

(١) سبق تخريجه : (ص : ٣٥٢) .

ولو كانت الغاية فى الخسة والنذالة للوصول إلى ما أرادوا من تدمير هذا الحصن الاخير من حصون الإسلام)[١].

وعندما أطالب الأخوات الصحفيات بالتفكير فى إنشاء مجلة نسائيه إسلامية ليس معنى ذلك أنني ادفعها إلى مهنة البحث عن المتاعب التى تكون على حساب مسئولياتها الأساسية،والتى قد تؤدى بها مع مرور الزمان إلى مالاتحمد عقباه من السفور والاختلاط ركضاً وراء السبق الصحفى ،بل على العكس إن كانت صادقة مع نفسها ، مخلصة لدينها تزن جميع أمورها وشؤون حياتها بميزان الإسلام،فهى فى داخل بيتها تستطيع أن تكون الصحفية الممتازه الموهوبة إذا كانت غيورة على دينها وعلى بنات جنسها ، وتريد أن تحقق ما خلقت من أجله،وهو طاعة اللّٰه تعالىٰ والدعوة فى سبيل اللّٰه .. من خلال مكتبتها الخاصة فى البيت،وماتراه حولها من واقع المرأة المسلمة المعاصرة فيقتصر عملها فى هذه المجلة النسائية التى تهدف إلى انتشال المرأة مما غرقت فيه من أوحال الرذيلة والفساد إلى شاطىء الأمان والفضيلة ، فى إعداد المقالات والتحقيقات المحلية النسائية ، على أن تكون الموضوعات المطروحة واقعية وبعيدة عن الأهواء والتعصب ، وعندما أقول واقعية لا أقصد أن نرضى واقعنا ،ونغضب خالقنا ، بل لابد أن يساير الواقع رضىٰ الخالق عز وجل فى كل صغيرة وكبيرة ، فإن معظم النار من مستصغر الشرر .

---

(١) المرأة المسلمة أمام التحديات / أحمد بن عبدالعزيز الحصين ، (ص : ٢٩٧ – ٢٩٨) .

(ج) المجلـــــة :

(تأتى المجلة فى المرتبة الثانية بعد الصحيفه من حيث التأثير والإنتشار ولها عدد من المميزات منها :

(١) الإسهام فى تحقيق الوحدة الثقافية،لذلك نرى الأثر البالغ والدور الفعال الذى تقوم به المجلات الإسلامية المنتشرة فى جميع أرجاء العالم الإسلامى،فهى تحظى بإقبال المسلمين على قراءتها واقتنائها ٠

(٢) ساحة للمناقشة وطرح الآراء المختلفه ـ ثم تقوم إدارة التحرير بانتقاء الصالح منها للنشر ثم تبدى رأيها وتعلق على بعض الآراء المخطئه ٠

(٣) الإسهام فى الدعوة إلى الاصلاح بشتى أشكاله الاجتماعيه أو السياسية أو الاقتصادية ٠

(٤) استخدام الكتابة الأدبية على نطاق واسع مثل القصة القصيره أو الشعر والمقال والمسرحية القصيرة ٠

وللمواد المكتوبة بالمجلة خصائص يجب توافرها فيها منها :

(١) الجاذبية : وذلك لتستطيع مخاطبة عامة الناس وتبسيط لغتها وموضوعاتها ٠

(٢) الملاحية الظرفية : حيث ترتبط الموضوعات بما يجرى من أحداث ٠

(٣) الأصالة والابتكار : لابد أن تكون سباقة فى الجديد من الأفكار والمعلومات،كذلك تكون المادة المطروحة عبر المجلة أصيلة وإذا كانت مستقاة من مصدر يجب الإشارة إليه ٠

(٤) هوية الكاتب : أحياناً يلى المقال إقبالاً واهتماماً من القراء بسبب كاتبه،لما يتمتع به من خبرة ودراية فى

مجال معين)[(١)]

بعد أن عرفنا ماتمتاز به المجلة ومادتها المكتوبه بها نقول :لابد أن تكون هناك مجلة أسبوعية ،أو شهرية تصدر على رأس كل شهر عربى وتضم عدداً من المقالات والبحوث العلمية والدينية ، ولابد من استخدام الفن الصحفى فى تحريرها وإخراجها ولانكتفى فقط بذلك بل لابد من وجود الخبر والحديث وبعض الطرائف حتى لايشعر من يقرأها بالسآمة والملل،ولتشد القارئ إليها،ولابد من الإبداع فى صفحاتها والتفنن بحيث تكون صفحاتها إسلامية ، بمعنى الكلمة وأعني بكلمة إسلامية أي أنها شاملة لجميع مجالات الحياة فالإسلام كما نعلم لايخص ناحية دون أخرى من نواحى الحياة .

كما أنه لابد أن يتم إخراجها بطريقة حديثه،وتوزع الماده على صفحاتها بطريقة مشوقة،وذلك باستخدام أسلوب الأعمدة،ويمكن عن طريقها استخدام بعض وسائل الدعوة كالملصقات الهادفة،والرسوم والخطوط"الكاريكاتيرية" التى تعالج كثيراًمن المشكلات الاجتماعية .

وهنا يأتى دور المرأة الداعية،وذلك بالمشاركة فى أفكارها وقلمها وعلمها،حيث تقوم بالكتابة والنقد،والنصح والإرشاد،والتوجيه والترجمة، وغيرها مما تكون نابغة فيه،لمحاولة إيصال ماتهدف إليه من خير وحب لله ولرسوله وللدعوة فى سبيل الله إلى كل من يقرأ هذه المجلة بالأسلوب السهل،وبإظهار الحقائق العلمية،وبضرب الأمثله من الواقع المعاصر،وبالحث على الاقتداء بنساء السلف الصالح وبالنصح سراً وبطرق غير مباشرة من غير ذكر للأسماء،فالقصد هو إصلاح جميع شؤون المسلمين والوصول بهم إلى المكانة التى يجب أن يصلوا إليها. ولا يستطيعوا الوصول إليها الا بشئ واحد وهو التمسك بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ونعنى بكلمة " التمسك " التطبيق العملى لها وترك كل ما يخالفها من محدثات الأمور.

---

(١) وسائل الإعلام وأثرها فى وحدة الأمة / محمد الغلايينى ،(ص : ١٧٦ – ١٨٠) باختصار .

(د) الترجمـــــه :

الترجمة من وسائل الدعوة إلى الله، وليست قاصرة على الذكـــور دون الإناث، فمن عرفت أى لغة أخرى عليها أن تقوم بالترجمة من الناحيتين، حيـــث تترجم من اللغة العربية إلى غيرها والعكس، وهذا لايكون لأي شيء يقع تحـــت يدها بل لابد أن يكون هذا الشيء المترجم فيه مصلحة ومنفعة للإســـــلام والمسلمين .

فمثلاً قد تحصل على كتاب فيه دسائس ومؤامرات الهدف منها إفســـاد الإسلام وتشويهه وزعزعة المسلمين من عقيدتهم ، تقوم هى بدورها القيـــادي فى هذا الموقف فتترجمه إلى اللغة العربية وتعلق عليه لتحذير المسلميـــن منهم، ومن افكارهم ومخططاتهم الخبيثه التى هدفها دائماً وأبداً القضـــاء على الإسلام ، ولكن هيهات أن يتحقق لهم ذلك المكر فمكر الله خير حيـــث قال تعالىٰ : ﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾

(سورة آل عمران ، الآية "٥٤")

وقال عزّ وجلّ : ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾ ﴾

(سورة الصف ، الآية " ٨ ")

ومن الممكن أن تقوم بترجمة من نوع آخر وهى ترجمتها لأشياء تخـــص المرأة، والقصد منها توعية المرأة، وتحذيرها مما يحاك ضدها، لاننا نجـــد انتشار بعض السلع فى الأسواق ، من ملابس وغيرها عليها بعض الأحـــــرف والعبارات والرموز التى تهدف لشيء ما قد لاتدركه المرأة العاديـــة ، أو لاتعلمه، لعدم معرفتها باللغات الأخـــرى ، فتشـــتري السلع وتقتنيها ، هنا يأتى دور تلك المترجمة الواعية المدركة المستوعبة للهدف المقصـــود من وراء تلك العبارات أو الرسوم الموجوده على بعض السلع .

حيث تقوم بأخذ صورة لتلك السلعة وتنشرها عن طريق الصحف والمجـــلات

والنشرات والملصقات الحائطية وغيرها ، وتترجم المكتوب عليها أو ماترمز له فتحذر بنات جنسها منها ومن شرائها ٠

فالمرأة التى تسمح لها ظروفها العائلية بتعلم اللغات الأخرى، لاشك أنها ستكون ذخيرة، وأداة تنفع دينها ومجتمعها الإسلامى، خاصة المجتمع النسائى الذى هو فى مهب الريح ٠ على أن لاتكون من اللاتى يتعلمن اللغات الأخرى ليتشدقن بها، ويتفاخرن بمعرفتها ويتلفظن بها فى كل حال ومع أي إنسان مهما كان مستواه ٠ على أن تعلم لغات الآخرين فيه فوائد كثيرة إذ أحسنا الأستفادة منها ٠

ومما تجدر الإشارة إليه فى هذا المقام هو أن الترجمة من العربية إلى اللغات الأخرى تشتمل على ترجمة معانى القرآن الكريم والأحاديث النبويه ، وبعض الكتب والبحوث المفيدة والتى تعرض الإسلام بصورة مشوقة ومبسطة ، وإرسالها للناس عن طريق صناديق البريد إلى سائر البلاد فى قارات الدنيا لتبليغ الدعوة إليهم، وهذا مايقوم به الذين يدعون إلى النصرانية ، فنحن من باب أولى أن نقوم بهذه الخطوة لتعم الفائدة الجميع على اختلاف لغاتهم ومستوياتهم العلمية والثقافية، وإيصال الدين وتعاليمه السمحة إلى عقر دارهم، عن طريق الرسائل ووسائل الإعلام فى ترجمة البرامج من العربية إلى اللغات الأخرى ، فلابد أن نحطم كل الحواجز التى تقف فى وجه الدعوة ونجعلها تصل إلى الناس وتتغلغل فى قلوبهم وتثبت فى نفوسهم ٠

(هـ) النشـــرة :

النشرة من وسائل الدعوة المقروءة وهى أكثر الوسائل تأثيـــــراً وإنتشاراً، وذلك لأنها تتميز بصغر حجمها، وقلة المكتوب فيها، فهى اسم علــى مسمى ، اسمها نشرة وبنفس الوقت سريعة الإنتشار، وهذا يجعلها ذات تأثيـر كبير على عدد كثير من الناس، فنجدها توزع فى أماكن التجمعات لتعـــم فائدتها المرجوة منها .

وتستخدم النشرة في الدعوة إلى الخير وهي تحتوى على متنوعـــات، فقد تكون بيان لحكم مسألة ما ، أو إجابة على سؤال ، أو موضوع مهـــم مختصر جداً ، أو تحذير من خطر محدق ، أو التنبيه والتذكير بأمر مهـم ، أو سرد لبعض المواعظ والنصائح باختصار وهكذا بحيث تصل فائدتها وتعـــم القاصى والداني من الناس .

فعلى الداعية استخدام هذه الوسيلة السهلة، فتكتب مايفتح الله بـه عليها من خير ونصح وإرشاد ، وإنكار للمنكر أو أمر بالمعروف، على أن تحرص عند الاستدلال بالأدله ان توثقها من مصادرها الأصليه . وتكتب النشرة التى ترغب فى توزيعها بأسلوب سهل بحيث يفهمه الجميع .

ثم بعد ذلك ترسل ماتكتبه إلى رئاسة ادارات البحوث العلميـــــه والافتاء والدعوة والإرشاد، لتصدر لها الإذن بطباعة نشرتها . عندها تطبعها بكميات كبيرة وتوزعها في اماكن التجمعات مثل المدارس والجامعات وعنـد المساجد وفى الأسواق ...

فلابد أن يحرص دعاة المسلمين، ذكوراً وإناثاً، على استخدام هـــذه الوسيلة للتصدى بكل إيمان وحزم لحملات الاعداء من منصرين وغيرهم .

(وللاسف فقد فطن لأهمية هذه الوسيلة المنظمات التنصيرية فقامــت بطباعة النشرات التنصيرية بملايين الدولارات وقامت بتوزيعها فى جميـــع

انحاء العالم بلغات مختلفة ، وهم كما نعلم يسلكون طريقة تقديم السم من خلال العسل ، مستغلين الأماكن التى يمكن أن تنشر فيها هذه النشـــرات ، فيرسلونها عن طريق صناديق البريد للمواطنين ، وللأماكن البارزة مثـــل الفنادق المشهورة .

بـــل وصلت بهم الوقاحـــة إلى أن يمدوا نشـــاطهم إلى مهد الدين الإسلامى ، ومهبط الدعوة الإسلامية فبعثوا رسائل تنصيرية إلـــى بعض الهيئات فى المملكة العربية السعودية .

فقد نشرت صحيفة الرياض[1] صورة لنشرة تنصيرية وصلت إلى فنـــدق العثمان بحي السليمانية بالرياض تدعو للنصرانية وتعرض إرسال نسخ مـــن الانجيل لمن يطلبها .

تقول النشرة التنصيرية المرسلة من الولايات المتحدة الأمريكية إلـى فندق العثمان بالرياض

" يسعدنا أن نقدم لك أيها القارئ العزيز .. على الجهة الاخـــرى من هذه الورقة رسالة سماوية مقتبسة من الانجيل .. ونرجو أنك ستجد فـــى قراءة هذه الرسالة بركة لك .. ونغتنمها فرصة لكى نحيطك علماً بأن فـــي استطاعتنا إذا رغبت مزيداً من المعرفة عن الرسالة السماوية أن نرســـل لك مجاناً نسخة من الانجيل ، فإذا كنت راغباً فى الحصول على نسخة مـــن الانجيل أرسل لنا البطاقة موضحاً عليها اسمك وعنوانك .. وسيكون لنـــا فرح فى تلبية رغبتك وإرسال هذه النسخة من الانجيل المجانية لك " .

القضية كما فهمنا أن هذه المنظمة التنصيريه تأخذ العناويـــــن للمحلات المشهورة ، وترسل إليها المنشورات التى تدعو إلى الدين المسيحى .

---

(١) صحيفة الرياض - ١٤ ربيع الأول عام - ١٤٠٢ هـ - العدد - ٥٠٢٠ - .

وعلى الورقة الأخرى معلومات عن عنوان الشخص الذى يرغب مراسلتهم ، وعمره واسمه والبلد الذى يقيم فيه .. وقد جاء فى ظهر البطاقة :" أرجو أن تضع علامة (ـ) فى المكان المناسب " .

( ) " أنا صليت وقبلت يسوع المسيح فى حياتى " .

( ) " أرسلوا لى معلومات أكثر " .

( ) " أرسلوا لى نسخة مجانية من الانجيل " .

وأخيراً أرسل هذه البطاقة إلى العنوان (..) وقد كتب العنوان باللغة الانجليزية ومقر هذه المؤسسة التنصيرية فى إيرلندا .

وقد جاء فى الأوراق التى ننشرها هنا كثير من تعاليم الأناجيل المختلفة ، وقد طبعت باللغة العربية وشرحت بالطريقة التى يمكن للقارىء العادى معرفتها .

الشىء الثانى أن نوعية من هذه المنشورات والبطاقات وجدت فى سيارات لبعض طلبة المدارس الثانوية بالمملكة ، وهذا يعنى أن الطريقة التى اتبعت فى توزيعها قصد فيها نوعيات من الأجيال التى قد تستهويهم هذه المواضيع .

يقول الأستاذ : توفيق على وهبه :

(ونحن نعرف ان حصانة الدين الإسلامى لايكسرها مثل هذا الغزو الجديد .. ولكن يجب أن لانستهين بهذا الموقف ، وهذا مايدعونا إلى أن نسأل عن الشيىء الذى يجب أن يعالج به رجالنا الأفاضل هذه الدعوة بطريقة أكثر تأثيراً واقبالاً على كل قطاعات المجتمع) (١)

---

(١) ينظر :الإسلام فى مواجهة اعدائه /للاستاذ: توفيق على وهبه ،(ط:١ / ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م) ،(الناشر : دار اللواء ـ الرياض) ،(ص: ٤١٣ـ ٤١٦) باختصار وتصرف يسير ، مثل : استبدال كلمة " تبشير " كلما ذكرت بكلمة " تنصير " لانهم بالفعل يدعون إلى النصرانيه فلا ==

فعلى المسلمين جميعاً استخدام هذه الوسيلة وغيرها من الوسائل بطرق شتى ، ولايستكينوا أمام أعداء الله فيفسحوا لهم المجال لينفذوا مخططاتهم الخبيثة وينفثوا سمومهم المهلكة بين صفوفهم فيصعب علاجها .

== يليق تسميتهم " بالمبشرين وتسمية عملهم " بالتبشير " ، إنما البشير هو : الرسول صلى الله عليه وسلم بدليل قوله تعالى :

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾

(سورة سبإ ، الآية " ٢٨ ")

نماذج للنشرات الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

حكم الغناء

لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز

إن الاستماع إلى الأغاني حرام ومنكر ومن أسباب مرض القلوب وقسوتها وصدها عن ذكر الله وعن الصلاة، وقد فسر أكثر أهل العلم قوله تعالى (ومن الناس من يشتري لهو الحديث) بالغناء ...

(واحذري من:)

- تأخير الصلاة عن وقتها.
- عدم الطمأنينة في الصلاة.
- ...

أختاه يا بنت الخليج تحشمي

...

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أختي المسلمة :

من أمرك بالحجاب ؟

لا تعجبي قبل أن تقرئي .

* طالبة طلبت من إحدى زميلاتها الدخول معها للمقابلة في «الماجستير» وكانت المقابلة مع أساتذة «رجال» فقالت لها زميلتها: ... يا (......) أما تعلمين إننا في القرن العشرين ؟!!

* طبيبة في إحدى المستشفيات . حينا لبست ثياب الط... نزعت عنها الحياء ، وسارت كاشفة لوجهها ، وشعرها ، من أسفل وكأن من مقتضيات ولوازم مهنة الطب ... دينه ، وتنزع المرأة عن نفسها ...

* زوجة بعض أقاربي ، وكانوا ... دخل السائق إلى المجلس وكأنه فرد ...

واعلمي .. أن رسالتك أعظم رسالة فأنت القاعدة للأسرة وأنت سبب نهضة الأمة وحياتها. فالتزمي بما أمر الله به وسيري على بركة الله وخذي حذرك مما يلي:

١ - إحذري .. من كل شعار وفكر يحاول تدنيس كرامتك وشرفك بنبذ حجابك فقد إغتر كثير من السفهاء من الناس بهذه الشعارات البراقة وانجرفوا ... فضاعت كرامتهم وفسدت نفوسهم.

٢ - إحذري من دعاة ضياع المرأة والمنا... باختلاطها مع الرجال ويدعونها باسم تحرير المرأة ... صحفهم ومجلاتهم المسمومة، فلبسوا على حق ... ينادون به بل يريدون أن تكون المرأة قريبة لهم ...

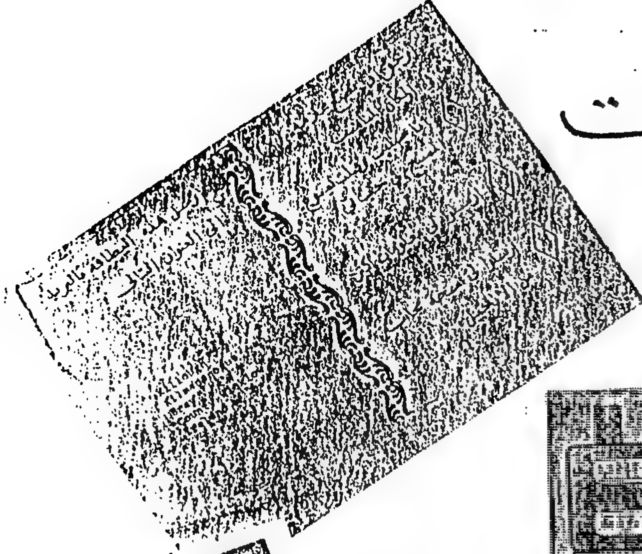
كتب مرشحة للقراءة:

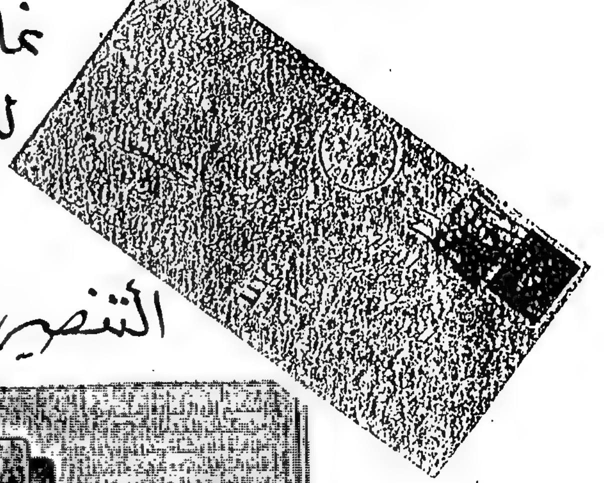
١ - إلى الفتاة السعودية والمسئولين عنها للشيخ/ أبو بكر الجزائري حفظه الله.
٢ - الحجاب للشيخ/ محمد العثيمين حفظه الله.
٣ - مسئولية المرأة المسلمة للشيخ/ عبدالله الجارالله حفظه الله.
٤ - مكانك تحمدي للأستاذ/ أحمد محمد جمال حفظه الله.
٥ - المرأة المسلمة أمام التحديات للشيخ/ أحمد عبدالعزيز الحصين حفظه الله.
٦ - حركة تحديد النسل لأبي الأعلى المودودي رحمه الله.
٧ - ماذا عن المرأة للدكتور/ نور الدين عتر.
٨ - الكلم الطيب من أذكار النبي ﷺ لشيخ الإسلام ابن تيمية.
٩ - نساؤنا ونساؤهم ...
١٠ - المرأة المسلمة ...
١١ - سلسلة رسائل إلى أختي المؤمنة للدكتور/ عمر سليمان الأشقر.
١٢ - ...
١٣ - المرأة المسلمة للشيخ/ أحمد القطان.

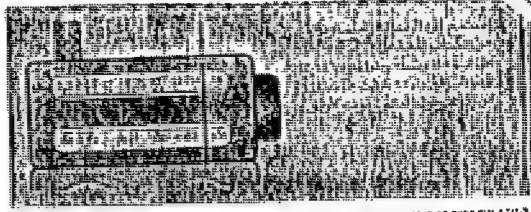
تعليق

هذه بعض النشرات التي تصدر وتدعو إلى الإسلام وتبصر به ، لهذا عليك أختي الداعية أن تحرصي على نشرها وتوزيعها بحيث يعم نفعها الأفراد والجماعات ففي تكثيف نشرها نتصدى للأعداء الذين يحاولون الوقوف في وجه الصحوة الإسلامية ويعرقلون سيرها بوسائلهم المختلفة عن طريق النشرات المضادة .

نماذج للنشرات التنصيرية

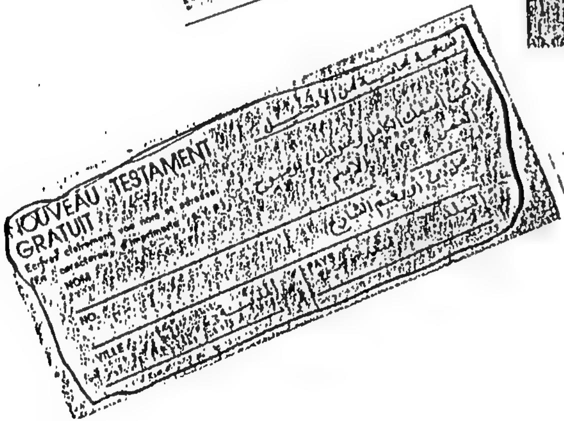


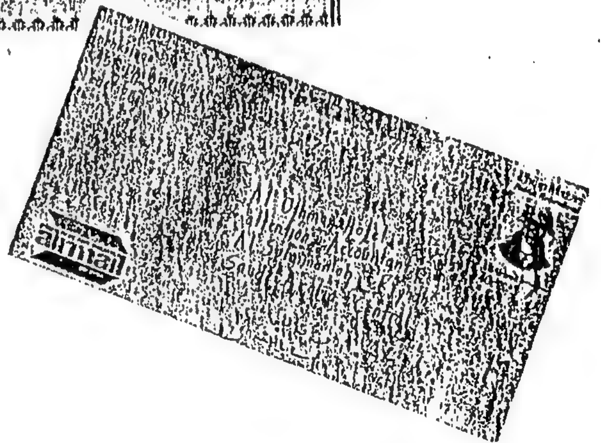












تعليق

على أن هناك نشرات تصدر تدعو إلى الإسلام وتبصر به
إلا أن هناك نشرات أخرى تدعو إلى النصرانية وتروج لها
على أنها إذا قيست النشرات الإسلامية بالنشرات التنصيرية
فإنها لا تساوي هذه الأخيرة من حيث الكم والتوزيع الذي
يعم كثيراً من الأفراد والجماعات .

(٤) وسائل سمعية بصرية :

(أ) " التلفاز "

يقول الأستاذ محمد المجذوب فى شأن التلفاز :

(إن التلفاز داء،وبنفس الوقت دواء،فلماذا لانستغله فى إنشاءات الخير فنتجنب كل مامن شأنه أن يفسح المجال أمام شروره،وانه لداء جدير بأن يحقق العجائب حين تتولاه الأيدى المؤمنة،وترسم سبيله الأقلام اليقظة المستضيئة بأنوار النبوة،وكثير ممن يستنكرون وجوده استنكارهم منصب على الشكل لا على المضمون.ولو أن هؤلاء الأخوه وجهوا اهتمامهم إلى المضمون بالسعى لدى أولى الأمر من أجل تأمين البرامج النافعة التى تمثل مميزات الإسلام فى الفكر والأدب والأخلاق وتوكيد مواعيد البث ضمن حدود المصلحة الدينيه الصحية •

ولاشك أن هؤلاء الأفاضل ، وهم المدفوعون إلى مخاصمة التلفاز بروح الغيرة على دين الله ، حين يوفقون إلى تحقيق ذلك الخير ، سيؤدون لأمتهم خدمة مشكورة،إذ يكون لكلامهم ولجهودهم إذ ذاك الأثر الإيجابى الفعّال لدى الذين بيدهم أمر هذا السلاح ذي الحدين ، ويومئذ فقط سيكون التلفاز إحدى وسائل الدعاة الربانيين إلى إعادة بناء المسلمين ، وإلى إقامة صدى الحق والخير والهدى للعالمين)(١).

إذاً فالتلفاز وسيلة من وسائل الدعوة التى تقوم بإستخدامها المرأة الداعية وقد يتبادر إلى الذهن سؤال وهو : كيف تستخدم المرأة التلفاز على أنه وسيلة من وسائل الدعوة مثلها فى ذلك مثل الرجل ، معنى ذلك

---

(١) تأملات فى المرأة والمجتمع / محمد المجذوب ،(ط: بدون)،(الناشر: مؤسسة الرسالة) ،(ص: ٢٥٤ – ٢٥٧) ،بتصرف •

أنكم تدعونها للتبرج والاختلاط ؟ .

نقول رداً على هذا السؤال : إن المرأة فعلاً مثلها مثل الرجل في استخدام هذه الوسيلة ولكن الاختلاف يكون في أن الرجل يقوم بذلك عملياً، مذيعاً لبعض البرامج ،أو ممثلاً لبعض الأدوار ، أما المرأة فتستطيع أن تقوم بذلك في المساهمة بأفكارها عن طريق الكتابة،فهي تقوم بالمشاركة مع الرجل بأفكارها في إعداد برامج دينية وثقافية واجتماعية وأدبية حسب ميولها ، فمن الممكن أن تختار قراءات من كتاب فترسلها لمقدمي أحد البرامج ليقرأها على الجمهور ، فيستفيد الجميع ؛ كذلك تشارك في البرامج الخاصة بالمرأة،بكتابة الاقتراحات والنصائح والإرشادات التي تراها تهم بنات جنسها أو تشارك في النقد الهادف البناء لبعض البرامج على أن يكون نقدها في محله وهادفاً فتضع البديل والحلول التي تراها صالحة ومناسبة، وتفيد الجميع وتعود على الأمة الإسلامية بالخير والبركة والفلاح والنصر ، كما بينا سابقاً .

فالمرأة الداعية تستطيع بتوجيهاتها الرشيدة،وأفكارها النيرة الحكيمة أن تعيد مجد المسلمات السابقات من أمهات المؤمنين ونساء الصحابه ، وتحث الأمهات على تربية أبنائهن تربية صالحة ، وتذكر الزوجات بواجباتهن تجاه أزواجهن وتوصي الفتيات بطاعة الوالدين ، فتغرس في النساء عقيدة التوحيد والولاء لله تعالى وحده وطاعته وإشعارهن بالحرية التي يتمتعن بها المنطلقة من خلال عبوديتهن لله وحده ،وبث روح التعاون والاحساس بالمسؤولية الملقاه على عاتقهن ، نحو بنات جنسهن غير السويات،وذلك لتوعيتهن لما يحيط بهن من تيارات فكرية معادية تهدف لاستخدام المرأة لتكون معولا يهدم المجتمع المسلم بأسره .

ففي هذه الوسيلة وغيرها من الوسائل،كالمذياع والصحف والمجلات تقوم المرأة الداعية بدور الجندي المجهول فهي تفكر وتعدّ وتخطط،وأخوها الرجل يقوم بتقديم ماقامت بإعداده والتخطيط له،وعندما يتعاون الجميع

فان هذا الجهاز سيوجه الوجهة الدينية السليمة الصحيحة، فيؤدى الغرض المطلوب منه ونكون قد استخدمناه سلاحاً فى أيدينا، يدعو للخير، ويبصر المسلمين بأمور دينهم، ويمدهم بالمعلومات الإسلامية الصحيحة، ويزودهم بصور عن تاريخ أسلافهم الصالحين فيكتمل نظم العقد، وتغلق الدائرة المفتوحة نتيجة الفائدة العامة التى يجنيها جميع أفراد الأسرة من هذه الوسيلة لو كانت وراء معظم برامجها امرأة صالحة وداعية مفكرة فالمرأة تستطيع أن تعرف وتدرك تمام الإدراك مايصلح لها، ومايصلح للرجل، وما يصلح للأبناء بصفتها الأم والأخت والزوجة والإبنة، وبحكم فراغها أكثر من الرجل، ومكثها فى البيت ومشاهدتها برامج التلفاز أكثر لانشغاله خارج المنزل ، أما هي فغالباً تكون موجودة فى المنزل، فتستطيع أن تقوم بمهمتها خير قيام، إلى جانب مسؤوليتها فى البيت، وتحتسب الأجر والثواب من الله تعالىٰ لانها تنوي تحويل معول الشرّ والفساد إلى أداة خير وبناء على أن تقوم بذلك بالتعاون مع بعض النسوة اللاتى تجد فيهن الخير والصلاح .

والتلفاز له مزايا وخصائص منها :

(١) (يمتاز عن غيره من وسائل الإعلام بظهور الصوره إلى جانب الصوت، فيشد المشاهد إلى متابعة الحديث، ويغنيه عن التخيل .

(٢) له خاصية الفورية فيستطيع تقديم المادة الإعلامية فور حدوثها، وخاصة فى المناسبات مثل نقل الصلوات أو الأذان أو مناسك الحج ، أو خطبة الجمعة .

(٣) له خاصية الواقعية فالذى لايستطيع أن يحضر الحديث المنقول مباشرة، فإنه يعيشه ويتابعه بصورة جذابة وميسره وهو داخل بيته فهو يقدم الأحداث كما تقع فى الواقع بالصوت والصورة والحركة واللون .

(٤) خاصية المشاركة فإن غيره من الوسائل يستطيع الإنسان

الإستفادة منها على مختلف الحالات فالكتاب والصحيفه مثلاً أمامه كل وقت فعندما لايفهم من قراءته شيئاً فإنه يستطيع إعادة ماقرأه عدة مرات أما وسيلة " الراديو " فإنه يستمع إليها بحاسة السمع فقط بينما يستطيع القيام بأعمال أخرى أما التلفاز فهو يتطلب تفرغاً كاملاً وذلك لاعتماده على حاستى السمع والبصر)[1]

(٥) (خاصة توفير الوقت والجهد والنفقات ، فهو يعفى المشاهد من الانتقال من بيته كما يحدث بالنسبة للسينما أو المسرح فإن العالم الخارجى أصبح يأتى إليه)[2].

---

(١) ينظر : من قضايا الفكر فى وسائل الإعلام /أ.حمد بكر العليان ، (ص : ٣٨ – ٤١) .

(٢) ينظر : وسائل الإعلام نشأتها وتطورها /أ. خليل صابات ،(ط: عام ١٩٧٦ م) ،(الناشر : مكتبة الانجلو المصريه) ، (ص : ١٥٥) .

(ب) " المسرح المدرسى أو الجامعى " :

من الوسائل السمعية البصرية ومن الممكن استخدامه وسيلة من وسائل الدعوة الى اللّه،وفى نطاق معين،وفى مكان معين ، ولجمهور معين، المسرح المدرسى أو الجامعى هو مسرح يكون فى إحدى القاعات المدرسية أو فى الجامعة ويجهز تجهيزاً خاصاً،بحيث يصلح أن تقام فيه المسرحيات التى نقصدها،ويستوعب أكبر عدد ممكن،حتى نثبت للمرأة أنها تستطيع وهى فى كنف الحجاب الشرعى أن تحقق ماتصبوا إليه نفسها،وبنفس الوقت تقوم بدورها القيادي فى الدعوة عن طريق هذا المسرح،حيث تقوم بعض النساء ممن عندهن هذه الهواية بالتعاون،فمنهن من تكتب بعض القصص، والأخرى تقوم بوضع النصوص الهادفة والمواقف المعبرة التى من شأنها تصحيح بعض الأخطاء الشائعة فى المجتمع ، وحل لكثير من المشكلات،وتتعاون فى ذلك مع مجموعة أخرى ليكون العمل جيداً،هنا تستطيع الداعية أن تستخدم ذلك المسرح فإما أن تكون الكاتبة،أو صاحبة الفكرة،أو إحدى القائمات بالتمثيل للنص المسرحي الهادف أو المشرفة علية فإنها لاشك ستنجح بعون اللّه حيث إن هدفها نبيل وخيّر،فهي بعملها هذا لم تغضب ربها فلم تتبرج أو تختلط بل هى فى مجتمع نسائى بذلك تكون داعية مصلحة ومحافظة على العقيده الإسلامية .

ولابد للاخوات القائمات على أمثال هذه المسارح الخاصة بالنساء أن يكن مثالاً يحتذى به،وقدوة حسنة لغيرهن،حيث الأخريات لن يتأثرن حين يعلمن أن تلك الشخصية تقول مالاتفعله ، فلابد من إنتقاء من هن محلاً للقدوة ،علماً بأن هذا المسرح لاتستفيد منه أسرة المدرسة او الجامعة فحسب بل فى بعض المناسبات الخيرية تكون الدعوة عامة لجميع نساء المجتمع ليستفيد الجميع من هذه الوسيلة .

(٥) وسائل بصرية :

(أ) الملصقات ومشتقاتها :

يقول الشيخ إبراهيم سرسيق :

(إن هذه الوسيلة تعتمد إلى درجة كبيرة على الاثارة اللونية والخطية والفنية، ومن الممكن أن تستخدمها الداعية على أنها إحدى وسائل الدعوة حيث كونها تعبيراً خاطفاً، مبالغاً فيه أحياناً على سبيل الجذب والترغيب فى موضوع الوسيلة البصرية، أو على سبيل التنفير وتكوين الاتجاهات المضادة إن كان الموضوع مما تأباه طبيعة صاحب الرسالة الإعلامية..) (١)

ومن أمثال هذه الوسيلة الإعلامية الرسوم، فإننا نجد الكثير من الناس لايستطيعون أن يعبروا عما فى داخلهم إلا عن طريق الرسوم فمثلاً منهم من يعبر عن مشاعره وماتكنه خلجات نفسه بالكلمة الشفهية، والآخر بالكلمة المكتوبة، وثالث بالرسوم فالتعبير عن المشاعر يبدو فى صور شتى .

(فكثيرا ماتستوقف الإنسان تلك الخطوط " الكاريكاتيرية " التى ترسم فى بعض الصحف والمجلات وتحتها كلمة أو جملة، هي فى الواقع أبلغ من مقالة طويلة واكثر تشويقاً وأسهل تناولاً) (٢).

وقد كان رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم ينتهج أسلوب الدعوة بالرسم والايضاح وهو المثل الأعلى، فإنه ماترك أسلوباً إلا ونهجه فإنه ينوع وينتقل من أسلوب إلى آخر، ليرسخ المعلومات، ويثير الفهم، ويحرك الذهن ، ويقدح الفطنة ، ويشوق السامع ، ليفهم ويستجيب بسرعة .

فما أحوج المجتمع الإسلامى اليوم إلى من تنتهج نهج رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم إلا إن تلك الخطوط التى استخدمها رسول اللّٰه صلى

---

(١) أصول الإعلام الحديث وتطبيقاته ، (ص : ٣٤) .

(٢) كيف ندعو الناس / عبدالبديع صقر ، (ص : ٩٩) .

عليه وسلم لم تكن على ورق وملصقة على حائط،إنما رسم تلك الخطوط على الأرض ليوضح لهم بعض المفاهيم الهامة ويقرب إلى أذهانهم بعض التصورات المفيدة ، ومن تلك الخطوط التى آستخدمها :

(١) عَنْ عَبْدِاللّٰهِ بْنِ مَسْعودٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ قَالَ : خَطَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطّاً مُرَبَّعاً وَخَطَّ خَطّاً فى الْوَسَطِ خَارِجاً مِنْهُ ، وَخَطَّ خُطَطاً صِغَاراً إِلَى هٰذَا الَّذِى فى الْوَسَطِ مِنْ جَانِبِهِ الَّذِى فى الْوَسَطِ ، وَقَالَ : " هٰذَا الإِنْسَانُ ، وَهٰذَا أَجَلُهُ مُحِيطٌ بِهِ ،أَوْ قَدْ أَحَاطَ بِهِ ، وَهٰذَا الَّذِى هُوَ خَارِجٌ أَمَلُهُ ، وَهٰذِهِ الْخُطَطُ الصِّغَارُ الأَعْرَاضُ ، فَإِنْ أَخْطَأَهُ هٰذَا نَهَشَهُ (١) هٰذَا ، وَإِنْ أَخْطَأَهُ هٰذَا نَهَشَهُ هٰذَا "(٢)

(فى الحديث إشارة إلى الحض على قصر الأمل والاستعداد لبغتة الأجل)(٣)

(٢) عَنْ عَبْدِاللّٰهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ قَالَ : خَطَّ رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطّاً بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ : " هٰذَهِ سَبِيْلُ اللّٰهِ مُسْتَقِيماً ثُمَّ خَطَّ خُطُوطاً عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ ثُمَّ قَالَ : هٰذَهِ سُبُلٌ مُتَفَرِّقَةٌ عَلَى كُلِ سَبِيْلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيهِ(٤)" ثُمَّ قَالَ :(وأَنَّ هَذا

---

(١) نهشه : أصابه ، ينظر :(التعليق على صحيح البخارى) ،(٧٥/٨/٣) فى الهامش .

(٢) (أ) أخرجه البخارى فى صحيحه فى (كتاب الرقائق ،باب فى الأمل وطوله) ،(رقم :٦٤١٧)،(٧٥/٨/٣) واللفظ له .

(ب) وأخرجه ابن ماجه فى سننه فى (كتاب الزهد ،باب الأمل والأجل) (رقم: ٤٢٣١) ،١٤١٤/٢) .

(جـ) وأخرجه الترمذى فى سننه فى (كتاب صفة القيامه ،باب رقم : ٢٢) ،(رقم : ٢٤٥٤) ،(٦٣٥/٢ — ٦٣٦) ،وقال:حديث صحيح .

(٣) فتح البارى /لابن حجر العسقلانى ،(٢٣٨/١١) .

(٤) (أ) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده فى(٣٦٥/١)،(٣٩٧/٣)،واللفظ له .

(ب) وأخرجه الحاكم فى المستدرك فى (٢٣٩/٢ ،٣١٨) ،وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه وأقره الذهبى .

==

صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَاتَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُم عَن سَبِيلِهِ)(١)

(٣) وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا قَالَ : خَطَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْبَعَةَ خُطُوط ثُمَّ قَالَ : " أَتَدْرُونَ مَاهَذِه ؟ فَقَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمْ . فَقَالَ الرَسُول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :" أَفْضَل نِسَاءْ أَهْلَ الْجِنَة خَدِيجَة بِنْتُ خُوَيْلَدْ وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدْ وَآسِيَةُ بِنْتُ مُزَاحِمَ - امْرَأَةُ فِرعَوْنَ - وَمَرْيَمَ بِنْتُ عِمْرَانَ "(٢).

فعلى الداعية إلى اللّه والمعلمات والمربيات أن يتأسّين بنبيهن عليه الصلاة والسلام فى تبليغ الدعوة بالرسم والإيضاح،حيث إن فى ذلك تجسيداً للفكرة،وترسيخاً للعلم،وتشويقاً للموعظه،وتحبيباً للدعوة .

أما كيف تستطيع المرأة الداعية استخدام هذه الوسيلة من أجل توعية المرأة،وتهذيبها،وردها عن غيها ،وتمردها إلى الرشاد والصواب ؟ .

نقول : إن هناك كثيراً من النساء الواعيات لأمور دينهن،المدركات لواقع المرأة المعاصرة عندهن ميول فنيه رفيعة فعليهن أن يستخدمن تلك الميول لهذا الغرض وهو : التعبير عن الدعوة والتوعية والتوجيه والإرشاد بخطوط ورسوم فنية رفيعة الهدف منها : ترسيخ الفكرة فى الأذهان. وإن لم تكن ذات ميول ومواهب فى الخطوط فلابد أن تدرك مغزاها،وتلم بها عند رؤيتها أو عند استخدامها .

== (جـ) وأخرجه البغوى فى شرح السنه (١٩٦/١ - ١٩٧) .

(١) سورة الانعام ، الآية (١٥٣) .

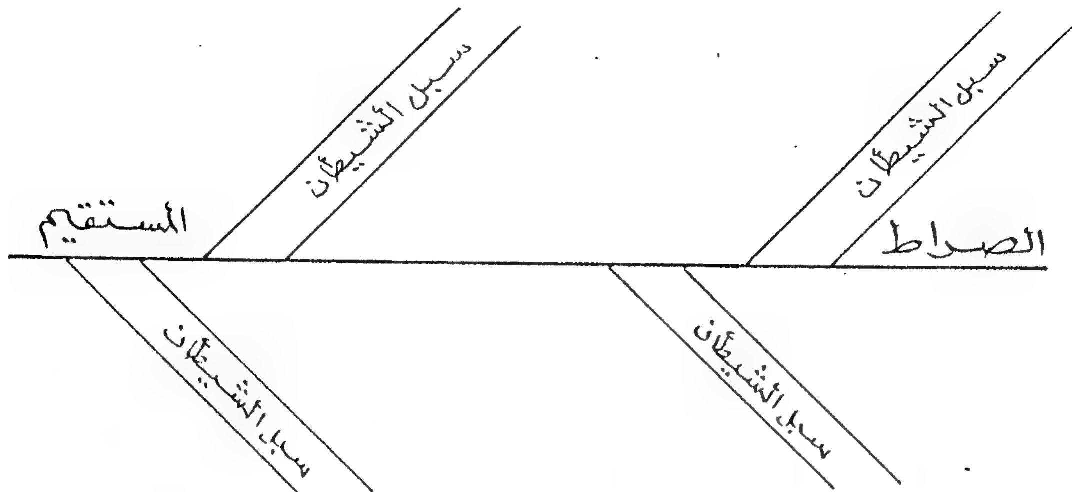
(٢) (أ) أخرجه الامام أحمد فى مسنده فى (٣١٦/١) ، واللفظ له ، وقال الهيثمى : رواه أحمد وابويعلى والطبرانى ،ورجالهم رجال الصحيح ، (٢٢٣/٩) .

(ب) وأخرجه الحاكم فى المستدرك فى (٤٩٧/٢) ، (١٨٥،١٦٠/٣) ، وقال : صحيح الاسناد ولم يخرجاه وأقره الذهبى .

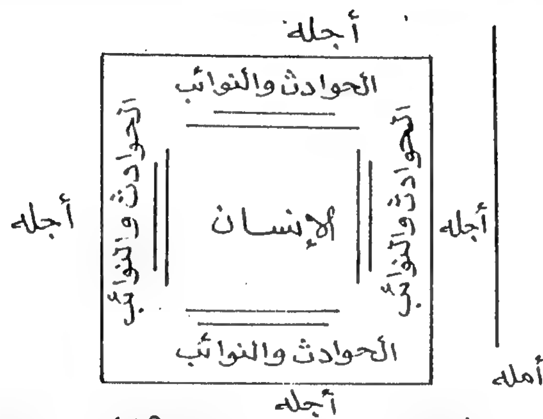
ومن الممكن استخدام هذه الملصقات في الصحف والمجلات التى سبق أن ذكرناها على أنها وسائل للدعوة ،كذلك الحال في الجامعات،والمدارس والمعاهد،والمؤسسات،وأيضاً عند المساجد على أن يكون عملها هذا لهدف منشود وهو الإصلاح والإيضاح،وتغيير للمنكر وآمر بالمعروف ، وعلى الداعية المستخدمة لهذه الوسيلة أن تكون على اطلاع دائم بالصحف والمجلات الأخرى لتكون على وعى تام لما يدور حولها ومايحاك ضدها عن طريق هذه الوسيلة، عندها تستطيع هى بقوة إيمانها وبتمسكها بشرعها ، الرد على أي رسم أو تخطيط " كاريكاتير " يحاول أصحابه الإساءة إليها بصفتها مسلمة أو لشرع الله الذى تدين به كالسخرية بالحجاب،كما حصل فعلاً اكثرمنمرة ويحصل فى أكثر من صحيفة عربيةفتستطيع هي أن تستغل مثل تلك الفرصة وترسم بعض الخطوط التى تسخر من السفور والداعين له والمنخدعات به ، كذلك الحال عندما تريد أن تبين لأخواتها حكم الشرع فى أمر من الأمور فيمكنها أن تقوم باستخدام الخطوط أو تصور ذلك الحكم أو تلك الفتوى التى تهم المرأة،ومن ثم تقوم بتلصيقها على الحيطان الخاصة بالجامعة أو المدرسة وعند المسجد الموجود بهما ، وفى المناطق البارزة التي تعتقد أن أكبر عدد ممكن يطلع عليها ويعمل بها لعلها تأتى بنتيجة ويحصل الهدف المنشود منها .

ومن مشتقات تلك الملصقات المجلات الحائطية التى يخصص لها مكان بارز،وتقوم مجموعة من الطالبات بإعدادها،وتشرف عليهن معلمة على أن تكون تلك المجلة هادفة من اسمها إلى آخر موضوع يكتب فيها ، ثم بعد فترة تتغير تلك الموضوعات حسب الظروف والزمان ، وتكون قابلة للتجديد دائماً ، كذلك الحال عند صدور كتاب مفيد أو مجلة نافعة تقوم المرأة الداعية بالإعلان عنهما بأن تصور الغلاف وتعطي فكرة موجزة عنهما،وتجعل ذلك الملصق فى الأماكن التى سبق ذكرها. أيضاً من الممكن أن تعين زاوية فى مكان بارز تلصق فيها قصاصات الصحف الهادفه التى تقوم بخدمة المرأة وأسرتها وتوجيهها وإرشادها إلى مافيه الخير ، ومن الممكن أن تستخدم تلك الخطوط " الكاريكاترية " فى السخرية من المبادئ الدخيلة على المجتمع المسلم وعند انتقادها لأى تصرف خطأ فىمجتمعها ، لابد أن تضع التصرف الصحيح ليكون بديلاً .

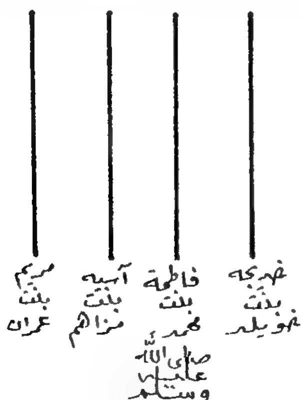
نموذج لأسلوب الدعوة بالرسم



هذا مخطط الرسول صلى الله عليه وسلم الذي يوضح منهج الإسلام وهو الصراط المستقيم



هذا مخطط الرسول صلى الله عليه وسلم الذي رسمه لأصحابه ويبين كيف يحال بين الإنسان وأمله.



هذه الخطوط التي خطها النبي صلى الله عليه وسلم ويمثل كل خط منها شخصية من تلك النسوة الفاضلات

هذه بعض النماذج للملصقات التي تهدف
إلى توعية المرأة التي تحاول التخلي عن دينها
وتركض خلف المخططات الهدامة

هذه المرأة لم تعد تجدي نفعاً
لقد كبر سنها وذبل جمالها
ارموا بها عرض الحائط
وهاتوا غيرها !





إذهبي
إلى الجحيم (٢)



(ب)



ارجوك
ارحمني أين أذهب
لقد سلبتم كل شيء في
حياتي ودمرتموني ثم بعد
ذلك تتخلون عني بهذه
البساطة.

" قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها
الناس والحجارة "

من يريد أن ينضم إلى جمعيتنا
لابد أن يحفظ السر الذي
من أجله إنشئت هذه
الجمعية .







جمعية مساواة
المرأة بالرجل

رجل مسلم يسير خلف
احد محارمه وهي
غير محجبة





يجب أن لا تعلم المرأة بالسر
والهدف الذي من أجله نزوجها
بها ونوليها عنايتنا المزعومة .



ترمز للمرأة التي غرر بها الاعداء
فكان مصيرها معروف .



ترمز للرجل الذي يقوم بخداع المرأة
والتخطيط لها من خلف الستار من
حيث لا تعلم .

(ب) تبليغ الدعوة بالعمل :

يقول الأستاذ مصطفى مشهور :

(تبليغ الدعوة بالعمل أقوى وأشدّ تأثيراً فى نشر المبادىء والأفكار؛لأنها تجسيد وتطبيق عملى لها،بخلاف الوسائل القولية : الشفهية، والسمعية والبصرية، فإن هذه قد لايستوعبها بعض السامعين أو القارئين أو قد لايدركون مقاصدها،وقد تُنسى،وفى حال من الأحوال قد تظل نظرية،ويجهل الكثير تطبيقها عملياً أو قد يخطىء بعض الناس عند التطبيق)[1].

ويقول الدكتور: البوطي :

(أعمال الدعوة الإسلامية ليست فى حقيقتها إلا عبادة تؤدى بها المسلمة حق اللّه تعالى فى عنقها،وتتقرب بها إلى مرضاته ، إذ أن المسلمة لاتندفع إليها فى الحقيقة لهوى فى نفسها،أو لرغبة شخصية فى العلو والأنتصار على الآخرين،بل تنقاد إليها أملاً فى الدخول فيمن وصفهم اللّه)[2] بقوله :

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾

(سورة فصلت ، الآية " ٣٣ ")

والمقصود بتبليغ الدعوة عن طريق العمل : القيام بجميع الأفعال المشروعة والخطط العمليه التى تهدف إلى نشر الدعوة الإسلامية ومن هذه الاعمال :

(١) انعقاد المؤتمرات ورسم الخطط للمشتغلين فى حقل

---

(١) القدوة على طريق الدعوة /للأستاذ: مصطفى مشهور ، (ط : ١ / ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م) ، (الناشر : مطبوعات الاتحاد الإسلامي للطلاب) ، (ص : ٢٤) .

(٢) هكذا فلندع إلى الاسلام /د. محمد سعيد رمضان البوطى ، (ط :بدون) ، (الناشر : مؤسسة الرسالة) ، (ص : ٢٨) .

الدعوه لتيسير الدعوة فى الداخل عن طريق المقيمين وزوجاتهم ، والمنتدبين للخارج وزوجاتهم لتوصيل شرع اللّٰه إلى العالم بأسره .

(٢) إنشاء مراكز إسلامية للدعوه فى انحاء العالم وإرسال البعوث النسائية مع المحارم إلى كافة أرجاء العالم بعد إعدادهن وتدريبهن،ليراقب البعض منهن أفكار الناس عن الإسلام عن كثب،لتصحيح الأخطاء الشائعة وإظهار محاسن الإسلام ومزاياه .

(٣) التوسع فى المنح،وقبول بعض الطالبات الوافدات مع محارمهن من أطراف العالم لتلقى العلوم الشرعية فى البلاد الإسلامية،على أن يجرى لها اختبار قبول حيث تقوم هى بدور الداعية فى بلدها إذا أنهت دراستها.

هذه الاعمال وغيرها كثير لايسع المجال لذكرها على مستوى الحكومات والهيئات والمنظمات والموّسسات التعليمية .

وهناك أعمال دعوية على مستوى أفراد المجتمع ، إما مايقوم بعملها الشخص منفرداً ،أي يكون ممن أنعم اللّٰه عليهم فيبذل فى سبيل اللّٰه ، ويهدف إلى نشر الدعوة الإسلامية ، وبث الوعى الدينى بين الناس من خلال هذه الأعمال وتتمثل فى الآتي : بناء المساجد ، والمدارس ، والمعاهد التى تهدف إلى تعليم العلوم الدينية ونشر كلمة الحق بين الناس ، فهذه جهود شخصية ، من أجل تدعيم الإسلام ورفع رايته خفاقه . ومنها جمع التبرعات والمساعدات المالية والعينية كالأراضي ومواد البناء والسعى فى سبيل بناء امثال هذه الاماكن التى تهدف إلى نشر العلم وتعليم الإسلام واللغة العربية ووضع الخطط العمليه التى تهدف إلى تخريج دعاة خير وصلاح من هذه المدارس والمساجد والمعاهد والموّسسات العلميه التى يتم بناوّها عن طريق المساعدات وتبرعات المواطنين .

هنا قد يتبادر الى الذهن سؤال ، وهو كيف تقوم المرأة بهذه المشاريع العمليه ؟ نقول : إن دور المرأة الداعية يكون كالآتي :

إن كانت من النساء اللآتى يملكن المال فعليها التبرع والمساعدة، لأنها بذلك تخدم الدعوة العملية ، وإن لم تكن كذلك ، فإنها تستطيع في أي مجال تعمل فيه، وعن طريق أي وسيلة أخرى من وسائل الدعوه حث النساء الأخريات من ذوات الأملاك على التبرع وتبين لهن الهدف من إنشاء أمثال هذه الأماكن ، وكيف ستجنى فائدتها فى الدنيا بالإضافة إلى الأجر والثواب الذى تجده عند الله يوم القيامة .

وتحت عنوان " فالمثقفة مامسؤوليتها " كتبت الأخت القديرة سهيله زين العابدين حماد ، ماملخصه : ان الجمعيات الخيرية النسائية بامكانها تبنى مشاريع مختلفة الهدف منها هو الحد من السفور ، والتبرج ، والأختلاط والإسراف والتبذير من ذلك مثلا :

(١) عمل عروض لأزياء إسلامية تقوم بتصميمها وتنفيذها أقسام الخياطه بها ، وبالتعاون مع أقسام الخياطة فى المدارس والكليات التابعة للرئاسة العامة لتعليم البنات .

(٢) دعوة السيدات إلى التبرع بملابسهن التى أضحى مصيرها التخزين ، مع أن تكاليف معظمها باهظة ، ولم يعدن فى حاجة إليها ، أو يبعنها للجمعيات بأثمان معقولة . ثم تقوم الجمعيات بعد جمع هذه الملابس باجراء بعض التعديلات ، وتباع بأسعار معتدلة لذوات الدخل المحدود ، كذلك الحال بالنسبة لأثاث المنزل القديم غير الصالح ، إذ بإمكان ربة البيت التبرع به لإحدى الجمعيات أو بيعه بأثمان رمزية ، ثم تقوم الجمعيه بإصلاح التالف منها وتجهيزه للاستعمال ، فتبيعها

الجمعية على أن تقيم الجمعية سوقاً دائمة لبيع إنتاجها .

(٣) أن تتعهد الجمعيات الخيرية النسائية بإعداد الاطعمة اللازمة لحفلات الزفاف وتقوم بتدريب سيدات على أن تستلم الجمعية المتعاقدة على ذلك الأطعمه الفائضة لتوزيعها بطريقتها على الأسر المحتاجة ، بدلاً من أن يكون مصيرها صناديق النفايات .

(٤) أن تتعهد الجمعيات الخيرية بالقيام بأعمال الضيافة فى حفلات الزفاف عن طريق تدريبها لفرق من السيدات على فنون الضيافة وأصولها ، ليقمن بالضيافة بدلاً من الرجال فى الفنادق مثلاً ...

(٥) أن تفتح الجمعيات الخيرية النسائية باب استثمار أموال السيدات على أن تشاركهن فى الأرباح بنسبة يتفق عليها وبذلك بإمكان الجمعيات النسائية القيام بكثير من مشاريع تحلم بتحقيقها ، كإنشاء مستشفيات ومدارس خاصة ، وكذلك مدارس للمتخلفات عقليا وللمعوقات جميعاً ... الخ . كما أن أستثمار أموال المرأة فى مشاريع كهذه يشجع المرأة على الإقبال عليها ويحمى أموالها من التبعثر ذات اليمين وذات الشمال(١) .

فهذه الأخت جزاها الله خيراً تطالب الجمعيات الخيرية النسائية بأن يقمن بالدعوة العملية إلى جانب قيامهن بالتوعية الدينية السليمة عن طريق

---

(١) ينظر : مسيرة المرأة السعودية إلى أين ؟ / سهيله زين العابدين حماد ، (ط : ١٤٠٣/٢ هـ - ١٩٨٣ م) ، (الناشر : الدار السعودية للنشر والتوزيع) ، (ص : ١١٥ - ١١٨) .

الندوات والمحاضرات فلابد للداعية من توجيه الناس جميعاً وخاصة بنات جنسها وحثهن على العمل الدعوى واعتبار ذلك عبادة يثيب الله عليها، لينطلق الجميع إلى الأعمال الخيرية فيتركن عنهن الكسل والتواكل فإن هذا ليس من الإسلام ، وتكون هذه دعوة صامته إلى إقامة شرع الله ووسيلة فعاله من وسائل الدعوة إلى الله ، فالأعمال ماهى الا ترجمة فعليه للنوايا السليمة .

وأنا أضم صوتى إلى صوتها ولاشك أن كل منصفة تؤيد ذلك ، ومما هو جدير بالذكر فى هذا المقام هو قيام بعض من السيدات فى الآونة الأخيره ببعض الأعمال الخيرية وهذا يبشر بالخير إلا أنه يجب عليهن الموازنة بين جميع أعمالهن بحيث لايطغى شىء على حساب الآخر .

(ج) تبليغ الدعوة بالقدوة الحسنة :

التبليغ بالقدوة الحسنة من الوسائل المهمة فى تبليغ الدعوه إلى الله ، فإنها الوسيلة الوحيدة التى تجذب الناس للإسلام ، فقد وجه الله عزّ وجلّ بصراحة تامة إلى القدوة الحسنة قائلاً :

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾

(سورة الاحزاب ، الآية " ٢١ ")

إذاً القدوة الحسنة تنبثق من الأتباع والرضى لما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم،بل والافتخار والاعتزاز بالإنتماء إلى شريعته وملته عندئذ تزداد نسبة الاتباع ، وعند عدم الاتباع أو الشعور بالخجل فى الإنتماء لشريعته تنقص نسبة الإتباع ، وقد كان للقدوة الحسنة الأثر الكبير فى حياة الصحابة رضوان الله عليهم حيث كانوا ينتظرون أن يقوم النبى صلى الله عليه وسلم بالعمل ليسارعوا إلى التأسى والاقتداء به .

(١) أهمية القدوة الحسنة :

ومما يدل على أهمية القدوة الحسنة وصف الإمام إبن القيم رحمه الله وهو محق صادق فى ذلك الوصف الدقيق حيث قال : (علماء السوء جلسوا على باب الجنة يدعون اليها الناس بأقوالهم ويدعونهم إلى النار بأفعالهم فكلما قالت : أقوالهم للناس : هلموا قالت أفعالهم : لاتسمعوا منهم ، فلو كان مادعوا إليه حقاً كانوا أول المستجيبين له فهم فى الصورة أدلاء وفى الحقيقة قطاع طرق)(١)

---

(١) الفوائد/للإمام شمس الدين محمد بن أبى بكر المعروف بابن قيم الجوزية ، (ط : بدون) ،(طبع على نفقة :عمر عبد الجبار) ،(يطلب من مكتبة النهضة العلمية السعودية ـ بمكة المكرمة) ،(ص : ٦١) .

(٢) شروط القدوة :

للقدوة الحسنة شروط أساسية لابد أن تتبعها الداعية وهي مترتب بعضها على بعض :

(أ) الإيمان بما تدعو إليه وبما تقوله :

فلابد للداعية أن تؤمن هي أولاً بما تقول ثم بعد ذلك تترجم الذى آمنت به إلى عمل .

فقد قال الدكتور محمد الصباغ :

(الإيمان هو المرتكز الأساسي الذي يصدر عنه الداعية، وهذه الصفة بديهية ، لأن الدعوة إلى أمر لايؤمن به صاحبه عمل متكلف ، لايؤثر ولايفيد ، وسنتحدث عن أمور ثلاثة تتصل بالإيمان وهى : العمق ، والنمو ، والوعى ، وهكذا فإن الإيمان العميق سبب أساسي للتأثير على الناس ولنجاح الخطة الموضوعة والإيمان النامى سبب لاستمرار الدعوة والثبات عليها والإيمان الواعى سبب للسلامة من كل انحراف وزَيْغ وبذلك نستطيع أن نجد الإيمان الدافع إلى العمل الصالح، وهذا هو الإيمان الحق، مصداق ماجاء فى الأثر: " ليس الإيمان بالتمنى ، ولكنه ماوقر فى الصدر وصدقه العمل " ولأمر ما عظيم ، وحكمة بالغة نرى الحاح القرآن الكريم على ربط الإيمان بالعمل ، فى عديد من آياته زادت على الستين)(١) .

---

(١) من صفات الداعية / د. محمد لطفى الصباغ ، (ط : ١٣٩٠/١ هـ - ١٩٧٠م) (الناشر : المكتب الاسلامى) ، (ص : ١٣ - ٢٠) باختصار .

ويقول سيد قطب رحمه الله :

(آمن أنت أولاً بفكرتك ، آمن بها إلى حدّ الاعتقاد الجـاد ! عندئذ فقط يؤمن بها الآخرون ، وإلا فستبقى مجرد صياغة لفظية خالية من الروح والحياة ! لا حياة لفكرة لم تتقمص روح إنسان ، ولم تصبح كائناً حياً دب على وجه الأرض في صورة بشر! كذلك لا وجود لشخص في هذا المجال - لاتعمر قلبه فكرة يؤمن بها في حرارة وإخلاص)(١)

(ب) <u>تعلـم العلـم :</u>

قال الشيخ عبدالعزيز بن باز :

(لابد من العلم ، فالعلم فريضة ، فإياك أن تدعو على جهالة، وإياك ان تتكلم فيما لاتعلم ، فالجاهل يهدم ولايبني،ويفسد ولايصلح ، فاتق الله ياعبدالله اياك أن تقول على الله بغير علم ، لاتدع إلى شيء إلا بعد العلم به،والبصيرة بما قاله الله ورسوله ، فلابد من بصيرة وهي العلم ، فعلى طالب العلم وعلى الداعية أن يتبصر فيما يدعو إليه،وأن ينظر فيما يدعو إليه ودليله فإن ظهر له الحق وعرفه ودعا إلى ذلك سواء كان ذلك فعلاً،أو تركاً فيدعو إلى الفعل إذا كان طاعة لله ورسوله ويدعو إلى ترك مانهى الله عنه ورسوله على بينه وبصيرة)(٢)

---

(١) افراح الروح / سيد قطب ،(ط : بدون) ،(الناشر : دار الشروق)، (ص: ٢٥ - ٢٦) .

(٢) الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة/ للشيخ : عبدالعزيز بن عبدالله بن باز ، (ط : عام /١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م) ،(نشر وتوزيع : رئاسة إدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد . (ص :٣٧ .

وقال أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضى الله عنه : حاثاً على تعلم العلم قبل السيادة (تفقهوا قبل أن تسودوا)(1) والسيادة فى الدعوة إلى الله بأمس الحاجة من غيرها إلى تعلم العلم لتقوم الداعيه التى هي محل القدوة بعملها خير قيام فتكون قدوة طيبة لغيرها .

(ج) حسن الخلق :

الأخلاق الحسنة لها صلة وثيقة بالداعية وتحتاج إليها حاجة ملحة وضرورية اكثر من غيرها،والداعية إذا لم تصاحبها محاسن الأخلاق ضعف إقبالها على الخير،وأصبحت هدفاً سهلاً للتورط فى الآثام،لذلك عليها أن ترتقى إلى أعظم مراقي السمو،وتعلو من كل الرذائل التي نهى عنها المشرع الحكيم ومن أهمها الصدق ، والأمانه ، والحلم ، والتواضع ، والكرم، والصبر بأنواعه ، والرفق،وعدم الغضب،وغيرها من فضائل الأخلاق التى تُقوم الطبائع إلى الأحسن ، وتعدل المزاج إلى الأفضل وتهذب الأخلاق إلى الأكمل عندها تستطيع الداعية بتلك الأخلاق النبيلة والصفات الحميدة أن تجعل الناس يقبلون على دعوتها وينجذبون إليها ويتأسون بها .. لأنهم وجدوا فيها المثل الأعلى فى كل ماتدعو إليه وهي بعملها هذا تتأسى بمن كان خلقه منعوتاً نعتاً خالداً فى قوله تعالى :

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾

(سورة القلم ، الآية " ٤ ")

---

(1) أخرجه البخارى فى صحيحه فى (كتاب العلم ، باب الاغتباط فى العلم والحكمه) ، (٢١/١/١) .

(د) موافقة العمل للقول :

العمل بالدعوة شئ ضروري والقاعدة فى ذلك قوله تعالىٰ:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣ ﴾

(سورة الصف ، الآية " ٢ ، ٣ ")

وصح عن النبى صلى اللّٰه عليه وسلم انه قال :"يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَىٰ فى النَّارِ فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ فَيَدُورُ فِيهَا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِالرَّحَى فَيَجْتَمِعُ عَلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ فَيَقُولُونَ لَهُ : يافُلاَنُ مَالَكَ ؟ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرَ بِالمَعْرُوفِ وَتَنْهَىٰ عَنِ الْمُنْكَرِ ؟ فَيَقُولُ : بَلَى كُنْتُ آمُرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلاَ آتِيهِ وَأَنْهَاكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ"(١)

هذه-والعياذ باللّٰه-حال من خالف قوله فعله فلم يوفق بين مايأمر به وماينهى عنه قولاً وفعلاً ، فكان قوله فى الأمر بالمعروف وفعله فى عمل المنكر .

وقال عبد اللّٰه (٢) بن عروة :

يا أيها الرجل المعلم غيره	هلا لنفسك كان ذا التعليم
وأراك تلقح بالرشاد عقولنا	نصحاً وأنت من الرشاد عديم (٣)

---

(١) سبق تخريجه : (ص : ٢٥٠) .

(٢) هو: عبد اللّٰه بن عروة بن الزبير بن العوام ، الأسدى (٣٠ – ١٢٦هـ)تابعى من الخطباء الشجعان ،كان يشبه بعبدالله بن الزبير فى لسانه وجلده ، وله شعر .

ينظر: (نسب قريش /للزبيري :ص ٢٤٦) ، (تهذيب التهذيب /لابن حجر :٣١٩/٥)

(٣) جامع بيان العلم وفضله وماينبغى فى روايته وحمله/للإمام أبى عمر يوسف ابن عبدالبر النمرى القرطبى ، (٣٦٣ – ٤٦٣) ،وقف على طبعه وتصحيحه وتقييد حواشيه للمرة الأولى : ادارة الطباعة المنيريه ، (ط: عام ١٣٩٨ هـ – ١٩٧٨م) ، (الناشر:دارالباز للتوزيع والنشر – مكة المكرمة) ، (١٩٤/١– ١٩٥) .

وقد أعجبني ماقاله أبو العتاهية (1) في هذا المقام :

ياذا الذي يقرأ في كتبه	ما أمر الله ولا يعمل
قد بين الرحمن مقت الذي	يأمر بالحق ولا يفعل
من كان لاتشبه أفعاله	أقواله فصمته أجمل
من عذل الناس فنفسي بما	قد قارفت من ذنبها أعذل
ان الذي ينهى ويأتي الذي	عنه نهى في الحكم لا يعدل
وراكب الذنب على جهله	أعذر ممن كان لايجهل
لاتخلطن مايقبل الله من	فعل بقول منك لايقبل (2)

وقال أيضاً :

ياواعظ الناس قد أصبحت متهماً	أذ عبت منهم أموراً أنت تأتيها
كالملبس الثوب من عري وعورته	للناس بادية ما أن يواريها
وأعظم الاثم بعد الشرك نعلمه	في كل نفس عماها عن مساويها
عرفانها بعيوب الناس تبصرها	منهم ولاتبصر العيب الذي فيها (3)

وللاسف الشديد أننا في عصر كثر فيه من يقولون مالايفعلون،فإننا في كل مجال تقريباً نسمع أقوالاً وعهوداً ومواثيق ، ولكن لانرى أفعالاً .

فالمرأة الداعية من أحوج الناس إلى أن يوافق فعلها قولها،لأنها في موقف القدوة الحسنة فهي لابد أن تصل في كل تصرفاتها إلى مرتبة

---

(1) هو اسماعيل بن القاسم بن سويد العيني العنزي ،(١٣٠ - ٢١١ هـ) ، شاعر مكثر سريع الخاطر ،في شعره ابداع ،كان ينظم المئة والمئة والخمسين بيتاً في اليوم ،حتى لم يكن للاحاطة بجميع شعره من سبيل، توفي في بغداد .
ينظر : (تاريخ بغداد / للخطيب البغدادي : ٢٥٠/٦) ، (وفيات الاعيان /لابن خلكان : ٧١/١) .

(2) جامع بيان العلم وفضله /لابن عبدالبر ،(١٩٤/١ - ١٩٥) .

(3) المصدر السابق نفسه ،(١٥٨/٢).

الإحسان وهو : ان تراقب اللّٰه تعالىٰ كإنها تراه فإن لم تراه فلتعلم إنه يراها؛ فكل قول منها لابد أن يخرج من قلبها وينطق به لسانها وتترجمه بسلوكها .

(هـ) عدم الانقطاع عن الأعمال :

يجب على الداعية إلى اللّٰه أن تستمر على أعمالها التى تدعو إليها وتقوم بها بلا انقطاع، حيث إنها لو انقطعت عنها من غير مسوغ شرعى فان عاقبة ذلك وخيمة جداً على نفسها ؛ لأنها ستكون ممن يقولون مالايفعلون وتأثم بذلك، وقد وبخ اللّٰه سبحانه اليهود على أمرهم الناس بالبر ونسيان أنفسهم فقال جلّ شأنه ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ . (سورة البقرة ، الآية " ٤٤ ")

كذلك الحال تجنى على من هي فى مكان القدوة لهم أى الذين يتربون عندها يعتقدون عدم أهمية أو جدية ذلك الأمر وبنفس الوقت قد يدخلهم الظن السىء فى القدوة التى انقطعت من غير مبرر عن العمل الذى كانت تدعو إليه .

(و) التثبت من صحة الأدلة :

على الداعية إلى اللّٰه أن تتثبت من صحة الأدلة والنصوص والآثار التى تستخدمها وتستدل بها فى دعوتها، وفى أى موقف من مواقفها التعبيرية، كالمحاضرة، والندوة، والخطبة، والدرس، والحديث، وغيرها ؛ لأنها فى ذلك تكون داعية إلى اللّٰه على بصيرة نيرة فهى تتبع

القدوة الأولى محمداً صلى الله عليه وسلم الذى أمره الله تعالى بقوله جلّ ثناؤه : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾

(سورة يوسف ، الآية " ١٠٨ ")

فهى إذاً من المتبعين له المتخذينه قدوة لهم، فلابد أن تكون أدلتها ثابتة وواضحة وصريحة، لأنها لو لم تلتزم بذلك فكانت تطرح الأدلة والأقوال والآثار عشوائياً من غير تثبت، فانها بذلك تضر نفسها وتضر غيرها من المدعوين، فهى عند عدم التثبت قد تقع فى أخطاء لاتحمد عقباها: كالكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكالتقول على من لم يقل ذلك القول، لكن بمجرد تثبتها تسلم من ذلك كله، والضرر الذى يقع على المدعوين من جراء عدم التثبت هو تعودهم على الفوضى، والتقول على الغير من غير تثبت، لانهم فى ذلك متبعون لتلك القدوة .

(ز) عدم الاتيان على كل المباحات :

لكى ترتقى الداعية وتصل إلى أعلى لابد أن تلتزم الالتزام الكامل بكل ماشرعه الإسلام لها، حتى يصل الأمر بها إلى ترك بعض المباحات، احتياطاً لدينها الذى ارتضته ودعت إليه، فهى بذلك تصون نفسها وتنقذ غيرها من المدعوين، لكى لايقعوا فى البرزخ بين الحلال والحرام، ولايذهبوا طيباتهم فى الحياة الدنيا .

يقول الإمام إبن القيم :

(قال لى يوماً شيخ الإسلام إبن تيمية فى شئ من المباح:

هذا ينافى المراتب العالية ، وان لم يكن تركه شرطاً فى النجاة .

ثم يقول إبن القيم :

(فالعارف يترك كثيراً من المباح إبقاء على صيانته ولاسيما إذا كان ذلك المباح برزخاً بين الحلال والحرام)(١).

ونجد الكثير من الداعيات يقترفن أمام المدعوات الكثير من المباح الذى يجب الإبتعاد عنه ، فإنه من المباح مثلاً شراء ثياب غالية، وحلى ثمينة، ولكن لاتدرى تلك المربية القدوة أن وراءها اتباعاً ينظرون إليها نظرة المناقضة لكلامها الذى كانت تقوله لهن عن حقارة الدنيا وفتنتها، وعن وصف الملابس البسيطة الانيقة والنظيفة المحتشمة، وعن الذهب وحثهن على عدم الاهتمام به؛ لأنه غال وفى ذلك إسراف ومن الممكن أن تستغنى عنه المرأة الواعية باشياء أخرى تزينها قليلة الثمن .

هنا فى هذا الموقف ينخفض مستوى التلقى عند أولئك الاتباع دون أن تشعر المربية، فكان من الأفضل لها أن تبتعد عن كثير من المباحات لتصل فى دعوتها إلى أعلى الدرجات ويقبل عليها المدعوون عند ذلك تجنى ثمار مادعت إليه .

---

(١) ينظر : مدارج السالكين / لابى عبدالله محمد بن أبى بكر بن أيوب ابن القيم الجوزيه ، (٦٩١ – ٧٥١) ، تحقيق : محمد حامد الفقى (ط : عام ١٣٧٥ هـ – ١٩٥٦ م) ، (الناشر : دار الفكر العربى)، (٢٦/٢) .

(ح) محاسبة النفس وتهذيبها :

على الداعية القدوة أن تكون رقيبة على نفسها بين فترة وأخرى لتعرف مواطن التقصير فى جميع تصرفاتها لذلك عليها محاسبة نفسها ومراجعة كل سلوك صدر منها فإن فى ذلك وسيلة للإصلاح من ناحيتين فهى: تصلح نفسها بنفسها، لأنها تعلم مراقبة اللّٰه تعالىٰ لها على كل تصرف يصدر منها ، وكذلك تصلح من تدعوهن، لانها تكون بتلك المحاسبة فى مستوى القدوة التى تراقب اللّٰه تعالىٰ وتصلح من شأن مجتمعها، حيث إنها بتلك المحاسبة لاتجعل الأخطاء ترسخ وتصبح طبعاً لها وسلوكاً ذاتياً فيها ومن ثم تنتقل لمن تقوم بدعوتهن والقاعدة فى ذلك قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه : (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ،وزنوها قبل أن توزنوا،وتزينوا للعرض الأكبر يوم لاتخفى منكم خافية)[1].

وقول الحسن البصري :

(إنّ المؤمن قوّام على نفسه ، يحاسب نفسه للّٰه عز وجل . وإنما خف الحساب يوم القيامة على قوم حاسبوا أنفسهم فى الدنيا ، وإنما شقّ الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة)[2].

---

(١) رسالة المسترشدين /لابى عبداللّٰه الحارث بن أسد المحاسبى البصرى ، (ت : ٢٤٣ هـ) ،حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه/الشيخ :عبدالفتاح أبوغدة ،(ط: ١٤٠٥/٦هـ – ١٩٨٥ م)،(الناشر : مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب) ،(دار السلام – للطباعة والنشر والتوزيع)،(ص : ٤٨).

(٢) (أ) حلية الاولياء /لابى نعيم ،(١٥٧/٢).
(ب) البداية والنهاية /لابن كثير ،(٢٧٢/٩) .

ففى هذا حث على المحاسبة قبل فوات الأوان فمن لم يحاسب نفسه سيأتى عليه اليوم الذى يحاسب فيه وتوزن عليه أعماله .

اكتفى بهذا القدر من القدوة الحسنة على أنها وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله .

ولابد أن تتجلى لنا فى نهاية المطاف بوضوح أهمية القدوة الحسنة فى التربية،حيث إن الكلمة أحياناً قد لاتصل إلى الذين يتربون لظروف معينة ، أو قد تصل لكن لاتفهم عندها لابد للداعية ومن هي فى محل القدوة أن تترجم تلك الكلمات التى لم تفهم بالتربية العملية والقدوة الحسنة .

المبحث الثالث

الوسائل غير المباشرة .

وتشتمل على :

أ) القدوة الحسنة .

ب) إغتنام الفرص

ج) الرسالة من مجهولة .

الثالث : الوسائل غير المباشرة :

(أ) القدوة الحسنة :

من الوسائل غير المباشره : القدوة ، فالقدوة لها أثرها الفعال فى التربية بطرق غير مباشره،حيث ان لسان الحال أفضل من المقال ،فالمقال مهما كان بليغاً ومتكلفاً فإنه لن يؤدى الغرض المنشود منه إذا لم يصدقه العمل وخاصة ممن نصبن أنفسهن لهذا المقام السامى الرفيع،لهذا وجه المولى عز وجل الخطاب للعلماء العاملين أن يكونوا قدوة حسنة لغيرهم فقال تعالىٰ : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾

(سورة آل عمران ،الآية " ٧٩ ")

وبالمقابل عاب على اليهود وذمهم لعدم عملهم بعلمهم ، وكونهم قدوة سيئة قال تعالىٰ : ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥﴾ ﴾

(سورة الجمعة ،الآية " ٥ ")

وقد أمر الله النبى محمداً صلى الله عليه وسلم أن يتخذ إخوانه من الأنبياء السابقين قدوة له،يسير على طريقهم،ويقتفى أثرهم فقال تعالىٰ: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾

(سورة الانعام ،الآية " ٩٠ ")

كذلك التوجيه النبوي الكريم لأحد أصحابه رداً على سؤاله حين قـال لَهُ : يَارَسُولُ اللَّهِ قُلْ لِي فِي الإِسْلَامِ قَوْلاً ، لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَداً بَعْدَكَ قَـالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ فَاسْتَقِمْ "(١)

فالإستقامة هى القدوة التي تترجم الإيمان الصحيح:وهذا فيه رد على الذين يدعون أن الإيمان محله القلب،ولا صلة لتصرفاتهم وسلوكهم بالإيمان، فالإيمان بينه وبين ربه .

قال الشيخ الغزالي :

(إن صلاح المؤمن هو أبلغ خطبة تدعو الناس إلى الإيمان،وخلقه الفاضل هو السحر الذى يجذب إليه الأفئدة ويجمع عليه القلوب)(٢)

وهذا القول يثبت لنا فعلاً أن الداعية الملتزمة تكون وسيلة غير مباشرة للدعوة بصلاحها وخلقها الفاضل،وسلوكها المستقيم من غير دعوتهم بالقول،عندها تكون كل تصرفاتها كالسحر الذى يجذب القلوب من حيث لاتشعر، فتجتمع حولها لتحاكيها وتقلدها فى التزامها بدينها ، والذى يدل على أن الصمت فى كثير من الأحيان أفضل من حشو الكلام الذى لافائدة منه، ولا تطبيق له فى واقع الحال،على أن يكون ذلك الصمت سمة من سمات الدعوه بطريق غير مباشر-هو قول الإمام الشافعى(٣) :

---

(١) (أ) أخرجه الامام أحمد فى مسنده فى (٤١٣/٣) .
(ب) وأخرجه مسلم فى صحيحه فى (كتاب الإيمان ،باب جامع أوصاف الإسلام) ،(رقم : ٣٨) ،(٦٥/١) واللفظ له .

(٢) مع الله دراسات فى الدعوة والدعاة/للشيخ : محمد الغزالى ، (ط:٥ / ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م) ،(الناشر : دار الفكر الإسلامية) ،(ص :٢٨٢) .

(٣) هو محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع الهاشمى القرشى ، أحد الأئمة الأربعة ،عالم واسع العلم فى القراءات والفقه والحديث والشعر والأدب وأيام العرب ،وهو واضع علم أصول الفقه ،ولد بغزه سنة (١٥٠ هـ) ،وحمل إلى مكة صغيراً ،وقصد مصر فى آخر عمره ،وتوفى بها سنة (٢٠٤ هـ) .
ينظر: (تاريخ بغداد/للخطيب البغدادى:٥٦/٢-٧٣) ، (طبقات الحفاظ/للسيوطى:٢/ ١٥٢) .

لاخيـــر فى حشـــو الكــــــلا م إذا اهتديت إلــى عيونــــه
والصمــت أجمــل بالفتـــــى من منطــــق فــى غيــر حينــه
وعلــى الفتــى لطباعــــه سمـــة تلوح علــى جبينــه (١)

فالطبائع التى هي السلوك والتصرف تكون أفضل من المنطق غيرالمناسب او الذى لايطبق،فيكون مجرد فضول لايفيد الداعية ولا المدعوة .

ويقول الشيخ إبراهيم سرسيق فى أثر القدوة الحسنة :
(وهل هناك من مصدر إعلامى كالمؤثر الشخصي ، والقدوة الحسنة ؟ إن جميـع المبشرين يضجون من هذا المصدر بالذات ، وقوته فى نشر الإسلام؟إذ مايكـاد المسلم ينزل فى بقعة ما ، ويشرع فى أداء عبادته اليومية من طهــارة ووضوء وصلاة ، حتى يلتف من حوله الكثيرون،تأملا له ، وإعجابا به ، ورغبة فى اعتناق دينه ، والكثير من كتـاب المستشرقين يصرح بدهشته من هــذا التأثير المباشر للإسلام ، وماله من قوة خارقة على الدعوة لنفسه بنفسه ، رغم الجهود الضارية التى تبذلها جهات متعددة فى محاربة دين الله فــى كل مكان .

بيد أننا نود الإشارة هنا إلى قضية مهمة ، تتميز مابين الإعــلام الإسلامى وغيره،فالبعض يظن أن رجل الإعلام وظيفته قاصرة على عرض المـــاده الإعلامية دون التزام بها ولا إلزام .. ولاتوجد خدعة أسوأ من هذه فى عالـم الإتصال . أفيكون رجل الإعلام مبلغاً لفرضية الصلاة وهو لايصلى ؟ أو يقـدم رسالة إعلامية عن " التوحيد " وهو قبورى منحرف ؟ أو يستعرض تاريـــخ الرسالة الإسلامية فى محاربة المسكرات وإبطال أضرارها وهو سكير مدمـن ؟

---

(١) ديوان الإمام الشافعى /لابى عبدالله الشافعى ،جمعة وعلق عليه/محمد عفيف الزعبى ،(ط : ١٣٩٢/٣ هـ ـ ١٩٧٤ م) ،(الناشر : مكتبــة المعرفة ـ حمص) و (دار العلم للطباعة والنشر ـ جـــده) ،(ص : ٨٦) .

كيف يستقيم هذا من منطق العقل ؟)[1].

فكلما كانت الداعية نموذجاً متكاملاً فى شتى مراحل الحياة لاشك أن ذلك سيؤثر ويدفع الكثيرات من المتطلعات لها، والمراقبات لكل تحرك يصدر عنها إلى التقليد ثم الإندماج، فالمشاركة الوجدانية ثم بعد ذلك الاستعداد التام للقيام بالمهمة نفسها عن اقتناع تام وطيبة نفس كان السبب فى تكوينهما تلك القدوة الصالحه .

كذلك الحال لو كانت القدوة سيئة فإنها ستجد المقلدات اللاتى لايلبثن أن يكن قدوة سيئة والعياذ بالله ، لكن يوم القيامه يحملن أصحاب القدوة السيئة أوزارهن ، وأوزار اللاتى أضللنهن بغير علم فقال تعالى :

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾

(سورة النحل ، الآيتان " ٢٤ ، ٢٥ ")

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ ، كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا ، وَلَا يَنْقُصُ مِن أُجُورِهِم شَيْءٌ . وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً ، فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ ، كُتِبَ عَلَيْهِ مِثْلُ وِزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِم شَيْءٌ "[2].

فيجب على المرأة الداعية أن تحرص كل الحرص على أن تكون لبنات جنسها، وكل من حولها قدوة حسنة، ليعظم أجرها بعظم أجر المتبعين لها ولاتقتصر القدوة على مجال دون الآخر بل لابد أن تكون في كل مجال من مجالات الحياة في العقيدة أولا لأنها هى الأساس الذى تقوم عليه باقي المجالات مثل

---

(١) أصول الاعلام الحديث وتطبيقاته ، (ص : ١٠٨).

(٢) سبق تخريجه : (ص : ٣٠).

العبادة ، والخوف من الله ، والزهد فى الدنيا ، والكرم والإنفـــاق ، والتواضع ، وحسن الخلق ، والشجاعة ، والغضب لانتهاك حرمات الله وغيرها .

ومما تجدر الإشارة إليه والتنبيه عليه والتحذير منه فى هذا المقام أن المرأة الداعية التى هى فى محل القدوة يجب أن لاتقوم بعملها القيادى هذا من أجل أنها تشعر أن الآخرين يراقبون تصرفاتها بل لابد أن تقوم بـه وهى تشعر أنها بمعية الله تعالى ، وتحت رقابته ، فى كل تصرف تقوم بـه ، لأنها إن لم تكن تراه فإنه يراها .

(ب) التربية الدعوية عن طريق اغتنام الفرص فى مناطق التجمعات :

تستخدم هذه الوسيلة فى تجمعات الناس أى عند القيام بزيارات مفاجئة من غير قصد، أو ترتيب مسبق فلابد من إغتنام الفرصة فى الأفراح والأتراح، مقتدية وواضعة نصب عينيها القدوة الأول لجميع الدعاة محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم، فإنه لايترك فرصة ولا يألو جهدا فى أى مكان وفي أى موقف في دعوة الناس، لأنه يريد الخير للبشرية جميعاً، لذلك نجده يحاول بكل ما أوتى من أساليب التربية العملية ولاغرابة فى ذلك فهو المقلد للأسلوب القرآنى الكريم فقد سبق علماء التربيه بأربعة عشر قرناً من الزمان فى تطبيق هذا المبدأ التربوى، كما هو شأنه فى كل المبادىء والأصول التربوية المثلى، كيف لا وقد تخرج من مدرسته عظماء الدنيا، وقادة التاريخ ، وأبطال الأمة؛ فنشروا الحق والعدل والهدى والعلم فى جميع الأمم والشعوب، ثم بعد ذلك حملوا الأمانة والتبعة فى تبليغ الدعوه إلى من بعدهم وهكذا جيلاً بعد جيل وبدأت تضعف أحياناً ويضعف تحمل الأمانة حتى وصل المسلمون إلى حال لايحسدون عليها .

فالرسول عليه الصلاة والسلام يقرب الحقائق الفكرية بأمثلة محسوسة ومستقاة من بيئة المخاطبين أنفسهم، ولم يترك أسلوباً إلا استخدمه فى سبيل إيصال هذا البحر المتدفق والحياة الخيره للناس جميعاً؛ لذلك نجده يعرض حقائق الإسلام بصور شتى ليعقلها الإنسان ويفهمها ومن ثم يطبقها .

فما عليك أختى الداعيه إلا انتهاج ذلك المنهج القويم، والسير على ذلك الصراط المستقيم الذى أتبعه نبى الهدى والرحمة عند توجيه خطابك للأخريات فى زياراتك، وفى مقر عملك، وفى مجتمعك، وأى لقاء مفاجىء، وأى موقف تقفينه ، فالكتاب والسنة استخدما أساليب رائعة حكيمة لعرض حقائق الإسلام بوسائل مباشرة وغير مباشرة مثيرة تأخذ بالألباب والعقول وتفتح الأذهان .

(ج) الرسالة من مجهولة :

وسيلة الرسالة هذه ليست حديثة فقد استخدمها الرسول صلى الله عليه وسلم ، واتخذ لاتصاله بقادة العالم آنذاك خاتماً من فضه ليختم به خطاباته وقد نقش عليه " محمد رسول الله " وكان له عدد من الكتاب ،فهذا النوع من الرسائل ليس هو موضوعنا الذى قصدناه فالنوع الذى أقصده هو : الموجه إلى فئة معينة من الناس ، فكما نعلم أن الناس معادن متعددة ، وقل من الناس من يملك نفسه ،ويستمع للنصيحة ،وتؤثر فيه الموعظة ، لذلك قد تقابلين اختى الداعية فى دعوتك أمثال هؤلاء فتحاولين معهن بجميع الوسائل السابقة لكن لاجدوى ، لأنهن من النوع المراوغ والمداهن ، عند ذلك فما عليك إلا التفكير فى وسيلة الرسالة من مجهولة ،فإن هذا النوع غير المباشر ربما يؤدى إلى نتيجة إيجابية ، وذلك لأنها لاتعلم من التى ارسلتها وبنفس الوقت تكون مسطره أمامها ، فتنظر إليها أكثر من مرة وتتصفحها وتتمعن فى عباراتها،عند ذلك تؤثر فى نفسها فتغير أشياء كثيرة فى تلك النفس الأمارة بالسوء .

وعليك اختى الداعية عند استخدام هذه الوسيلة مراعاة الآتى :

(١) الكتابة بخط واضح وعبارات صحيحة .

(٢) ليكن القصد والهدف منها الإصلاح والتغيير من منكر إلى معروف .

(٣) لابد أن تكون شاملة على كل الآداب التربوية المستقاة من القرآن والسنة التى سبق أن تكلمنا عنها فى بند التربية الدعوية عن طريق اغتنام الفرص فى مناطق التجمعات لتستطيعى الوصول إلى الهدف المنشود من تلك المدعوه .

(٤) عدم كتابة الاسم ،وعدم ذكر أى شخص أو موقف من الممكن أن تستشف المرسل اليها شخصية المرسلة أو قد تظن

فى غيرها فتحصل نتائج غير حميده .

(٥) لتحتوى على الوعظ والإرشاد،وتصحيح مفهوم خاطى، أو فكرة متمسكة بها المرسل اليها .

(٦) لابد من معرفة الكثير عن شخصية المرسل إليها لمخاطبتها على قدر مستواها مع إستخدام بعض العبارات التى ترفع من مستواها،وتشجعها على الترك،وتجعلها تقلع عما كانت تقوم به أو تفكر فيه أو تتمسك به من منكر .

(٧) تذكير المرسل اليها ببعض المواقف الخاطئه الشبيهة بمواقفها،وبيان مايمكن أن يكون بديلاً لتلك المواقف وتوضيح عظيم الأجر والمثوبة ، لو حصل وتحقق هذا البديل وعمل به بدل الوزر والعقوبة التى تحصل عليها نتيجة مواقفها السابقة .

(٨) لابد من معرفة نقطة الضعف فيها،لتستطيع المرسلة توجيه خطابها من خلال تلك النقطة لتأتى الرسالة بالهدف الذى من أجله أرسلت .

(٩) هذه الرسالة ليست مقتصرة على شخص معين من بعيد أو قريب ففى بعض الأحيان تسجل إلى إنسان قريب وفى نفس البيت فتجدى معه وتغير فيه أشياء كثيرة .

(١٠) لابد من وضع الرسالة فى مكان بارز بحيث تستطيع الحصول عليها صاحبة الشأن نفسها ولايطلع عليها غيرها .

هذه الوسيلة غير المباشرة كما سبق وقلت إنها لمن رفعن الراية على رؤوسهن،وأصابهن الغرور والكبر والعياذ بالله عن سماع أى وعظ أو نصح من الآخرين لثقتهن العمياء التى تؤدى بهن إلى التهلكة ، وأعتقد والله تعالى أعلم أن أمثال هؤلاء مرضى نفسيا ، فهن كى يعوضن مايشعرن به من نقص يحولن ذلك إلى غرور وكبر ومراوغة وأنهن ذوات علم ومعرفة

لكل شيء، ولكنهن في داخل انفسهن شيء آخر .

لهذا حاولي جاهدة اختيار العبارات المؤثره، والأدلة الصريحة، لترتدع عن غيها، وترجع عن غرورها، وتعود إلى الله شيئاً فشيئاً وتتوب توبةً نصوحاً، فيكون لك ولها الأجر والثواب من الله تعالى الذي لاتخفى عليه خافية ، فإنه يعلم خائنة الأعين وماتخفى الصدور، فهو يعلم بنيتك الحسنة وهدفك من إرسال تلك الرسالة، أما أمر الهداية فهو تحت مشيئته سبحانه وتعالى حيث خاطب نبي الهدى والرحمة بقوله :

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾

(سورة القصص ، الآية " ٥٦ ")

المبحث الرابع

طرق أخرى في التربية الدعوية .

ويشتمل على :

أ - الاستدلال بالمقابلة .

ب - الاستدلال بالمقدمات المشهورة المسلمة .

ج - الدعوة بالتعريض دون التصريح .

د - البدء بالأهم فالمهم .

هـ - مراعاة مقدار الوقت الذي تلقى فيه دعوتها .

و - مراعاة الوقت المناسب .

ز - مخاطبة المدعوات على قدر عقولهن .

ح - الترغيب والترهيب في الدعوة

ط - الدعوة عن طريق ضرب الأمثلة .

ي - التذكير بسيرة السلف الصالح .

ك - التذكير بنعم الله .

ل - الدعوة عن طريق طرح الأسئلة " الحوار والمناقشة "

م - الدعوة عن طريق القصص .

ن - الوعظ بالسر دون العلن .

س - الدعوة باستعمال اللين في موضع اللين .

ع - الدعوة باستخدام الشدة في موضع الشدة .

الرابع : طرق أخرى فى التربية الدعوية :

والطرق غير المباشرة فى التربية الدعوية -التى يجب أن تتخذها المرأة الداعية نبراساً لها؛لانها مستقاة من كتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم-كثيرة جداً،وسوف أقوم بعرض بعض الوسائل واكتفي بدليلين على كل وسيلة :أحدهما من الكتاب والآخر من السنة خشية الإطالة فإن العبرة بالكيف لا بالكم .(١)

(أ) الاستدلال بالمقابلة :

والهدف من استخدام هذا الاسلوب هو عرض تلك الحقيقة على العقل،وترك الحرية له فى التفكير والتدبر بين هذين الضدين، عندها لايملك العقل إلا أن يذعن لتلك الحقيقة الظاهرة النيره ،ويرفض ماعداها لبطلانها ، وأنتِ اختي الداعية قد تلتقين ببعض النفوس التى يلتبس عليها الأمر،فلا تستجيب نتيجة لعدم الفهم لكن عند استخدامك لهذا الأسلوب معها يستبين لها طريق الرشد والهداية مما التبس عليها من الغي والضلالة عندها تتعظ وتعتبر،لأنها مهيأة لتلقي الحق وقبوله ،إلا أنها بحاجة لمن يأخذ بيدها وينهج معها هذا المنهج القويم مقلدة فى ذلك الكتاب والسنة اللذين نهجا هذا المنهج لعرض الحقائق بشكل مدهش .

وإليك هذين المثالين أحدهما من القرآن الكريم والآخر من سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم على أنهما استخدما هذا الأسلوب : ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ ﴾
(١)

(سورة النحل ،الآية "١٧")

إنه تعالىٰ يقرر حقيقة واضحة للعيان كالشمس المشرقة

---

(١) لمزيد من البسط فى أدلة هذا المبحث ينظر : رسالة الماجستير المقدمة من الطالب : احمد نافع المورعى ، بعنوان " الحكمة والموعظة الحسنة واثرهما فى الدعوة الى الله) (ص : ١١٤ - ٣٨٠)، علما بأننى أفدت منها رؤوس اقلام .

فلا مجال أصلاً للإنكار فلابد من الإذعان فالخالق لتلك النعم التى عددها فى أول السورة قال : " افمن يخلق " وهو رب العزة القادر المنفرد بتلك النعم التى لاتعد ولاتحصى " كمن لايخلق "،وهى تلك الاصنام ،التى اتخذوها للعبادة من دون اللّه والتى لاحول لها ولا قوة ، فهذا فيه توبيخ للمشركين الذين يعبدون جماداً لايسمن ولايغنى من جوع " افلا تذكرون "أى لترجعوا الى الصواب فتعرفوا ماأنتم عليه من خطأ فى عبادتكم غير اللّه .

فإن تلك المقابلة وأمثالها لاشك إن عرضت على نفس مهيأة للخير سيكون الجواب الوحيد هو : لا يارب إن من يخلق ليس كمن لايخلق .

قال الرازى :

(لما دلت هذه الدلائل الباهرة ، والبينات الزاهرة القاهرة ، على وجود إله قادر حكيم . وثبت أنه هو المولى لجميع هذه النعم ، والمعطى لكل هذه الخيرات . فكيف يحسن فى العقول والاشتغال بعبادة موجود سواه ، لاسيما إذا كان ذلك الموجود جماداً لايفهم ولايقدر) (١)

فهذا استدلال بالمقابلة بين النقيضين ليعرف الحق من الباطل والصواب من الخطأ ، والهدى من الضلال ، والخير من الشر .

(٢) عَنْ أَبِي مُوسَى الأشعَرِي رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّىَ اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ : " مَثَلُ الّذِى يَذْكُرُ رَبّهُ

---

(١) مفاتيح الغيب ، (٢٠ / ١٢) .

وَالَّذِي لَايَذْكُرُ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ "(١).

في هذا الحديث النبوي الشريف قابل رسول الله صلى الله عليه وسلم بين شخصين أحدهما يذكر ربه فيشع بنور الإيمان قلبه، وتترجم ذلك جوارحه فيسلك السبل المستقيمة، ويجد السعادة والهناء، ويشعر بالحيوية التى تملأ عليه حياته وتحلي لسانه فيكون عذبا من جراء ذكر الله تعالىٰ فتدب فيه الحياة فيفيد ويستفيد أما الآخر فإنه كالميت الذى لاحراك له، ولاحياة فيه، ولافائدة ترجى منه ، كذلك الحال بالنسبة للذاكر لله من غير الذاكر .

قال ابن حجر :

(فشبه الذاكر بالحي الذى ظاهره متزين بنور الحياة وباطنه بنور المعرفة، وغير الذاكر بالميت الذى ظاهره عاطل وباطنه عاطل)(٢).

---

(١) (آ) أخرجه البخارى فى صحيحه فى (كتاب الدعوات ، باب فضل ذكر الله عز وجل) ،(رقم : ٦٤٠٧) ،(٧٣/٨/٣) واللفظ له .

(ب) وأخرجه مسلم فى صحيحه فى (كتاب صلاة المسافرين ، باب استحباب صلاة النافلة فى بيته) ،(رقم : ٧٧٩) ،(٥٣٩/١).

(٢) فتح البارى شرح صحيح البخارى ،(٢١٠/١١ - ٢١١) .

(ب) الاستدلال بالمقدمات المشهورة المسلمة :

على الداعية إلى اللّٰه استخدام المقدمات المشهورة المسلّمه في حديثها مع المدعوات ليتضح مبدؤها ومنهجها الذى تدعو له ، حيث إن أى مبدأ لابد أن يصاحبه دليل واضح ، وبرهان ساطع يكون حجة على الآخرين ، وتكون له نتائج إيجابية وهذا الأسلوب استخدمه القرآن الكريم .

(١) فقال جل شأنه : ﴿ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ
كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ
﴿٨٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ
﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ
مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ
كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾
بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ
وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا
بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ ﴾

(سورة المؤمنون ، الآيات من " ٨٤ الى ٩١ ")

فى هذه الآيات يقرر تعالىٰ وحدانيته فى التصرف ، وتفرده فى الخلق ، واستقلاله بالملك فأمر نبيّه محمداً صلى اللّٰه عليه وسلم أن يحاور هؤلاء المشركين بمقدمات مشهورة مسلّمة ، جوابها فى كل الأحوال واحد وهو : " سيقولون للّٰه " فى كل مرة يسألهم فيها عندها يرد عليهم بقوله : " أفلا تذكرون " ، " افلا تتقون " ، " فإنى تسحرون " ثم يأتى فى النهاية فيضعهم أمام الأمر الواقع الظاهر الجلى فيقول " " إن كان قولكم ان مع اللّٰه الها آخر " صائباً سيحصل أحد أمرين :

(أ) أن يذهب كل إله بما خلق .

(ب) أو يعلو بعضهم على بعض .

والواقع يبطل هذين الأمرين،حيث إن التناسق العجيب للعالم وانتظام حركته الدائبة يدلان دلالة واضحة على وجود خالق واحد عظيم متفرد ينبغي عبادته دون سواه والالتجاء إليه والتوجه له في كل شيء . فهؤلاء واقعون والعياذ بالله في تناقض عجيب في حياتهم حيث إنهم من جهة يقرّون بالله ومن جهة أخرى يشركون معه غيره .

(٢) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتْ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ : " إِنَّ أُمِّي نَذَرَتْ أَنْ تَحُجَّ فَمَاتَتْ قَبْلَ أَنْ تَحُجَّ ، أَفَأَحُجَّ عَنْهَا ؟ قَالَ : نَعَمْ حُجِّي عَنْهَا ، أَرَأَيْتِ لَوْ كَانَ عَلَى أُمِّكِ دَيْنٌ أَنْتِ قَاضِيَتَهُ ؟ قَالَتْ : نَعَمْ ، فَقَالَ: فَاقْضُوا الَّذِي لَهُ ، فَإِنَّ اللَّهَ أَحَقُّ بِالْوَفَاءِ "(١)

---

(١) (أ) أخرجه البخاري في صحيحه في (كتاب الإيمان والنذور ، باب من مات وعليه نذر) ، (رقم : ٦٦٩٨) ،(١٢٠/٨/٣) .
وفي (كتاب الاعتصام ، باب من شبه أصلاً معلوماً بأصل مبين قد بين الله حكمهما ليفهم السائل) ،(رقم : ٧٣١٥) ،(٨٣/٩/٣) ، بهذا اللفظ .

(ب) وأخرجه مسلم في صحيحه في (كتاب الصيام ،باب قضاء الصيام عن الميت) ،(رقم : ١١٤٩) ،(٨٠٥/٢).

(جـ) وأخرجه أبوداود في سننه في (كتاب الوصايا ،باب الرجل يهب الهبة ثم يوصى له بها أو يرثها) ، (رقم : ٢٨٧٧) ، (١١٦/٣) .

(د) وأخرجه الترمذي في سننه في (كتاب الحج ،باب ماجاء في الحج عن الشيخ الكبير والميت) ،(رقم:٩٢٩) ،(٣ / ٢٦٩)، وقال أبوعيسى : هذا حديث صحيح .

(هـ) وأخرجه النسائي في سننه في (كتاب مناسك الحج ، باب الحج عن الميت الذي لم يحج) ،(رقم : ٢٦٣٣) ،(١١٦/٥) .
وفي (كتاب مناسك الحج ، باب تشبيه قضاء الحج بقضاء الدين) ، (رقم : ٢٦٣٨) ،(١٧/٥ – ١٨) .

ففى هذا الحديث الشريف : استخدم رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم مقدمة مشهورة مسلمة " أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضيته ؟ " فهذه المقدمة تجعله يستطيع أن يجيبها عن سؤالها لأنه لو لم يستخدمها لما استطاع أن يجيبها لكن بواسطتها ردت هى عليه بقولها : " نعم " عندها أجابها بأن قضاء اللّٰه أحق بالوفاء من حق الآدميين لو كان عليها دين لأحد .

قال ابن حجر :

(فيه مشروعية القياس وضرب المثل ليكون أوضح وأوقع فى نفس السامع وأقرب إلى سرعة فهمه، وفيه تشبيه ما اختلف فيه وأشكل بما اتفق عليه ، وفيه أنه يستحب للمفتى التنبيه على وجه الدليل إذا ترتبت على ذلك مصلحة، وهو أطيب لنفس المستفتى وأدعى لإذعانه ، وفيه أن وفاء الدين المالى عن الميت كان معلوماً عندهم مقرراً ولذا حسن الإلحاق به)(١).

فلابد للداعية إلى اللّٰه أن تستخدم هذا الاسلوب فى دعوتها حيث إننا نجد المجتمع من حولنا مملوء بالتناقضات فإنهم وللاسف الشديد - الا من رحم ربى - يعبدون اللّٰه ويتبعون غير شرع اللّٰه فى سلوكهم وسائر شئون حياتهم .

---

(١) فتح البارى شرح صحيح البخارى ، (٦٦/٤) .

(ج) الدعوة بالتعريض دون التصريح :

لكى تنجح الداعية فى دعوتها عليها استخدام هذا الأسلوب مع البعض، حيث إن بعض النفوس البشرية مجبولة على الأنفة والكبر والإعتداد بالنفس فعند مواجهتها مواجهة صريحة بعيوبها أو نهيها عن منكر، وأمرها بمعروف تأخذها العزة بالإثم فتعتبر ذلك إهانة لها وتحقيراً لشأنها، فتكون النتيجة سلبيه إنما فى مثل هذه الحالة ، ومع هذه النفوس لابد أن تلجأ الداعيه إلى اسلوب التعريض دون التصريح، لتحصل على نتائج إيجابيه ، لأنها بهذا ترضى غرور المدعوة وانفتها واعتدادها بنفسها، لأنها أخبرتها بطريقة غير مباشرة بخطئها .

والقرآن والسنة النبوية استخدما هذا الاسلوب فى الدعوة :

(١) قال جلّ شناؤه :

﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ ﴾

(سورة سبأ ، الآية " ٢٤ ")

هنا إشارة يفهم صاحبها أنه هو المراد دون أن يفطن له أحد فتأبى نفسه تقبل الدعوه وتحصل نتائج عكسيه فيما لو صرح له بخطئه .

(والمعنى : إنا لضالون أو مهتدون وإنكم أيضاً لضالون أو مهتدون . وهو جل وعز يعلم أن رسوله صلى الله عليه وسلم المهتدي وأن مخالفه الضال ، وهذا كما تقول : للرجل يكذبك ويخالفك : إن أحدنا لكاذب وأنت تعنيه فكذبته من وجه هو أحسن من التصريح)(١)

---

(١) تأويل مشكل القرآن /لابى محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبه ، (ط:بدون) ، (الناشر : المكتبه العلميه) ، (ص : ٢٦٩) .
وينظر:البرهان فى علوم القرآن/للإمام بدرالدين محمد بن عبدالله الذركشى /تحقيق/محمد أبوالفضل إبراهيم ، (ط : ٢) ، (الناشر : دار المعرفه للطباعة والنشر ـ بيروت ـ لبنان) ، (٢/٣١٣) .

(٢) ومن السنة : عَنْ عَبْدَاللّهِ بْنَ عُمَرَ وأبا هُرَيْرَةَ رَضِيَ عنهم سَمِعَا رَسُولَ اللّهِ صَلّىَ اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَقُولُ ،عَلَى أَعْوَادِ مِنْبَرِهِ : " لَيَنْتَهِيَنّ أَقْوَامٌ عَنْ وَدْعِهِمُ[1] الْجُمُعَاتِ أَوْ لَيَخْتِمَنّ[2] اللّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ . ثُمّ لَيَكُونُنّ مِنَ الْغَافِلِينَ "[3] فهذا هو النهج الذى انتهجه القرآن والسنة النبوية ، ففى القرآن نجد الكثير من الآيات فى بدايتها " الم تر إلى الذين ... " ،" أرءيت الذى ...... " وفى السنة النبوية نجد قوله صلى اللّه عليه وسلم : " مابال رجال يشترطون شروطاً ليست فى كتاب الله " ، " مابال عامل أبعثه " ،" مابال أقوام يفعلون كذا " فهذا الأسلوب يوّدى إلى الإصلاح وتضييق الفجوات فالقصد ليس التجريح إنما التغيير إلى مافيه الخير والصلاح .

---

(١) ودعهم : تركهم اياها والتخلف عنها .
ينظر : (النهاية فى غريب الحديث والاثر /لابن الاثير)،(١٦٦/٥).
(٢) من الختم وهو الطبع على القلوب فلا تعقل ولاتعى شيئاً .
ينظر : (لسان العرب /لابن منظور) ،(١٦٣/١٢) .
(٣) (أ) أخرجه مسلم فى صحيحه فى (كتاب الجمعه ،باب التغليظ فى ترك الجمعه) ،(رقم : ٨٦٥) ،(٥٩١/٢) ،واللفظ له .
(ب) وأخرجه النسائى فى سننه فى (كتاب الجمعه ، باب التشديد فى التخلف عن الجمعه) ،(رقم : ١٣٧٠) ،(٨٨/٣ — ٨٩) .

(د) البدء بالاهم فالمهم :

الداعية إلى الله ينبغى لها أن تهتم بالأصول قبل الفروع وبالكليات قبل الجزئيات فتبدأ فى دعوتها للمدعوات أولاً بترسيخ العقيدة السلفية الصحيحة الخالية من كل شك أو زيغ أو انحراف ، فتقوم بغرس بذور الإيمان بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين والقضاء والقدر خيره وشره .

وتتعهدها بين الحين والآخر بالترسيخ والتثبيت إلى أن تتأكد من أن أركان الإيمان ثابتة ،عندها تنتقل بالمدعوات إلى العبادات ثم إلى الأخلاق ومن ثم باقى التشريعات والأحكام حسب أهميتها . وهذا ماحصل فعلاً فإن الرسول صلى الله عليه وسلم مكث فى مكة مدة ثلاثة عشر عاماً لترسيخ العقيدة الصحيحه، وبعد ثبوتها شرع لهم بأمر من الله التشريعات حسب أهميتها بالتدريج الأهم فالمهم .

" .... قَالَتْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : إِنَّمَا نَزَلَ أَوَّلَ مَانَزَلَ مِنْهُ سُورَةٌ مِنَ الْمُفَصَّلِ ، فِيهَا ذِكْرُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، حَتَّى إِذَا ثَابَ النَّاسُ إِلَى الْإِسْلَامِ ، نَزَلَ الْحَلَالُ وَالْحَرَامُ ، وَلَوْ نَزَلَ أَولَ شَيْء لَاتَشْرَبُوا الْخَمْرَ لَقَالُوا لَانَدَعُ الْخَمْرَ أَبَداً ، وَلَوْ نَزَلَ لَاتَزْنُوا ، لَقَالُوا لَانَدَعُ الزِّنَا أَبَداً ، لَقَدْ نَزَلَ بِمَكَّةَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِنِى لَجَارِيَةٌ أَلْعَبُ : (بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ) (١)

وَمَانَزَلَتْ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَالنِّسَاءِ إِلاَّ وَأَنَا عِنْدَهُ "(٢)

(١) سورة القمر ، الآية " ٤٦ " .

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه فى (كتاب فضائل القرآن ، باب تأليف القرآن) ، (رقم:٤٩٩٣) ، (١٥٢/٦/٢) ، بهذا اللفظ .

وفى (كتاب التفسير ، باب قوله : " بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر ") ، (رقم : ٤٨٧٦) ، (١١٩/٦٢) .

قال ابن حجر :

(أشارت إلى الحكمة الإلهية فى ترتيب النزول وأن أول مانزل من القرآن الدعاء إلى التوحيد ، والتبشير للمؤمن والمطيع بالجنة ، والكافر والعاصى بالنار ، فلما اطمأنت النفوس على ذلك أنزلت الأحكام)[١].

وأكبر دليل على أن انتهاج هذا الأسلوب له الأثر الكبير فى التربية والاستجابة الفورية السريعة هو ماقام به الرسول عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم مع العرب حين حرم عليهم الخمر بعد أن رسخ الإيمان فى قلوبهم .

(وكان الإسلام فى انتهاج هذه الخطة المثلى أبعد نظراً ، وأهدى سبيلاً، وأنجح تشريعاً ، وأنجح سياسة ، من تلكم الأمم المتمدنة المتحضرة ، التى أفلست فى تحريم الخمر على شعوبها أفظع إفلاس ، وفشلت أمرّ فشل . وماعهد أمريكا فى مهزلة تحريمها الخمر ببعيد ! أليس ذاك إعجازاً للإسلام فى سياسة الشعوب ، وتهذيب الجماعات ، وتربية الأمم ؟ بلى والتاريخ على ذلك من الشاهدين)[٢].

وأقول : إن أمريكا حين شعرت بخطورة الخمر والمفاسد المترتبة عليه فحاولت تحريمه لم تفلح فى ذلك،وهذا بالطبع يدل على عدم انتهاجها لهذا النهج السليم،وهو البدء بالأهم ، وهو ترسيخ العقيده وتمكينها وتثبيتها في القلوب التى بدورها تدفع باقي الجوارح إلى الالتزام بالأوامر واجتناب النواهى .

وإليك نموذجين أحدهما من القرآن والآخر من السنة لانتهاجهما هذا المنهج القويم والأسلوب الدعوى الحكيم ، الذى يجب على كل داعية تحرص على دعوتها وتهمها مصلحة مدعواتها أن ترسخ القواعد أولاً ثم تشيد عليها البنيان .

---

(١) فتح البارى شرح صحيح البخارى ،(٤١/٩) .

(٢) مناهل العرفان / للزرقانى ،(١/ ٥٠) .

(١) قال جلّ ذكره فى محكم التنزيل :

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾ ﴾

(سورة البقرة ، الآية " ٢١٥ ")

(٢) والدليل من سنة المصطفى عليه افضل الصلاة واتم التسليم :
قالَ عَبْدُاللّٰهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ : سَأَلْتُ رَسُولَ اللّٰهِ صَلّىَ اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ ، قُلْتُ يارَسُولَ اللّٰهِ : أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ ؟ قالَ: " الصّلاةُ عَلى مِيقَاتِهَا " ،قُلْتُ ثُمَّ أَيٌّ ؟ قالَ : " ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ " ، قُلْتُ : ثُمَّ أَيٌّ؟ قالَ : " الْجِهَادُ فى سَبِيلِ اللّٰهِ ، فَسَكَتُّ عَنْ رَسُولَ اللّٰهِ صَلّىَ اللّٰه عليه وسلم وَلَو اسْتَزَدتُهُ لَزَادَنِي "(١)

(. انما خص هذه الثلاثة بالذكر ، لأنها عنوان على ماسواها من الطاعات ، فإن من ضيع الصلاة المفروضة حتى يخرج وقتها من

---

(١) (أ) أخرجه البخارى فى صحيحه فى (كتاب مواقيت الصلاة ،باب فضل الصلاة لوقتها) ،(رقم : ٥٢٧) ،(٩٣/١/١) .
وفى (كتاب الجهاد ، باب فضل الجهاد) ،(رقم :٢٧٨٢)، (١٢/٤/٢ - ١٣) ، بهذا اللفظ .
وفى (كتاب الأدب ، باب قول الله تعالى " ووصينا الانسان بوالديه ...) ، (رقم : ٥٩٧٠) ، (٣/٨/٣) .
وفى (كتاب التوحيد ، باب سمى النبى صلى الله عليه وسلم الصلاة عملا) ، (رقم : ٧٥٣٤) ، (١٢٥/٩/٣) .

(ب) وأخرجه مسلم فى صحيحه فى (كتاب الإيمان ،باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الاعمال) ،(رقم : ٨٥) ،(٨٩/١).

(ج) وأخرجه الترمذى فى سننه فى (كتاب البر والصلة ،باب ماجاء فى بر الوالدين)،(رقم : ١٨٩٨) ،(٣١٠/٤) قال ابوعيسى : حديث حسن صحيح .

(د) وأخرجه النسائى فى سننه فى (كتاب مواقيت ، باب فضل الصلاة لوقتها ، (رقم : ٦٦١) ، (٣٩٢/١ - ٣٩٣) .

غير عذر مع خفة مؤونتها عليه ، وعظيم فضلها ، فهو لما سواها أضيع ومن لم يبر والديه مع وفور حقهما عليه ، كان لغيرهما أقل براً . ومن ترك جهاد الكفار مع شدة عداوتهم للدين ، كان لجهاد غيرهم من الفساق أترك . فظهر أن هذه الثلاثة تجتمع فى أن من حافظ عليها كان لما سواها أحفظ ، ومن ضيعها كان لما سواها اضيع)(١)

فعلى الداعية إلى الله أن تحرص كل الحرص على تطبيق هذه القاعدة فى كل مجال من مجالات الحياة ، فتقدم الأهم على المهم وان تعارضت المصالح ، فلتبدأ بالأهم وتؤجل المهم حسب مقتضى الحال حتى لايضيع وقتها ويضعف نشاطها ويفنى عمرها وهى لم تصل إلى ماتهدف إليه . من تحسين أوضاع بنات جنسها والوصول بهن إلى ماوصلت إليه نساء السلف الصالح ، فإن نساء السلف الصالح لم يصلن إلى هذا المستوى الرفيع والدرجة العالية من التضحية بكل شىء ، إلا لوجود تلك القاعدة الراسخه فى قلوبهن ، والأساس الذى بني على التقوى . لهذا فإن بناء مجتمع جديد هكذا من غير أساس يستحيل .

قال عبدالمنعم النمر :

(والطفره فى بناء مجتمع جديد مستحيلة ، وتكليف أتباع الدين الجديد بكل مايريده الله منهم دفعة واحدة حين يدخلون فى الإسلام - ولاسيما وهو فى دور النماء - أمر فوق الطاقة ، ولابد من أخذ هذا المجتمع بالتدريج ، ووضع الأساس أولاً بالعقائد ثم يفرع عليها التشريعات شيئاً فشيئاً)(٢)

وهذا هو الأسلوب الذى انتهجه وسار عليه الدين الإسلامى منذ أربعة عشر قرناً من الزمان .

---

(١) فتح البارى شرح صحيح البخارى / لابن حجر العسقلانى ، (٦/٤) .

(٢) علوم القرآن الكريم / لعبدالمنعم النمر ، (ط : ١٣٩٩/١هـ - ١٩٧٩م)
(الناشر : دار الكتاب المصرى) ، (ص : ٨٥) .

(هـ) مراعاة مقدار الوقت الذى تلقى فيه دعوتها :

والداعية تستخدم هذا الأسلوب حرصاً على دعوتها وعلى مدعواتها فى آنٍ واحد.

ولكى لايصيب المدعوات الملل والسآمة وعدم القدرة على التحصيل والإستيعاب .

ولكى لاتذهب دعوتها - نتيجة لما حصل للمدعوات - أدراج الرياح فلا تأتى بنتيجة ترجى .

وهي بذلك مقتفية أثر القرآن الكريم فإنه أُنزل مفرقاً ليفهمه الناس عندما يقرأه الرسول صلى اللّٰه عليه وسلم على مكث عليهم .

(١) فقال جلّت قدرته :

﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ ﴾

(سورة الاسراء ، الآية " ١٠٦ ")

(٢) وأثر السنة النبوية المطهرة فقد ورد إنّ عَبْدَ اللّٰهِ ابْنِ مَسْعُودٍ كَانَ يُذَكِّرُ النَّاسَ فِي كُلِّ خَمِيسٍ ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمنِ لَوَدِدْتُ أَنَّكَ ذَكَّرْتَنَا كُلَّ يَوْمٍ ، قَالَ : أَمَا إِنَّهُ يَمْنَعُنِي مِنْ ذٰلِكَ أَنِّي أَكْرَهُ أَنْ أُمِلَّكُمْ وَإِنِّي أَتَخَوَّلُكُمْ بِالْمَوْعِظَةِ كَمَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَخَوَّلُنَا (١) بِهَا مَخَافَةَ السَّآمَةِ (٢) عَلَيْنَا " (٣)

---

(١) يتخولنا : يتعهدنا .
ينظر :(النهاية فى غريب الحديث والاثر /لابن الأثير) ،(٨٨/٢).

(٢) السآمة : الملل والضجر .
ينظر : (النهاية فى غريب الحديث والاثر /لابن الاثير)،(٣٢٨/٢).

(٣) (أ) أخرجه البخارى فى صحيحه فى كتاب العلم ،باب ماكان النبى يتخولهم بالموعظة والعلم ..) ،(رقم:٦٨)،(٢٠/١/١) ==

وهذا النهج القويم قد سار عليه صحابته رضوان الله عليهم .

* فهذا عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول على المنبر :
(أيها الناس : لاتُبَغِّضُوا الله إلى عباده . فقيل : كيف ذاك أصلحك الله ؟ قال : يجلس أحدكم قاصاً فيطول على الناس حتى يبغض اليهم ماهم فيه ، ويقوم أحدكم إماماً فيطول على الناس حتى يبغض إليهم ماهم فيه)(١).

* وهذه عائشة رضى الله عنها تقول : (فإياك وإملال الناس وتقنيطهم)(٢).
قيل : إذا طال المجلس كان للشيطان فيه نصيب .(٣)
لهذا كان الصحابة رضوان الله عليهم جميعاً يراعون ذلك بل إنها كانت تلك سمة بارزه فيهم .

وأقول ينبغى للداعية الحذر كل الحذر من الاطالة ، مهما كان نوع موضوعها أو منطقها حتى لاتدفع الحاضرات إلى الملال والسآمة وعدم الإستيعاب ، فتحصل نتائج سلبية لاتحمد عقباها من فتور فى دعوتها وإعراض القلوب عنها .

== وفى (كتاب العلم ، باب من جعل لأهل العلم أياما معلومة) ، (رقم : ٧٠) ، (٢١/١/١) ، بهذا اللفظ .

(ب) وأخرجه مسلم فى صحيحه فى (كتاب صفة القيامه والجنة والنار، باب الاقتصاد فى الموعظه)، (رقم :٢٨٢١)، (٢١٧٢/٤) .

(١) الآداب الشرعيه والمنح المرعيه /لشمس الدين ابن عبد الله محمد بن مفلح المقدسى الحنبلى ، (ط:عام/١٩٧٢ م) ، (الناشر: دار العلم للجميع)، (١٠٨/٢) .

(٢) قالت السيدة عائشه رضى الله عنها ذلك عند نصحها لعمير بن عبيد بن قتاده . حيث قالت له :" الم احُدَّثْ أنكَ تَجلِسُ ويجلس اليك . قال : بلى . قالت : فإياك وإملال الناس وتقنيطهم ".
الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع /للخطيب البغدادى/ تحقيق /د.محمود طحان، (ط:عام١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م) ، (الناشر:مكتبة المعارف - الرياض) ، (١٢٨/٢) .

(٣) المصدر السابق نفسه .

لذلك لابد أن تكون حصيفة وفطنة فتدرك ذلك فلا تطيل وفى نفس الوقت تزين دعوتها ببعض الحكايات اللطيفه وتضرب الامثله الظريفه لتجديد النشاط ، ولكسب الهمة وخير الأمور فى ذلك كله التوسط فلا تقصير يخل،ولاتطويل يمل مع التنويع لاعطاء المادة المطروحة نوعاً من الحيوية والاشتياق لسماعها ... قال على بن أبى طالب رضى الله عنه : (روحو القلوب وابتغوا لها طرف الحكمة)(١)

---

(١) (أ) الجامع لاخلاق الراوى وآداب السامع / أحمد بن على البغدادى، (١٢٩/٢) .

(ب) فتح المغيث / لشمس الدين عمر بن عبدالرحمن السخاوى ، (ط : بدون) ،(الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان) ، (٣٤٩/٢) .

(ج) تدريب الراوى / لعبدالرحمن بن ابى بكر السيوطى . تحقيق / عبدالوهاب عبداللطيف ، (ط : ٢ / ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م) ،(الناشر: المكتبه العلميه - المدينه المنوره) ،(١٣٨/٢) .

(و) مراعاة الوقت المناسب :

لكى يكون للدعوة الأثر الطيب الفعال الذى يرجى منها لابد للداعية أن تتخير الوقت المناسب الذى يؤدى المطلوب، ويثمر النتيجة ، فهاهو المصطفى صلاة الله وسلامه عليه يحاول بشتى الوسائل إيصال الدعوة إلى الناس،ويتحين الفرص والوقت المناسب لتوجيه دعوته لتجد بصيرة متفتحه وآذاناً صاغية فتقع موعظته فى الموقع الملائم لها وتستقر فيه وتثبت .

عن حَكِيمَ (١) بْنَ حِزَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَعْطَانِي ، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي ، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعطَانِى ، ثُمَّ قَالَ يَاحَكِيمُ : "إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ كالَّذِى يَأْكُلُ وَلَايَشْبَعُ ، الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى ، قَالَ حَكِيمٌ فَقُلْتُ : يارَسُولَ اللَّهِ ، وَالَّذِى بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لاَ أَرْزَأُ (٢) أَحَداً بَعْدَكَ شَيْئاً حَتَّى أُفَارِقَ الدُّنْيَا ، فَكَانَ أَبُوبَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَدْعُو حَكِيماً إِلَى الْعَطَاءِ فَيَأْبَى أَنْ يَقْبَلَهُ مِنْهُ ، ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دَعَاهُ لِيُعْطِيَهُ فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُ شَيْئاً ، فَقَالَ عُمَرُ : إِنِّى أُشْهِدُكُمْ يَامَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى حكيمٍ ,أَنِّى أَعْرِضُ عَلَيْهِ حَقَّهُ مِنْ هَذَ هذا الْفَيْءِ فَيَأْبَى أَنْ

---

(١) هو حكيم بن حزام بن خويلد بن اسد القرشى ،عمته خديجه زوج النبى صلى الله عليه وسلم ،صحابى جليل من مسلمة الفتح ، وكان يصل الرحم ويفعل المعروف ويحض على البر . توفى سنة (٥٤ هـ) . ينظر : (صفة الصفوه / لابن الجوزى : ٧٢٥/١ – ٧٢٧) ، (تهذيب التهذيب / لابن حجر : ٤٤٧/٢ – ٤٤٨) .

(٢) أرزأ : أصله انقصى أى لا آخذ ولا أطلب من أحد . ينظر : (النهاية فى غريب الحديث والاثر /لابن الاثير) (٢١٨/٢) .

يأْخُذَهُ ، فَلَمْ يَرْزَأْ حَكِيمٌ أَحَداً مِنَ النَّاسِ بعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى تُوُفِّيَ "(١)

فهذه هى التربية الصحيحة حيث اختار صلوات الله وسلامه عليه الوقت المناسب ولو أنه من أول مرة سأل حكيم قال له ماقال : لما حصلت هذه النتيجة وهى : استعفاف حكيم عن المسألة ، لكنه بمراعاته للوقت المناسب كان له أكبر الأثر .

لهذا أختى الداعية ماعليك إلا السير قدماً خلف سيد المربين واقتفاء أثره ، وذلك لتتوخى الداعية الاوقات المناسبه لدعوة بنات جنسها بالحكمة والموعظة الحسنة .

---

(١) (أ) أخرجه البخارى فى صحيحه فى (كتاب الزكاة ، باب الاستعفاف عن المسألة) ، (رقم : ١٤٧٢) ، (١٠٤/٢/١ - ١٠٥) ، بهذا اللفظ .
وفى (كتاب الوصايا ، باب تأويل قول الله تعالى : " من بعد وصية توصون بها أو دين ") ، (رقم : ٢٧٥٠) ، (٥/٤/٢) .
وفى (كتاب الرقائق ، باب قول النبى صلى الله عليه وسلم : " هذا المال خضرة حلوة) ، (رقم : ٦٤٤١) ، (٧٩/٨/٣) .
وفى (كتاب الجهاد ، باب ماكان النبى يعطى المؤلفة قلوبهم) ، (رقم : ٣١٤٣) ، (٧٣/٤/٢) .

(ب) وأخرجه مسلم فى صحيحه فى (كتاب الزكاة ، باب ان اليد العليا خير من اليد السفلى) ، (رقم :١٠٣٥) ، (٧١٧/٢) .

(جـ) وأخرجه الترمذى فى سننه فى (كتاب صفة القيامه ، باب رقم : ٢٩) ، (رقم : ٢٤٦٣) ، (٦٤١/٤ - ٦٤٢) ، وقال أبوعيسى هذا حديث صحيح .

(د) وأخرجه النسائى فى (كتاب الزكاة ، باب مسألة الرجل فى أمر لابد منه) ، (رقم : ٢٦٠١) ، (١٠٠/٥ - ١٠١) .

(ز) مخاطبة المدعوات على قدر عقولهن :

ينبغى للداعية أن تحدث كل قوم حسب ظروفهم البيئية والنفسية، وبما تتجاوب معه عقولهم ويكون له أثر عليهم فيدركونه ويقفون على المقصود منه .

فالداعيه إذا فهمت ظروف وأحوال وأفكار المدعوات فانها تستطيع أن توجه كل واحدة منهن التوجيه الصحيح السليم. وعليها أن تتخير من الموضوعات التى تتحدث عنها وتعالجها ، ماتكون الحاجة إليها أمس فى البيئة نفسها حسب مقتضى الحال، فلا تكون مثلاً البيئة فى وادٍ والموضوعات التى تعالجها فى وادٍ آخر ، فلابد أن تجعل " لكل مقام مقالاً "(١)

وأن تكون حاذقة ولماحة، وعندها دراية ومعرفة سابقة فى خصائص من تخاطبهن، فينطبق عليها قول القائل :" إنه ليعلم من إين تؤكل الكتف "(٢).

ومما تجدر ملاحظته فى هذا المقام أن الله سبحانه وتعالى أرسل الرسل من نفس القوم ليسهل عليهم مخاطبتهم وافهامهم، لأنه أعرف بحالهم من الغريب عنهم .

(١) وفى محكم التنزيل قال عزّ وجلّ :

﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِن كُونُوا۟ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾

(سورة آل عمران ، الآية " ٧٩ ")

---

(١) مجمع الامثال /لأبى على الفضل بن الحسن الطبرسى ، (ت : ٥٤٨) ، (ط:عام / ١٣٨٠هـ) ، (الناشر: دار مكتبة الحياة - بيروت) ، (١٩٨/١) .

(٢) المصدر السابق نفسه ، (٤٢/١) .

(" كونوا ربانيين " قال : حكماء علماء .
وقيل هو من الرَّبِّ ، بمعنى التربيه ، كانوا يربون المُتعلمّين بصغار العلوم ، قبل كبارها)(١).

(٢) وهذا النبى صلى اللّٰه عليه وسلم يخاطب الناس على قدر عقولهم، وحسب مقتضى حالهم، فقد يسأل سؤالاً واحداً فيجيب عليه بعدة أجوبة وهذا راجع لاختلاف السائلين وحالاتهم ومدى حاجة السائل إلى الجواب المناسب .

والامثله على ذلك كثيره نذكر مثالا واحداً فقط .

* عَنْ عَبْدِاللّٰهِ بن عَمْرٍو رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ رَسُولَ اللّٰهِ صَلّىَ اللّٰهُ عَلَيْهِ وسَلّمَ أَيُّ الإِسلَام خَيْرٌ ؟ قالَ : " تُطْعِمُ الطَّعامَ وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ "(٢).

* وعَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِي رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ قَالَ قَالُوا :يَارَسُولَ اللّٰهِ أَيُّ الإِسْلَامِ أَفْضَلُ قَالَ : " مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ "(٣)

---

(١) لسان العرب / لابن منصور ، (٤٠٤/١) .

(٢) (أ) أخرجه البخارى فى صحيحه فى (كتاب الإيمان ،باب السلام من الإسلام) ، (رقم: ٢٨) ، (١١/١/١) ،بهذا اللفظ .
وفى (كتاب الايمان ، باب اطعام الطعام من الاسلام) ، (رقم : ١٢) ، (٩/١/١) .
وفى (كتاب الاستئذان ، باب السلام للمعرفة وغير المعرفة) ، (رقم : ٦٢٣٦) ، (٤٥/٨/٣) .
(ب) واخرجه مسلم فى صحيحه فى (كتاب الإيمان ،باب بيان تفاضل الإسلام) ، (رقم : ٣٩) ، (٦٥/١) .

(٣) (أ) أخرجه البخارى فى صحيحه فى (كتاب الإيمان ،باب أى الإسلام أفضل) ، (رقم : ١١) ، (٩/١/١) ،واللفظ له .
(ب) وأخرجه مسلم فى صحيحه فى (كتاب الإيمان ،باب بيان تفاضل الإسلام ..) ، (رقم :٤٢) ، (٦٦/١) .

فلابد للداعية أن تتوخى لكل أرض النبات المناسب لها ،فتعطى كل بيئة وكل عقل مايصلح له من الوعظ والإرشاد ، فإن مايصلح لبيئه قد لايصلح لأخرى،ومايفهمه عقل قد لايفهمه عقل آخر، وماتقبل عليه نفس برضى قد لاتتقبله أخرى بل ولاتحتمله .

لهذا قيل : ينبغى للعالم ان يكون بمنزلة الطباخ الحاذق يعمل لكل قوم مايشتهون من الطعام[1].

وقيل : لاتحدثوا الناس بما لايعلمون فتضروهم[2]

وهذا دليل على حدوث نتائج سلبية فى حال عدم مراعاة الداعيه لهذا الأسلوب التربوى الدعوى .

---

(١) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع/للخطيب البغدادى ،(٢/١١٠).

(٢) المصدر السابق نفسه ،(٢/١٠٩) .

(ح) الترغيب والترهيب فى الدعوه :

ان لهذا الأسلوب أثره البالغ فى هداية البشرية، حيث يكفل لها الفوز والفلاح مراعياً فى ذلك نفسيات المخاطبين وظروفهم فقد يستعمل الترغيب والترهيب مجتمعين أو منفردين.

وانطلاقاً من هذا المبدأ - والأسلوب المتخذ فى الدعوة - كانت الآيات القرآنية والاحاديث النبوية ترغب الناس فى الخير والمعروف وتدعوهم إليه وإلى العمل به، وترهبهم من الشر والمنكر وتحذرهم منه .

فالداعية الفطنة الحكيمة لابد أن تستخدم هذا الأسلوب فى دعوتها لتشويق المدعوات لدعوتها التى تدعو إليها، وترغبهن وتحثهن على الخير، وتحضهن على الفضيلة لتوقظ الغافلات النائمات وفى نفس الوقت ترهبهن من العذاب الشديد ومن النار والحساب والعقاب .

وهذا نموذج من القرآن الكريم على الترغيب والترهيب معاً :

(١) قال تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾ ﴾

(سورة النساء ، الآيات " ٥٦، ٥٧ ")

ومن السنة النبوية المطهره على الترغيب والترهيب معاً :

(٢) عَنْ حارِثَةَ (١) بْنِ وَهْبٍ الْخُزاعِيِّ ، قالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : " أَلا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ؟ كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعَّفٍ ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللّهِ لأَبَرَّهُ . أَلا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النّارِ ؟ كُلُّ عُتُلٍّ جَوّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ "(٢)

قال الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى فى تعليقه على هذا الحديث وإيضاحه لمفرداته :

(" كل ضعيف متضعف " ضبطوا قوله متضعف ، بفتح العين وكسرها، المشهور الفتح ولم يذكر الأكثرون غيره .

ومعناه : يستضعفه الناس،ويحتقرونه،ويتجبرون عليه، لضعف حاله فى الدنيا . يقال : تضعفه واستضعفه . وأما رواية الكسر فمعناها : متواضع متذلل خامل واضع من نفسه .

وقد يكون الضعف ، هنا ، رقة القلوب ولينها وإخباتها للإيمان . والمراد أن اغلب أهل الجنة هؤلاء .

كما ،أن معظم اهل النار القسم الآخر، وليس المراد الاستيعاب فى الطرفين .

---

(١) هو حارثه بن وهب الخزاعى آخو عبيد اللّه بن عمر لأمه ،له صحبه ،نزل الكوفة ،وروى عن الرسول صلى اللّه عليه وسلم .
ينظر :(الاستيعاب /لابن عبد البر:١/٢٨٥ - ٢٨٦) ،(اسد الغابة/لابن الأثير :١/٣٥٩ - ٣٦٠) ،(تهذيب التهذيب /لابن حجر :٢/١٦٧) .

(٢) (أ) أخرجه البخارى فى صحيحه فى (كتاب التفسير ،باب تفسير سورة القلم) ،(رقم : ٤٩١٨) ،(٢/٦/١٣٢) ،بهذا اللفظ .
وفى (كتاب الأدب ، باب الكبر) ، (رقم : ٦٠٧١)،(١٧/٨/٣)
وفى (كتاب الايمان والنذور ، باب قول الله تعالى : " واقسموا بالله جهد ايمانهم) ،(رقم : ٦٦٥٧)،(١١٣/٨/٣)

(ب) وأخرجه مسلم فى صحيحه فى (كتاب الجنة وصفة نعيمها ،باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء) ،(رقم: ٢٨٥٣) ،(٤/٢١٩٠) .

" ولو أقسم على الله لأبره " معناه لو حلف يميناً ، طمعاً فى كرم الله تعالىٰ بابراره ،لأبره . وقيل : لو دعاه لأجابه .

يقال : أبررت قسمه وبررته . والأول هو المشهور .

" كل عتل جواظ مستكبر " العتل الجافى الشديد الخصومة بالباطل .

وقيل : الجافى الفظ الغليظ . وأما الجواظ فهو الجموع المنوع .

وقيل : الكثير اللحم المختال فى مشيته . وقيل : القصير البطين .

وقيل : الفاجر . وأما المستكبر فهو صاحب الكبر ،وهو بطر الحق وغمط الناس)[1]

ان هذا الأسلوب يسلك سبيله إلى القلوب وترتاح له النفوس ففى الترغيب والترهيب إيقاظ للنائم ، وتذكير للناسى وتنبيه للغافل ، وحث على البذل والعطاء ، وتشويق للعمل، وحض على الخير والفضيلة ...ولهذا يجب على الداعية أن لاتحيد عنه بل تستخدمه فى دعوتها،حيث إن له إيجابيات كثيرة إذا أحسن استخدامه بمشيئة الله تعالىٰ ، وعليها الاستزادة من الأمثلة[2] لتتمكن من استخدامه فى الأوقات المناسبة .

---

(١) ينظر : تعليق محمد فؤاد عبدالباقى على صحيح مسلم ،(٢١٩٠/٤) .

(٢) تستطيع الداعيه أن تحصل على مزيد من الأمثله فى الترغيب والترهيب فى :

(أ) كتاب الله تعالىٰ كذلك عليها مراجعة كتب الحديث عامةوعلى رأسها :

(ب) الكتب السته ، والكتب المؤلفه فى الترغيب والترهيب كثيرة منها :

(ج) الترغيب والترهيب /للإمام زكى الدين عبدالعظيم عبدالقوى المنذرى ، (ت ٦٥٦) ،(ط : ١٣٨٨/٣ هـ - ١٩٦٨ م) ،(الناشر: دار احياء التراث العربى - بيروت - لبنان) . ==

(ط) الدعوة عن طريق ضرب الامثال :

إن الفائدة التى تعود على هذا الأسلوب الذى استخدمه القرآن والسنة هو : بيان الحقائق والمعانى الخفية لتظهر جلية واضحة، وتشويق السامع، وترغيبه فى الإيمان، وعمل الخير، وتنفيره من الكفر والمنكر ، لتقوم الحجة على من ضل واعتدى وتجاهل والامثال تربى العقل على التفكير الصحيح وتقوم بعمل الصيانة له ليقيس الأمور بقياس منطقى سليم .

فعلى الداعية التى تتحرى فى دعوتها الأساليب المتعددة أن تجعل ضرب المثل نصب عينيها ، ليحرز منزلة عالية ومرتبة رفيعة فى دعوتها مقلدة بذلك الأسلوب القرآنى الرفيع .

(١) فقد قال تبارك وتعالىٰ :

﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ  ﴾ (سورة البقرة ، الآية " ١٧١ ")

== (د) رياض الصالحين / للإمام ابى زكريا محى الدين يحيى النووى ، (٦٣١ – ٦٧٦ هـ) ، حققه وخرج أحاديثه : عبدالعزيز رباح ، وأحمد يوسف دقاق ، راجعه الشيخ : شعيب الأرنؤوط ، (ط: ٤ / ١٤٠١ هـ – ١٩٨١ م) ، (الناشر : الرئاسة العامة لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد – الرياض ، وقف لله تعالىٰ – ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢ م) ، (دار المأمون للتراث) .

(هـ) الترغيب والترهيب /لابن حجر العسقلانى ، (٨٥٢) ، (ط : ١ / ١٣٨٠ هـ) ، (الناشر : دار احياء المعارف) .

(و) دليل الفالحين شرح رياض الصالحين /لمحمد بن علان الصديقى ، (ت ١٠٥٧) ، (ط : بدون) ، (الناشر : مصطفى البابى الحلبى واولاده) .

(ز) الترغيب والترهيب / لحسين مطر ، (ط : ١٣٣٨/٣ هـ) ، (الناشر: المطبعة الماجدية – بمكة المكرمة) .

(٢) عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ (١) وَالْمِسْكِينِ ، كَالْمُجَاهِدِ فِى سَبِيلِ اللَّهِ ، أَوِ الْقَائِمِ اللَّيْلَ الصَّائِمِ النَّهَارِ "(٢)

ففى الحديث حث وحض وترغيب للمسلمين على أن يسعَوْا فى شؤون الأرملة والمسكين حيث بيّن أن القائم بشؤونهما والداعى لحقوقهما كالمجاهد فى سبيل اللّه أو كالذى يصوم النهار ويقوم الليل .

فالمثل يقرب المعنى للإفهام ويبرز ذلك بصورة حسية ملموسة فى مجالات الوعد ، والوعيد ، أو الاغراء ،والتهديد ، أو الخير والشرّ ، أو الجنة والنار وغير ذلك . لهذا يجب على الداعيه استخدام هذا الأسلوب فى دعوتها،لأنه يعينها فى تقريب الحقائق ، وتشويق السامع ، وترغيبه فى الخير والحق وتنفيره من الشر والباطل ، بالإضافة إلى تربية العقل على التفكير الصحيح ولضرب المثل فوائد جمه من هذه الفوائد

---

(١) الارملة : هى التى مات زوجها ،ويقال للرجل الذى ماتت زوجته ارمل. ينظر:(النهاية فى غريب الحديث والاثر/لابن الاثير) ،(٢٦٦/٢).

(٢) (أ) أخرجه البخارى فى صحيحه فى (كتاب النفقات ،فاتحته)،(رقم: ٥٣٥٣) ،(٥٤/٧/٣) بهذا اللفظ .

وفى (كتاب الأدب ، باب الساعى على الأرملة) ، (رقم : ٦٠٠٦)، (٨/٨/٣) .

وفى (كتاب الأدب ، باب الساعى على المسكين) ، (رقم : ٦٠٠٧)، (٨/٨/٣) .

(ب) وأخرجه مسلم فى صحيحه فى (كتاب الزهد ، باب الإحسان إلى الأرملة ...) ،(رقم :٢٩٨٢) ،(٢٢٨٦/٤) .

(جـ) وأخرجه الترمذى فى سننه فى (كتاب البر والصلة ،باب ماجاء فى السعى على الارمله)،(رقم : ١٩٦٩) ، (٣٤٦/٤) قال أبوعيسى : حديث حسن غريب صحيح .

(د) وأخرجه النسائى فى سننه فى (كتاب الزكاة ،باب فضل الساعى على الارمله) ،(رقم :٢٥٧٧) ،(٨٦/٥، ٨٧) .

ماذكره الإمام عبدالقاهر الجرجاني في كتابه " أسرار البلاغة" حيث قال رحمه الله :

(واعلم أن ما اتفق العقلاء عليه أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني أو برزت هي باختصار في معرضه،ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته كساها أبهة،وكسبها منقبة،ورفع من أقدارها،وشب من نارها،وضاعف قواها في تحريك النفوس لها،ودعا القلوب إليها واستثار لها من أقاصي الأفئدة صبابة وكلفاً،وقسر الطباع على أن تعطيه محبة وشغفاً،فإن كان مدحاً كان أبهى وأفخم وأنبل في النفس،وأعظم وأهز للعطف وأسرع للإلف،وأجلب للفرح،وأغلب على الممتدح،وأوجب شفاعة للمادح،وأقضى له بعز المنائح والمواهب،وأسير على الألسن،وأذكر وأولى بأن تعلقه القلوب وأجدر . وإن كان ذماً كان مسه أوجع،وميسه ألذع،ووقعه أشد،وحده أحد . وإن كان حجاجاً كان برهانه أنور ، وسلطانه أمهر ، وبيانه أبهر وإن كان افتخاراً كان شأوه أبعد،وشرفه أجد ولسانه ألد . وإن كان اعتذاراً كان إلى القلوب أقرب،وللقلوب أخلب،وللسخائم أسل، ولعزب الغضب أقل ، وفي عقد العقود أنفث،وعلى حسن الرجوع أبعث . وان كان وعظاً كان أشفى للصدر،وأوعى إلى الفكر، وأبلغ في التنبيه،والزجر ، وأجدر بأن يجلي الغيابة،ويبصر الغاية ويبرىء العليل ويشفي الغليل) (١) .

فالمثل له منزلة سامية،ومرتبة عالية رفيعه،حين يكون من بيئة المخاطبين أنفسهم،وهذا هو المعتاد في أمثال القرآن الكريم والسنة النبوية ، التي تهدف إلى هداية

---

(١) أسرار البلاغة / للإمام عبدالقاهر الجرجاني ، (ط : بدون) ، (الناشر : مطبعة الإستقامه ـ بالقاهرة) ،(ص : ١٢٨ ـ ١٣٠) .

البشر ووعظهم وإرشادهم إلى مافيه خيرهم وصلاحهم،والمتتبع (١) للامثال التى يضربها الرسول صلى الله عليه وسلم ، يجد أنه قد اجتمع فيها أمور لم تجتمع فى غيره من الكلام وهى :إيجاز اللفظ ، واصابة المعنى ، وجودة الكناية وحسن التشبيه .

---

(١) ولمن اراد التتبع ومزيد من الامثله والمعلومات عن المثل عليه تقصى أمثال :

(أ) القرآن الكريم ، ومراجعة كتب السنه وعلى رأسها :

(ب) الكتب السته وشرحها لمعرفة المراد من ضرب المثل وفوائده ومنافعه الجمّه . والكتب المؤلفه فى أمثال القرآن والحديث كثيرة منها :

(ج) الأمثال /لابى عبيد القاسم بن سلام ،(١٥٧ - ٢٢٤) ،تحقيق/ د. عبدالمجيد قطامش ،(ط ١ : عام /١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م) ،(الناشر مركز البحث العلمى واحياء التراث الإسلامى - مكة المكرمة).

(د) الأمثال من الكتاب والسنه /لابى عبدالله محمد بن على الحكيم الترمذى (ت : ٣٢٠) ،حققه وعلق عليه وقدم له/د.السيد الجميلى ،(ط : بدون) ،(الناشر : دار ابن زيدون - بيروت) (دار أسامه - سوريا) .

(هـ) امثال الحديث / للحسن بن عبدالرحمن الرامهرمزى (ت ٣٦٠) ، (ط : / ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م)،(دار الكتب العلمية) .

(و) كتاب الأمثال فى الحديث النبوى /أبى محمد عبدالله بن محمد بن جعفر بن حيان المعروف بأبى الشيخ الاصبهانى (ت:٣٦٩ هـ) ، تحقيق /د. عبدالعلى عبدالحميد حامد ،(ط:٢/١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م) ، (الناشر : الدار السلفية - بومباى - الهند) .

(ز) امثال القرآن /لابن قيم الجوزيه (ت : ٧٥١) ،(ط : / ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠ م) ،(الناشر : دار مكة للطباعة والنشر) .

(ح) الامثال القرآنيه/للشيخ:عبدالرحمن الميدانى ،(ط /١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م) ،(الناشر : دار القلم - دمشق) .

(ط) امثال الحديث /د.عبدالمجيد محمود ،(ط: ١٩٧٥ م)،(الناشر: مكتبة دار التراث - القاهرة) .

(ى) التذكير بسيرة السلف الصالح :

الغرض من استخدام هذا الأسلوب هو التذكير، لأخذ العظة والعبرة، ليكون ذلك دافعاً، يجعل المدعوات يحاولن تقليد النساء الصالحات ويزددن من أعمال الخير ، فمن تحاول محاكاة نساء السلف الصالح تشعر بتقصيرها فى جميع شؤونها الدنيوية والأخروية ، وبضآلة الأعمال الخيرية التى تقوم بها . وهذا حصل فعلاً (لسعيد (١) بن السائب الطائفى حيث كان حاضراً فى دروس لسفيان (٢) الثورى ، فجعل يبكى حتى رحمه سفيان فقال : ياسعيد مايبكيك وأنت تسمعنى أذكر أهل الخير وأفعالهم ؟ فقال : ياسفيان : ومايمنعنى من البكاء إذا ذكرت مناقب أهل الخير وكنت عنهم بمعزل ، قال سفيان : حق له أن يبكي) (٣)

واليك هذين النموذجين من سيرة نساء السلف الصالح :

* عن سعدى (٤) بنت عوف زوجة طلحة (٥) بن عبيد الله قالت :

---

(١) سعيد بن السائب بن يسار وهو ابن ابى حفص الثقفى الطائفى ، قيل: كان لاتكاد تجف له دمعة ، مات سنة (١٧١) .
ينظر : (صفة الصفوة /لابن الجوزى :٢/٢٨٣ – ٢٨٤) ، (تهذيب التهذيب / لابن حجر العسقلانى : ٤/٣٥ – ٣٦) .

(٢) سفيان بن سعيد بن مسروق الثورى ، من بنى ثور بن عبد مناة ، من مضر ، ابوعبدالله : أمير المؤمنين فى الحديث . كان سيد أهل زمانه فى علوم الدين والتقوى ، ولد ونشأ فى الكوفه ، (٩٧ – ١٦١هـ) . له كتب منها : (الجامع الكبير) ، (الجامع الصغير) ، (والفرائض) ينظر :(تاريخ بغداد/ للخطيب البغدادى : ٩/١٥١) ، (الجواهر المضيئه /للقرشى : ١/٢٥٠) .

(٣) صفة الصفوة / لابن الجوزى ، (٢/٢٨٣ – ٢٨٤) .

(٤) هى سعدى بنت عوف بن خارجة بن سنان بن أبى حارثة المرية ، امرأة طلحة بن عبيدالله .

==

دخلت على طلحة يوماً وهو خاثر[(١)]، فقلت : مالك ؟ لعل رابك من أهلك شيء ؟ قال : لا والله ، ونعم حليلة المسلم أنت ، ولكن مال عندي قد غمني . فقالت : مايغمك ؟ عليك بقومك ، قال : ياغلام ! ادع لي قومي فقسمه فيهم ، فسألت الخازن: كم اعطى ؟ قال : أربع مئة ألف)[(٢)].

* عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ رَجُلاً أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَعَثَ إِلَى نِسَائِهِ فَقُلْنَ مامَعَنَا إِلاَّ المَاءُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ يَضُمُّ أَوْ يُضِيفُ هذَا ؟فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ : أَنَا ، فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى امْرَأَتِهِ فَقَالَ أَكْرِمِي ضَيْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَتْ ماعِنْدَنَا إِلاَّ قُوتُ[(٣)] صِبْيَانِي ، فَقَالَ : هَيِّئِ طَعَامَكِ ، وَأَصْبِحِي[(٤)] سِرَاجَكِ[(٥)] ،

== ينظر : (الاصابة / لابن حجر : ٣٢٧/٤) ، (تهذيب التهذيب /لابن حجر: ٤٢٤/١٢ - ٤٢٥) .

(٥) طلحة بن عبيدالله بن عثمان التيمي القرشي المدني ، ابومحمد : صحابي ،شجاع من الاجواد وهو احد العشرة المبشرين بالجنة ،وأحد الستة أصحاب الشورى ، وأحد الثمانية السابقين إلى الإسلام ، شهد أحدا وثبت مع رسول الله وبايعه على الموت ،وشهد الخندق وغيرها ، قتل يوم الجمل بجانب عائشة ودفن بالبصرة ، (٢٨ ق هـ - ٣٦ هـ) .
ينظر : (الجمع بين رجال الصحيحين / للقيسراني :ص :٢٣٠) ، (اللباب / لابن الاثير : ٨٨/٢) .

---

(١) خاثر النفس : أي ثقيلها غير نشيط .
ينظر : (لسان العرب / لابن منظور) ، (٢٣٠/٤) .

(٢) (أ) حلية الاولياء /لابي نعيم ، (٨٨/١) .
(ب) سير اعلام النبلاء / للذهبي ، (٣٢/١) .

(٣) القوت : مايمسك الرّمق من الرزق .
ينظر :(لسان العرب /لابن منظور) ، (٧٤/٢) .

(٤) أصبحي :أي أصلحيها وأضيئيها.
ينظر:(النهاية في غريب الحديث والاثر /لابن الاثير) ، (٧/٣) .

(٥) السراج :المصباح.
ينظر:(النهاية في غريب الحديث والاثر/لابن الاثير) ، (٧/٣) .

وَنَوِّمِي صِبْيَانَكِ إِذَا أَرَادُوا عَشَاءً ، فَهَيَّأَتْ طَعَامَهَا ، وَأَصْبَحَتْ سِرَاجَهَا ، وَنَوَّمَتْ صِبْيَانَهَا ، ثُمَّ قَامَتْ كَأَنَّهَا تُصْلِحُ سِرَاجَهَا فَأَطْفَأَتْهُ فَجَعَلَا يُرِيَانِهِ أَنَّهُمَا يَأْكُلَانِ فَبَاتَا طَاوِيَيْنِ(١) ،فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ ضَحِكَ اللَّهُ اللَّيْلَةَ أَوْ عَجِبَ مِنْ فَعَالِكُمَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ : (وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ(٢) وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ(٣)) (٤)

هذا غيض من فيض من سيرة نساء السلف الصالح ،فلابد للداعية أن تضع نصب عينيها تلك السيرة العطرة،لتذكر بها مدعواتها فى شتى مواقفها الدعوية حيث إن نساء السلف الصالح لم ينجحن فى ناحية من نواحى الحياة،ويخفقن فى أخرى بل أفلحن فى جميع مجالات الحياة وهذا ماسنعرض(٥) له ان شاء اللّه تعالى،وعليها عند أستخدام هذا الأسلوب أن تضرب أمثلة بواقع المرأة المعاصرة المؤسف ليتضح الفرق بينهما ،لعل هذا الأسلوب يأتى بنتائج إيجابية ٠

---

(١) طاويين : من طَوَى يَطْوَى فهو طاوٍ :أي خَالى البَطْنِ جائع لم يأكل ،وطوَى يَطوِي إذا تعمَّدَ ذلك ٠
ينظر:(النهاية فى غريب الحديث والاثر /لابن الاثير)،(١٤٦/٣) ٠

(٢) خصاصة : حاجة وفقر ٠
ينظر:(تحفة الأريب بما فى القرآن من الغريب /للشيخ ابى حيان الاندلسى، تحقيق : سمير المجذوب ،(ط : ١٤٠٣/١ هـ – ١٩٨٣ م)،(الناشر : المكتب الإسلامى – بيروت – دمشق) ،(ص : ١١٤) ٠

(٣) سورة الحشر ،الآية (٩) ٠

(٤) (أ) أخرجه البخارى فى صحيحه فى (كتاب مناقب الانصار ،باب قول الله عز وجل :" ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة)، (رقم : ٣٧٩٨) ،(٢٩/٥/٢) بهذا اللفظ ٠
(ب) وأخرجه البخارى فى صحيحه فى (كتاب التفسير ،تفسير سورة الحشر ،باب ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة)،(رقم : ٤٨٨٩) ،(١٢٣/٦/٢) ٠

(٥) ينظر : (ص : ٧٥١ – ٨٦٤) من البحث ٠

(ك) التذكير بنعم الله :

قال المولى جلّ جلاله : ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾

(سورة النحل ، الآية " ١٨ ")

فإن الإنسان لو حاول بشتى الوسائل وبكل ما اوتى من قوة بدنية ، وذكاء عقلى ، وسخر كل اجهزة الحاسب الآلى لتحصى نعم الله ، فإنه لن يستطيع وأكبر نعمة أنعم الله بها علينا هى نعمة " الإسلام " حيث فتحت لنا أبواب الخير من خلاله ، وتذوقنا حلاوة الإيمان الدائمة التى يجدها من يجاهد نفسه من أجله .

فالتذكير بنعم الله منهج أصيل يجب أن لا ينفك عن مهمة الداعية إلى الله ، فتغتنم الفرص وتتحين الأوقات لتذكر بها حسب الموقف الدعوى الذى تمر به وهذا المنهج قرره من قبل القرآن الكريم فى آيات عديدة .

فقال جلّ شناؤه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ ﴾

(سورة فاطر ، الآية " ٣ ")

فلا يكفى اختى الداعية التذكير بنعم الله التى لا تعد ولا تحصى بل لابد أن تبين للمدعوات ما يجب عليهن تجاه تلك النعم من شكر الله عليها ومن صونها والمحافظة عليها وعدم مقابلتها بالجحود والنكران والكفر ، كما حصل لأهل القرية التى ضرب الله بها مثلاً ، حيث كانت آمنة مطمئنة تنعم بشتى النعم لكنها كفرت بتلك النعم فكانت نتيجة جحودها وكفرها الهلاك حيث قال تعالىٰ فى شأنها :

﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا
قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا
مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ
ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾

(سورة النحل ، الآية " ١١٢ ")

فلابد أن تقابل نعم اللّه بشكرها قال تعالىٰ :

﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا
وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ ﴾

(سورة النحل ، الآية " ١١٤ ")

(ل) الدعوة عن طريق طرح الاسئله " الحوار والمناقشة "

إن الدعوة عن طريق الحوار والمناقشة من العناصر الفعاله فى عملية التربية الدعوية ، ونجد هذا الأسلوب قد اتخذ جوانب عديدة منها :

(١) تصحيح بعض المفاهيم الخاطئة لدى المدعوات:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ قَالَ لَقِيَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا جُنُبٌ(١) ، فَأَخَذَ بِيَدِي فَمَشَيْتُ مَعَهُ حَتَّى قَعَدَ ، فَانْسَلَلْتُ(٢) فَأَتَيْتُ الرَّحْلَ فَاغْتَسَلْتُ ثُمَّ جِئْتُ وَهُوَ قَاعِدٌ ، فَقَالَ : " أَيْنَ كُنْتَ يَا أَبَا هِر ؟"فقلت له : فَقَالَ " سُبْحَانَ اللَّهِ يَا أبا هر ،إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَايَنْجُسُ "(٣)

---

(١) الذى يجب عليه الغسل بالجماع وخروج المنى :
ينظر : (النهاية فى غريب الحديث والاثر /لابن الاثير)،(١/٣٠٢)٠

(٢) ونَسَل الماشى يَنْسَل ويَنْسِلُ نسلاً ونسْلاً ونَسَلاناً : أسرع ٠
ينظر : (لسان العرب /لابن منظور) ،(١١/٦٦٠)٠

(٣) (أ) أخرجه البخارى فى صحيحه فى (كتاب الغسل ،باب عرق الجنب وأن المسلم لاينجس) ،(رقم : ٢٨٣) ،(١/١/٥٤) ٠
وفى (كتاب الغسل ، باب الجنب يخرج ويمشى فى السوق وغيره) ، (رقم : ٢٨٥) ، (١/١/٥٤)،بهذا اللفظ ٠

(ب) وأخرجه مسلم فى صحيحه فى (كتاب الحيض ،باب الدليل على أن المسلم لاينجس) ،(رقم :٣٧١) ،(١/٢٨٢) ٠

(جـ) وأخرجه أبوداود فى سننه فى (كتاب الطهارة ،باب فى الجنب يصافح) ،(رقم : ٢٣١) ،(١/٥٩) ٠

(د) وأخرجه الترمذى فى سننه فى (كتاب الطهارة ،ماجاء فى مصافحة الجنب) ،(رقم : ١٢١) ،(١/٢٠٧ - ٢٠٨)،وقال أبوعيسى : حسن صحيح ٠

(هـ) وأخرجه النسائى فى سننه فى (كتاب الطهارة ،باب مماسة الجنب ومجالسته) ،(رقم:٢٦٩) ،(١/١٤٥ - ١٤٦)٠

(٢) اعطاء بعض الكلمات المعنى الشرعي لها :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قَالَ : " أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ(١) ؟ " قَالُوا : الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَامَتَاعَ . فَقَالَ : " إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي ، يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ(٢) هَذَا ، وَقَذَفَ(٣) هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا ، وَسَفَكَ(٤) دَمَ هَذَا ، وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ . فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ ، قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ ، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ "(٥)

(٣) التركيز على بعض المفاهيم والحقائق لترسخ فى الذهن وتثبت فى النفوس والقلوب :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قَالَ " أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ ؟ " قَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُه

---

(١) من افلس الرجل : إذا لم يبق له مال .ومعناه صارت دراهمه فلوساً وزيوفاً .
ينظر : (النهاية فى غريب الحديث /لابن الاثير) ، (٣/٤٧٠) .

(٢) اى سَبَّ ،والشَّتْمُ : قبيح الكلام وليس فيه قذف .
ينظر :(لسان العرب /لابن منظور) ، (١٢/٣١٨) .

(٣) قذف : الرَّمْيُ بقُوَّة .
ينظر (النهاية فى غريب الحديث والاثر /لابن الاثير) ، (٤/٢٨) .

(٤) السفك : الإراقة والإجراء لكل مائع .
ينظر :(النهاية فى غريب الحديث والاثر/لابن الاثير) ، (٢/٣٧٦) .

(٥) (أ) أخرجه مسلم فى صحيحه فى (كتاب البر والصلة والآداب ،باب تحريم الظلم) ،(رقم :٢٥٨١) ، (٤/١٩٩٧) ،واللفظ له .
(ب) وأخرجه الترمذى فى سننه فى (كتاب صفة القيامه ،باب ماجاء فى شأن الحساب والقصاص) ، (رقم:٢٤١٨) ، (٤/٦١٣) ، قال أبوعيسى حديث حسن صحيح .

أَعْلَمُ قَالَ : " ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ " قِيلَ : أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ ؟ قَالَ : " إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدِ اغْتَبْتَهُ . وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ ،فَقَدْ بَهَتَّهُ (١) "(٢)

(٤) توجيه السائل إلى ماهو أهم بالنسبة له :

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ : أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَتَى السَّاعَةُ يارَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : " مَا أَعْدَدْتَ لَهَا ؟ قَالَ ما أَعْدَدْتُ لَهَا مِنْ كَثِيرِ صَلَاةٍ وَلَا صَوْمٍ وَلَا صَدَقَةٍ ، وَلَكِنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، قَالَ : " أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ "(٣)

---

(١) البهت : الكذب والافتراء .
ينظر : (النهاية فى غريب الحديث والاثر/لابن الاثير)،(١٦٥/١) .

(٢) (أ) أخرجه مسلم فى صحيحه فى (كتاب البر والصلة والآداب ،باب تحريم الغيبه) ،(رقم : ٢٥٨٩) ،(٢٠٠١/٤)،واللفظ له .
(ب) وأخرجه أبوداود فى سننه فى (كتاب الأدب ،باب فى الغيبه)، (رقم : ٤٨٧٤) ،(٢٦٩/٤) .
(ج) وأخرجه الترمذى فى سننه فى (كتاب البر والصلة ،باب ماجاء فى الغيبه) ،(رقم : ١٩٣٤) ،(٣٢٩/٤)،قال أبوعيسى : حديث حسن صحيح .

(٣) (أ) أخرجه البخارى فى صحيحه فى (كتاب الأدب ،باب علامة الحب فى الله) ،(رقم : ٦١٧١) ،(٣٤/٨/٣) ،بهذا اللفظ .
وفى (كتاب الأدب ، باب ماجاء فى قول الرجل : ويلك) ، (رقم : ٦١٦٧) ، (٣٣/٨/٣) .
وفى (كتاب الأحكام ، باب الفتيا والقضاء فى الطريق)، (رقم : ٧١٥٣) ، (٥٤/٩/٣) .
وفى (كتاب فضائل اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، باب مناقب عمر بن الخطاب) ، (رقم : ٣٦٨٨) ،(١١/٥/٢).
(ب) وأخرجه مسلم فى صحيحه فى (كتاب البر والصلة والآداب ،باب المرء مع من احب) ،(رقم : ٢٦٣٩) ،(٢٠٣٢/٤) . ==

(٥) ايضاح بعض المفاهيم والمعانى الغامضه :

عَنْ عَائِشَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ عُذِّبَ " ،قَالَتْ قُلْتُ أَلَيْسَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : (فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً)(١) قَالَ :"ذَلِكَ الْعَرْضُ "(٢)

(٦) تحذير المدعوات من الأمور الضارة بهن وبمجتمعهن :

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ بِالطُّرُقَاتِ "،

== وأخرجه مسلم فى صحيحه فى (كتاب الفتن ، باب قرب الساعة)، (رقم : ٢٩٥٣) ، (٢٢٦٩/٤ - ٢٢٧٠) .

(ج) وأخرجه أبوداود فى سننه فى (كتاب الأدب ، باب اخبار الرجل الرجل بمحبته اليه) ، (رقم : ٥١٢٧) ، (٣٣٣/٤) .

(د) وأخرجه الترمذى فى سننه فى (كتاب الزهد ، باب ماجاء ان المرء مع من احب) ، (رقم : ٢٣٨٥) ، (٥٩٥/٤) .

(١) سورة الانشقاق ، الآية (٨) .

(٢) (أ) أخرجه البخارى فى صحيحه فى (كتاب العلم ، باب من سمع شيئاً فراجع حتى يعرف) ، (رقم : ١٠٣) ،(٢٧/١/١) .
وفى (كتاب التفسير ، باب فسوف يحاسب حسابا يسيرا)، (رقم : ٤٩٣٩) ،(١٣٨/٦/٢ - ١٣٩) .
وفى (كتاب الرقاق ، باب من نوقش الحساب عذب)،(رقم : ٦٥٣٦) ، (٩٥/٨/٣) ، بهذا اللفظ .

(ب) وأخرجه مسلم فى صحيحه فى (كتاب الجنه وصفة نعيمها وأهلها باب اثبات الحساب) ،(رقم : ٢٨٧٦) ،(٢٢٠٤/٤) .

(ج) وأخرجه أبوداود فى سننه فى (كتاب الجنائز ،باب عيادة النساء) ،(رقم : ٣٠٩٣) ،(١٨٤/٣) .

(د) وأخرجه الترمذى فى سننه فى (كتاب صفة القيامه ،باب من نوقش الحساب عذب) ،(رقم : ٢٤٢٦) ،(٦١٧/٤ - ٦١٨)،وقال أبوعيسى : حديث صحيح حسن .

فَقَالُوا : يَارَسُولَ اللَّهِ مَالَنَا مِنْ مَجَالِسِنَا بُدٌّ نَتَحَدَّثُ فِيهَا ، فَقَالَ : " إِذَا أَبَيْتُمْ إِلاَّ الْمَجْلِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ " ، قَالُوا : وَمَاحَقُّ الطَّرِيقِ يَارَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : غَضُّ الْبَصَرِ ، وَكَفُّ الْأَذَى ، وَرَدُّ السَّلَامِ ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ "(١)

هكذا كان رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم يستخدم هذا المنهج إيقاظاً للقلوب النائمة ، وتذكيراً للعقول الناسية ، وتنبيها للنفوس اللاهية ، ففي أسلوب المناقشة والحوار في شتى جوانبه تثبيت واستقرار للحقائق . فعلى الداعية إلى اللّه أن تتحرى هذا المنهج في دعوتها .

قال د. محمد سعيد رمضان البوطي في فائدة الأسلوب الحواري: (وتلك هي فائدة الأسلوب الحواري القائم على السؤال والنقاش، فالغرض منه سوق التلميذ في الطريق العلمي المطلوب بنفس السرعة التي يسير بها المربي أو المعلم . إذ إنّ من أخطر آفات السرد والالقاء المجرد ، أن يسير المعلم في القائه وسرده أشواطاً إلى النتيجة العلمية المطلوبة ، بينما لايزال السامع واقفاً حيث هو ، أو يسير متخلفاً عنه في

---

(١) (أ) أخرجه البخاري في صحيحه في (كتاب الاستئذان ، باب قول اللّه تعالى : " ياأيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم .... ") ، (رقم : ٦٢٢٩) ، (٤٤/٨/٣) ، بهذا اللفظ .
وفي (كتاب المظالم ، باب أفنية الدور والجلوس فيها والجلوس على الصعدات) ، (رقم : ٢٤٦٥) ، (١١٦/٣/١) .

(ب) وأخرجه مسلم في صحيحه في (كتاب اللباس والزينة ، باب النهي عن الجلوس في الطرقات ، واعطاء الطريق حقه) ، (رقم: ٢١٢١) ، (١٦٧٥/٣) .

(ج) وأخرجه أبوداود في سننه في (كتاب الأدب ، باب الجلوس على الطرقات) ، (رقم : ٤٨١٥) ، (٢٥٦/٤) .

متاهات متعثرة ، لاتفيد علماً ولاتكسب فهما)[١].

وأقول : إن هذا النهج القويم يكون الشخصيات الإسلامية ويجعلها بارزة سائرة مع الركب مهمتها التقدم ،والتفكر ، والبحث ، والنظر ، والعلم ، والعطاء ،والمشاركة ،وإبداء الرأى ، والتطلع للأحسن ،وفى هذا المنهج المشاركة العقلية بين الداعية والمدعوة للوصول إلى الحقيقة مهما كان نوع المشقة ، فتسير المدعوة بنفس مستوى السرعة التى تسير بها الداعية فتصل إليها الحقائق والمواعظ فى قالب من القناعة التامة .

---

(١) منهج تربوى فريد فى القرآن /د. محمد سعيد رمضان البوطى ، (ط : ٢) ،(الناشر : مكتبة الغارابى ـ دمشق) ،(ص : ٣٩) .

(م) الدعوة عن طريق القصص :

هى إحدى الوسائل الناجحة المؤثرة؛لانها تجذب النفوس، وتؤثر فى القلوب وأكبر دليل على ذلك القصص القرآني والنبوي اللذان يجسدان الأحداث،لتحريك القلوب،وتنشيط العقول ،لمتابعة تلك الأحداث،فهى وسيلة غير مباشرة للدعوة إلى الله ،لأخذ العبرة والعظة والنصح والإرشاد من خلال مجريات القصة فإن لها فعل السحر ، وسرعة نفاذه ،وقوة تأثيره .

والقصص القرآني والنبوى يشتملان على أصول العقائد السامية ، والأخلاق الفاضلة التى تهذب وتصلح من شأن المسلمين بأسلوب حكيم ، وقول مبين ، ولفظ رائع .

لهذا يجب على الداعية أن تتخذ هذا الأسلوب فى دعوتها لاستمالة القلوب ، وتهذيبها ، وترقيقها ، وخشوعها .

(١) قال تعالىٰ :

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾

(سورة يوسف ، الآية " ١١١ ")

فالقصص القرآنى كثير لايحصى ، وهذا مثال على القصة فى الحديث النبوى وهى قصة الرجل الذى ينظر الموسر ويتجاوز عن المعسر .

(٢) عَنْ حُذَيْفَةَ ابْنُ الْيَمَانْ قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : " إِنَّ رَجُلاً كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَتَاهُ الْمَلَكُ لِيَقْبِضَ رُوحَهُ فَقِيلَ لَهُ : هَلْ عَمِلْتَ مِنْ خَيْرٍ ؟ قَالَ مَا أَعْلَمُ ، قِيلَ لَهُ انْظُرْ ،قَالَ مَا أَعْلَمُ شَيْئاً غَيْرَ

أَنِّى كُنْتُ أُبَايِعُ النَّاسَ فى الدُّنْيَا وَأجَازِيهِمْ ، فَأُنْظِـرُ الْموسِرَ وَأتجَاوَزُ عَنِ الْمعْسِرِ فَأدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ "(١)

تميز القصص القرآنى والنبوى عن غيره من القصص ، أن له مقاصد شريفة يسمو بها ، ومرامي عالية يهدف إليها .

فهو يهدف إلى دعوة الحق ، ويشمل أصول العقائد والأخلاق الفاضلة ، والآداب السامية النبيلة ، ويهذب النفوس ، ويصلح القلوب . وللقصة مزايا عديده لايتسع المقام لحصرها .

ويقول عبدالكريم الخطيب فى شأن القصة :

(فالقصة كانت ولاتزال مدخلاً طبيعياً يدخل منه أصحاب الرسالات والدعوات ، والهداة ، والقادة ، إلى الناس ، وإلى عقولهم ، ليلقوا فيها بما يريدونهم عليه ، من آراء ، ومعتقدات ، وأعمال .. ولعل عصرنا هذا هو خير شاهد على ماللقصة من سلطان فى الحياة ، ومن أثر فى تغيير أوضاعها ، وتلوين وجوهها السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، إذ هى أقوى جهاز من أجهزة التأثير فى قيادة الجماعات البشرية فى الحرب والسلم على السواء ..)(٢)

---

(١) (أ) أخرجه البخارى فى صحيحه فى (كتاب الانبياء ، باب ماذكر عن بنى إسرائيل) ، (رقم : ٣٤٥١) ، (١٣٥/٤/٢) ، بهذا اللفظ. وفى (كتاب الاستقراض ، باب حسن التقاضى) ، (رقم : ٢٣٩١) ، (١٠٢/٣/١) .
وفى (كتاب البيوع ، من أنظر موسرا) ، (رقم : ٢٠٧٧) ، (٥٠/٣/١) .

(ب) وأخرجه مسلم فى صحيحه فى (كتاب المساقاه ، باب فضل انظار المعسر) ، (رقم : ١٥٦٠) ، (١١٩٤/٣) .

(٢) القصص القرآنى فى منظومه ومفهومه / لعبدالكريم الخطيب ، (ط:٢/١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥م) ، (الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - لبنان) ، (ص :٧

ويستمر فى سرد الغايات التى تدعو إليها القصة وتساق من أجلها فيحدثنا عن القصص القرآنى فيقول :

(هو أحد الأساليب التى حملها القرآن ليحاج بها الناس ، وليقطعهم من الجدل والمماحكة ، شأنه فى هذا شأن ماجاء فى القرآن من أساليب الاستدلال والمناظرة ، والتعجيز ، والوعد ، والوعيد ، والتهديد ، وغيرها من المشاهد والمواقف المبثوثة فى القرآن الكريم كله ، ومن قصار السور إلى طوالها .. لانجد سورة - مهما قصرت - تخلو من مشهد أو موقف ، يمهد للدعوة الإسلامية ، ويضع معلماً أو معالم للهدي إليها والتبصرة بها ، فى منطق محكم ، وحجة دامغة ، وبيان معجز مفحم)[1] . ومن الملاحظ فى القصص القرآنى : أن القصة الواحدة تتكرر فى عدة سور وما ذلك الا لحكمة .

قال محمد شديد :

(فإذا ذكرت القصة فى سورة فلعلاج موضوعها ، فاذا ذكرت نفس القصة فى سورة أخرى فهى قصة جديده لعلاج موضوع جديد)[2]

---

(١) المرجع السابق نفسه ، (ص : ٨)

(٢) منهج القصة فى القرآن / محمد شديد ، (ط : ١٤٠٤/١ هـ - ١٩٨٤م) ، (الناشر : مكتبات عكاظ) ، (ص : ٦٤) .

(ن) الوعظ بالسر دون العلانية :

أحد الوسائل غير المباشرة الناجحة ومعروف أن كل داعية أمنيتها فى الحياة أن تكون دعوتها ناجحة .

فالدعوة سراً تؤدى غالباً الغرض المطلوب منها،وهى من صفات المؤمنين حيث قيل : (المؤمن يستر وينصح،والفاجر يهتك ويعير) (١).

فالقصد من الدعوة الإصلاح لا الإفساد،وتسديد الثغرات لا فتحها ، لذلك لابد أن تستخدم الداعية هذه الوسيلة فى دعوتها ، لإنها منهج الأنبياء السابقين مع أقوامهم حيث إن النصيحة فى السّر تؤلف القلوب؛لأن المنصوح آخبر بعيبه بخفية بعيداً عن أعين الناس ، والنصيحة سراً فيها فائدة للمدعوة وللداعية فى نفس الوقت ، فالمدعوة تتضح لها عيوبها من غير تجريح . فتصلح من شأن نفسها ، والداعية تكون قد امتثلت أمر ربها ونصحت سراً وبعدت عن الرياء والعجب والغرور الذى قديصاحب الأعمال التىتؤتى أمام الناس،وهذه آية قدبينت كيف أن نوحاً استخدم أساليب متعددة ووسائل متنوعة من بينها النصح فى السر دون العلن :

(١) فقال تعالىٰ على لسانه :

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ ﴾ (سورة نوح، الآيات من "٥" إلى"٩")

---

(١) الفرق بين النصيحة والتعيير/للإمام الحافظ ابن رجب الحنبلى (ت ٧٩٥ هـ) ، حقق أصوله وعلق عليه ،نجم عبدالرحمن خلف ، (ط:٢/١٤٠٦هـ – ١٩٨٦ م) ، الناشر : دار ابن القيم – الدمام) ، (ص : ٣٩) .

ومن السنة النبوية العطرة :

(٢) عن أسامة بن زيد رضى الله تعالى عنه قال : قيل له : ألا تدخل على عثمان فتكلمه فقال : أترون انى لا أكلمه الا أسمعكم ٠ والله لقد كلمته فيما بينى وبينه مادون أن افتتح امرا لا أحب أن أكون أول من فتحه ٠ ولا أقول لأحد يكون على اميرا انه خير الناس بعد ماسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :"يؤتى بالرجل يوم القيامه فيلقى فى النار فتنذلق اقتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحا ، فيجتمع عليه أهل النار فيقولون : يافلان مالك ؟ الم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ؟ فيقول : بلى ،كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وانهى عن المنكر وآتيه "(١)

فهؤلاء الصحابة رضوان الله عليهم يتناصحون ويعظ أحدهم الآخر بالسر دون العلانية ، وليس هذا بغريب عليهم، لأنهم فى ذلك يقتدون بالمربى الفاضل والداعية الذى استطاع بفضل الله سبحانه وتعالى ثم بفضل جهوده واساليبه أن يصل بالدعوة إلى ماوصلت إليه ويخرج الناس من الظلمات إلى النور ٠

---

(١) سبق تخريجه : (ص : ٢٥٠) ٠

(س) الدعوة باستعمال اللين فى موضع اللين :

هذا الأسلوب هو القاعدة الأساسية التى قامت عليها الدعوة إلى الله، فلولا استخدام هذا الأسلوب لما استجاب المدعوون وامتثلوا أوامر الله ولحصل العكس، لهذا نجد الله تعالى يقول مخاطباً نبيه محمد صلى الله عليه وسلم :

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾

(سورة آل عمران ، الآية " ١٥٩ ")

أقول الأساس هو الصدر الرحب الرحيم، والأدب الرفيع، والخلق الجم الحسن، والتجافى عن سوء الخلق وخشونة الجانب، والتغاضى عن أخطاء الآخرين وهفواتهم وزلاتهم، والتماس العذر لهم . فالداعية يهمها أن يتحقق مرغوبها ومطلبها وهو : أن تلقى دعوتها القبول والرضى والإجابة، وهذا لن يحصل إلا عندما تسلك هذا المنهج، وتستخدم الإحسان والتودد إلى المدعوات بكل وسيلة مشروعة وبكل رفق حيث إن الرفق يجلب الخير .

ومما يؤكد أهمية هذه الوسيلة إن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يوصى الدعاة الذين يرسلهم إلى الآفاق باستخدام اللين فى دعوتهم وبالتيسير والتبشير ، وذلك يكون سبباً فى جلب المدعوين إلى دعوة الإسلام .

والقرآن استخدم هذا الأسلوب فى عدد كبير من آياته وهذا مثال عليها :

(١) قال تعالى عن مؤمن آل يس :

﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ
يَسْعَىٰ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن
لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى
فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن
يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَـٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَـٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا
يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ
بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قَالَ يَـٰلَيْتَ قَوْمِى
يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾

(سورة يس ، الآيات من "٢٠ إلى ٢٧ ")

(٢) ومن السنة النبوية الشريفه :عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : كُنْتُ أَمْشِى مَعَ رَسُولِ اللّٰهِ صَلّىَ اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ(١) نَجْرَانِىٌّ(٢) غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ ، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِىٌّ فَجَبَذَ(٣) بِرِدَائِهِ جَبْذَةً شَدِيدَةً ، قَالَ أَنَسٌ : فَنَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبِىِّ صَلّىَ اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَقَدْ أَثَّرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَبْذَتِهِ ، ثُمَّ قَالَ : يَامُحَمَّدُ مُرْ لِى مِنْ مَالِ اللّٰهِ الذى عِنْدَكَ ، " فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ فَضَحِكَ ثُمَّ

---

(١) برد : نوع من الثياب ٠
ينظر :(النهاية فى غريب الحديث والاثر /لابن الأثير)،(١١٦/١) ٠

(٢) نجرانى : منسوب إلى نجران وهو موضع معروف بين الحجاز واليمن ٠
ينظر : (النهاية / لابن الاثير) ،(٢١/٥) ٠

(٣) جبذ وجذب لغتان مشهورتان ،وقوله فجاذبه ،وفى الرواية الثانية ، بمعنى جبذه ٠
ينظر : (التعليق على صحيح مسلم /أ.محمد فؤاد عبدالباقى)، (٧٣١/٢) ٠

أَمَرَ لَهُ بِعطَاءٍ "(١).

إين دعاة اليوم من الداعية الحاذق الذى يقابل الغلظة والفحش بالرفق واللين،ويحسن استخدام الأساليب الدعوية المناسبة،ليخدم الدعوه ويعلى كلمة اللّه .

---

(١) (أ) أخرجه البخارى فى صحيحه فى (كتاب الأدب ،باب التبسم والضحك) ،(رقم : ٦٠٨٨) ،(٢١/٨/٣) ، بهذا اللفظ .
وفى (كتاب الجهاد ، باب ماكان النبى صلى الله عليه وسلم يعطى المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه)،(رقم : ٣١٤٩) ، (٧٥/٤/٢) .
وفى (كتاب اللباس ، باب البرود والحبرة والشمله) ، (رقم : ٥٨٠٩) ، (١٢٦/٧/٣) .

(ب) وأخرجه مسلم فى صحيحه فى (كتاب الزكاة ،باب اعطاء من سأل بفحش وغلظه)،(رقم : ١٠٥٧) ،(٧٣٠/٢ – ٧٣١).

(ع) الدعوة باستخدام الشدة فى موضع الشدة :

كما سبق وقررنا أن الدعوة باللين والرفق والحسنى هى الأساس والقاعدة التى تقوم عليها الدعوة إلى الله ، لكن فى بعض الأحوال والظروف لايجدى اللين ، لذلك لابد من استعمال البديل وهو : الشدة،لانها تكون أنسب فى هذه الحالة وأوقع أثراً وأعمق.وهذا الأسلوب متروك للداعية نفسها وهي بفطنتها، وحسن تصريفها للأمور تستعملها فى مواقفها الخاصة بها،وتعطي كل موقف حسب الظروف المحيطة به حقه من اللين والرفق ، فهذا نموذج من القرآن فى هذه الوسيلة .

(١) قال عزّ من قائل :

﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ﴾

(سورة النور ،الآية " ٢ ")

فالقرآن استخدم الشدة والقسوة والغلظه مع من تسول له نفسه خلخلة المجتمع المسلم من سياجه المتين الذى وضعه فيه شرعه الحكيم إلى الهوة السحيقه فيفقد الأمن والاستقرار .

(٢) ومن السنة ماروته السيدة عَائِشَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ سَفَرٍ ، وَقَدْ سَتَرْتُ بِقِرَامٍ(١) لِي عَلَى سَهْوَةٍ(٢) لِي فِيهَا تَمَاثِيلُ(٣) ،

---

(١) القرام : الستر الرقيق ،وقيل الصفيق من صوف ذى الوان .
ينظر:(النهاية فى غريب الحديث والاثر /لابن الاثير) ،(٩٤/٤) .

(٢) السهوة : بيت صغير منحدر فى الأرض قليلاً شبيه بالمخدع والخزانة ،==

فَلَمَّا رَآهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَتَكَــهُ (١)، وَقَالَ : " أَشَدُّ النَّاسِ عَذَاباً يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهُــونَ (٢) بِخَلْقِ اللَّهِ " ، قَالَتْ : فَجَعَلْنَاهُ وِسَادَةً أَوْ وِسَادَتَيْنِ (٣).

قال الشاعر :

فقسا ليزدجروا ومن يك حازماً فليقس أحياناً على من يرحم (٤)

== وقيل هو كالصفة تكون بين يدى البيت وقيل شبيه بالرف أو الطــــاق يوضع فيه الشئ •

ينظر : (النهاية / لابن الاثير) ،(٤٣٠/٢) •

(٣) تماثيل : أى تصاوير •

ينظر : (النهاية فى غريب الحديث والاثر /لابن الاثير) ،(٢٩٥/٤)•

---

(١) التهتك : خرق الستر عما وراءه •

ينظر : (النهاية فى غريب الحديث والاثر /لابن الاثير) ،(٢٤٣/٥)•

(٢) المضاهاة : المشابهة •

ينظر : (النهاية فى غريب الحديث والاثر / لابن الاثير) ،(١٠٦/٣)•

(٣) (أ) أخرجه الإمام مالك فى الموطأ فى (كتاب الاستئذان ،بـــاب ماجاء فى الصور والتماثيل) ،(رقم : ٥) ،(٩٦٦/٢-٩٦٧) •

(ب) وأخرجه البخارى فى صحيحه فى (كتاب اللباس ، باب ماوطــئ من التصاوير) ، (رقم : ٥٩٥٤) ،(١٤٣/٧/٣ - ١٤٤) ،بهذا اللفظ •

وفى (كتاب اللباس ، باب من لم يدخل بيتا فيه صـــورة)، (رقم : ٥٩٦١) ، (١٤٤/٧/٣) •

(جـ) واخرجه مسلم فى صحيحه فى (كتاب اللباس والزينه ، بــــاب تحريم صورة الحيوان ...) ،(رقم:٢١٠٥) ،(١٦٦٤/٣) •

(د) وأخرجه النسائى فى سننه فى (كتاب الزينه ،باب التصاوير)، (رقم : ٥٣٥٤) ،(٢١٣/٨) •

وفى (كتاب الزينة ، باب ذكر أشد الناس عذابا) ، (رقم : ٥٣٥٦) ،(٢١٤/٨) •

(٤) شرح الحماسة /أحمد بن محمد بن الحسن ابوعلى المرزوقى ،(ط : ٢ / ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م) ،(الناشر :لجنة التأليف والترجمه والنشر- القاهرة) (١١٢١/٣) •

وأقول إن الشدة فى موضعها ليست دليلاً على الغلظة، وعدم الرحمة بل قد تكون من الشفقة والإحسان بمن استخدمت معه؛ لأنها تضع الأمور فى حجمها الطبيعى لها اللائق بها، على أن لايكون فى استخدامها ، الانتقام لحق النفس ، فالداعية المؤمنة لها فى نبى الهدى والرحمة القدوة الحسنة، حيث لم ينتقم لنفسه قط فقد أخبرت عنه السيدة عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وقَالَتْ : " ... وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِنَفْسِهِ فِي شَيْءٍ قَطُّ ، إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ فَيَنْتَقِمَ بِهَا لِلَّهِ "(١)

---

(١) جزء من حديث هذا نصه : " عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، أَنَّهَا قَالَتْ : مَاخير رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ قَطُّ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا ، مَالَمْ يَكُنْ إِثْماً ، فَإِنْ كَانَ إِثْماً كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ ، وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِنَفْسِهِ فِي شَيْءٍ قَطُّ، إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ فَيَنْتَقِمَ بِهَا لِلَّهِ " .

(أ) أخرجه مالك فى الموطأ فى (كتاب حسن الخلق ، باب ماجاء فى حسن الخلق ، (رقم : ٢) ، (٩٠٣/٢) .

(ب) وأخرجه البخارى فى صحيحه فى (كتاب الأدب ، باب قول النبى صلى اللّٰه عليه وسلم : " يسروا ولاتعسروا ") ،(رقم : ٦١٢٦) ،(٢٦/٨/٣) ،بهذا اللفظ .

وفى (كتاب المناقب ، باب صفة النبى صلى الله عليه وسلم) (رقم : ٣٥٦٠) ، (١٥١/٤/٢) .

وفى (كتاب الحدود ، باب اقامة الحدود والانتقام لحرمات الله) ، (رقم : ٦٧٨٦) ، (١٣٤/٨/٣) .

وفى (كتاب (المحاربين ، باب كم التعزير والأدب) ،(رقم: ٦٨٥٣) ، (١٤٥/٨/٣) .

(ج) وأخرجه مسلم فى صحيحه فى (كتاب الفضائل ،باب مباعدته صلى اللّٰه عليه وسلم للآثام ...) ،(رقم : ٢٣٢٧) ، (٤ / ١٨١٣) .

(د) وأخرجه أبوداود فى سننه فى (كتاب الأدب ،باب فى التجاوز فى الأمر) ،(رقم : ٤٧٨٥) ،(٢٥٠/٤) .

لكن حينما يكون هناك تجاوز فى بعض الأمور فتخرج عن حدها الطبيعى إلى درجة إهمال حقوق الله،وانتهاك لحرمة من حرماته فالشدة هنا وفى هذا الموقف ضرورية جداً،وقد تصل إلى درجة الإنتقام لله تعالىٰ .

أين دعاة اليوم ذكوراً كانوا أم إناثاً من هذه النصوص القرآنية والاحاديث النبوية ففيهما المثل الأعلى والنبراس الذى يضىء الطريق للدعاة بتلك السير العطره وتلك المواقف العظيمة التى تهدف فى أى موقف كان،وفى أى وسيلة إلى اظهار الحق جلياً واضحاً أمام من غمض عليهم،وجهلوه أو تجاهلوه وتنكروا له .

إن بعض دعاة اليوم – الا من رحم ربى – مهملون فى أشياء كثيرة، وخاصة هذه الوسيلة الأخيرة التى ترتكز عليها الدعوة إلى الله كغيرها من باقى الوسائل .

فإننى أشبه الدعوة إلى الله بالبناء الذى لا يمكن تشييده وجعله قوياً إلا بوجود مواد البناء الأصلية التى يعتمد عليها، وهذه حال الدعوة إذا لم تستخدم فيها تلك الوسائل التى سبق ذكرها وغيرها مما لم يذكر فإنها لن ترى النور وستموت فى مهدها .

اننا نجد-وللاسف الشديد-بعض الدعاة استحوذت عليهم أنفسهم الامارة بالسوء وشياطين الجن والأنس ، حتى إن الواحد من أولئك الدعاة يغضب ويقسو من أجل مصالح ومطامع دنيوية مادية شخصية ، بينما – والعياذ بالله – قد تنتهك أمامه حرمة من حرمات الله فلا يتمعر وجهه غضباً ، بل يحاول التخلص من بعض المواقف بحجج واهية ، أو إنه يغضب فعلاً ولكن عند التحقق فى الأمر والتقصي نجد غضبه هذا من خلفه مصلحة ما تعود عليه لا على دينه .

فأصبحنا لانعرف متى يستخدم هؤلاء اللين ؟ ومتى يستخدمون الشدة ؟

فإنها تركت للأهواء والمصالح ولم يحكموا شرع الله فيها ولم يعرفوا أنهم بذلك يجنون على أنفسهم أولاً بارتكاب الآثام ثم بالويل والدمار على دعوتهم ٠

فلابد أن تلك النماذج الطيبة السابقة الذكر فى جميع الوسائل المستخدمة فى الدعوة تكون بمثابة القدوة والمعلم والقائد لنا لنقتفى أثرها ونسير على نهجها ٠